

المُسْتَشْرِقُونَ وَاللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَآدَابُهَا

بحوث ندوة وطنية بعنوان
"الاستعراض العلمي لأعمال المستشرقين
في مجال اللغة العربية وآدابها"
5 & 6 نوفمبر 2024م

تحرير وترتيب:

البروفيسور سيد عليم أشرف الجائسي
رئيس قسم اللغة العربية وآدابها
الدكتور شمس الدين، أستاذ ضيف لنفس القسم
الدكتور آصف لثيق، أستاذ ضيف لنفس القسم

ناشر:

قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية، حيدرآباد، الهند

ORIENTALISTS AND ARABIC LANGUAGE & LITERATURE

ISBN :

الرقم الدولي	:	----
اسم الكتاب	:	اَلْمُسْتَشْرِقُونَ وَاللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَآدَابُهَا
التحرير والترتيب	:	البروفيسور سيد عليم أشرف الجائسى
		رئيس قسم اللغة العربية وآدابها
		الدكتور شمس الدين
		أستاذ ضيف لقسم اللغة العربية وآدابها
		الدكتور آصف لثيق
		أستاذ ضيف لقسم اللغة العربية وآدابها
الطبعة الأولى	:	أكتوبر 2025م
السعر	:	750 روبية هندية
المطبع	:	Tanveer Publishers, Hyderabad.
الناشر	:	قسم اللغة العربية وآدابها
		جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية
		بجيد رآباد، الهند
		www.manuu.edu.in

المُستشرقون واللغة العربية وآدابها

مُحتَوَيَاتُ الْكِتَابِ

البحوث	رقم
رسالة من رئيس الجامعة. البروفيسور سيد عين الحسن	9
التقديم	أ.د. سيد عليم أشرف الجائسي 11
نبذة عن الندوة الوطنية	د. محمد شمس الدين 14
المستشرقون : وتزويد اللغة العربية بالمصطلحات والمعاني الجديدة	أ.د. محمد اقبال حسين الندوي 20
أهم أعمال المستشرقين في اللغة العربية وآدابها دراسة انتقائية نقدية	أ.د. سيد عليم أشرف الجائسي 25
استعراض ظاهرة الاستشراق في حقل اللغة العربية وآدابها وتحليل خطابه	أ.د. عبد الماجد قاضي 46
اهتمام المستشرقين بترويج اللغات الشرقية: كلية فورت وليم	أ.د. محمد قطب الدين 65
عناية المستشرقين بـ "ألف ليلة وليلة": دراسة موضوعية	أ.د. مظفر عالم 76
دراسة لترجمة (محمد مارمادوك) بكتال لمعاني القرآن الكريم	د. مجيب أختر 92
السير وليم جونز	د. جاويد نديم الندوي 105
جهود المستشرق ألبرت تايل في تطور الصحافة العربية في ألمانيا	د. محمد عبد الواحد 124

- اهتمام المستشرقين بدراسة الأدب العربي، أغناطيوس أنموذجاً
140 د. محمد أنظر الندوي
- دراسة الاستشراق في ضوء كتابات الدكتور مصطفى السباعي
149 د. محمد شهاب الدين
- غيرت يان فان غيلدر وإسهاماته في إحياء التراث العربي
160 د. ثمينه كوثر
- الاستشراق وبعث اللغة العربية في العصر الحديث
168 د. سعيد بن مخاشن
- تراجم القرآن للمستشرقين دراسة وصفية نقدية انتقائية
180 د. المفتي محمد شرف عالم
- مقارنة بين ترجمة محمد مامادوك بكتال ويوسف علي لمعاني القرآن
189 د. محمد سالم أختري
- إسهامات المستشرقين في ترجمات معاني القرآن الكريم: دراسة نقدية
201 د. محمد فضل الله شريف
- دورهيلموت ريتري في تحقيق المخطوطات العربية ونشرها
218 د. محمد منظور حسين
- إسهامات مستشقي البنغال في الدراسات العربية: دراسة انتقائية
223 د. سعيد الرحمن
- أرش بروينلش ونقده لمرجليوث: دفاع علمي عن الشعر الجاهلي
236 د. طلحة فرحان
- إسهامات المستشرقين في تطوير اللغة العربية في الهند
245 د. محمد شاكر رضا
- محمد فؤاد سزكين المستشرق التركي والألماني
254 د. دردانه شاهين

263	مساهمة المستشرق هاملتون جب في الأدب العربي د. محمد عبد العليم
272	الاستشراق: تعريفه، نشأته، تطوره وأهدافه د. محمد شمس الدين
284	المستشرقون وخدمة التراث العربي د. آصف لثيق الندوى
290	الأستاذ سيلفستردو ساسي وإسهاماته في الأدب العربي د. سيد محمد عمر فاروق
305	كتاب "تفہیم استشرق" للأستاذ السيد عليم أشرف الجائسى د. محمد رحمت حسين
315	جهود غوتليب وليم لايتنر في الدراسات العربية و إنشاء مؤسساتها د. غوث محمد
323	إميليو غارسيا غوميز: جسر بين الحضارة العربية والإسبانية د. محمد أبوبكر صديق
332	المستشرقون وخدماتهم في تحقيق المخطوطات العربية... د. محمد عادل
340	كارل بروكلمان ومساهمته في تاريخ الأدب العربي حسن الزمان
348	كلية فورت وليم وإسهاماتها في العربية توقير أحمد
360	خدمات المستشرقين في تحقيق المخطوطات والترجمة د. ذاكر حسين

شیخ الجامعہ کا پیغام

باسمہ تعالیٰ

شرق شناسی ایک وسیع موضوع ہے، جس کے دائرے میں وہ تمام علوم آتے ہیں جن سے ادب، سماج اور تاریخ کا گہرا تعلق ہے۔ گزشتہ کئی دہائیوں سے اصول و ضوابط کے ساتھ ساتھ افتخار و مباہات کا جوازہ لیا جانے لگا ہے۔ ہر خطہ ارض کے صاحبان ذوق سلیم اور دست اندرکاران اہل قلم نے کبھی منصفانہ اور کبھی غیر منصفانہ طریقہ کار کا مظاہرہ کیا ہے۔ ”نیا دور“ میں کئی برس قبل ایک مضمون شائع ہوا تھا جس میں اس دور کی مشکلات پر کچھ اس طرح بحث ہوئی تھی: ”ہم جس عہد میں سانس لے رہے ہیں، یہ عہد تلاش و جستجو کا عہد ہے، تحقیق و تنقید کا عہد ہے، جدوار و تفت کا عہد ہے، علم و عمل کا عہد ہے، منطقیات بحث و تخیل کا عہد ہے، فلسفیانہ تحلیل کا عہد ہے۔ یعنی آج کے عہد کا ذہن کسی بھی بات کو بغیر سوچے سمجھے، جانے پر کھے من و عن قبول کرنے پر آمادہ نہیں ہو سکتا بلکہ کسی بھی چیز کو اپنے محسوسات و تجربات کی کسوٹی پر رکھ کے اسے جانچ پرکھ کر اور ناپ تول کر قبول کرتا ہے۔“ (نومبر ۱۹۹۵ عیسوی) ”مولانا آزاد نیشنل اردو یونیورسٹی کے شعبہ عربی نے بھی ان فسیلوں سے گزرنے میں کوئی کسر باقی نہیں چھوڑی ہے۔ اور ”عربی زبان و ادب میں مستشرقین کی خدمات“ کے عنوان سے ایک قومی سیمینار منعقد کیا، اور اس سعی کا حاصل کتابی شکل میں منظر عام پر لایا جا رہا ہے۔

ادوار گزشتہ میں انگریزیت ہم پر حاوی تھی، انگریز شرق شناس جو بھی لکھتے تھے، ہم بند آنکھوں سے تسلیم کر لیتے تھے، اس لیے کہ یہ حضرات ”مستند“ ہے میرا منر مایا ہوا“ کے زمرے میں آتے تھے۔ چنانچہ ان کی کتابوں کے ترجمے زیادہ تر حواشی کے بغیر منظر عام پر آتے تھے اور اپنا کام کر جاتے تھے۔ ایک طرح سے ایسی کتابوں نے ہماری اپنی رسائی منکر کو پروان چڑھنے سے روک رکھا تھا۔ اس کے پس منظر میں ان یورپی شرق شناسان کا منشا کیا تھا یہی تو آج کی بحث کا اصل موضوع ہے۔

وہ مضامین جنہیں اس کتاب میں شامل کیا گیا ہے، اہمیت کے حامل ہیں۔ کیونکہ یہ نہ تو روایت کو مطعون کرتے ہیں اور نہ ہی جدت پسندی کے انضمام کی پیش قدمی کو رد کرتے ہیں۔ یہ تاریخی پدر شاہی جبر کے خلاف جدوجہد کی حمایت کرنے کے بجائے تعلیم کی ایک زیادہ پیچیدہ، دیانت دارانہ، اور جامع تفہیم پر اصرار کرتے ہیں۔ نہایت باریک بینی سے کی گئی کیس اسٹڈیز، سماجیاتی تجزیوں، اور مالی و قانونی تنقیدوں کے ذریعے، یہ مطالعہ قاری کو عصری ضروریات اور امنگوں کی نوعیت پر ایک ہمہ جہتی نقطہ نظر فراہم کرتے ہیں۔

پروفیسر علیم اشرف جاسی صاحب اور ان کے ہمکاران اس باریک سماجیاتی تناظر میں گہرائی سے اترتے ہیں، جو علم کی ترسیل کے طریقے پر مبنی ہیں۔ وہ اس بات کا جائزہ لیتے ہیں کہ کس طرح سماجی توقعات، معاشی انحصار، خاندانی دباؤ، اور انفرادی دانش کے محرکات بیک وقت اداروں کو متاثر بھی کر سکتے ہیں اور باختیار بھی بنا سکتے ہیں۔ وہ بھی حیرت انگیز اور متضاد انداز میں۔

کتنی جی چاہتا ہے کہ میں ان صفحات کو مزید پڑھتا چلا جاؤں، مگر بہتر ہے کہ آنے والے دنوں میں دیکھوں کہ آگے کیا ہوتا ہے! دعا کرتا ہوں کہ یہ روش ہمارے حق میں بہتر ثابت ہوگی اور ذہنی انجامد کے وہ تمام حبال ٹوٹ جائیں گے اور ہم علمی آگاہی اور فکری آزادی کی جانب رہسپار ہونگے۔

خیر اندیش

عین الحسن

(پروفیسر سید عین الحسن)

وائس چانسلر، مولانا آزاد نیشنل اردو یونیورسٹی

رسالة من رئيس الجامعة

باسمه تعالى

الاستشراف موضوع واسع النطاق يندرج في إطاره كل ما يتصل بالأدب والمجتمع والتاريخ اتصالاً وثيقاً. ومنذ عقود عديدة، بدأ البحث في أصوله وضوابطه، كما في جوانب الفخر والمباهاة المرتبطة به. وقد اتخذ أهل الذوق السليم وأصحاب الأقلام في كل بقاع الأرض مواقف متباينة تجاهه، فتارةً تعاملوا معه بإنصافٍ وعدل، وتارةً أخرى بجورٍ وميلٍ. نُشرَ قبل أعوامٍ في مجلة "نيا دور" مقالٌ تناول مشكلات ذلك العصر، وجاء فيه ما معناه:

"نحن نعيش في زمن البحث والاكتشاف، زمن التحقيق والنقد، زمن الجهد والتطور، زمن العلم والعمل، زمن النقاش المنطقي والتحليل الفلسفي. إنَّ العقل المعاصر لا يقبل أيَّ فكرةٍ دون تأملٍ وتمحيص، بل يزنهما بميزان التجربة والإحساس قبل أن يُسلمَ بها" {نوفمبر 1995 م}

وقد سعى قسم اللغة العربية بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية في حيدرآباد سعيًا حثيثًا في هذا المضمار وأقام ندوة قومية بعنوان "إسهامات المستشرقين في اللغة العربية وآدابها"، ولم يدخر جهدًا في تخطي تلك الحواجز الفكرية، وها هي ثمار هذه الجهود تخرج اليوم في صورة كتابٍ مطبوعٍ يُقدَّم إلى القراء.

في العصور الماضية، كانت الهيمنة الإنكليزية مهيمنة علينا، فكنا نقبل ما يكتبه المستشرقون الإنكليز دون نقدٍ أو اعتراض، لأنهم كانوا يُعدُّون من زمرة «الموثوقين فيما قالوا». ولذلك ظهرت ترجماتهم إلى لغاتنا في الغالب بلا هوامش أو تعليقات، فأدَّت دورها في طمس قدرتنا على تكوين فكرٍ مستقل. والسؤال المحوري اليوم هو: ما الدافع الحقيقي وراء نيات هؤلاء المستشرقين الأوروبيين؟ فذلك هو جوهر النقاش الراهن. أما المقالات التي تضمنها هذا الكتاب، فهي ذات أهمية، إذ لا تُهاجم التقاليد ولا ترفض روح التجديد، بل تُصِرُّ على فهمٍ أكثر عمقًا وصدقًا وشمولًا للمعرفة، بعيدًا عن صراع الهيمنة التاريخية الأبوية. ومن خلال دراساتٍ حالةٍ دقيقة، وتحليلاتٍ اجتماعية، ونقدٍ

ماليّ وقانونيّ رصين، يقدّم هذا العمل رؤيةً متعددة الأبعاد لطبيعة الحاجات والتطلّعات المعاصرة.

لقد غاص الأستاذ سيد عليم أشرف جائيّ وزملاؤه في أعماق السياقات الاجتماعية الدقيقة التي يقوم عليها نظام نقل المعرفة، فبحثوا كيف يمكن للتوقعات الاجتماعية، والاعتماد الاقتصادي، والضغط الأسرية، ودوافع الفكر الفردي أن تؤثر في المؤسسات العلمية، فتضعفها حيناً وتمكّنها حيناً آخر — وذلك في صورةٍ مدهشةٍ ومتناقضةٍ في آنٍ واحد. كم أتمنى أن أوصل قراءة هذه الصفحات بلا انقطاع، غير أنّ الأجدر أن نترقّب الأيام المقبلة لنعرف إلى أين سيقودنا هذا المسار. أدعو الله أن تكون هذه الخطوات فاتحة خيرٍ لنا، تكسر قيود الجمود الذهني، وتفتح لنا آفاق الوعي العلمي والحرية الفكرية.

مخلصكم

البروفيسور سيد عين الحسن

رئيس جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية، حيدرآباد

التقديم

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من نطق بالضاد، وعلى آله الأجداد وصحبه الذين حملوا لواء الدين واللغة العربية إلى الأغوار والأنجاد ومن تبعهم في خدمتهما إلى يوم التناد.

يُعَدّ الاستشراق حركةً علميةً إنسانيةً نشأت في سياقٍ معرفيٍّ قادها باحثون ينتمون إلى بيئات ثقافية ودينية محددة. ومن الثابت في الدراسات الإنسانية أنّ النتاج الفكري لأي كاتب لا يمكن أن يكون بمعزلٍ عن تأثير منظومته الفكرية والعقدية والثقافية. وبناءً على ذلك، فإنّ الكتابات الاستشراقية تأثرت، بدرجات متفاوتة، بجملةٍ من العوامل السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية. كما أنّ الصورة السلبية التي ترسّخت في الوعي الأوروبي عن الإسلام عبر قرونٍ من الدعاية قد تركت أثرها الواضح في كتابات كثيرٍ من المستشرقين، حتى أولئك الذين لم يكن مقصدهم معارضة الإسلام أو الإساءة إلى المسلمين، إذ إنهم لم يستطيعوا الانفصال التام عن تأثير بيئتهم الثقافية.

وهذه الظاهرة ليست مقصورة على المستشرقين وحدهم، بل تشمل أيضاً من تصدّوا لنقد الاستشراق، إذ قد يقع بعضهم في المبالغة أو التعميم تحت تأثير منظومتهم الفكرية ومعتقداتهم الخاصة. ومن ثمّ، لا يُستساغ إصدار أحكامٍ قاطعةٍ في ذمّ الاستشراق أو في ذمّ منتقديه ما لم يكن الدافع في الحالين التعمد في الإساءة أو الانحياز الفكري، فذلك مما يستوجب الإدانة العلمية والأخلاقية. ومع ذلك، تبقى حقيقةً لا غبار عليها ولا تقبل الجدل، وهي أنّ عدداً من المستشرقين قد كتبوا عن قصيدٍ وإرادةٍ ضد الإسلام والمسلمين، متجاوزين بذلك الأسس الخيقية وأصول البحث العلمي وموانيق النزاهة الفكرية.

ويُسعدنا أن نقدّم إلى القراء والباحثين هذا الكتاب الذي يضم بين دفتيه البحوث العلمية المحكمة المقدمة في الندوة الدولية الموسومة بـ "إسهامات المستشرقين في اللغة العربية وآدابها"، التي نظمها قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية - حيدرآباد يومي 5 و6 نوفمبر 2024م. وقد ترأّس الجلسة الافتتاحية لهذه الندوة معالي نائب رئيس الجامعة

بدما شري البروفيسور سيد عين الحسن، وألقى خطابه الرئيس الذي أثنى فيه موضوع الندوة وأشاد بقيمتها وضرورتها، وتناول أبعاداً متنوعة من الموضوع فأحسن العرض وأجاد البيان، فأفاض بعلمه وأفاد بعطائه، بينما ألقى الكلمة الرئيسة البروفيسور محمد ثناء الله الندوي رئيس قسم اللغة العربية بجامعة عليكره الإسلامية.

لاتخفى أهمية هذا الموضوع على كل من لديه أدنى معرفة بالجهود العميقة التي بذلها المستشرقون في مجال اللغة العربية وأدائها. وتزداد أهمية هذا النوع من الندوات في بلادنا، التي كانت مركزاً رئيسياً للحركة الاستشراقية، تضم مجموعة لا بأس بها من مؤسسات وكرليات استشرافية كبيرة، وجمعيات علمية استشرافية عريقة، على رأسها كلية فورت ولیم، والجمعية الآسيوية، وكلية دلهي وغيرها. وفي الهند وضع المستشرقون كثيراً من نظرياتهم العلمية والأدبية ودونوا آراءهم وألفوا كتبهم الشهيرة وحققوا أبحاثهم المثيرة للجدل التي لا تزال نسمع أصداؤها في الأدب العربي والعالمي إلى يومنا هذا.

لقد مثل موضوع الندوة مساحةً خصبة للبحث والمناقشة، لما للاستشراق من أثر عميق في دراسات اللغة العربية وأدائها، سواء أكان ذلك على صعيد اللغة أو الأدب أم الترجمة أو تحقيق المخطوطات. فجاءت الأوراق العلمية لتسلط الضوء على إسهامات المستشرقين ونقد جهودهم، ما بين عرض وتحليل وتقويم، متبعةً ملامح الإنتاج الاستشراقي في ميادين متعددة: كالدراسات اللغوية، والتحقيقات المعجمية، والاهتمام بالأدب العربي قديمه وحديثه، فضلاً عن جهودهم في نشر المخطوطات وإحياء التراث.

وقد شارك في هذه الندوة ثلة من الأساتذة ونخبة من الباحثين من جامعات الهند والمؤسسات التعليمية المختلفة، قدموا أبحاثاً علمية رصينة بلغ عددها بضعة ثلاثين بحثاً، تناولت نماذج بارزة من المستشرقين كسلفسترداي ساسي، كارل بروكلمان، هلموت ريتز، مارمادوك بكتال، وويليام جونز وهملتون جيب وغيرهم، فضلاً عن دراسات تناولت مؤسسات علمية كان لها دور ريادي في الدراسات الاستشرافية وتطورها في. ويتناول أكثر من ورقة من هذه الأوراق ترجمة القرآن الكريم من قبل المستشرقين، وتحاول تقييم هذه الترجمات وإبراز خصائصها. جمعت هذه الندوة نخبة من العلماء والباحثين الذين أثروا اللقاء بكلماتهم وأوراقهم العلمية وتعليقاتهم ومداخلاتهم. وكانت هذه الندوة واحدة

من سلسلة ندوات عُرفت بكونها جسراً للتواصل العلمي بين الباحثين، ومنصةً لتبادل الخبرات بين المتخصصين.

إن هذا الكتاب لا يقتصر على كونه توثيقاً لأعمال ندوة علمية فحسب، بل هو إضافة قيّمة إلى المكتبة العربية، ومرجع مفيد للدارسين والمهتمين بتاريخ الدراسات الاستشراقية وعلاقتها باللغة العربية وآدابها. وإن هذا الإصدار لا يهدف إلى جمع الأوراق البحثية في كتاب فحسب، بل يرمي كذلك إلى توفير مادة علمية مرجعية تساهم في تعميق النقاش حول الاستشراق والدراسات العربية، وتفتح آفاقاً جديدة أمام الباحثين وطلاب الدراسات العليا لفهم طبيعة العلاقة بين المستشرقين والتراث العربي الأدبي.

و في نهاية المطاف أعتبر من واجبي أن أتقدم بخالص الشكر لله تعالى على منحنا هذه الفرصة لإنجاز هذا العمل العلمي، وكذلك أشكر نائب رئيس الجامعة وجميع الجهات المعنية لتوفير كافة المرافق اللازمة. كما أتقدم بالشكر الجزيل لجميع زملائي من أعضاء هيئة التدريس وغير التدريس في القسم، الذين بفضل تعاونهم سننشر أوراقنا البحثية للعام الثاني على التوالي. وأود أن أشكر زميلي على وجه الخصوص، اللذين ساهما بجهدهما الدؤوب على مدار أشهر في إيصال هذه الأوراق العلمية المبعثرة إلى هيئة الكتاب، وبذلاً في سبيله جهداً جهيداً و تكابداً من أجله عناء شديداً، أقصد بهما: المحاضر الضيف الدكتور محمد شمس الدين و المحاضر الضيف الدكتور أصف لثيق، اللذين لم يكتفيا باستلام الأوراق البحثية المتكاملة من المؤلفين، بل قاما أيضاً بمراجعتها وتحريرها وترتيبها وتصحيحها، حتى بلغا بتلك الأوراق العلمية إلى مرحلة الطباعة، فجزاهما الله خير الجزاء.

نسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله لبننةً جديدة في بناء صرح الدراسات العربية والإسلامية، وأن يوفقنا جميعاً على خدمة لغة الضاد وأدبها وعلومها، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

د. سيد عليم أشرف الجائسي
رئيس قسم اللغة العربية وآدابها
بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية

نبذة عن الندوة الوطنية

هذا الكتاب المسمى بـ "المستشرقون واللغة العربية وآدابها" مجموعة من الأوراق البحثية التي قدمت في الندوة الوطنية "إسهامات المستشرقين في مجال اللغة العربية وآدابها"، وهذه الندوة نظمها قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية في 05-06 نوفمبر 2024، تحت إدارة البروفيسور السيد عليم أشرف الجائسي رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، وقام بتنسيقها الدكتور جاويد نديم الندوي الأستاذ المساعد بهذا القسم، والدكتور سعيد بن مخاشن الأستاذ المشارك بهذا القسم، والدكتورة ثمينه كوثر الأستاذة المشاركة بهذا القسم، وتم عقدها استجابة لحاجة الباحثين والطلبة إلى معرفة الحركة الاستشراقية وتطوراتها، وأبعادها الفكرية والثقافية والتاريخية، وانعكاساتها على الفكر الشرقي، ودورها في دراسات اللغة العربية وآدابها

وان فعاليات هذه الندوة دامت ليومين ، وتشتمل على سبعة جلسات أكاديمية منها جلستان متوازيتان وجلسة افتراضية، شارك فيه الأكاديميون والأساتذة والباحثون من مختلف الجامعات والمعاهد وناقشوا على موضوعات مهمة منها: أعمال المستشرقين في مجال اللغة العربية، إسهامات المستشرقين في تحقيق المخطوطات العربية، وإسهامات المستشرقين في الأدب العربي، واهتمام المستشرقين باللغات الشرقية، وعناية المستشرقين إلى تزويد اللغة العربية بالمصطلحات والمعاني الجديدة، وجهود المستشرقين في الدراسات العربية، وإسهامات المستشرقين في ترجمات معاني القرآن الكريم، واهتمام المستشرقين بالمعاجم العربية، وإسهامات كلية فورت ولیم في مجال اللغة العربية، إسهامات المدارس الشرقية في مجال اللغة العربية وآدابها، وتميزت هذه الندوة بالمجال المفتوح للأسئلة والأجوبة وتبادل الآراء والخبرات بعد تقديم الأوراق البحثية في كل جلسة أكاديمية ، وخلال اليومين قدمت أكثر من أربعين بحثا تناولت الجوانب شتى من أعمال المستشرقين في اللغة العربية وآدابها وقدمت الأوراق البحثية حوالي أربعين ورقة في يومين.

عقدت الجلسة الافتتاحية في الساعة العاشرة تماما في صبيحة يوم الخامس من نوفمبر في قاعة CPDUMT، تحت رئاسة البروفيسور السيد عین

الحسن شيخ الجامعة، بدأت هذه الجلسة بتلاوة من القرآن الكريم قد قام بها الدكتور محمد عبد العليم الأستاذ المساعد المتقاعد، مركز التعليم عن البعد وعبر الانترنت، وقدم مسؤولوا IMC النشيد لجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية ثم ألقى الأستاذ السيد عليم أشرف الجائسي كلمة ترحيبية واستقبل فيها الضيوف والمشاركين، وألقى الضوء على أهمية هذه الندوة وأهدافها، ثم إصدار الكتاب "الهند في الرحلات العربية الحديثة" رتبته الدكتور محمد شاكر رضا الأستاذ المساعد، وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة من الأوراق البحثية للندوة التي عقدها قسم اللغة العربية في 06-07 مارس 2024، وقدم الأستاذ ثناء الله الندوي رئيس قسم اللغة العربية، بجامعة عليكره الخطبة الرئيسية القيمة حول الموضوع الرئيسي: إسهامات المستشرقين في مجال اللغة والعربية وآدابها وأكد فيها على أهمية الموضوع في الدراسات الأدبية والفكرية، لأن المستشرقين في القرون الماضية اهتموا اهتماما بالغا باللغة العربية وجعلوها موضوعا للدراسة والبحث رغبة في فهم ثقافة الشرق خاصة حضارة الإسلام ولغته، وقد تنوعت الدوافع والأهداف بحسب رغباتهم السياسية والدينية والاستعمارية والعلمية إلا أن جهودهم تركت أثارا خالدة في الدراسات اللغوية والأدبية، وألقى كلمة الضيف البروفيسور عبد الماجد قاضي قسم اللغة العربية، بجامعة المليية الإسلامية، وتشرف بإلقاء كلمة الضيف البروفيسور محمد قطب الدين بمركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو، وألقى الكلمة الرئاسية البروفيسور السيد عین الحسن، شيخ الجامعة، وتقدم كلمة الشكر والتقدير للسادة الضيوف والمتحدثين والمشاركين، وانتهت هذه الجلسة الافتتاحية بالنشيد الوطني.

وبدأت الجلسة الأكاديمية الأولى في قاعة المكتبة المركزية في الساعة الثانية عشر والنصف برئاسة الأستاذ محمد ثناء الله الندوي، وقام بتنسيقها الدكتور سعيد بنمخاشن، وقدمت في هذه الجلسة ثلاث أوراق بحثية تفصيلها ما يلي:

1	أ.د محمد إقبال حسين جامعة إيفلو	المستشرقون وتزويد اللغة العربية بالمصطلحات والمعاني الجديدة
2	أ.د. راشد نسيم الندوي، جامعة إيفلو	William Wright and his Arabic "Linguistic Legacy"
3	أ.د قطب الدين JNU	اهتمام المستشرقين باللغات الشرقية:

	كلية "فورت ولیم" أنموذجا
--	--------------------------

والجلسة الثانية تم غقدها في قاعة المكتبة المركزية في الساعة الثانية والنصف، ترأسها الأستاذ راشد نسيم الندوي، ونسقها الدكتور سعيد بن مخاشن، وقدمت في هذه الجلسة ست مقالات تفصيلها ما يلي

1	الدكتور محمد أنظرجامعة إيفلو	اهتمام المستشرقين بدراسة الأدب العربي
2	الدكتور محمد شهاب الدين، جامعة إيفلو	دراسة حركة الاستشراق في ضوء كتابات الدكتور مصطفى السباعي
3	الدكتورة دردانة شاهين	محمد فؤاد سزكينالمستشرق التركي والألماني
4	الدكتور مجيب أختر	دراسة لترجمة (محمد مارمادوك) بكتال لمعاني القرآن الكريم
5	د. محمد ذوالفقار محي الدين	إسهامات المستشرقين في المعاجم العربية
6	د.سعيد الرحمن	Contributions of the Orientalists of Bangal to Arabic Studies: A select & critical study

والجلسة الثالثة الأكاديمية (المتوازية) بدأت في قاعة CPDUMT في الساعة الثانية والنصف برئاسة الأستاذ عبد الماجد قاضي، وقامت بتنسيقها الدكتورة ثمينه كوثر، وقدمت في هذه الجلسة ست أوراق، التفصيل ما يلي:

1	د. محمد عرفان محي الدين	إسهامات المستشرقين في تحقيق المخطوطات العربية في دائرة المعارف العثمانية
2	د. عادل	المستشرقون وخدماتهم في تحقيق المخطوطات العربية، الألمان نموذجا
3	د. منظور حسين	دور هيلموت ليتز في تحقيق المخطوطات العربية ونشرها
4	د. غوث محمد	جهود المستشرق فيلهم لايتنر في الدراسات العربية وإنشاء مؤسساتها: دراسة وصفية
5	د. ذاكر حسين	خدمات المستشرقين في الترجمة وتحقيق المخطوطات
6	د. محمد شمس الدين	الاستشراق: تعريفه، نشأته، تطوره، وأهدافه

والجلسة الرابعة الأكاديمية الرابعة (الافتراضية) تم عقدها في قاعة المكتبة المركزية في الساعة الثالثة والنصف برئاسة الدكتور فضل الله شريف، وفام بتنسيقها الدكتور محمد شاكر رضا، وقدمت في هذه الجلسة ست أوراق بحثية، تفصيلها ما يلي.

1	د. مير إرشاد حسين، ولاية كشمير	تفكيك الأساطير الاستشرافية: قراءة في كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد
2	د. أنور أحمد	أعمال المستشرقين في مجال القرآن الكريم
3	د. محمد أجمل، جامعة جواهر لال نهرو	"الاستشراق والأدب العربي دراسة في ثيودور نولدكه كنموذج"
4	شكفته ياسين واني	إسهامات المستشرقين في الدراسية حول القرن العشرين
5	أ.د. عبيد الرحمان طيب، جامعة جواهر لال نهرو	المستشرق أرتور شاده ومساهمته في علم الأصوات
6	د. محمد عبد الواحد جامعة جواهر لال نهرو	جهود المستشرق ألبرت تايل في تطور الصحافة العربية في ألمانيا

وكانت الجلسة الأكاديمية الخامسة في اليوم الثاني للتدوة في قاعة المكتبة المركزية في الساعة العاشرة والنصف، رئيس هذه الجلسة أ.د. محمد إقبال حسين، ومنسق الجلسة الدكتور محمد شمس الدين، وقدمت في هذه الجلسة ست مقالات، التفصيل ما يلي.

1	د. مفتي محمد شرف عالم، جامعة مانو	تراجم القرآن للمستشرقين: دراسة وصفية نقدية انتقائية
2	د. ثمينه كوثر، جامعة مانو	مساهمة السير تشارلز ليال في الأدب العربي مع إشارة خاصة إلى

ترجمته المعلقات		
استعراض فكر المستشرق أرش برونلش ونظراته للشعر الجاهلي	3	د. طلحة فرحان، جامعة مانو
إسهامات المستشرقين في ترجمات معاني القرآن الكريم: دراسة نقدية	4	د. فضل الله شريف، الجامعة العثمانية
سيلفستير دي ساسي وإسهاماته في الأدب العربي	5	د. سيد محمد عمر فاروق
الدراسات العربية في كتابات المستشرقين بين عرض ونقد	6	د. آصفليق، جامعة مانو

والجلسة الأكاديمية السادسة (المتوازية) قد بدأت في اليوم الثاني للندوة في قاعة CPDUMT في الساعة العاشرة والنصف برئاسة أ.د. قطب الدين، ونسقها الدكتور سعيد الرحمن، وقدمت في هذه الجلسة ست أوراق بحثية، تفصيلها ما يلي:

عناية المستشرقين بألف ليلة وليلة دراسة تاريخية	1	أ.د. مظفر عالم جامعة إيفلو
وليام جونز في ضوء دراسته الأدب العربي	2	د. جاويد نديم الندوي، جامعة مانو
تفهم الاستشراق للدكتور الجائسي دراسة وصفية	3	د. محمد رحمت حسين، مركز التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد، جامعة مانو
مساهمة المستشرق هاملتون جب في الأدب العربي مع إشارة خاصة إلى كتابة "المدخل إلى الأدب العربي"	4	د. محمد عبد العليم، مركز التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد، جامعة مانو
تطور المعاجم العربية في جمهورية ألمانيا الاتحادية	5	د. سليم أخت، جامعة بتنا
أهم أعمال المستشرقين في اللغة العربية وآدابها	6	أ.د. السيد عليم أشرف الجائسي

والجلسة الأكاديمية السابعة تم عقدها في اليوم الثاني للندوة في قاعة المكتبة المركزية في الساعة الحادية عشر والنصف، برئاسة الدكتور مجيب أخت، وقام بتنسيقها الدكتور أصف لثيق الندوي، وقدمت في هذه الجلسة ست أوراق بحثية، التفصيل ما يلي:

1	د. ذاكر حسين	خدمات المستشرقين في الترجمة وتحقيق المخطوطات
2	د. أنوار الحق، فرع لكتناؤ، جامعة مانو	مساهمات علماء المدرسة الاستشراقية البريطانية في الدراسات العربية
3	د. محمد أبو بكر صديق	إميليو غارسيا غوميز: جسر بين الحضارات العربية والإسبانية
4	يوسف علي ن، باحث الدكتوراه، جامعة مانو	تأثير مساهمات المستشرقين البريطانيين في مجال ترجمة الأعمال العربية مع التخصص في ترجمات القرآن الكريم
5	توقير أحمد باحث الدكتوراه، جامعة مانو	كلية فورت وليام وإسهاماتها في العربية
6	حسن الزمان، باحث الدكتوراه، جامعة إيفلو	مساهمة المستشرق الألماني كارل بروكلمان في الأدب العربي وتاريخه

والجلسة الختامية تم عقدها في اليوم الثاني للندوة في قاعة المكتبة المركزية في الساعة الثالثة برئاسة البروفيسور شيخ اشتياق أحمد مسجل الجامعة بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية. قام بتنسيقها الدكتور طلحة فرحان، وقدم الدكتور جاويد نديم الندوي تقرير الندوة ليومين ، أبدى المشاركون آراءهم ومشاعرهم حول الندوة، وأكدوا أن هذه الندوة أتاحت لهم فرصة ذهبية لتبادل آراء والأفكار حول الاستشراق من جوانبه المختلفة، وألقى الكلمة الرئاسية البروفيسور شيخ إشتياق أحمد مسجل الجامعة، وتقدم بأحر التهاني وأصدق التبريكات إلى القسم ورئيس القسم وإلى جميع أعضاء اللجنة المنظمة لهذه الندوة، وأضاف قائلاً أن في هذه الندوة قد قدمت بحوث رصينة وأوراق بحثية أحاطت جوانب متعددة من إسهامات المستشرقين في مجال اللغة العربية وآدابها، وتقدم الدكتور شاكر رضا بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في إنجاح هذه الندوة من مشاركين ومحاضرين والسادة الضيوف على جهودهم القيمة وحضورهم الكريم، وانتهت هذه الجلسة بالنشيد الوطني.

الدكتور محمد شمس الدين

المستشرقون: وتزويد اللغة العربية بالمصطلحات والمعاني الجديدة

هذا أمر طبيعي وفطري أن اللغة والمجتمع متلازمان، عندما يتطور المجتمع، تنشأ اللغة فيه وتتطور لأسباب عديدة، وهي تنمو وتزدهر فيه بارتقاء الثقافة وتغيرها. وقبل الإسلام كانت الثقافة العربية ضيقة، ولكن بعد بزوغ الإسلام انفجرت واتسعت بالتعليم الديني والأفكار الإسلامية مزجاً بالثقافات الأجنبية. يقول أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام:

”عقلية عربية لها طبيعة خاصة هي نتاج بيئتها وعيشة اجتماعية خاصة يعيشها العرب في جاهليتهم، وبدين الإسلام جاء بتعاليم جديدة ورسوم للحياة مثلاً أعلى يخالف المثل الذي كانت ترسمه تقاليد الجاهلية. وفتح إسلامي مد سلطانه على فارس وما حولها، وعلى مستعمرات رومانية كثيرة. فأذاب ما كان للفرس من دين ومدنية وعلم، وما كان للمستعمرات الرومانية من دين ومدنية وعلم، في المملكة الإسلامية جميعها، وكون منها مزيجاً واحداً، واختلف العصر، كل هذه الأشياء التي عدناها كانت أسباباً لها نتائجها. ومن نتائجها ما كان من حركة علمية ودينية في ذلك العصر، أعني العصر الذي ينتهي بانتهاء الدولة الأموية⁽²⁾.”

لأريب في أن الثقافة العربية أصبحت راقية بامتزاج الثقافات الأجنبية، والثقافة الفارسية، والثقافة اليونانية، والثقافة الهندية وغيرها. وقامت الترجمة للآداب، والعلوم، والفنون الأجنبية إلى اللغة العربية بدور هام في مجال المعرفة.

الاستشراق له مفهوم واسع ومجاله فسيح. الأجنبي ليست لغته الأم اللغة العربية وهو يتناول اللغة العربية ونقل العلوم والفنون من اللغات

¹ عميد كلية الدراسات العربية والآسيوية سابقاً، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية حيدرآباد (الهند)

² أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ١٢٩، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

الأجنبية إليها، ومنها إلى اللغات الأجنبية (إليها) نرى جذور الاستشراق وتاريخه في عصر الجاهلية. الآثار ندها في كتب التراجم.

شبابٌ عديد من العلماء، والأدباء، والفلاسفة يونان في إيران، وديسسابور، والمدائن، وتعلموا اللغة الفارسية والسريانية، ونقلوا العلوم اليونانية إلى هذه اللغات. وعلماء السريان المسيحيين كانوا قد نشطوا منذ القرن الرابع الميلادي في ترجمة الآثار اليونانية حتى القرن التاسع الميلادي. ومن أشهر مترجمهم يوحنا فيلو بونوس المعروف باسم يحيى النحوي نقل عن اليونانية كتباً كثيرة في المنطق، والطب، والطبائعيات في القرن السادس الميلادي^(١).

وبعد فجر الإسلام في العصر الأموي بدأت الثقافة العربية تتصل بالثقافات الأجنبية فتتجج، أصبح العلماء يستفيدون منها، ولولا ما عدا القرآن الكريم والحديث النبوي كانوا ينظرون إلى كل شيء في ريبته وحذر. يكتب نجيب العقيلي في كتابه المستشرقون:

”حتى إن عمر بن عبد العزيز ... وقد انتقلت الفلسفة في أيامه من الإسكندرية إلى أنطاكية. استخار الله أربعين يوماً ليضع بين أيدي المسلمين كتاباً طيباً. نقله ما سرحوه من السريانية إلى العربية. فيفيدون منه في إصلاح أبدانهم ومداواة علمهم“^(٢).

وفي العصر الأموي نُقل أول كتاب في الفلك عن اليونانية وهو كتاب ”مفتاح أسرار النجوم“ في التنجيم، نُسب إلى هرا الحكيم^(٣). ومن أشهر المترجمين كان سيروس سويثم أسقف ديقنسرين ويعقوب الرهاوي وله مصنف مهم في النحو السرياني^(٤).

في الواقع لم يُعَنَّ الاستشراق في العصر العباسي. الخلفاء اعتنوا بالمعارف والعلوم والفنون لنهاية تثقيف المجتمع العربي وتزويد اللغة العربية بالعلوم الجديدة والثقافة العربية بالثقافات الوافدة. وأنفق الخلفاء الأموال

^١ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص ١٠٩، طبعة ثانية، دار المعارف، مصر

^٢ نجيب العقيلي، المستشرقون، الجزء الأول، ص ٧٢، طبعة رابعة، دار المعارف بمصر.

^٣ كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، الجزء الرابع، ص ٩٠.

^٤ شوقي ضيف، ص ١٠٩-١١١.

الطائفة للحصول على خدمات المستشرقين الذين كانت لهم يد طولى في اللغات الأجنبية واللغة العربية وبراعة في العلوم اليونانية والفارسية والهندية التي لم تكن باللغة العربية من قبل.

المستشرقون الذين ساهموا في نقل العلوم من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية عددهم كبير. كارل بروكلمان ذكر عشرين شخصية كالترجمين ولكن عدد المساهمين أكثر منهم، يمكن أن نلاحظ أن عدد المستشرقين وأعمالهم من البداية إلى نصف من القرن العشرين في كتاب المستشرقون لنجيب العقيلي.

كثير من المؤلفات اليونانية ترجمت من السريانية لأنها نُقلت إليها والسريانية من اللغات السامية كما اللغة العربية منها ولكنها كانت مختلفة عنها. في العصر الإسلامي كانت كلتا لغتي متباينتين. كانت اللغة السريانية مزودة بالثقافات الأجنبية واللغة العربية خامدة. فالمجتمع العربي كان يحتاج إليها للتزود في مجال العلم والثقافة.

اللغة العربية كان مجالها محدوداً بالشعر والحكايات وأسماء بعض النبات والحيوانات، ولم تكن تتبع إلى علم الفلك، والنبات، والطبيعية، والجبر، والموسيقى والحساب والجداول الفلكية والأشكال الهندسية، والمنطق والفلسفة، والطب والزراعة، والجغرافية، وصنوف الآداب، وعلوم أخرى.

وكان قد شجع العباسيون في نقل ذلك التراث من اللغات إلى العربية لتصنيف فيه والإبداع. ومن من استجاب لدعوتهم، منهم علماء السريان، هم نقلوا إلى لغتهم من الثقافات الجديدة. ثم نقلوا من اليونانية والسريانية إلى العربية بحسب حاجة إليها وعناية الخلفاء بها ورغبة المترجمين فيها.

ومن أشهر علمائهم جرجيس بن بخسوع وأبو يحيى بن البطريق وأبو زكريا، ويحيى بن ماسويه وفرج بن سالم، وما يرحوف وحُنين بن إسحاق رأس مترجمي دار الحكمة الذي نقل من اليونانية إلى السريانية ثم إلى العربية معظم مصنفات أرسطاطاليس وأفلاطون وأرسطو وجالينوس. فبلغت 95 كتاباً إلى العربية وكثير من النصارى والصابئون لهم مساهمة كبيرة في النقل والتحقيق والتصنيف. منهم جابر بن حيان (المتوفى 175هـ) وقد أسلم وعُدَّ أشهر الكيمياءيين المسلمين، وثابت بن قرة والبتاني وهو صابئي اعتنق الإسلام.

والشعوبيون معظمهم فارسي الأصل وأغلبها قُبِلت الإسلام ديناً والعربية لغة، وعددهم كثير، وأكثرهم من العلماء البارزين في كل مجال العلم والمعرفة وهم نقلوا إلى اللغة العربية ما نُقل من العلوم الهندية والحساب والجبر والقصص والأساطير إلى اللغة الفارسية. هكذا نُقلت عن الهندية واليونانية والسريانية والفارسية أهم كتب الطب والفلك والرياضة والكيمياء، والطبيعات والجغرافية والمنطق والفلسفة وغيرها، ونُقلت إلى العربية مذاهب الهند والفرس واليهود والنصارى مما جعل ازدهار الثقافة العربية تطوراً مركباً لعناصر وافرة من أصول متعددة.¹

هذه العلوم التي نُقلت إلى العربية لم تكن باللغة العربية قبل الإسلام، طبعاً المستشرقون الذين اعتنوا بترجمة الثقافة الأجنبية إلى العربية احتاجوا إلى وضع مصطلحات العلوم والفنون والتعبير في أداء المعاني التي لم تكن سائدة في عصر الجاهلية وبداية الإسلام، فإنهم وضعوا المصطلحات الجديدة في اللغة العربية وفقاً للعلوم والفنون. هناك حاجة ماسة إلى دراسة الكتب المترجمة وتأثيرها في مؤلفات العلوم والفنون بدقة لمعرفة تلك المصطلحات والتعبيرات التي وُضعت في العصر الأموي والعصر العباسي كانت من خدمات جليلة للمستشرقين في تلك الأيام. يقول نجيب العقيقي:

”أدخلت تلك الحضارة على اللغة العربية المصطلحات الزراعية من الآرامية والإدارية من الفارسية واليونانية والهيلينية من العربية والسريانية والعلمية والفلسفية من اليونانية فبلغت 998 كلمة آرامية، و854 فارسية، و479 يونانية، و76 لاتينية، و42 عبرية، ثم 32 تركية، و17 إيطالية، و12 فرنسية، و21 من لغات أخرى أصبحت بها اعتنى اللغات السامية“⁽²⁾.

العلوم والفنون التي دخلت إلى اللغة العربية بالترجمة من اللغات الأخرى، استخدم لها المترجمون المستشرقون المصطلحات باللغة العربية والتعبيرات لأداء المعاني الجديدة فزادوا في اللغة العربية. اللغويون فحصوا المفردات والمصطلحات العربية المستعملة باللغة العربية في المعاني المختلفة للعلوم والفنون المستحدثة، فقالوا المعاجم الوضعية كما تعرف أن المعاجم

¹ المستشرقون، ص 77.

² المستشرقون، ص 77-78.

تنقسم إلى أنواع. منها المعاجم اللغوية، ومعاجم الترجمة، والمعاجم الاشتقاقية أو التأصيلية، والمعاجم التطورية، والمعاجم المصورة والمعاجم الموضوعية والمعنوية وهي التي ترتب الألفاظ حسب معانيها أو موضوعاتها. ومن المعاجم العربية الموضوعية القديمة المخصص (يقع في سبعة عشر جزءاً) لابن سيده لهمداني (ت 692) ومعاجم التخصص، وهي التي تجمع ألفاظ علم معين ومصطلحاته أو نحو ما. ومن المعاجم العربية المتخصصة "التذكرة" لداود الأنطاكي (ت 1600) فهو قسم كبير منه معجم للعقاقير وأعشاب الطبية، وكتاب "حياة الحيوان" للدميري الذي جمع فيه أسماء الحيوان والحشرات والزواحف والطيور معرّفاً بها، ومنها خلق الإنسان والنحل والنوار لأبي مالك الإعرابي (ت 909) والحشرات لأبي حبة (ت 712) والنحل والإبل والنوار لأبي عمرو الشيباني (ت 781) والزرع والإنسان والشجر لأبي عبيدة (ت 824) والأمطار والبلاد والشجر وخلق الإنسان لأبي زيد (ت 830) والإبل والنحل الذباب لابن الأعرابي (ت 845) وأسماء السحاب والرياح والأمطار لأبي إسحاق (ت 882) والجامع في المفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار والصفات لضمريين سهيل، والألفاظ لابن السكيت، وغير ذلك.

الذي يريد أن يكتب البحث الكامل والبحوث حول الألفاظ والكلمات والمصطلحات المستعملة في الكتب المترجمة قبل العصر الحديث، عليه أن يراجعها والمعاجم المتنوعة عن العلوم والفنون الواردة من الثقافات الأجنبية.

أهم أعمال المستشرقين في اللغة العربية وآدابها

دراسة انتقائية نقدية

الحقيقة التي لا يتطرق إليها شك ولا غبار عليها أن الدراسات الاستشراقية لم تترك جانباً من جوانب العلوم الشرقية وثقافات الشرق ومعارفه دون أن يجعله محوراً للبحث والنقاش والتأليف، وتوجهت هذه الدراسات على وجه الخصوص نحو الإسلام والمسلمين وتراثهم. وقد جعل المستشرقون الإسلام واللغة العربية موضوعاً لأبحاثهم وكتبهم، حيث تناولوا كافة العلوم الإسلامية والعربية واللغات المتصلة بالمسلمين شرقاً وغرباً في أعمالهم الفكرية والكتابية. وإن قمنا بمراجعة سريعة للدراسات الاستشراقية، يتضح لنا جلياً أن المستشرقين لم يتركوا جانباً من جوانب المعرفة الإسلامية والعربية إلا واستكشفوه، ولم يتركوه دون كم هائل من الكتابات والأعمال العلمية. هذه الجهود الاستشراقية لم تقتصر على الكتب والمؤلفات فقط، بل امتدت إلى مئات المجلات، والدوريات، والحواليات، والمؤتمرات، والندوات. وعلى الرغم من القرار الغربي بعدم استخدام مصطلح الاستشراق في المؤتمر الاستشراقي الذي تم عقدها في باريس عام 1973م؛ لا يزال هذا المصطلح شائعاً ومتداولاً في الأوساط العلمية، ويقول المستشرق المعاصر برنارد ليوس مشيراً إلى هذا القرار: "إن هذا المصطلح قد أُلقي به في مزابل التاريخ، فقد رأى الغرب أن هذا المصطلح ينطوي على حمولات تاريخية ودلالات سلبية"¹ ويتناول هذا المقال في ما يلي بعض أبرز إسهامات المستشرقين في مجال الأدب واللغة، ويلقي النظرة النقدية العابرة على أعمالهم.

أولاً: الأدب

الأدب هو شكل من أشكال البيان الذي يقوم به الإنسان للتعبير عن عواطفه وأفكاره وخواطره. علماً بأن أدب أي أمة يُعبر عن صورتها وهو ترجمان

* أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية، حيدرآباد.
¹ - Bernard Lewis, "The Question of Orientalism" in New York Times, Review of the book, June 24, pp: 49-56.

ثقافتها وحضارتها، ويعكس قضاياها وأفراحها وأحزانها وأفكارها ونظرياتها. لهذا السبب، أعطى المستشرقون منذ البداية اهتمامًا خاصًا للأدب العربي والفارسي والأردو، وجميع اللغات التي يتحدث بها المسلمون. ولزيادة المعرفة باللغات والآداب الشرقية، تم افتتاح مراكز لتعليم لغات المسلمين في مختلف المدن الأوروبية، وبالأخص اللغة العربية التي تم تنظيم تدريسها بشكل واسع النطاق، حيث تم إنشاء أقسام للغة العربية في الجامعات الأوروبية الكبرى، وإنشاء كراسي لتعليم وتدريس الأدب العربي ولغات آسيوية وإفريقية أخرى. تأثر الغرب بالثقافة الإسلامية والحضارة العربية، وأقر المؤرخ والمستشرق الإنجليزي المعاصر إدموند بوزورث (Edmund Boaworth) المتوفي 2015 بتأثير الأدب العربي على الأدب الإنجليزي¹.

أسس سلفستر دي ساسي المتوفي المتوفي 1838 م (Antoine Isaac) Baron Silvestre de Sacy، مدرسة اللغات الشرقية في باريس، والتي أصبحت قبلة للمستشرقين الأوروبيين كافة. ويعرف دي ساسي شيخ المستشرقين الفرنسيين².

فيما يلي بعض أهم خصائص الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالأدب

العربي:

1. نشر كتب الأدب العربي وترجمتها وتحقيقها.
2. مسألة الانتحال في الأدب العربي القديم، وقد أثار مرغليوث وغيره هذا الموضوع بشدة، واعتبروا كل الشعر الجاهلي غير موثوق به. وكان نولده أول من ادعى أن قصائد العصر الجاهلي نُسبت إلى ما بعد الإسلام. تأثر بعض الأدباء العرب بهذا الرأي، وأبرزهم طه حسين في

¹ - ولد عام 1928 م في مدينة شيفيلد البريطانية، وتعلم في جامعة أكسفورد وجا معه إدنبره وعمل في عدد من الجامعات منها جامعة مانتشستر وبرنستون، وكتب حوالي مائتي مقال في دائرة المعارف الإسلامية. انظر: كليفورد _ إدموند بوزورث/ marefa.org

² - أنظر لترجمته: الأعلام للزركلي خير الدين: الطبعة الخامسة عشرة؛ بيروت: دار العلم للملايين، 2002م، 2:26.

- كتابه الشهير والمثير للجدل "في الأدب الجاهلي" وقد أثار مقال
مرغليوث ضجة كبيرة.¹
3. أولى المستشرقون اهتمامًا أكبر للأدب المتدهور أخلاقياً ولم يُعطوا
أدب الأخلاق العالية مكانة يستحقها في دراساتهم.
4. أنكروا قدامة اللغة العربية واستدلوا عليه بما جاء في مثل كتاب
الحيوان للجاحظ عن حداثة الشعر العربي.²
5. ركزوا على العناصر غير الإسلامية في الأدب العربي، واهتموا بالأدباء
الذين ساهموا في نشر الاتجاهات الغربية.
6. حاولوا نسب جماليات الأدب العربي إلى أمم ولغات أخرى.
7. محاربة اللغة الفصحى والدعوة إلى العاميات.³
- خدمات المستشرقين في الأدب
1. نشر جونز ويليام المتوفى 1794 (Jonnes William) المعلقات السبع مع
ترجمة عام 1780.
2. ترجم إدوارد لين المتوفى 1876 (Ed. W. Lane) كتاب "ألف ليلة وليلة"
إلى الإنجليزية.
3. نشر ليال تشارلز جيمس المتوفى 1920 (Charles James Lyall) شرح
التبريزي للمعلقات السبع، وحرر دواوين عبيد الله بن أبْرَص وعامر بن
طفيل.
4. كتب البروفسور براون المتوفى 1929 (E. G. Browne) تاريخ الأدب
الفارسي في أربعة مجلدات، وله تاريخ الطب العربي.

1. انظر للتفصيل: "قضايا حول اللغة العربية والشعر الجاهلي والمعلقات السبع" الجائسي
سيد عليم اشرف، في مجلة المجمع العلمي العربي الهندي، عليكره: قسم اللغة العربية
بجامعة عليكره الإسلامية، المجلد: 43، العدد: 2، 2023-24، 124-138.

2. انظر: كتاب الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار إحياء العلوم،
1:59. والحقيقة أن ما ذهب إليه الجاحظ وغيره من حداثة الشعر العربي لا يصح إلا للشعر
العربي المتاح آنذاك.

3. أجنحة المكر الثلاثة وخوافها، عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، الطبعة الثامنة،
دمشق: دار القلم، 2000م، 351.

5. نشر السير تامس آرنولد المتوفى 1930 (Thomas Walker Arnold) ، كان استاذاً عربياً في مدرسة اللغات الشرقية بلندن، وله عمل شهير مترجم باللغة العربية باسم الدعوة إلى الإسلام.
6. نشر مرغليوث المتوفى 1940 (D.S. Margoliouth) ديوان أبي تمام، وقام بتحقيق معجم الأدباء، ومن أهم دراساته المقال الذي أقام الدنيا التي لم تقعد بعد وهو "أصل الشعر العربي".¹
7. نشر أنطون بيفن (1933) قصائد الجريز والفرزدق مع تحقيق.
8. نشر إدوارد روس "كلىلة ودمنة" مع تحقيق.
9. نشر سالم كرنكو دواوين مزاحم عقيلي وطرماح، و"الجمهرة" لابن دريد.
10. كتب البروفسور جيب تاريخاً للأدب العربي باللغة الإنجليزية.
11. قام آربري (A.J. Arberry) ، المتوفى عام 1969، بالكثير من الأعمال في الأدب الفارسي، منها تحقيق وتحرير "رباعيات عمر الخيام" (1950) ونشر خمسين غزلاً مختاراً لحافظ من جامعة كامبريدج، بالإضافة إلى تحرير ونشر كتاب "البديع" لابن خالويه.²
- هؤلاء جميعهم كانوا مستشرقين إنجليزاً، وفيما يلي بعض إنجازات المستشرقين الفرنسيين في مجال الأدب:
12. قام كاسين دي بيرسيفال (Caussin de Perceval) ، المتوفى عام 1835، بترجمة "ألف ليلة وليلة" إلى الفرنسية عام 1806، ونشر "مقامات الحريري" مع تحقيقه وتحريره عام 1819.
13. كان فييت (Wiet G) ، مستشرق فرنسي يشغل منصباً مهماً في المعهد المصري للآثار الشرقية، وقد نشر "المواعظ والاعتبار" للمقريزي في أربعة مجلدات بتحقيق مميز، كما ترجم الكتاب كاملاً.

¹ - " The Origin of Arabic Poetry" in the Journal of the Royal Asiatic Society, Jul 1925, pp 417- 449

² - المستشرقون ، نجيب العقيقي، الطبعة الثالثة؛ القاهرة: دار المعارف بمصر، 1964: 2- 464.

14. قام بيريس (Peres H) بالعديد من الأعمال المتعلقة بالأدب العربي، منها تحرير ديوان كثير عزة مع شرحه وتعليقاته في مجلدين، نشرتهما كلية الآداب بجامعة الجزائر بين عامي 1927 و1930. كما كتب كتاباً عن الشعر العربي في الأندلس، نُشر في باريس عام 1937. وأجرى تحقيقاً ونشر "البديع في وصف الربيع" لأبي الوليد الأندلسي.

15. تخصصّ المستشرق الفرنسي بلاشير (Regis Blachere) المتوفى 1973م في دراسة الشاعر العربي المتنبي،¹ حيث كتب عدة كتب ومقالات حوله، ويُعتبر كتابه "شاعر عربي في القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي: المتنبي" من أهم الكتب عن هذا الشاعر، إذ يقدم دراسة معمقة لشعره ونقده. كتب بلاشير أيضاً مقالة عن المتنبي في "دائرة المعارف الإسلامية"، ونشر مقالة مهمة في "مجلة الدراسات الإسلامية" عام 1929 بعنوان "المتنبي: شاعر عربي إسلامي". كما كتب بلاشير كتاباً عن تاريخ الأدب العربي، ترجمه إلى العربية إبراهيم كياني.²

وقد قام المستشرقون الألمان أيضاً بإنجازات كبيرة في الأدب وإحياء ونشر المخزون الأدبي العربي. فيما يلي بعض المستشرقين الألمان وأعمالهم:

16. يُعدّ فريتاك (Freytag G)، المتوفى عام 1861، من كبار الباحثين، حيث قام بتحقيق وتحرير العديد من الكتب النادرة في الأدب العربي، مثل "ديوان الحماسة" بشرح التبريزي في جزأين نُشرا عامي 1828 و1847. ونشر قصيدة "بردة" لكعب بن زهير عام 1822، ومن ثم بترجمة لاتينية عام 1833، إضافةً إلى تحرير معلقات الحارث بن حلزة وطرفة بن العبد، و"مجمع الأمثال" للميداني بترجمة لاتينية عام

¹ - ابو الطيب المتنبي، دراسة في التأريخ الأدبي، ريجس بلاشير، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، دمشق: دار الفكر، 1985.

² - المستشرقون، نجيب العقيلي، المرجع السابق، 2: 171-330. ولمزيد من المعلومات حول إسهامات المستشرقين الفرنسيين في اللغة العربية وآدابها يمكن مراجعة الكتاب: الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، للدكتور أحمد درويش، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2004، 17-30.

1838، و"فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" لابن عريشاه عام 1838 من بون.

17. نشر فلوجل (Flugel G) ، المتوفى عام 1870، "التعريفات" للجرجاني في إسطنبول عام ١٨٣٧، و"مونس الوحيد" للثعالبي مع الترجمة والنص من فيينا عام 1829 لكن أعظم إنجازاته كان تحقيق ونشر "كشف الظنون" لحاجي خليفة بثمانية مجلدات.

18. نشر فوستنفيلد (Wustenfeild) ، المتوفى عام 1899، كتاب "المعارف" لابن قتيبة عام 1850.

19. أصدر سخاو (Sachau) عام 1867 "المعرب" للجوالقي، وتعاون مع فوستنفيلد في تحقيق ونشر "الآثار الباقية" للبيروني مع مقدمة ألمانية عام 1871، وأعاد نشره مع إضافات عام 1879 من لندن، كما نشر كتاب البيروني "ماللهند من مقولة".

20. نشر ولهوزن (Welhausen) ، المتوفى عام 1928، "ديوان الهذليين" في "المجلة الألمانية الشرقية".

21. أصدر هورويتز (Horovitz) ، المتوفى عام 1931، ديوان "الهاشميات" للشاعر العربي الكميّ مع تحقيقه وترجمته الألمانية.

22. حرر نولدكه (Noldeke) ديوان طرفة وترجم "كليلة ودمنة" إلى الألمانية، كما نشر "المعلقات الخمس" مع النص والترجمة عام 1899 من فيينا¹.

وتجدر هنا الإشارة إلى أن هذا المقال المتواضع لا تهدف حصر جميع الأعمال التي قام بها المستشرقون في مجال الأدب وإنما هدفه مقتصر على بيان ضخامة هذا الأعمال كما وكيفاً ونوعاً، ليتمكن القاري من تصور هذه الإنجازات الهائلة.

ثانياً: اللغة

ركز المستشرقون تقريباً على جميع اللغات الشرقية، بما في ذلك العربية والفارسية والأردية. وقد أولى المستشرقون اهتماماً كبيراً باللغة العربية. لم يكن هناك أي بلد أوروبي خالٍ من مراكز ودوائر تعليم اللغة العربية. كانت هناك

¹ - المستشرقون، نجيب العقيلي ، المرجع السابق، 2: 692-810.

أقسام للغة العربية إلى جانب الفارسية والأردية في العديد من الجامعات. لهذا الغرض، تم إنشاء كلية فورت ويليام، وأقيمت مراكز عديدة في مؤسسات الهند لتعليم الإنجليز، حيث كان الضباط والمسؤولون الحكوميون يتعلمون اللغات المحلية. وقد لعبت كلية فورت ويليام دورًا مهمًا في تعزيز ونشر اللغة الأردية، على الرغم من أن هدفها الأساسي لم يكن خدمة اللغة الأردية بل إعداد الحكام الإنجليز الذين على دراية بالبيئة المحلية واحتياجاتها¹.

كما أن المستشرقين قاموا بأعمال مهمة في اللغة العربية، لكن كانت لديهم نظرة سلبية تجاه الفصحى. فقد اعتبروها لغة لا تلبي الاحتياجات المعاصرة، وفي مقابل ذلك دعموا اللهجات العامية، مما يعتبر تجسيدًا للعداء الظاهر للإسلام، لأن العربية الفصحى هي لغة الكتاب والسنة والثقافة الإسلامية. لم يقتصر عمل المستشرقين على اللهجات الشعبية فحسب، بل استخدموا أيضًا دعم الحكومات والسلطة للترويج لها. وتعاونوا مع الحركات التي تدعو إلى اللهجات المحلية وقدموا لها الدعم².

كما حاولوا إبراز الشعر الحر والنثر الأدبي وأدب النساء وجوانب اللغة والأدب المظلمة. وكانت دعوة اللغة العامية تهدف إلى توسيع الفجوة بين الخلافات العربية.

من الجوانب الخاصة للدراسات الاستشراقية المتعلقة باللغة العربية هو أنهم أولوا اهتمامًا كبيرًا لفقه اللغة أو اللسانيات. فقد عمل هاميلتون غب، وماسينيون، ودي ساسي، وغيرهم على اللغة العربية ولغوياتها بشكل كبير. كما عملت جميع مدارس الاستشراق تقريبًا على قواميس العربية ومعاجمها. لا توجد لغة أوروبية لا تحتوي على عدة قواميس عربية.

خدمات المستشرقين المعجمية

المعجم اللغوي هو مرجع يحتوي على المفردات اللغوية مرتبة حسب الترتيب الأبجدي للحروف، مع شرح معانيها باللغة نفسها أو بلغة أخرى أو

1- "فورت ولیم کالج"، سید سبط حسن، فی کتاب آرڈی: فورت ولیم کالج: تحریک اور تاریخ،

پروفیسور سید وقار عظیم، لاہور: یونیورسل بکس، 1986م، ص 199.

2- "إسهامات المستشرقين في اللغة والأدب بين الرد والقبول"، صابر غربي في مجلة التأويل وتحليل الخطاب، جامعة بيجة، الجزائر، المجلد: 5، العدد: 2، ص 69.

أكثر¹ وللمستشرقين عناية خاصة في درس معاجم اللغة العربية وترجمتها، بدءوا بذلك من القرن السابع عشر للميلاد، وهاك أشهر معاجمهم العربية، واللاتينية، والفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، وغيرها:

1. معجم جيجاوس **Giorgio Gigeius** المتوفى 1624 قبل نشر معجمه: عربي لاتيني، طُبع في ميلان سنة 1632 في أربعة مجلدات.
2. ويليام بيدويل (Bedwell W) المتوفى عام 1632 قام بإعداد معجم عربي إنجليزي يتكون من سبعة مجلدات. ومن المحتمل أن تكون هذه المعجم من أقدم المعاجم العربية في اللغة الإنجليزية.
3. معجم جوليوس (Jacob Golius) المتوفى: 1667: عربي لاتيني، طُبع في ليدن سنة 1653.
4. معجم مانينسكي **Mesgnien Meninski** توفي: 1698، ويسمى كنز اللغات الشرقية، عربي وفارسي وتركي ولاتيني وألماني، طُبع في فيينا سنة 1780 في أربعة مجلدات.
5. معجم فرايتاغ **Georg Wilhelm Friedrich Freytag** (المتوفى: 1861: عربي ولاتيني، طُبع في هليس سنة 1830-1837 في أربعة مجلدات.
6. إدوارد لين (Lane Edward) المتوفى عام 1876 أعد معجمًا إنجليزيًا عربيًا تحت اسم "مد القاموس" يتكون من ثمانية مجلدات.
7. جون جيلكريست (John Gilchrist) المتوفى عام 1841 ساهم بشكل كبير في نشر اللغة الأردية، حيث كان أستاذًا في كلية فورت ويليام في كولكاتا. كما أعد منهجًا للغة الأردية للموظفين الإنجليز في الحكومة، وكتب واحدة من أوائل كتب القواعد في اللغة الأردية والتي استندت إلى حد كبير إلى كتب قواعد اللغة العربية. عمل جيلكريست أيضًا باعتباره أستاذًا للغة الأردية في كلية دلهي، وترجم الإنجيل إلى اللغتين الأردية والفارسية. كما أعد معجمًا يتضمن اللغة الإنجليزية والفارسية واللغات الهندية.

1. التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، نافية زفني، دمشق: وزارة الثقافة، 2007، 44.

8. معجم كازميرسكي (Albert de Kazimirski) المتوفى: 1887: عربي وفرنساوي، طُبع في باريس سنة 1860 في مجلدين.
 9. معجم شربونو (Cherbonneau) المتوفى: 1882 : عربي وفرنساوي، طُبع في باريس سنة 1876.
 10. معجم بادجر (George Percy Badger) المتوفى: 1888 : إنكليزي وعربي، طُبع سنة 1881.
 11. معجم أرموند (Armand): عربي وألماني، طُبع سنة 1879 في جيسن في مجلدين.
 12. معجم جاسلين (Jean-Baptiste Jaslin) فرنساوي وعربي، طُبع سنة 1880-1886 في ثلاثة مجلدات.
 13. معجم إستاينجاس (Steingass, Francis Joseph) المتوفى: 1903 : إنكليزي وعربي، طُبع في لندن سنة 1884.
 14. مارسيل (Marcel J.) المتوفى عام 1854 أعد معجمًا عربيًا فرنسيًا.
 15. رينان (Renan E) قام بإعداد تاريخ مفصل للغات السامية.
 16. معجم جرجاس (Ghergass) عربي وروسي، طُبع في قازان سنة 1881.
 17. معجم بوسيه (Basset) : عربي وفرنساوي، طُبع في الجزائر سنة 1887.
 18. أ. وهرموند (A. Wahrmond) المتوفى عام 1913 أعد معجمًا عربيًا ألمانيًا.
 19. مستشرق ألماني آخر، برغستراسر (Bergstrasser G) المتوفى عام 1933، نشر المعجم العربي الشهير "تهذيب اللغة" مع تحقيقه وتدوينه¹.
- ما ترجم من الشعر العربي إلى اللغات الأوروبية:
قام المستشرقون بنقل كثير من الأعمال الشعرية العربية إلى عدد من اللغات الأوروبية ويمكن لنا أن نلخص - فيما يلي - جهودهم في ترجمة نخبة من

¹ - دراسة مرجعية لجهود المستشرقين في صناعة المعجم العربي، رجاء محسن حمد، مجلة آداب كوفة. العدد: 42/المجلد: 2، مارس 2021م: 524.

روائع الشعر العربي إلى عدد من اللغات، منها اللاتينية والفرنسية والإنجليزية والألمانية.

فمن الأعمال التي نُقِلَت إلى اللاتينية: ديوان الحماسة، وأشعار الهذليين، وبعض مختارات من كتاب الأغاني أما إلى الفرنسية، فقد تُرجمت دواوين امرئ القيس، والناطقة الذبياني، وطرفة بن العبد، والخنساء، وكذلك البردة للبوصيري، وشعر الفرزدق، وبعض قصائد المتنبي وأبي العلاء المعري. وفي الإنجليزية، نُقِلَت المعلقات، ولامية العرب، وأشعار من العصر الجاهلي، وقصائد عنتره بن شداد، وديوان الهماء زهير، وبعض أشعار أبي العلاء. أما في الألمانية، فقد تُرجمت المعلقات، وديوان لبيد بن ربيعة، وتائية ابن الفارض، وشعر ابن قيس الرقيات، وأجزاء من ديوان أبي فراس الحمداني، إضافة إلى ترجمات أخرى إلى لغات أوروبية متعددة. ما تُرجم من كتب الأدب واللغة:

امتدت جهود المستشرقين أيضًا إلى ترجمة أمهات كتب الأدب واللغة العربية. فمن الكتب التي تُرجمت إلى الفرنسية: أطواق الذهب للزمخشري، ملحمة الإعراب، ألف ليلة وليلة، مقدمة ابن خلدون، مقامات الحريري، الأبرومية، كليله ودمنة، وكتاب المستطرف. أما الترجمات إلى الإنجليزية، فشملت: مقامات الحريري، أدب الكاتب، ألف ليلة وليلة، رسالة حي بن يقظان، تاج العروس، وكليله ودمنة.

وفي الألمانية، نُقِلَت كتب مثل: أطواق الذهب، كتاب سيبويه، ألف ليلة وليلة، كليله ودمنة، وعجائب المخلوقات، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى¹. نظرة نقدية على خدمات المستشرقين

سوء الفهم والتحريفات: الأسباب والنتائج

الاستشراق هو حركة علمية إنسانية قادها أفراد يحملون ثقافة وديناً معينين في منطقة معينة. ومن الحقائق العلمية أنه لا يمكن لأي كتابة أن تخلو من تأثيرات معتقدات وأفكار وثقافة كاتبها. وبالتالي، فقد أثرت الدوافع السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية على الكتابات الاستشراقية أيضًا.

¹ - المستشرقون واللغة العربية | تاريخ آداب اللغة العربية | مؤسسة هنداءوي <https://www.hindawi.org/books/18683951/4.10>

فقد أثر الدعاية التي استمرت لقرون ضد الإسلام في أوروبا على هؤلاء المستشرقين الذين لم يقصدوا معارضة الإسلام أو المسلمين. لم يستطيعوا أيضًا أن يبقوا بعيدين عن تأثير بيئتهم. هذه قاعدة طبيعية ويمكن أن تنطبق على من ينتقد الاستشراق أيضًا. هؤلاء الأفراد أيضًا يميلون إلى المبالغة في انتقاد الاستشراق تحت تأثير معتقداتهم وأفكارهم. ومن ثم، لا يُذم الاستشراق ولا المنتقدون له. لكن إذا تم القيام بذلك عن عمد، فسيكون بلا شك موضع إدانة واعتبار. ومع ذلك، لا يمكن إنكار هذه الحقيقة أن هناك عددًا كبيرًا من المستشرقين الذين كتبوا عن عمد ضد الإسلام والمسلمين، وانتهكوا في ذلك جميع القيم العلمية والأخلاقية.

على الرغم من بعض الجوانب المظلمة في الاستشراق، إلا أن هناك أيضًا جوانب مشرقة يجب الاعتراف بها والثناء عليها. يجب أن يأخذ النقد الاستشراقي في اعتباره أننا لا يمكن أن نتوقع منهم ما يُطلب من المؤمنين. يجب أيضًا مراعاة أن هؤلاء هم أفراد لا يعرفون كثيرًا عن الإسلام وثقافته ولغاته. كانت فترة ازدهار الاستشراق هي زمن انتعاش المادية ونفور الدين، ولم يكن الاستشراق بعيدًا عن هذا التأثير. كانت هذه الفترة أيضًا فترة هيمنة الغرب. لذا، فإن ظهور الأساليب الاستعلانية في الدراسات الاستشراقية هو في كثير من الأحيان أمر طبيعي. والأهم من ذلك، لا الجنة في الشرق ولا يسكنها الملائكة فقط. قد ارتكب العرب والمسلمون والمشرقيون أخطاء فكرية وعملية أيضًا. الإشارة إلى هذه الأخطاء ليست مسألة عيب أو نقص. لذلك، "يجب دعم أخيك إذا كان مظلومًا، ولكن لا ينبغي دعم الظالم"، وينبغي استقبال الانتقادات الإيجابية من المستشرقين. هذا ما علمتنا الحياة وأوصانا الدين.

أسباب أخطاء وسوء فهم المستشرقين

توجد عدة أسباب لأخطاء وسوء فهم المستشرقين. ومن الواضح أننا لا نتحدث هنا عن المستشرقين الذين كانوا مجرد عملاء للوكالات الاستعمارية والتنصيرية. في البداية، كانت الأغلبية من هؤلاء المستشرقين جزءًا من حركة الاستشراق، بل بدأ الاستشراق أساسًا من المؤسسات الدينية المسيحية والشخصيات الدينية والمنظمات التبشيرية. واستمرت هذه الحالة حتى نهاية القرن الثامن عشر. وعند الإشارة إلى المستشرقين، نعني أولئك الذين ارتكبوا

أخطاء غير مقصودة. يمكن تلخيص الأسباب الرئيسية لأخطاء وسوء فهم هؤلاء المستشرقين في النقاط التالية:

1. عدم الإيمان بالإسلام: من الواضح أن من لا يعتبر الإسلام من عند الله سبحانه وتعالى، لن يعترف برسالة النبي محمد ﷺ ولا بالقرآن ككتاب الله. بل سيقوم بتفسير الوحي الإلهي وفقاً لأفكاره وعقائده، وسيعتبر الأحداث التاريخية المذكورة في القرآن تعليمات من ورقة بن نوفل، وبحيرة الراهب، وغيرهم من الأشخاص المسيحيين واليهود. وسيعتبر بلاغة القرآن نتيجة لتربية النبي محمد ﷺ في البادية، كما ذهب إلى ذلك كثير من المستشرقين.

2. الجهل بالثقافة والحضارة العربية والإسلامية والظروف الاجتماعية والسياسية: أحد أسباب أخطاء الكثير من المستشرقين هو أنهم يقارنون الحضارة والثقافة الإسلامية بالحضارة الغربية، وهذه المقارنة خاطئة تؤدي بهم إلى نتائج خاطئة. من الحقائق أن أي أمة في العالم ليس لديها نظام روايات شفهية وزمنية مثل العرب. لم يكن لديهم فقط عناصر غير عادية من الفصاحة والبلاغة في لغتهم، بل كان العرب أيضاً متميزين في قوة الذاكرة والحفظ. ونظراً لعدم معرفة العرب بالكتابة بشكل عام، كان اعتمادهم على الذاكرة ضرورة لا مناص لهم منها. لكن هذه الحالة جعلت ذاكرتهم قوية وغير عادية. ومن البديهي أن الأعضاء التي تُستخدم بشكل أكبر تزداد قوتها وكفاءتها. عبر المستشرقون عن الشك في شعر الجاهلية وروايات الحديث بناءً على ظروفهم، لكن هذه المقارنة كانت فاسدة. هذا مثال واحد، وقد وقع المستشرقون في عدد من الأخطاء التي يكمن وراءها هذا السبب.

3. عدم المعرفة الجيدة باللغة العربية: هذا أيضاً سبب مهم أدى للمستشرقين إلى نتائج خاطئة. معظم المستشرقين اعتمدوا على معلمين ومصادر غير عربية لفهم اللغة العربية. تعلموا اللغة العربية من معلمين غير الناطقين بها ومن الكتب والقواميس التي أعدوها. لذا، بسبب عدم إتقانهم للغة العربية وأسلوبها، ارتكب العديد من المستشرقين أخطاء في فهم النصوص الشرعية، وهذه الأخطاء أدت بهم إلى نتائج خاطئة. وخير مثال لمثل هذا الأخطاء ما وقع فيه الاستاذ البروكلمان في فهم معنى الكلمة: الرعية فظن ظنونا لا يليق للباحث الكبير مثله.

4. استخدام المناهج والمبادئ المادية: الإسلام هو دين سماوي يتضمن الوحي والإلهام والآخرة وغيرها من الأمور الغيبية، التي لا يمكن إثباتها بوسائل مادية. ولا يمكن استخدام القواعد والمناهج التي يُدرس بها الفيزياء والعلوم الاجتماعية في الأمور الغيبية.

هذه هي بعض الأسباب لأخطاء وسوء فهم المستشرقين الذين وقعوا في فخ نقص الوسائل والأدوات العلمية. ولكن هناك أيضًا عدد لا يُحصى من المستشرقين الذين حاولوا عمدًا تشويه صورة الإسلام وإثارة الشكوك حوله. لقد أدت الهزائم الساحقة التي تعرضت لها الغرب والمسيحية في الحروب الصليبية إلى جنونهم، حيث أقاموا جبهة علمية ضد الإسلام والمسلمين، وكان هدفهم هزيمتهم في ساحة المعرفة بدلًا من ساحة الحرب. ويعتقد الكثير من المفكرين أن بدء الاستشراق حدث تحت تأثير هذه النفسية. في هذا السياق، تُذكر وصية الإمبراطور الفرنسي لويس التاسع، عندما قاد شخصيًا إحدى الحروب الصليبية وتعرض للهزيمة وأسر. وقد أطلق سراحه صلاح الدين الأيوبي، لكنه لم يتمكن من التحرر من إحساسه بالهزيمة والذل. وقد أوصى في فراش الموت بشن حرب فكرية وعلمية ضد المسلمين، وكان بدء الاستشراق نتيجة لهذه الوصية¹.

ذكر الدكتور محمد البهي في كتابه "الفكر الإسلامي" تحيز المستشرقين الفرنسيين. وفقًا له، فإن المستشرقين الكاثوليك معادون للإسلام. وإذا لم يكن هذا التعميم صحيحًا بالكامل، فلا شك أن المستشرقين الكاثوليك في فرنسا هم الأكثر تعصبًا ضد الإسلام والمسلمين.² وقد اعترف الدكتور حسين مونس أيضًا بأن المستشرقين الفرنسيين هم الأكثر حدة في تعصبهم ضد الإسلام ورسول الإسلام، ولهذا عرف الاستشراق الفرنسي بأنه "أكثر أنواع الاستشراق الغربي تجنيدًا للغزو الثقافي والتبشير الديني"³.

¹ - أنظر : ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، محمد فتح الله الزيايدي، الطبعة الأولى، طرابلس الغرب: المنشأة العامة بينشر والتوزيع والإعلان، 1983، 66.

² - أنظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، الطبعة الثالثة: القاهرة: مكتبة وهبة، تاريخ التقديم: 1961، 52، 53.

³ - الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه في الجزائر، الطيب بن إبراهيم، الطبعة الأولى: الجزائر: دار المناوبة للنشر والتوزيع، 2004م، نقلا عن المقالة : "المدرسة الاستشراقية الفرنسية"،

- في السطور أدناه، سيتم ذكر بعض الأسباب لأخطاء المستشرقين المتحيزين. قد يكون سبب هذا التعصب دينيًا أو قوميًا أو سياسيًا، وما إلى ذلك.
1. رغبة في السيطرة ونشر المسيحية، حيث يُعتبر الإسلام أكبر عقبة أمام ذلك، ولهذا يسعون لإزالة هذه العقبة باستخدام جميع الوسائل مثل الشك والتضليل والافتراء. تم وصم رسول الله ﷺ بصفات متعددة، وتم تصويره بصورة غريبة ومهينة، وهذا الأمر مستمر حتى يومنا هذا بطرق مختلفة.
 2. محاولة تحويل انتباه الناس عن محاسن الإسلام من خلال نسب جميع مزاياه إلى المسيحية واليهودية، دون تقديم أي دليل على ذلك، باستثناء بعض التشابهات التي تنبع من كون الأديان الثلاثة سماوية، وليس لأنها اقتبست من بعضها البعض. ومن المثير للسخرية أن هناك أيضًا العديد من التشابهات بين اليهودية والمسيحية، لكن لا يُعتبر أحدهما مأخوذًا من الآخر بسبب هذه التشابهات.
 3. كان من واجب المستشرقين الذين يعملون مع القوى الاستعمارية أن يضعفوا وحدة المسلمين وإحساسهم بالفخر الديني، حتى يسهل على القوى الاستعمارية تحقيق أهدافها. وبالتالي، تم السعي لخلق الكراهية الطائفية والتحيز الإقليمي لخلق الخلاف والفتن بين المسلمين. للحفاظ على النظام الاستعماري، كان من الضروري أن يضعف ارتباط المسلمين باللغة العربية والحضارة الإسلامية وأن يُعزز ارتباطهم بالحضارة واللغة الغربية. وبالتالي، لتحقيق هذا الهدف، تم الحديث في بعض الأحيان عن الحضارة الإسلامية كعائق أمام تقدم المسلمين، وفي أحيان أخرى، تم توجيه الاتهام للغة العربية بأنها غير قادرة على مواكبة التطورات العلمية.
 4. في النصف الثاني من القرن العشرين، عندما تحررت جميع الدول الشرقية من براثن أوروبا، بما في ذلك الدول العربية والإسلامية، تم استخدام وسائل لتحقيق الأغراض السياسية التي كانت قد استخدمت سابقًا لتحقيق الأهداف الدينية والاستعمارية.

يستخدم المستشرقون مناهج غريبة وعجيبة فيما يتعلق بالإسلام والعقيدة الإسلامية والشريعة. يقوم الباحث المخلص بدراسة النصوص والعبارات المعنية ليصل إلى نتيجة. ثم يُعد المقدمات، ويرتبها ترتيباً منطقياً، ثم يصل إلى النتيجة. بينما يكون الحال مع المستشرقين المتعصبين عكس ذلك تماماً، حيث يبدأون بحثهم وتحقيقهم بفكر ونتيجة معينة، ثم يبحثون عن المقدمات والنصوص التي تثبت ذلك الفكر والنتيجة، ويتقبلون فوراً المقدمات والنصوص التي توصلهم إلى نتیجتهم المفترضة، مهما كانت ضعيفة، ويتجاهلون النصوص والمقدمات التي تتعارض مع فكرهم ونتائجهم المزعومة، مهما كانت قوية. إنهم يتبعون طريقة غير علمية، حيث ينتقلون من النتائج إلى المقدمات بدلاً من العكس. حاولت الأسطر التالية توضيح هذه الحقيقة من خلال بعض الأمثلة:

¹ ذهب جولدزهر¹ إلى أن الأحاديث مجتمعة وضعت في القرون الثلاثة الأولى، وأن المسلمين في العصور الأولى لم يكونوا على دراية كافية بأحكام الشريعة، ولم يعرفوا السيرة النبوية جيداً، ويستشهد على ذلك بنقل عن كتاب "الحيوان" للدميري، حيث ذكر أن الإمام أبا حنيفة لم يكن يعرف ما إذا كانت غزوة بدر قد وقعت أولاً أم غزوة أحد. وادعى مراراً وتكراراً أن الفقه الإسلامي تأثر بالقانون الروماني.²

هذا الإدعاء ودليله كلاهما مثيران للدهشة. يعرف العالم أن الإمام أبا حنيفة، نعمان بن ثابت³ المتوفى 150هـ من الأئمة الذين ناقشوا قوانين الحرب بالتفصيل في الإسلام. فكيف يمكن أن يحدث ذلك دون معرفة قوية بالوقائع

¹ - Ignác Goldziher مستشرق يهودي مجري متوفى 1921، مؤسس الدراسات الإسلامية الحديثة في الغرب، يعتبر بين أوساط المستشرقين متخصصاً في علم الحديث، انظر لترجمته: المستشرقون، نجيب العقيلي، المرجع السابق، 3: 906-908، والأعلام، زركلي الدين، الطبعة الخامسة عشرة؛ بيروت: دار العلم للملايين، 2002، 1: 86.

² - العقيدة والشريعة في الإسلام، جولدزهر، ترجمة: محمد يوسف موسى وغيره، الطبعة الثانية؛ مصر: دار الكتب الحديثة، د.ت. 56.

³ - أحد الأئمة الأربعة المتبوعين في الأمة الإسلامية. انظر لترجمته ومصادرها: الأعلام، الزركلي خير الدين، المرجع السابق، 8: 36.

والسير؟ كتب تلاميذ الإمام أبي حنيفة عن القوانين الدولية وألفوا مؤلفات مستقلة حول أحكام الحرب، مثل كتاب الإمام يوسف المتوفى 182هـ "الرد على سيرة الأوزاعي"¹ وكتاب الإمام محمد بن حسن الشيباني المتوفى 189هـ "السير الكبير"²، وشرحه الذي يعد من أوائل الكتب المتعلقة بالقوانين الدولية، سواء في الإسلام أو في العلاقات الدولية. كانت مؤلفات تلاميذ الإمام كافية للرد على جولدزهر. بالإضافة إلى ذلك، وفقًا لعبد الرحمن حبنكة الميداني، لم يكن من الصعب على جولدزهر الوصول إلى تلك الكتب، ولكن لتأكيد دعواه بأن الحديث والسيرة وضعت في عصور متأخرة، اعتمد جولدزهر على كتاب "حياة الحيوان الكبرى" لكمال الدين الدميري، المتوفى عام 1405، الذي لم يكن مؤرخًا ولا فقيهاً، وقد جمعت معلوماته في كتابه دون أي تحقيق أو تمحيص.³

² المثال الثاني هو اتهام جولدزهر للإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، المتوفى عام 124هـ، بوضع حديث "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد..."⁴ لأجل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. ويدعي جولدزهر أن الزهري كان معاصراً لعبد الملك، وليس لديه دليل آخر سوى ذلك. ومن جهة أخرى، تجاهل جولدزهر أقوال عشرات الأئمة في الجرح والتعديل الذين شهدوا بأمانة الإمام الزهري وصدقه، ولم يعتبر سيرة العديد من المؤرخين الذين ذكروا تقوى الزهري وورعه.⁵

³ الكثير من المستشرقين يحاولون إثبات أن العرب لم يعاملوا الفاتحين الأعاجم بشكل إنساني بل كانوا يذلوهم. يكتب المستشرق المشهور بروكلمان في كتابه "تاريخ الأمم الإسلامية": "بما أن العرب يشكلون الطبقة الحاكمة، فإنهم

¹ تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، الطبعة الأولى؛ حيدرآباد: لجنة إحياء المعارف النعمانية، د.ت.

الرابط: <https://archive.org/details/Pdf1389/mode/2up>

² شرح: الإمام محمد بن أحمد السرخسي، تحقيق: أبو عبد الله حسن الشافعي، الطبعة الأولى؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1997. ثلاثة أجزاء. الرابط:

https://archive.org/details/shrh_seyar_kabeer_01/mode/2up?view=theater

³ - أجنحة المكر الثلاثة وخوافها، عبد الرحمان حبنكة الميداني، المرجع السابق، 144، 145.

⁴ - جزء حديث رواه أبو سعيد الخدري، الجامع الصحيح، للإمام البخاري، في الكتب الستة، الطبعة الرابعة: الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 2008. كتاب جزاء الصيد، باب حج

النساء، حديث رقم: 1864، 146.

⁵ - أجنحة المكر الثلاثة وخوافها، عبد الرحمان حبنكة الميداني، المرجع السابق، 145.

يعتبرون الأعاجم رعيته، وكأنها قطعان من الحيوانات، حيث يأتي جمعها "رعية". وكان العرب ينادون الأعاجم برعية، وهي تشبيه قديم معروف بين الساميين، حتى الآشوريين.

تجاهل بروكلمان- أثناء كتابته- جميع الروايات التاريخية التي تشهد على عدالة المسلمين والعرب مع الفاتحين، بل والإحسان إليهم، وحاول بناء نظرية كاملة على معنى واحد فقط لكلمة "رعية". في العربية، لا يُستخدم هذا اللفظ فقط للإشارة إلى قطعان الحيوانات، بل يعني أيضًا "الراعي" كمراقب ووالي. وكتبت معاجم العربية أن "رعية" تعني "العامة". يُستخدم "راعي" للإشارة إلى رئيس القوم الذي يتضمن معاني المراقبة والرعاية والحماية، وغير صحيح أن العرب استخدموا هذا اللفظ فقط للأعاجم، بل يُستخدم أيضًا للعرب العاديين. لذا، فإن هذه النقطة وحدها تكفي لدحض استدلال بروكلمان.

كما يُثبت الحديث "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته..."¹ أن استخدام هذا اللفظ لا يُستخدم للإذلال. كتب الإمام ابن حجر العسقلاني أن "الراعي: الحافظ الأمين" أي أن معنى "راعي" هو المراقب والأمين.²

⁴ المثال الرابع: يعتقد وليام ميور المتوفى 1905³ أن بدو العرب كانوا متفوقين في البلاغة وطلاقة اللسان، وأن نبي الإسلام تعلم هذا الفن من البدو. وهذا استدلال ساخر وخاطئ، لأنه لا يوجد لدى العرب، وخاصة لدى البدو، أي نظام أو تقليد يُثبت هذا الادعاء الوهمي. ولا يُوجد أي ذكر لفصاحة النبي الكريم ﷺ وبلاغته قبل نزول القرآن. كان النبي ﷺ بلا شك أفصح العرب، لكن ما تعلمه كان بفضل ربه.⁴

يمتلك المستشرقون مهارة خاصة في وضع أسباب وعلل وهمية للأحداث. يخطئون في تقييم الحضارة الإسلامية والمجتمع الإسلامي وفقًا للمعايير الغربية. يقومون بتحليل سيرة محمّدية وظهور الإسلام بناءً على عقلية

¹ - حديث صحيح أخرجه الشيخان وغيرهما من أصحاب السنن، انظر: الجامع الصحيح للإمام البخاري، المرجع السابق، كتاب العتق باب كراهية التطاول على الرقيق، حديث رقم: 2554، 201.

² - أجنحة المكر الثلاثة وخوافها، عبد الرحمان حبنكة الميداني، المرجع السابق، 146، 147.

³ - مستشرق أيرلندي ألف كتابا مليا بالتهمة والأكاذيب حول حياة النبي ﷺ انظر لترجمته: المستشرقون، نجيب العقيلي، المرجع السابق، 492:1.

⁴ - أجنحة المكر الثلاثة وخوافها، عبد الرحمان حبنكة الميداني، المرجع السابق، 147، 148.

غربية، ولا يمكن للمنطق الغربي أن يصل إلى نتائج صحيحة في تاريخ الأنبياء الشرقيين.

آثار الاستشراق الإيجابية والسلبية

كما تم ذكره في الصفحات السابقة، فإن الاستشراق له جوانب إيجابية وسلبية، لذا فإن نتائج وآثار الاستشراق أيضاً ذات طبيعتين: الآثار الإيجابية:

1. حماية وصيانة آلاف المخطوطات المتعلقة بمختلف العلوم والفنون. وتحقيق وتدوين هذه المخطوطات ونشرها.
2. تعزيز مناهج علمية ونشر البحث والتحقيق وتعليم وتدريب الطلاب والباحثين من الشرق.
3. اكتشاف اللغات الشرقية القديمة واستعادتها وفهم الكتابات الموجودة بهذه اللغات وحلها، مثل السنسكريتية، والبالية، والبابلية، والأشورية، والفينيقية. كتب جورجى زيدان: "في العهد الحديث، يعد تحقيق وتدوين ونشر المخطوطات القديمة باللغة العربية عبر الاستشراق من العوامل الهامة في إحياء هذه اللغة".
4. كشف جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية لتلك الحضارات القديمة من خلال دراسة الحضارات.
5. تنظيم مكتبات لمخطوطات الشرقية والوادر العلمية بحيث يمكن للآخرين الاستفادة منها.
6. إعداد فهرس تعريفية مفصلة لهذه المخطوطات والآثار ونشرها، حتى يتمكن الناس من مختلف الأماكن من التعرف على هذه الكنوز العلمية.
7. وضع قواعد للبحث والتحقيق في العلوم والفنون الشرقية وتطبيقها عملياً في كتبهم. وتنظيم المؤتمرات الاستشراقية.
8. إصدار مجلات وصحف استشراقية، بحيث يتوفر التنسيق والاتساق في الأعمال الاستشراقية وترويجها على نطاق واسع. وكان هذا وسيلة علمية صحيحة استفاد منها الشرق وأهله كثيراً.
9. المقالات العلمية العديدة التي كتبها المستشرقون، والمقدمات، والمقالات، والمراجعات، وما كتبوه من كتب وموسوعات ومراجع، التي رغم

نقص الفهم اللغوي وفهم المشاعر الشرقية والحركات والديانات الشرقية، إلا أنها تتميز بقوة مناهج البحث واحترام القواعد العلمية ومتانة الكتابة.¹⁰ ساهمت الدراسات والإنجازات العلمية للمستشرقين بشكل كبير في إحداث وعي علمي وسياسي بين الأمم الشرقية. الآثار السلبية:

تتعدد وتنوع الآثار السلبية للاستشراق. وراء هذه الآثار السلبية عوامل دينية وسياسية واقتصادية وشخصية. كما أن الشعور بالتفوق السياسي والعلمي يعد من بين هذه العوامل. وقد وصف الأستاذ عبد الرحمن جبنكة الميداني تجربته الشخصية في كتابه الشهير "أجنحة المكر الثلاثة". كتب يقول: "إن المستشرق البريطاني الشهير أندرسون (Anderson A.B.) فشل طالباً عربياً خريج الأزهر في امتحان الدكتوراه في جامعة لندن لأنه كتب مقالة عن حقوق النساء في الإسلام، وأثبت فيها أن الإسلام منح النساء حقوقاً كاملة. وعندما سألته عن سبب فشله رغم الحديث عن حرية الرأي، قال أندرسون: كيف يمكنه أن يدعي حقوق النساء في الإسلام؟ هل هو المتحدث الرسمي والرسمي عن الإسلام؟ هل هو أبو حنيفة أو الشافعي ليتحدث بهذا الشكل ويمثل الإسلام؟ وحقوق النساء التي ذكرها لم يتحدث بها الفقهاء القدماء، فماذا يحق له؟ إن هذا الطالب مغرور ومتكبر ويدعي أنه يفهم الإسلام أكثر من أبي حنيفة والشافعي".¹ يمكن اعتبار هذا تعصباً دينياً، أو شعوراً بالتفوق الفكري والعلمي، أو تحيزاً قومياً. ولا يمكن اعتبار هذا الرد بأي حال من الأحوال علمياً، ولا يحتاج إلى أي توضيح غير معقول.

أحد مظاهر الآثار السلبية للاستشراق هو وجود أولئك المثقفين والمفكرين المزعومين في البلدان الشرقية الذين تلقوا تعليمهم تحت ظل المستشرقين أو كتبهم وتأثروا بأفكارهم. ومن بين العرب يمكن أن نذكر أحمد أمين، وطه حسين، وسلامة موسى، وأحمد لطفي سيد، ومحمد مندور،

¹ - المرجع نفسه ، 156. وهوالمستشرق المعروف Sir Norman Dalrymple Anderson ، كان أستاذاً في القانون الشرعي الإسلامي بجامعة لندن المتوفى 1994م، وكتابه الشهير Law Reform in the Muslim World يشتمل على كثير من الدعايات والأكاذيب ضد الإسلام والمسلمين. انظر: London: The Athlone Press, University of London, 1976.

وغيرهم. كما أن من الآثار السلبية للاستشراق هو ظهور جيل كامل في البلدان الشرقية ليس لديه أي ثقة في ماضيه وإرثه العلمي والفكري، ويميل وينظر إلى الغرب في كل الأمور. لذا، أصبح الشرق بكامله مهبطاً للأفكار والثقافة الغربية¹. أخطاء وتحريفات الاستشراق

لقد أثر الاستشراق في الفكر الشرقي بعمق، ومن خلال قيادته لرحلة العلم والبحث لفترة طويلة، لم يحدث مشاعر الخوف والرغبة فقط في الشعوب الشرقية، بل أبعداً أيضاً عن إرثها العلمي وزعزع إيمانها به. حتى الذين لا يتبعون الاستشراق ولا يحتذون حذوه يتحدثون الآن بنبرة اعتذارية. ولكن الأوضاع بدأت تتغير. يتم الآن فحص التراث الاستشراقي بالكامل، ويتم العمل على ذلك بموضوعية في العديد من الجامعات والمؤسسات العربية. وتُرفع الستار يوماً بعد يوم عن تحريفات المستشرقين وتفصيلهم الزائدة. في السطور التالية، سيتم الإشارة باختصار إلى أخطاء وتحريفات الاستشراق المتعلقة باللغة العربية وآدابها. الأدب، واللغة وتاريخ الأدب

1. اعتمدوا على كتب غير تاريخية في كتابة التاريخ.
2. أولوا اهتماماً بتاريخ الجماعات والأفراد المنحرفين.
3. استخدموا تفسيراً بالأبعاد، بمعنى محاولة فهم الأحداث التاريخية القديمة في ضوء الوضع الحالي.
4. اتبعوا منهجاً انتقائياً، حيث أخذوا ما أعجبهم وتركوا ما لم يعجبهم.
5. شوهوا عمداً صورة الأحداث التاريخية والشخصيات.
6. اعتمدوا على مصادر ومراجع لا يثق بها المسلمون.
7. اعتبروا الأدلة القطعية مشكوكاً فيها.
8. أصدروا أحكاماً قطعية بدون أدلة.
9. رسموا صورة لعصر العباسي كأنه لم يكن فيه سوى الترف والشرب.
10. حاولوا تسليط الضوء على الأخطاء التاريخية التي توجد في جميع الأمم.

1. انظر للتفصيل: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمائلوش، القاهرة: دار الفكر العربي، 1998م، 642-670.

11. استخرجوا نتائج كلية من أحكام تاريخية جزئية، وأصدروا أحكامًا بشأن الأمة كلها بناءً على ذلك.
12. أنكروا أصالة اللغة العربية.
13. حاولوا التقليل من قدراتها وإمكاناتها.
14. اعتبروا قواعد اللغة العربية مأخوذة من القواعد اليونانية، واستخدموا علاقة أو لقاء أبو الأسود الدؤلي المتوفى 688م وخلييل الفراهيدي المتوفى 791م مع علماء النحو اليونانيين مثل يعقوب الرهاوي (Jacob of Edessa) المتوفى 708م كدليل.
15. اعتبروا اللغة العربية غير مؤهلة للعلوم والفنون الحديثة.
16. حاولوا تعزيز اللهجات الشعبية.

استعراض ظاهرة الاستشراق في حقل اللغة العربية وآدابها وتحليل خطابه 2

المدخل

تتضمن هذه الدراسة تعرضاً سريعاً لتعريف الاستشراق لغة واصطلاحاً، ويتتبع أهم محطات رحلة الاستشراق، ومجالات اهتمامه في اللغة العربية وآدابها، وتتناول سمات مناهجها بشئ من التركيز على حالة واحدة، أنموذجاً للبحث، ثم تستعرض دور سرديّة الاستشراق، في التنميط السلبي للعرب والمسلمين، ونقله حمولة تراثه إلى الإعلام الغربي. وفي نهاية المطاف تتناول تحليل الخطاب الاستشراقي، بالنظر إلى العوامل التاريخية، التي أسهمت في تشكيل الرؤية الاستشراقية المعقدة، وتعميق هوة المجافاة بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي، وتنتهي الدراسة باستنتاجات من تاريخ تجربة الاستشراق، مع تطلع لخارطة الطريق في المستقبل.

الاستشراق لغة واصطلاحاً

الشرق والمشرق، كلا الكلمتين يدلان على مكان أو جهة طلوع الشمس، والاستشراق مشتق من الشرق على وزن استفعال، مما يدل عموماً على الطلب، وعلى هذا هو طلب معرفة لغات الشرق وعلومه وأديانه، أو التعرف إلى الشرق من خلال دراسة لغاته وأديانه وتاريخه. والكلمة البديلة لها بالإنكليزية واللغات الأوروبية بفروق طفيفة: Orientalism وهي الأخرى تتضمن محاولة التعرف على الشرق.

ظهرت كلمة مستشرق Orientalist في إنكلترا حوالي 1779م وكلمة Orientaiste في فرنسا عام 1799م وأدرجت كلمة الاستشراق Orientalisme في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م³ والتعريف الأكثر شمولاً لظاهرة

¹ أستاذ في قسم اللغة العربية بالجامعة الملكية الإسلامية، نيو دلهي.

² ورقة قدمت ضمن فعاليات مؤتمر حول "الاستعراض العلمي لأعمال المستشرقين في مجال اللغة العربية وآدابها" بجامعة مولانا آزاد الأردية بحيدرآباد في 5 نوفمبر 2024

³ جوزيف شاخ و كليفورد بوزورث : تراث الإسلام : ترجمة د محمد رهير السمهوري و د حسين مؤنس و د إحسان صدقي العمدة تعليق وتحقيق د. شاكراً مصطفى مراجعة د فؤاد

الاستشراق ما اختاره أكبر الخبراء فيه، الأستاذ إدوارد سعيد: "الاستشراق نمط فكري يقوم على ممارسة تمييز وجودي ومعرفي بين "الشرق" (في أغلب الأحيان) "والغرب"¹

ويعرفه سعيد في موضع آخر: "الاستشراق مجال معرفي -كان ولا يزال- يتم من خلاله تناول الشرق، بصفة منظمة، موضوعا للتعليم والاكتشاف والممارسة"² وتتجلى بمجرد اختيار هذه الكلمة العقلية الأنانية التي تنطلق من الاعتقاد بالتمركز الأوروبي ووصف العالم بموقعه منه وليس بالاسم الذي يعرف به.

إنأقدم ما سجله التاريخ من آثار الاستشراق يرجع إلى بدايات الألفية الثانية، ثم توالى أعمال، وتلتها أخرى، إلا أن وتيرة نشاطه كان بطيئا ومحدودا في الحقبة البدائية. ولكنه مع مر الأيام اتسع نطاق جهوده، وتشعبت مجالات اهتمامه، وتنوعت مستويات نشاطه، وتكثفت أبحاثه ودراساته، وانتشر عدواها إلى مدن أوروبا ولغاتها.

وقد ذكر إدوارد سعيد أنه "يقدر أن المؤلفات حول الشرق الأدنى في غضون مئة وخمسين - فيما بين عام 1800م و 1950م قد وصلت إلى ستين ألف كتاب"³ مما يعني أن معدل صدور الكتب الاستشراقية، خلال تلك الفترة، وصل إلى أكثر من كتاب في كل يوم.

كان الاستشراق ظاهرة عابرة القارات بحضوره الملموس في بلدان الشرق بيد أن أوروبا كانت مولده ومنشأه. وقد اكتسح القارتين أوروبا وأمريكا الشمالية، وشمل اللغات الأوروبية كلها، وبعده وعتاده الهائل من مئات من

زكريا، سلسلة عالم المعرفة 11 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط/ يناير 1978م ص 64

¹ Edward W. Said: Orientalism, New Delhi, Penguin Books, Panchsheel Park, 2001pg 2. (Orientalism is a style of thought based upon ontological and epistemological distinction made between "the Orient" and (most of the time) "the Occident".

² المصدر السابق: ص 73

³ المصدر السابق ص 204

مراكز البحث¹ وأقسام الدراسات وعشرات المئات من المتخصصين والخبراء، وآلاف مؤلفة من الباحثين والدارسين، ورسائل جامعية وأطروحات لا حصر لها، ومئات من المجلات والدوريات، وعشرات من المؤتمرات والندوات الدولية والإقليمية، وبتخطيط دقيق وشامل لم يترك فيه صغيرة من شؤون الشرق والإسلام ولا كبيرة إلا أحصاها، ولم يغفل مجالاً من المعارف والثقافات والآداب والإرث الحضاري إلا أخضعه لمجهريه البحثي الدقيق، ومسحه الضوئي بمنهجيته البالغة في الدقة.²

وقد بلغ ذروة نفوذه بفعل عاملين أساسيين، أولهما: السلطة السياسية المتمثلة في الحكومات الأوروبية ومستعمراتها، لاحقاً، التي ساندته وتواطأت معه بتسخير كافة المستلزمات المادية التي تضمن لها جوا ملائماً لمتابعة أهدافه المنشودة. ثانيهما: الكنيسة التي كانت بدورها حامية العقيدة ورافعة المعنويات، وقد ألزمت نفسها بتوفيره بالضمان الروحي وإقناعه بقداسة الجهد وسمو الهدف وإزكاء جذوة العداء بالاستفزاز المتواصل. ومن هنا استطاع الاستشراق إرساء أسس عميقة وواسعة لمشروعه المتعدد الأبعاد. وتسنى له تخطيط سيطرة الغرب وتمهيد الطرق وتذليل الصعاب للزحف الاستعماري إلى الشرق.³

وقد مثلت العوامل التاريخية من الاتصال والاحتكاك بين العرب والغرب، سلماً وحرباً وتجارة، دورها في شحن حركة الاستشراق بوقود دائم من العواطف والعزيمة. الحروب الصليبية المستمرة عقوداً طويلة، والتي أقامت أوروبا وأقعدتها مرات وكرات، وتركت في اللاوعي الأوروبي جروحاً نازفة، وإن امتداد الدولة العثمانية في الشرق الأوسط، بعد أن فتحت قسطنطينية وانتزعتها من الدولة البيزنطية في 1453م تركت ندبات عميقة في الوجدان الغربي. وكان لها

¹. أنظر أكرم ضياء العمري: موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، مجلد 1، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. كلية الدعوة. ص 56

². وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال.

³. كان المستشرقون يحتلون مناصب النفوذ والقوة في حكومات الاستعمار البريطاني والفرنسي وكان منهم مستشارون في الوزارات. وكانت هذه الحكومات تقوم بوضع سياسات التعامل مع المستعمرات بعد الاستشارة مع المستشرقين المتخصصين في ثقافات ولغات وشؤون تلك المستعمرات.

تجربة أخرى مع العرب في الأندلس، تخللتها فترات تعايش وصراع وسباق وكر وفر. ومع مختلف أنواع الظروف المخيممة على العلاقات الثنائية، سرائها وضرائها، استمر التبادل التجاري بين أوروبا والعالم الإسلامي عبر صقلية والبحر الأبيض المتوسط غربا، والطرق التجارية المتاخمة مع الدولة العثمانية في أوروبا شرقا. واستمر نشاط الاستشراق العلمي، على قدم وساق، خلال هذه المراحل. وكانت الجهود الاستشراقية تتابع خططها لتحقيق مجموعة من الأهداف، وتتنقل نقاط التركيز من هدف لآخر، حسب الأولويات الاستراتيجية التي تملها الظروف. وكانت الأهداف دينية وعلمية واقتصادية وسياسية واستعمارية وثقافية وحضارية.

ورغم هذا التنوع الهائل في مناحي ومعطيات بحوث الاستشراق في اللغة العربية وآدابها، فإنه يمكن تصنيف منجزاته العلمية إلى سبعة مجالات واسعة:

- 1- ترجمة المصادر الدينية والعلمية والأدبية من العربية إلى اللغات الأوروبية

- 2- تحقيق المخطوطات وطباعتها
- 3- دراسات وبحوث في الأدب
- 4- إعداد كتب القواعد اللغوية والمعاجم
- 5- البحث في اللسانيات العربية
- 6- إقامة معاهد وأقسام ومراكز الدراسات العربية والإسلامية
- 7- إنشاء مجلات ودوريات

وكانت طبيعة أولويات المستشرقين باهتمامهم باللغة العربية تابعة لخطط إستراتيجية، ففي مرحلة الاتصال الأولى كانت عنايتهم منصبية في التجسير الثقافي من خلال الترجمة والتوصل عن طريقها إلى مصادر التفوق العلمي للعرب والمسلمين. فقاموا بنقل أمات الكتب العربية في العلوم الطبيعية والطب والفلسفة إلى اللاتينية التي كانت لغة العلم في أوروبا وكان من المترجمين البابا سلفستر الثاني في أواخر القرن العاشر للميلاد، ثم هرمان المتوفى سنة ١٠٥٤م، وقسطنطين الأفريقي وغيرهم.

وقد أصبحت طليطلة وغيرها من المدن الأندلسية، في القرن الثاني عشر للميلاد، موئل الأوربيين الوافدين إليها طلبا للعلم واشتغالا بالترجمة

و كان منهم ريمون أسقف طيطة وأفلاطون الطيبوري، وأدالار الباجي، ويوحنا الإشبيلي، وكنديسالفلي، وهرمان الدلماتي، ومقرس الطليطلي وغيرهم، "وكان أكثرهم اشتغالا في ذلك جيران الكرمان، فإنه نقل نحو ثمانين كتابا حوت علوم القدماء في المنطق والفلسفة والرياضيات والنجوم والطبيعات والكيمياء وغيرها، لمؤلفي اليونان والعرب، كالفارابي وابن قرة وأولاد موسى الخوارزمي" والكندي والفرغاني وغيرهم، نقلها كلها عن اللغة العربية.¹

واهتم ملوك أوروبا في تلك الفترة بأدب العرب لإيجاد نهضة أوربية ووظفوا المترجمين، متأسين بالمأمون العباسي، للترجمة إلى اللاتينية واتسعت حركة الترجمة ونشطت على مدار القرون الوسطى وبلغ مجموع عدد الكتب المترجمة من العربية إلى اللاتينية في تلك الفترة إلى ثلاث مئة كتاب في الفلسفة والعلوم الطبيعية والطب والكيمياء والنجوم.²

وبينما كان الاستشراق يعم القارة الأوربية وبلدانها ولغاتها، نذكر هنا فقط على سبيل المثال، المستشرق الفرنسي سلفستر دساصي (Sylvestre de Sacy ت 1838م) الذي كان من علماء اللغات الشرقية والغربية ومتخصصا في العربية والفارسية. وقد قضى حياته في خدمة العربية تعليما وتأليفا ونشرا. فآلف كتابا في قواعد اللغة العربية في مجلدين ومنتخبات من النصوص العربية، باسم الأنيس المفيد للطالب المستفيد، وله مؤلفات في تاريخ العرب، وترجم قصيدة البردة إلى الفرنسية فيما ترجم، ونشر كتاب كلية ودمنة، ومقامات الحريري، وألفية ابن مالك، وقام بإنشاء الجمعية الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٢٢ بالاشتراك مع تلاميذه ومريديه، كما قام بإنشاء المجلة الآسيوية.³

¹ . جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ط/ 2013 ص 1341

² . جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ط/ 2013 ص 1342-1343

³ . أنظر جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ص 1346-1347

وتأتي في مقدمة مشاريع الترجمة ترجمات معاني القرآن إلى اللغات الأوروبية، حيث لوحظ نشاط كبير على مدار القرون الأخيرة، في مجال نقل معاني النص المقدس إلى محيطات اللغات الأوروبية. ويزيد عدد الترجمات التي قام بها المستشرقون على خمس وسبعين ترجمة إلى اللغات: الألمانية والإنجليزية والإيطالية والروسية والفرنسية والإسبانية واللاتينية والهولندية. أما دراسة مستواها من صحة الفهم وسلامة النقل وبلاغة الأداء اللغوي، فغني عن البيان أنها ليست على درجة واحدة من الجودة أو الرداءة. بل يدل بعض الدراسات على حدوث الطامات الكبرى، والتلاعب المشين بالنص القرآني، لدى عدد من المستشرقين. وإذا عرفنا حقيقة العقائد المسيحية واليهودية المبطن، والتي تشبث بها غالبيتهم، وتنطلق منها، وتدعو إليها، فلا يبقى مجال للشك للقراء بأنها تكون على مسافة بعيدة من الجو الروحي الذي يمثل القرآن الكريم.

ومن الظواهر الغريبة في بعض ترجمات المستشرقين للقرآن الكريم، وما أكثرها عندهم! لجوؤهم إلى التحريف لتأتي متوافقة مع المعتقدات المسيحية، وكذلك استخدام لغة قديمة بائدة، ونشرها بأسماء مستعارة أو مشتملة على أحرف من نوع الاختصارات المجهولة. وقد لوحظ ذلك في ترجمات القرآن إلى الإسبانية.¹

واتسعت حركة الترجمة عموديا وأفقيا، وتناول المستشرقون ترجمة آلاف من الكتب من شتى ميادين المعرفة؛ من الدين والفقه والتفسير والحديث والتاريخ والرحلات والجغرافيا والفلسفة والطبيعة والطب والرياضيات والأدب والنقد والبلاغة وتاريخ الأدب والتصوف وما إلى ذلك. غاية الأمر أنهم ترجموا دواوين الشعر وكتب المقامات والأساطير والقصص والحكايات والأمثال. وبذلك ترجم التراث العربي الإسلامي إلى اللغات الأوروبية بفصه ونصه. ومن الصعب الحكم على الصفة النوعية لهذه الترجمات ومدى مطابقتها مع الأصول.

¹ د. محمد صالح البنداق: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، بيروت: دار الآفاق الجديدة ط/ 1/ 1980م ص 104-106

اتسمت حركة الاستشراق ببذل مجهود جبار في البحث والدراسة، حول مواضيع علمية هامة، ولم تأل جهداً في الإفادة من المصادر، ولم تتوان، عن استنفاد كافة الوسائل المتاحة، ليتسنى لها التوصل إلى النتائج المرجوة. ولذلك نجد أبحاث المستشرقين، عموماً، ذات طابع علمي، ومحتفظة بدرجة ملحوظة من الالتزام المادي بالمنهج العلمي. ولا يعني ذلك أن دراساتهم حققت المستوى القياسي في البحث، وأن نتائجها كانت قريبة بالحقيقة دائماً.

وقد جذب نشاطهم العلمي عناية الدارسين من الأجيال الناشئة، فكانوا أسوة لهم في الجهد والطلب والعكوف طويلاً على المتابعة العلمية. وأثمرت مساعيهم الجادة في إنتاج أعمال علمية عظيمة، كان لها دوي في عالم المعرفة، ونالت قبولاً وإقبالاً من المعتمدين بالعلم والثقافة.

ويتمثل إسهام المستشرقين في دراسة الأدب العربي، في أبحاث ومؤلفات مستقلة، حول دواوين الشعروأنواع من الشعر، وأشخاص من الشعراء، من أمثال امرئ القيس، وعنترة، والحلاج، وابن الفارض، والبوصيري، وأوس بن حجر، وعروة بن الورد، وابن زيدون، وأبي فراس الحمداني، والطغراني وغيرهم. وكان المتنبي¹ والمعري، أوفر حظاً من غيرهما، في جلب عناية الباحثين المستشرقين، فتعددت الدراسات المتخصصة في شعرهما، وتناولت حياتهما وأثارهما بطريقة ضافية. وكانت المنهجية المتبعة فيما بناء سياق سردي متعدد الأبعاد؛ حيث تدرس فيه شخصية الشاعر بالنظر إلى عناصر البيئة المكانية والظروف الزمانية التي نشأ فيها، والمحيط السياسي والديني والاجتماعي الذي أسهم في تكوين شخصيته وتكييف ميوله وتطویر شخصيته.

وقد يعتبر كتاب المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير: أبو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي، نموذجاً يمثل منهج الاستشراق في سبر أغوار الفكر

¹ المتصفح لكتاب فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي عندما يصل إلى مصادر ترجمة المتنبي في هامش صفحة 20 يجد قائمة طويلة من المصادر العربية والأجنبية وإحصاء دقيقاً لطبعات ديوانه وشروحه ومخطوطاته، وكل ما له علاقة بأعمال المتنبي، التفاصيل تستمر بمقاس الخط الصغير إلى صفحة 41. انظر فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، ترجمة: د. عرفة مصطفى، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر، ط/ 1983م.

والإبداع وتلمس خيوط الوصل بينهما وبين عوامل الزمان والمكان. والكتاب دراسة شاملة لشخصية المتنبي وشعره. يقدم فيه المؤلف تحليلاً معمقاً لحياة المتنبي وأفكاره الأدبية وأسلوبه الشعري، مشيراً إلى عبقريته الفذة في استخدام اللغة العربية وقدرته الفذة على التعبير عن مشاعره وأفكاره من خلال الشعر. كما يتناول الكتاب الخلفية التاريخية والسياسية التي عاش فيها المتنبي، بما فيها الأوضاع السياسية المتوترة والانقسامات الاجتماعية والثقافية في العالم الإسلامي آنذاك. يسلط الكاتب الضوء على جوانب مختلفة من شخصية المتنبي، مثل طموحه الجامح وثقته الشديدة بنفسه، وبحث في بعض قصائده الشهيرة التي تظهر فيها القوة والفخر والحكمة، وأحياناً السخرية من الأعداء والمبالغة في الهجاء. ويحاول المؤلف تفسير هذه السمات والتناقضات في شعر المتنبي، ويقدم رؤية نقدية متوازنة حول موهبته وشخصيته. والكتاب يعد مرجعاً مهماً للمهتمين بالأدب العربي القديم، حيث يقدم رؤية غربية معمقة عن الشاعر المتنبي وتفسيراً تاريخياً وأدبياً لحياته وأعماله.¹

وقد كان لأدباء العربية من كتاب النثر نصيب مماثل من الأضواء والتركيز، شأن الشعراء؛ فتوجد دراسات متخصصة حول ابن المقفع والجاحظ وأبي حيان التوحيدي، وابن قتيبة، والهمداني وغيرهم. والسياس لا يسمح بتعداد أسماء جميع الأدباء، كما أنه ينبغي التنويه هنا أن الاستشراق قد شمل كافة فروع المعرفة وأصحابها بحثاً ودراسة، ولم يترك منها مجالاً إلا وخاضها وسجل ثمار بحثه فيها. وكذلك يلاحظ أن نشاطه استوعب جميع العصور الأدبية بدءاً بالعصر الجاهلي ومروراً بالعصر الإسلامي والأموي والعباسي والأندلسي والعثماني إلى زمن النهضة الحديثة. كما أنه لم يغفل الحركات والتيارات والمذاهب الأدبية، بل رصدها، وتتبع خط سيرها، واستعرض مجالات نفوذها. واستمر اهتمامه كذلك بشعراء النهضة الحديثة، فظهرت دراسات حول شعر أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وإبراهيم اليازجي وغيرهم. ولا تزال الساحة الأدبية في العالم العربي- شعراً ونثراً- محط اهتمام الاستشراق الحديث، بل وقد ازداد التواصل، في ظل مستجدات التقنية التي قربت

¹ انظر ريجيس بلاشير: أبو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني، دمشق: دار الفكر/ط2/1985م

المسافات وألغت كثيرا من الحواجز، حتى أصبحت العلاقة الآن ثنائية الاتجاه، تخاطبا وحوارا وتبادلا للوجهات والآراء.

وهناك دراسات للمستشرقين نالت قبولا ورواجا كبيرا لكونها جامعة لشتات المعلومات المهمة التي يحتاج إليها الدارس كثيرا، وتتكرر حاجته إليها، منها "تاريخ الأدب العربي" في خمس مجلدات لكارل بروكلمان (Karl Brockelmann) الذي يعد أحد أهم المراجع في دراسة الأدب العربي. وقد نشر لأول مرة في أوائل القرن العشرين، ويغطي الكتاب مراحل تطور الأدب العربي من عصور ما قبل الإسلام حتى العصر الحديث. ويتناول بروكلمان تطور فنون الأدب من الشعر والنثر والخطابة، عبر العصور الإسلامية المختلفة. ويعتبر عملا موسوعيا نظرا لكم المعلومات والتفاصيل الدقيقة حول المؤلفين والأعمال الأدبية. كما يعد مرجعا رئيسيا للباحثين في الأدب العربي والدراسات الاستشراقية، وقد تعرض لانتقادات لبعض آرائه وتفسيراته حول سياقات تاريخية وثقافية. وقد استدرك عليه واستوعب ما فاتته الأستاذ الكبير فؤاد سزكين في عملها الموسوعي "تاريخ التراث العربي"

وكذلك كان "تاريخ الأدب العربي" لفيليب حتي حيث أنه عمل شامل يستعرض تطور الأدب العربي منذ بداياته في العصر الجاهلي وحتى العصور الحديثة. ويتناول نشأة الشعر العربي القديم وتقاليد الشفوية، ويحلل كيفية تأثير البيئة البدوية في أسلوبه ومضامينه. وينتقل بعد ذلك إلى عصر صدر الإسلام وكيفية تأثير القرآن في تطور الأدب من خلال الفصاحة والبلاغة، بالإضافة إلى انتشار الكتابة. يغطي الكتاب أيضا العصر العباسي الذي شهد ازدهار الأدب العربي وتنوعه، من شعر ونثر وقصص وأدب المقامات. كما يوضح تأثير الحضارات الأخرى مثل الفارسية واليونانية في تطور الأدب العربي خلال هذا العصر. ويناقش المؤلف كذلك فترات الانحطاط والتجديد في العصور المتأخرة، وصولا إلى النهضة الأدبية الحديثة. ويعتبر هذا الكتاب مرجعا مهما لفهم تطور الأدب العربي عبر العصور المختلفة، وتأثيره في الهوية الثقافية العربية. وللعلماء تحفظات وملاحظات على الكاتب في بعض آرائه وأخطائه. لكن ذلك لا ينفي عنه مكانته العلمية وإفادته العظيمة. وقد أدرجنا الحديث عنه في هذا السياق، بيد أنه عالم عربي بحكم مولده ومنشئه في لبنان وتحدره، من

سلالة عربية، وربما لا يعتبر ذلك خروجاً خارقاً عن السياق، إذ أنه تربى في المعاهد والجامعات الأمريكية التي كانت، ولا تزال، لها توجهات استشراقية صريحة.

مناهج المستشرقين

ما برحت اللغة العربية وآدابها محط اهتمام المستشرقين منذ انطلاقتهم الأولى في مستهل الألفية الثانية، وانصبت بؤرة تركيزهم على لغة الضاد ومضمونها الفني تالداً وطارفاً. واستمر شغفهم بها وبحثهم فيها خلال كافة المراحل التالية. ويرجع اهتمامهم وهيامهم بها إلى سببين أساسيين:

إن مناهج الدراسات العلمية في اللغات الأوروبية كانت تعتمد بصفة أساسية على البحث في علم اللغة وتعتبرها أساساً ومفتاحاً للبحث في مجال الثقافة والأدب. ولذلك كانت مناهج المستشرقين في دراستهم اللغوية تابعة للمناهج المتبعة في دراسة لغاتهم، يقول الدكتور عمارة: "وتبقى الصلة وثيقة بين اللغة والاستشراق، بمناهجه، ونتائجها، حتى بالغ أحدهم في هذا التقدير، فذهب إلى "أن الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة" والمستشرقون - وهم يدرسون العربية - ينطلقون في الغالب، من المناهج التي تدرس بها لغتهم، أو من خلال تأثرهم الكبير بتلك المناهج"¹

وبالرجوع إلى أعمال المستشرقين في الدراسات اللغوية يدرك الدارس أنها تمثل نمطين واضحين، أحدهما: "ذلك النمط الذي أسرف في الالتزام بمنهج بعينه، وقد يحمله ذلك على صرف النظر عما سواه، عن تعصب؛ ونمط آخر انتفع في الوصول إلى سبر أعماق الظاهرة اللغوية بمناهج متعددة"² والسبب الثاني للاهتمام باللغة العربية، أنها كانت وعاء وسجلاً للإنجازات الفكرية والحضارية التي أحرزها العرب والمسلمون، فما كان هناك من سبيل للاطلاع على حصيلة العرب المعرفية والمخزون الحضاري الهائل إلا من خلال فك رموز اللغة العربية، والتغلب على صعابها، والكشف عن عقلية أبنائها، عن طريق دراسات واسعة ومركزة، حول شتى نواحي الأدب واللغة.

¹ د. اسماعيل أحمد عمارة: المستشرقون والمناهج اللغوية، الأردن عمان دار حنين ط/

1992م ص 15

² المستشرقون والمناهج اللغوية ص 17

ومن خصائص مناهج المستشرقين، كما يشهد به التاريخ، أنهم تناولوا موضوعات كثيرة للبحث والدراسة، واستطاعت أبحاثهم الكشف عن نواح مغمورة من المواضيع، وتوصلت إلى نتائج جديدة ومفيدة. والحقيقة أن "طبيعة العقلية الاستشراقية الدقيقة في التتبع والاستقصاء والحجج والاستنتاج والتقاط للمحات والجزئيات لتكوين أفكار ونتائج كلية عامة"¹ دائما تنطرق إلى استكشافات جديدة، حقيقية أو متوهمة. وذلك لأن المستشرقين بلجؤهم إلى القدر الزائد من الافتراضات، والإجحاف والتعسف، وغرابة الاستنتاج، واعتباطية الأحكام، كثيرا ما يحدثون خللا وشروخا، في مثل حجم إسهامهم العلمي الإيجابي، بل ربما أكبر منه حجما.

ومهما شكونا من العلل القادحة في عدالة العقلية الاستشراقية، ومهما كثرت الأدلة على حالات الإجحاف والتعسف، فلا تزال هناك دروس وعبر في التجربة الاستشراقية التي يجب التعلم منها. ولا شك أن كثيرا من دراسات المستشرقين اللغوية قد اتسم بالصبر والأناة، واتخاذ العدة في البحث، من اطلاع على مناهج البحث اللغوي، وقدرة على المقارنة بين الظواهر اللغوية في لغات مختلفة² ولهم أيادي بيضاء على الثقافة العربية والإسلامية.

نموذج من الدراسة الاستشراقية

تجلى ولع بعض المستشرقين وعلى رأسهم ديفيد سموئل مرجليوت البريطاني وأجنتس جولدتسمير المجري في إثارة موجات الشك حول المرجعية التاريخية للشعر الجاهلي ومدى مصداقية عزوه إلى عصره "المزعوم". كانت محاولة مدروسة لاجتثاثه من مكانته المسيطرة وموثوقيته اللغوية والفنية. بيد أن أرضية الفرضية لم تكن متكافئة مع نبرة التهويل والتفريع التي لجأ إليها. ولكن نجحت الخطة في إحداث موجات عارمة من الشك والإحساس بالهشاشة في شريحة كبيرة من الوسط المثقف، وكسبت شرذمة من الأنصار، بينما سببت قلقا لدى المشتغلين بدراسة الأدب وتاريخه. وحين انقشع الغبار وعادت المياه

¹ د. يحيى الجبوري: مقدمة أصول الشعر العربي للأستاذ د.س. مرجليوت، ترجمة د. يحيى الجبوري. مؤسسة الرسالة ط/1 1978 م ص 6

² د أحمد إسماعيل عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية عمان: دار حنين، ١٩٩٢ ص ٩

إلى مجاريها، تكشف للباحثين أن الاستشراق، تماشياً مع سياسته الثابتة، توخى
 ضعفة ثقة العرب بموروثهم العتيق وشعورهم بالانتماء إليه .
 إن تقاليد الرواية الشفهية كانت راسخة في المجتمع العربي منذ العصور
 القديمة، وكان الاعتماد على الذاكرة والحفظ من ميزات العرب كما كان من
 العادة الثابتة نشر الشعر الجيد شفها. وقد أشار المتنبى إلى هذه الظاهرة
 مفتخراً:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي	إذا قلت شعرا، أصبح الدهر منشدا
------------------------------	--------------------------------

ويؤكد المعنى نفسه في بيت آخر له في سياق الفخر بشيوع شعره واشتغال
 الناس به تفسيراً وتحليلاً:

أنام ملء جفوني عن شواردها	ودسهر الخلق جراها وبختصم
---------------------------	--------------------------

وقضية الانتحال في حد ذاتها، كحالات جزئية محدودة، لم تكن ظاهرة
 مستغربة كل هذا الاستغراب، وقد تناولها النقاد العرب كذلك منذ أيام التدوين
 وأدلو فيه بأرائهم في الإطار الموضوعي المحدد وإشارة إلى بعض مظانه. كما ورد
 عند محمد بن سلام الجمعي في كتابه طبقات الشعراء حيث لاحظ فيه: "وفي
 الشعر مصنوع مفتعل، وموضوع كثير لا خير فيه"¹ وكذلك وردت ملاحظات في
 تزوير بعض الرواة. ولكن المشكلة الحقيقية لا تكمن في القضية، بصفتها حالة
 جزئية، بالقياس إلى التراث الشعري الهائل، وإنما في تكبير حجمها فوق حقيقتها
 أضعافاً مضاعفة، ومنهجية الخلط واللبط وإقحام لهجات الجنوب والشمال
 والدين والاقتصاد ونصوص القرآن في سياق توثيق الشعر أو التشكيك فيه،
 وهو بطبيعته بعيد كل البعد عن الترابط الشبكي أو المنطقي مع هذه السياقات
 المتباينة ولكنهم عالجوها من هذه المناظير المتناقضة وجعلوا استنتاجاتهم مبرراً
 ووسيلة لهدم الأساس التاريخي للشعر الجاهلي بمعاول التشكيك العشوائي.
 غاية الأمر أن بعض المحققين من المستشرقين لم يقبلوا هذه الآراء، بل قاموا
 بالرد عليها بطريقة علمية مقنعة. حتى قال قائل منهم:

¹ عبد الرحمن بدوي: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، بيروت دار العلم
 للملايين، ط/1 1979 م ص 5

"ينبغي علينا ألا نستسلم للشك المفرط في المادة الشعرية التي رواها اللغويون ولا للإفراط في الثقة العمياء فيما يتعلق بقدهم بعضهم في بعض"¹
وقد تناول تشارلس جيمس لايل آراء مرجليوث في مقدمة الجزء الثاني من المفضليات وفند كثيرا من تعميماته وانتقده في اعتماده الزائد على العناصر الخارجية من الرواية و أقوال الناس بعضهم عن بعض، وإغفاله جانب الدراية من قراءة متأنية للنصوص الشعرية وتلمس أغراضها وأساليبها وخصائص أصحابها الفردية.²

ولقد كانت هذه الأبحاث حافزة لكثير من الباحثين العرب للخوض في الموضوع ودراسته ومحاكمة أدلة المستشرقين واستنتاجاتهم، وبذلك كانت فاتحة خير، حركت مياه البحث الراكدة، وأنت بثمار مرجوة من كشف حقائق الموضوع بجلاء وإقناع.

وقد كانت القضية في حقيقتها، تعميم حالة جزئية لتصبح كلية واستخدام المنهجية غير المتكافئة أو غير الصائبة التي تنتزع حالة من سياقها الضيق المحدود إلى مجازفة التعميم المطلق، وأدى ذلك إلى نتائج متصادمة مع حقائق الأدب والتاريخ. ولكنه ثبت من تجربة قضية الانتحال ومواقف الاستشراق، (وبعض تلاميذهم) المتطرفة منها والنشاط العلمي الناتج عنها، أن الصدى أحيانا يفوق شأننا على الصوت نفسه.

دور الاستشراق في التنميط السلبي للعرب والمسلمين

كانت السردية الصليبية السلبية، ضد العرب والإسلام، التي اتخذها الاستشراق شعاره ودثاره منذ نشأته الأولى، والتي دام على ترويجها والتأكيد عليها بصفة دائمة، وإضفاء المنطقية عليها قرونا طويلة، والتي انحط في الالتزام بها إلى مواقف العملاء والمترتبة أحيانا، غرست في الذاكرة الغربية بذرة الكره والمجافاة للإسلام والعرب، وترسبت في اللاوعي الغربي صورة سلبية ومشوهة

¹ . أ. بروينلش في جريفيلد Braunlich : في مسألة صحة الشعر الجاهلي، ترجمه من الألمانية د عبد الرحمن بدوي وضمه في كتابه دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي ص 137

² . انظر د. يحيى الجبوري في مقدمة ترجمته لأصول الشعر العربي للأستاذ د.س. مرجليوث، مؤسسة الرسالة ط/1 1978 م ص 22-26

¹ للإسلام والمسلمين. وحيث أن الإعلام الغربي كان وريث الاستشراق في سرديته، وريبب فكره وتلميذه في خطابه، فالتقط الصورة النمطية التي رسمها الاستشراق وبلورها الاستعمار للعرب والمسلمين، وروحها بكافة الوسائل المرئية والسمعية، ثم تعاضدت قوى العولمة الثقافية في نقلها وبثها على النطاق العالمي. وفيما يتعلق بقضايا العرب والمسلمين، يمكن ملاحظة الترابط القوي بين المواقف الرسمية للحكومات الغربية، وبين الوجهات الأكاديمية والإعلامية، على أساس أن جميعها ينبثق من أصل نظري واحد، وهو التنميط الجائر، الراسخ في الذاكرة الجماعية الغربية. وقد أسهم الاستعمار والصراع الطويل معه في تعميق مجرى السردية السلبية وإيجاد الآخر المغاير، بكافة ملامحه النمطية، التي تبرزه صورة صادقة للتوحش والتخلف، ومتصفا بكل نعوت الشر. وهي أكبر جريمة أو جريمة للاستشراق والاستعمار التي ارتكباها ضد الإنسانية، وكان الإعلام بوق الدعاية الكاذبة والشريك الثالث في الإثم.

تحليل خطاب الاستشراق

إن رحلة الاستشراق الشاقة في وعورة الأرض الغربية، والتي أقسم منذ بدء الرحلة فيها أن الغرابة بينه وبين أرضية الرحلة ستبقى أزلية وأبدية، وأن طبيعة العلاقة بينهما، هي المجافاة والتنكر المستديم بدون الهوادة، إنها حدث من أغرب أنواع الأحداث في تاريخ البشر. بينما التاريخ يحفظ لنا من روائع البطولات وغرائب الإنجازات التي كان الدافع وراءها إيجابيا. فكم من نوازع الشوق ذلت الصعاب أمام طلاب العلم وعلمائها، فقطعوا مشارق الأرض ومغاربها جيئة وذهابا، وجمعوا العلوم ودونوها ونشروها، وأسفرت جهودهم في خدمة العلم عن ثورات عظيمة في عالم المعرفة. ترجم ما يزيد على ثمانين ألف كتاب في بيت الحكمة إبان العصر العباسي إلى اللغة العربية من اللغات اليونانية والرومية والسريانية والآرامية والفارسية والسانسكريتية وما إلى ذلك في غضون فترة قصيرة جدا، وهكذا تتخذ الأحداث الجسام مجراها في انسيابية طبيعية مادامت تقوم على أساس دوافع إيجابية قوية.

¹ د سعيد بن سعيد العلوي: الإسلام في الوعي الثقافي الغربي المعاصر مجلة التواصل العدد ١٥ سنة ٢٠٠٧ مجمعية الدعوة الإسلامية الإسلامية العالمية طرابلس ليبيا.

وبالمقابل، لا يوجد نظير لحركة الاستشراق، هذه الحركة العلمية التي دامت قرونا، وتظل، وقدمت مجهودا جبارا في لغات عديدة، وأفنت فيها آلافا من الأعمار، وعمرت فيها المكتبات، وأثرتها ثراء ملحوظا، ثم إن طابعها المتميز لم يكن التفهم والحوار بل التعصب والصراع¹ والدافع لكل هذا الجهد والتعب؛ والطاقة التي تمدها للمضي قدما هي السلبية والشحناء. ومهما حاولنا الالتزام بالمنهج العلمي، والحياد العاطفي، حيال الاستفزاز والتحامل، الذي يلجأ إليه غالبية المستشرقين، فإنه يصبح من الصعب تجاوز كل هذه الحالات، والمرور بها مرور الكرام: وكما قال حاتم الطائي: لن تستطيع الحلم حتى تحلما

وكلما وصفنا أعمالهم بالنعوت الإيجابية واستقبلناها برحابة الصدر، اضطررنا وبصفة متكررة للاستدراكات والجمل المبدوءة بـ"لكن" بيانا للتحفظات حيال حالات التعسف الكثيرة.

إن هناك مزيج من العوامل التي أسهمت في تشكيل الموقف الأوروبي من الحضارة الإسلامية، منها العقدة النفسية التي سببها تقدم العالم الإسلامي عسكريا وحضاريا وتقنيا ورفاهية، وقد أبهرته الدولة الإسلامية بقوتها ومساحة أراضيها الشاسعة، التي شملت معظم مناطق قارة آسيا وجزأ ملحوظا من إفريقيا، الصورة بالنسبة للأوروبيين كانت مهولة، يشعرون حيالها بالتصاغر والهشاشة. وقد غرست فيهم إحساسا ثابتا بتفوق المسلمين، وكانت ردة الفعل أنها أثارت فيهم مشاعر العداء والشحناء، مثلما تشعر الطبقات المحرومة تجاه الميسورين وأصحاب الرخاء، وفي سعيهم لإثبات الذات أمام ظاهرة الشرق التجأوا بالديانة المسيحية والحملة الصليبية².

وكان تشويه صورة الإسلام وتدنيس سمعته تعويضا لإحساسهم بالنقص والتضاؤل. وقد أسهم بطرس المكرم بصفة ملحوظة في تكوين هذه الصورة الجديدة قبيل منتصف القرن الثاني عشر. وانطلقت السردية الجديدة

¹ سليمان إبراهيم العسكري: ثقافتنا العربية وثقافتهم الغربية، مجلة العربي العدد ٥٢٢ مايو ٢٠٠٢م ص ٩

² وقد اتخذ المستشرق مونتجومري وات هذا الرأي في تحليل ظاهرة معاداة المستشرقين للإسلام والمسلمين. انظر مجلة التواصل العدد السابع، سبتمبر 2005م جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا ص 203-204

بأن أوروبا المسيحية كانت تخوض حرباً مقدسة ضد قوى الظلام المتمثلة في الشرق الإسلامي. ولكن التحليل النفسي الصحيح تجعل القضية نقيضاً لهذه السردية الزائفة، إذ أن الظلمة التي ينسبونها إلى الإسلام هي في حقيقتها كامنة في ذواتهم، وأنها من قبيل ما يرمز له المثل السائر "رمتني بدائها وانسلت"

ولقد حصلت تطورات هائلة على الساحة الثقافية، مثلما حصلت على الساحة السياسية الدولية، منذ الحربين العالميتين، وتفكك الاتحاد السوفياتي، وكشف القناع عن وجه الحضارة الغربية المتمثلة في نظم الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، بعد حرب الإبادة الجارية في غزة. وكذلك تعالت الأصوات التي تتحدى السردية الاستشراقية، وتكشف التناقضات الصريحة في مواقفها، وتسلب الضوء على هشاشة الأرضية التي تأسس عليها بنیان علمها. وقد كان أقوى هذه الأصوات وأقدرها على زعزعة أساس الاستشراق، وأكثرها تسليحاً بالمعارف الواسعة والعميقة، كتابات الأستاذ إدوارد سعيد، ولا سيما كتابه المسمى بـ "الاستشراق"، فقد أحدث صدوره في نهاية السبعينيات زلزلة في عالم الاستشراق. وافتضح الاستشراق والاستعمار، وافتضحت الحضارة الغربية وتبين خواء أسسها النظرية، وكان بمثابة مرآة عملاقة تعكس صورة الاستشراق الشوهاء. وبقي الكتاب منذ صدوره موضوعاً دسماً للنقاش، على المنابر العلمية، وكان له تأثير كبير في رفع معنويات النقد العلمي والثقافي، وإخضاع تقاليد الاستشراق الراسخة لمحك التدقيق المستقل. وفعلاً أحدث تأثيراً في منهجية دراسات المستشرقين حول الأنثروبولوجيا، فقد كانت قبل "تركز على البداوة والقبلية والأخذ بالثأر، وتجنح إلى التعميم ووصم العرب بالتخلف"¹

وقد صدر الناقد الثقافي الكبير إدوارد سعيد كتابه "الاستشراق" بملاحظتين موجزتين أولاهما لكارل ماركس: "إنهم غير قادرين على التمثيل عن أنفسهم؛ يجب التمثيل عنهم" والأخرى لرئيس الوزراء البريطاني الأسبق، بنجامين دي إسرائيل: "الشرق مهنه"²

¹ د محمود السيد: فلسطين في فكر إدوارد سعيد، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية العدد ٤٨٦ آذار ٢٠٠٤ م ص ١٠

² نفس المصدر السابق: الصفحة التاسعة بعد صفحة الغلاف.

وقد أشار بتصديره هذا أن محاولة الهيمنة الثقافية متأصلة في روح حركة الاستشراق، كما لازم مسيرتها تسويق الاستغلال وتمهيد مسار الاستعمار. وقد كشف سعيد، وهو أكبر خبراء الاستشراق، بتحليله الدقيق، نبذة الغطرسة والسلطوية، التي كانت كثيرا ما تلازم خطاب الاستشراق ووصف الاستشراق بأنه "بصفته منظومة ثقافية عبارة عن العدوان، والنشاط، وإصدار الأحكام، وإرادة الحقيقة والمعرفة"¹.

وتشجع علماؤنا على القول: "انتهى العصر الذي كان يقول فيه المستشرقون شيئا فيجبهم المشرقيون: آمين!"² وشمروا لرفع راية التحدي بنبرة عالية، ومقارعة سردية الانحياز والزيغ، بالسردية المتطابقة مع الواقع التاريخي، والمدعومة بالحجة.

وبعد صدور كتاب "الاستشراق" لإدوارد سعيد تقلص استخدام هذا المصطلح من قبل أصحاب الشأن فيه، وتكمن نفوذ هذا المصطلح، والتصقت به علامة استفهام عملاقة تستجوبه وتطارده. وبينما بقي الاستشراق بروحه وحوافزه، فإنه أصبح يمشي على استحياء من هذه التسمية، وبدأ يتستر وراء مصطلحات أخرى، تحدد مجال اهتمامه، بتخصيص وتركيز أكثر، مثل متخصص في الدراسات العربية أو المصرية أو الإيرانية أو الهندية. استنتاجات

لا ينكر وينبغي ألا ينكر ما كان للمستشرقين من إسهام كبير في تفعيل حركة البحث العلمي وإزكاء جذوة الحب للمعرفة وإرساء نواميس جديدة للاشتغال الفكري مع التراث. وقد كانوا همزة وصل بين أجيال النهضة الحديثة وبين تراثهم العلمي القديم. ويرجع إليهم كثير من الفضل في هندسة هيكل التعليم الجامعي وإعداد مناهج الدراسة والبحث الحديثة.³

¹. إدوارد سعيد: الاستشراق، بينكوين بوكس إنديا ش.خ.م. بنجشيل بارك دلهي 110017 ط/ 2001م ص 204.

². د شاكرا مصطفى: تقديم كتاب تراث الإسلام الجزء الأول جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث ترجمة د محمد رهير السمهوري د حسين مؤنس د إحسان صدقي العمدة سلسلة عالم المعرفة ١١ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت يناير ١٩٧٨ ص ١٠

³. أقسام اللغة العربية في جامعات الهند القديمة، وكذلك كثير من الكليات التي عنيت بدراسة اللغة العربية واللغات الشرقية الأخرى هي كلها مدينة بالفضل للمستشرقين الذين

ولا ينسى دورهم في جمع الكتب، والتنقيب عنها في شتى بقاع الأرض، ثم طبعها في المطابع الأوربية وحفظها من التلف والضياع، وجعلها في متناول يد القراء والدارسين على النطاق الدولي. وما أكثر الكتب التي انتقلت من حيز المخطوط المحدود إلى سعة آفاق المطبوع المنشور بفضل جهودهم. فكانت الطباعة لتلك الكتب بمثابة ميلادها من جديد، وكانت تحفا لا تقدر بثمن لهواة العلم شرقا وغربا. وبذلك نجد أن عددا هائلا من مؤلفات موروثنا العلمي طبع للمرة الأولى في عواصم أوروبا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.

الحركة الاستشراقية حفرت عميقا في التراث العربي والإسلامي واستطاعت أن تنبش الدفائن، وما كان في عداد الدفين، ونقبت عن المجاهيل من زوايا النظر وكشفت المغامير من حقائق العلوم والتاريخ والثقافة وتركت بصماتها الخالدة في تاريخ المعارف. والمستطلع الجاد لهذه المكتبة العملاقة التي أقامتها هذه الحركة، والمتأمل في مقتنياتها ومحفوظاتها ومعطياتها يقف أمامها حائرا منبها من روح العمل الدؤوب والجهد الجهيد والمثابرة الدائمة والمتابعة المتواصلة لتحقيق الأهداف المنشودة.

ربما لم يكتب أهل الشرق، أنفسهم، في علومهم في بعض فترات التاريخ بقدر ما كتبه المستشرقون عنهم. وبذلك كانوا سباقون إلى غايات بعيدة، لا يسبقهم فيها أحد. ولكنهم في الوقت ذاته كانوا ذوي كبوات قاصمة أحيانا. وليس من المنهج العلمي تمجيد أعمالهم مطلقا أو تفنيدها مطلقا، بل هي تخضع للمقاييس العلمية الرصينة لتعرف قيمتها في ميزان الحقيقة، فتثبت جودتها أو زيفها.

إن قصة الاستشراق ليس بناء فقط، وإنما الوجه الآخر منها هدم، وهذا الهدم قد يتطلب قرونا من الجهود لردم ما هدموه، لأنهم لم يكونوا ينوون البناء فقط بقدر ما أرادوا الهدم. فإذا كانت لهم أياد بيضاء على الثقافة العربية، فإن قدرا كبيرا من أعمالهم لا يمت إلى العلم بصلة، وذلك على وجه الخصوص ما يتعلق بأقدس المقدسات عندنا من القرآن الكريم والسيرة

طوروا ملامحها المتميزة، ووفروا لها قيادة علمية وأسوة عملية في الجهد والمثابرة. نذكر على سبيل المثال قسم اللغة العربية بجامعة علي كراه الإسلامية، وكلية ذاكر حسين دلهي.

النبوية الطاهرة، فإن أي مساس آثم بها باسم البحث، كان تشويها لمعنى البحث. وكذلك كل إفك وكذب وتمويه متعمد في السياقات المعرفية، إنما هو وصمة عار على تاريخ ثقافتهم ووثيقة لسقوطهم من مكانة الشرف الذي يضمّنه العلم لأهله. حاولوا كشف عيوب مفترضة وافتضحوا عيوبهم حقيقة.

ويجدر بنا أن نذكر هنا أنالاستجابة العلمية المرتقبة من الشرق، لم تتحقق على المستوى المطلوب، لسد الثغرات التي أحدثها الاستشراقوما غادره من متردم في شتى مجالات المعرفة، وأنه لم يتبلور البحث العلمي عندنا فكريا ومنهجيا وفلسفيا، كما يتطلبه الموقف، من سيطرة على المادة العلمية، وسيطرة على الأعصاب في وجه الاستفزاز، وتحليل منطقي هادئ يقنع العقل، وتأسيس تقاليد علمية راسخة وثابتة تكون لها مسيرة دائبة ومتوازنة للسردية الاستشراقية.

اهتمام المستشرقين بترويج اللغات الشرقية:

كلية فورت وليم أنموذجا

إن الدارس للحضارة العربية والإسلامية لا يستغني عن دراسة الإنتاجات والإبداعات التي قام بها المستشرقون في شتى المجالات العلمية والفنية والدراسات العربية - الإسلامية من القرآن الكريم وأصوله والحديث النبوي والفقه والسيرة والتاريخ الإسلامي والأدب العربي والمعاجم العربية بالرغم من أن هناك بواعث ودوافع مختلفة لأعمالهم وعنايتهم بالإسلام والمسلمين وربما يكون الدافع دينيا أو سياسيا أو اقتصاديا.

فمهما يكن الأمر، كانت إسهامات المستشرقين سبباً رئيسياً لحفظ التراث الإسلامي والعربي وغير العربي، والعالم كله مدين لهؤلاء العلماء المستشرقين الذين تعلموا العلوم الشرقية وبرعوا فيها. فاستفادوا وأفادوا. ثم أضافوا فيها بتأليفاتهم وتصنيفاتهم وترجماتهم. ومشيرا إلى إسهامات المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية يقول صاحب كتاب "المستشرقون" نجيب العقيقي: "...وظهر على طرفي النهضتين المستشرقون، فتناولوا تراثنا بالكشف والجمع والصون والتقويم والفهرسة، ولم يقفوا منه عندها فيموت بين جدران المكتبات والمتاحف والجمعيات، وإنما عمدوا إلى درسه وتحقيقه ونشره وترجمته والتصنيف فيه: في منشئه وتأثره وتطوره وأثره وموازنته بغيره، واقفين عليه مواهبهم ومناهجهم وميزاتهم، مصطنعين لنشره المعاهد والمطابع والمجلات ودوائر المعارف والمؤتمرات، حتى بلغوا فيه، منذ مئات السنين، وفي شتى البلدان وبسائر اللغات- مبلغا عظيما من العمق والشمول والطرافة وأصبح جزء لا ينفصل عن تراثنا ولا تؤرخ الحضارة الإنسانية إلا به- وقد عرف الغرب منه أصالتنا فيها- كما لا تصلنا بالعصر الحديث علوما وبدابا وفنونا- صلة أشد من لغات الغرب"²

¹ مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي

² المستشرقون، نجيب العقيقي، الجزء الأول، ص 7-8 ط. 5، دار المعارف، القاهرة، 2006.

ويقول الأستاذ الدكتور جلال السعيد الحفناوي من قسم اللغات الشرقية وآدابها، جامعة القاهرة، بمصر: "...فإن الدارس المنصف لا بد وأن يقف مندهشاً أمام هذه الجهود الكثيفة المتكاملة المتضافرة المؤثرة إلى أبعد حدود التأثير للمستشرقين، كذلك حرصهم ودأبهم ومثابرتهم على تجميع المخطوطات الإسلامية بكل الطرق، وترتيبها وفهرستها والتعريف بها وتحقيق الكثير منها..ولا بد وأن نعترف أن كثيراً من هذه المخطوطات ما كان لنا أن نعرفها إلا بواسطة بعض المستشرقين بل ربما ما كان لها أن تبقى حتى اليوم لولا عنايتهم بها ورعايتهم لشأنها"¹.

كلية فورت وليم :

شهدت الهند في القرن الثامن عشر سيطرة شركة الهند الشرقية على سياسة البلاد²، وبدأت تزداد دائرة تجارتهم في أنحاء الهند. وعلى صعيد آخر، كان الحكام الإنجليز والموظفون الأجانب يواجهون مشاكل وصعوبات في التعامل مع الشعب الهندي لعدم الإلمام باللغات الدارجة في الهند والتي كانت تُنطق وتفهم في معظم أنحاء البلاد. فبدأ الإنجليز تعلّم اللغات الهندية وخاصة منها الأردية والفارسية والعربية والسنسكريتية، الهندية، البنغالية، وفكّروا في ترويجها حتى يسهل لهم التعامل مع الشعب الهندي وتنمو تجارتهم وتتحقق أغراضهم السياسية والتبشيرية³.

فنظراً إلى الأغراض المذكورة أعلاه تأسست كلية فورت وليم (Fort William College) في كلكتا في ١٠ من شهر يوليو عام ١٨٠٠م لتعليم العلوم الشرقية والفنون واللغات الهندية ومن بينها اللغة الأردية بشكل خاص، والعادات والتقاليد الهندية المحلية لكي لا يواجه الحكام صعوبات في الاحتكاك مع الشعب الهندي⁴. وتُرجمت الفنون والآداب والعلوم الغربية إلى اللغات الهندية وكان المستشرق جون بورثويك جيلكريست (John Borthwick)

¹ المستشرقون والدراسات الإسلامية، جلال السعيد الحفناوي، ص 6. قسم اللغات الشرقية وآدابها، جامعة القاهرة، 2019.

² بنكال كا اردو ادب انيسوين صدي مين (الأدب الأردني ببنگال في القرن التاسع عشر) د. جاويد نهال، صف 45-46، طبعة ثانية، عثمانية بكذبو، كلكتة 1984.

³ نفس المصدر ص 46

⁴ نفس المصدر. ص 52

(Gilchrist) من مؤسسي هذه الكلية وتعين أول مدير لهذه الكلية. إنه أدرك ما للغات الهندية والثقافية الإسلامية من أهمية في الهند. يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي: "أما في كلية فورت ولیم في كلكتا فقد ركز الاهتمام حول اللغات الشائعة في الهند وهي: العربية، الفارسية، السنسكريتية، الأوردية، الهندية، البنغالية"¹.

لم تكن المؤلفات الأردية النثرية متوفرة في الهند إلا نثراً مسجعا ومقفى قبل تأسيس كلية فورت ولیم. فإن العلماء والباحثين في هذه الكلية اعتنوا بأعمال التأليف والترجمة من اللغة الفارسية أو اللغات الهندية المحلية الأخرى إلى اللغة الأردية البسيطة السهلة. ولم تمض سنوات إلا وترجم هؤلاء العلماء والباحثون حوالى ست وخمسين كتاباً إلى اللغة الأردية².

لعبت هذه الكلية دوراً ريادياً في ترويج العلوم الشرقية واللغات الهندية وتطورها حيث وجد السياح والعلماء الأوروبيون مكاناً رائعاً لتعلم اللغات الشرقية تلبية لحاجاتهم اليومية بالمحادثة مع الشعب الهندي ونشر رسالتهم التبشيرية كذلك. إن العلماء المستشرقين تعلموا هذه اللغات وبرعوا فيها إلى حد تمكنوا من التأليف والتصنيف والترجمة من وإلى اللغات السائدة في الهند آنذاك. وتعتبر مؤلفاتهم أهم المؤلفات وبعضها تحتل مكانة المصدر.

والعلماء المستشرقون الذين استفادوا من كلية فورت ولیم ثم أفادوا بأسهاماتهم التأليفية وشاركوا في نهضة اللغات الشرقية وتطورها هم على سبيل المثال "تهامس روبك" و"فرانس كليدون" و"ولیم هنتر" و"ولیم برانس" و"جوزف تيلر".

اللغة الأردية:

ومن كبار أساتذة اللغة الأردية ومصنفاتهم هم:

"تهامس روبك" فله مؤلفات عديدة منها "لغت جهاز راني" أي "قاموس الملاحظة" و"ترجمان هندوستان" و"أردو لغت" "Hindoostani and English Dictionary". و"قواعد هندي". ومن مؤلفات "فرانسس كليدون" فبعض منها

¹ موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص475، دارالعلم للملإين، بيروت، ط3، 1993
² اردو زبان وادب كي تاريخ، اكاڻي 1 تا 30، مولانا آزاد نيشنل اردو يونيورسيتي، حيدر آباد. 2005

طُبعت وبعضها مسودة. ومنها "اسلامي قوانين فقه كي دكشنري" و فارسي هندوستاني اور انگریزي لغت". ومن مؤلفات " وليم هنتر" هي " هندوستاني لغت" طُبعت في 1808م. و"عهد نامهء جدید" تم طبعه في عام 1805م¹. وعلى رأسهم العالم المستشرق الكبير " جون بورثویک جیلکریست".

العالم المستشرق الكبير جون بورثویک جیلکریست هو من مواليد عام 1759م في ايدنبرة (Edinburgh) وتعلم وتثقف في نفس المدينة حتى تخصص في مجال الطب ونال الشهادة فيه². وطلع " جون بورثویک جیلکریست" (John Borthwick Gilchrist) على سماء الهند في عام 1782م حيث نزل في ميناء مومبائ وسرعان ما انسلک بجنود شركة الهند الشرقية كطبيب³. ولأول مرة تعامل جیلکریست مع الشعب الهندي في هذا السفر. إنه طاف أنحاء الهند على مهمة طبية مع الشركة وشعر بحاجة تعلم اللغة الأردية المتداولة بين الناس في الهند لكي يتعامل هو والحكام مع الشعب الهندي بلغتهم. كما أدرك بأن معرفة اللغة الأردية لازمة للسيطرة على الهند، ولترويج الثقافة الغربية كذلك⁴. فشمر عن ساق جده لتعلمها حتى برع في هذه اللغة نطقاً وفهماً، قراءة وكتابة. وقام بإعداد الكتب والقواميس والمعاجم والكتب الأخرى المعاونة في تعليم اللغة الأردية وتعلمها بشكل جيد.

يُعتبر "جون بورثویک جیلکریست" من العلماء الذين خدموا اللغة الأردية ورؤجوها في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. ولهذا العالم الكبير عشرات من المؤلفات الأردية القيمة من أهمها: "أنگریزي هندوستاني لغت" (قاموس الإنجليزية – الهندوستانية) و"هندوستاني زبان كي قواعد" (قواعد اللغة الهندوستانية) و"مشرقي زبان دان" (عالم علوم اللغة الشرقية) و"مبادیات هندوستاني" (مبادئ اللغة الهندوستانية) و "أتاليق هندي".

¹ فورت وليم كالج، سميع الله، فيض آباد، الهند، ط.1، 1989.

² بنغال کا اردو ادب انیسویں صدی میں، د. جاوید نہال. ص60-61

³ جیلکریست اور اسکا عهد، محمد عتیق صدیقی، ص65، انجمن ترقی اردو ہند، نئی دہلی، ط2، 1979.

⁴ بنغال کا اردو ادب انیسویں صدی میں، د. جاوید نہال. ص61

مصنفاته:

إن العالم الأردني في الهند مدين لهذا العالم المستشرق الكبير حيث أنه لم يستقدم الأدباء والشعراء والعلماء للغة الأردية واللغات الهندية الأخرى من أنحاء الهند إلى كلية فورت ولیم فحسب بل قام بالإشراف على تأليف وترجمة عديد من القصص الأردية الرائعة أيضا وألف كتباً عديدة في اللغة الأردية لم تكن موجودة قبل ذلك¹.

ألف جون جيلكريست كتباً عديدة في علم اللغة والقاموس والقواعد اللغوية، قضى حوالي ثلاثين عاماً من عمره في التأليف والترجمة. ومن مصنفاته²:

1. انگریزی ہندوستانی لغت (قاموس الانجليزية - الهندوستانية)، بدأ تأليفه في عام 1787م وأكمله في حوالي تسع سنوات. وقد تم نشر المجلد الأول منه في عام 1786م والثاني في عام 1790م. كتب فيها صاحبها معاني الكلمات بالخطين الرومي والفارسي³.
2. ہندوستانی علم اللسان (علم اللغة الهندية)، كتب هذا الكتاب في موضوع علم اللغة الهندية وتحديث في مقدمته عن اللغة الأردية وقواعدها. قدم في آخر الكتاب مفهرس المفردات في اللغتين الأردية والإنجليزية⁴.
3. اردو زبان کی قواعد (قواعد اللغة الأردية)، وقد كان هذا الكتاب في مقررات الدراسية في كلية فورت ولیم. وكتب مير بہادر علي حسینی خلاصة له بعنوان "دراردو رسالہ گلکرسٹ" (رسالة جيلكريست الأردية)⁵.

¹ نفس المصدر، ص 68

² اردو زبان وادب کی تاریخ، الوحدة 1 - 30، جامعة مولانا آزاد الوطني الأردني، حيدرآباد، الهند، ص 182-184. وبنغال کا اردو ادب انیسویں صدی میں، د. جاوید نہال ص 68-76.

³ فورت ولیم کالج، سمیع اللہ، ص 107،

⁴ اردو زبان وادب کی تاریخ، الوحدة 1 - 30، جامعة مولانا آزاد الوطني الأردني، حيدرآباد، الهند، الطبعة الأولى، 2005م، ص 183-

⁵ فورت ولیم کالج، سمیع اللہ، ص 107،

4. ضميمه (الملحق) Appendix، كتب في الخط الرومي ونشر في عام 1798م.
5. مشرق زبان دان (عالم علوم اللغة الشرقية)، *The Oriental Linguist*، تحدث فيه صاحبه عن اللغة الهندية (الأردية) وقدّم مفهراً للكلمات المترادفة في اللغتين الهندية والإنجليزية. قام بإعداد هذا الكتاب للطلّاب المبتدئين. ظهرت طبعته الثانية على نفقة الكلية في عام 1803م¹.
6. اردو زبان پر مختصر مقدمه (المقدمة الموجزة باللغة الأردية)، هذه خلاصة لكتابه "مشرق زبان دان" (عالم علوم اللغة الشرقية)².
7. ہندی کی آسان مشقیں (التمارين السهلة في اللغة الهندوستانية)، تم تأليف هذا الكتاب للاختبارات الإبتدائية والأخيرة في كلية فورت ولیم.
8. فارسی أفعال کا جدید نظریہ (نظرة جديدة لأفعال اللغة الفارسية)، قد أتى فيه بشرح الأفعال المستعملة في اللغة الفارسية مع سرد الكلمات المترادفة في اللغتين الأردية والإنجليزية.
9. اجنبیوں کے لئے رہنمائے اردو (دليل اللغة الأردية لغير الناطقين بها)، تم تأليف هذا الكتاب لغرض تعليم الإنجليز اللغة الأردية.
10. بیاض ہندی، جمعت فيه آثار المؤلفين في كلية فورت ولیم.
11. عملی خاک، ألف في موضوع قراءة وتلقظ المفردات الأردية.
12. ہندی الفاظ کی قراءت (قراءة الألفاظ الهندية) ألف في طرق قراءة المفردات الهندية.
13. أتالیق ہندی (المعلّم الهندي) ألف لتعليم القراءة والكتابة باللغة الأردية بطرق سهلة.
14. ہندی عربی آئینہ (المرآة الهندية العربية) ألف في شرح المفردات والكلمات العربية التي لها علاقة باللغة الأردية.

¹ نفس المصدر، ص 107،

² اردو زبان وأدب کی تاریخ، الوحدة 1 - 30، جامعة مولانا آزاد الوطني الأردی، حیدرآباد، الهند، الطبعة الأولى، 2005م، ص - 183

15. مکالمات انگریزی ہندوستانی (المکالمات الانجليزية والهندية) ألف لتعليم

الأوربيين اللغة الهندوستانیة السائدة والمستعملة لدى الهنود.

16. مشرق قصص (حكايات شرقية) جمعت فيه حكايات "لقمان الحكيم"

والقصص الشرقية الأخرى المترجمة من اللغات الفارسية وبرج بهاشا

والسنسكريتية. وكان من مترجميها جيلكريست بنفسه والكتاب

الآخرون من كلية فورت ولیم.

17. ہندی داستان گو (سارد الحكايات الهندية) ألف في موضوع استعمال

الخط الفارسي وديوناغري في اللغة الأردية.

فيتضح من مؤلفات جيلكريست أنه بذل كل ما في وسعه في سبيل توفير الكتب

الأساسية اللازمة لتعلم اللغة الأردية. فقد ألف كتباً عديدة في موضوعات علم

اللغة الأردية وقواعدها اللغوية وترك خلفه ذخيرة للكتب المهمة التي لا تكون

تمحو آثاره أبداً. فإن شخصيته لم تكن شخصية عامة بل كانت من عباقرة

الزمن التي قلما يوجد به الزمان.

اللغة الفارسية:

إن الأستاذ ماثيو لومسدن قد برع في اللغة الفارسية وتميز بالدراسات

الفارسية بين المستشرقين الأوروبيين الآخرين حتى ألف كتاباً في النحو الفارسي

بحجم كبير في مجلدين ونشر من كلكتا عام 1800 وعنوانه باللغة الإنجليزية: A

Grammer of the Persian Language. ثم نشر كتاباً مهماً في أربعة أجزاء في

عام 1809، وعنوانه "مختارات لاستعمال فصول اللغة الفارسية في كلية فورت

ولیم". ونُشر كثير من الكتب المهمة في الأدب الفارسي مثل "يوسف وزليخا"

و"رسالة الإنشاء"، و"سُبحة الأبرار" للشاعر الفارسي الصوفي عبد الرحمن

الجامي، و"مجنون ليلي" للأمير خسرو، و"أخلاق جلالی" للدواني، ومختارات من

"جلستان" و"بوستان" و"ديوان" للسعدي الشيرازي، ومن "بهار دانش" لعناية

الله كمبو، ومن "أخلاق محسنی" لكاشفي. ثم بدأ لومسدن طبع "الشاهنامة"

للفردوسي ونشر الجزء الأول ثم توقف، فأكمل طبعه تيرنر ماكان، Turner

Macan استخداماً للمواد التي جمعها ماثيو لومسدن. ونُشرت هذه الطبعة

كاملة للشاهنامة في أربعة أجزاء في عام 1829.¹

¹ موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص 476

اللغة العربية:

ومنذ بداية القرن الثامن عشر اهتم أوروبا باللغة العربية والأدب العربي اهتماما بالغاً وبذل العلماء المستشرقون قصارى جهودهم في الدرس والتدريس والتأليف والترجمة والبحث والتحقيق في العالم كله، ونظراً إلى أهمية اللغة العربية لم يكتف جيلكرست، المدير لكلية فورت ولیم، على تعليم وتعلم اللغة الأردية والفارسية فقط بل ركّز على تعليم اللغة العربية وتدريسها أيضاً أبناء الهنود، ولهذا الغرض استقدم علماء مستشرقين بارعين في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ومنهم المستشرق جون بيلي (John Baillie) الذي كان متضلعا باللغة العربية والفارسية والدراسات الإسلامية والذي كان موظفاً في شركة شرقي الهند، قد تولى بتدريس اللغة العربية والفارسية والقوانين الإسلامية في كلية فورت ولیم. وكان يدرس اللغة العربية عن طريق النحو، ولهذا الغرض نشر عدداً من الكتب النحوية منها: "المائة عامل" للشريف الجرجاني، و"شرح" "المائة عامل"، و"المصباح" للمطّرزي، و"هداية النحو" للغزنوي، و"الكافية" لابن الحاجب. ونُشرت هذه الكتب الخمسة في كتاب واحد وأبرز العالم المستشرق جون بيلي أهداف النشر قائلاً: "هذه مجموعة الكتب المتداولة لدرس النحو، وقد تعدت تصحيحها وصونها عن الغلط والسهو....."¹

والعالم المستشرق الآخر الذي أسهم في نشر اللغة العربية هو لوكت A. Lockett الذي نشر كتاب "المائة عامل" وقام بتأليفه في عام 1814 كما ترجمه إلى اللغة الإنجليزية ثم علق عليه كذلك.

والعالم المستشرق الكبير الذي له إسهامات ملموسة في نشر اللغة العربية وتعليمها في كلية فورت ولیم هو ماثيو لومسدن (Matthew Lumsden) الذي لم يدرس اللغة العربية والفارسية في الكلية كأستاذ مساعد ثم أستاذ فحسب بل ألف كتاباً قيماً في النحو العربي وأساسه المتون النحوية العربية المتداولة باللغة الإنجليزية بعنوان:

A Grammar of the Arabic Language, according to the principles taught and maintained in the Schools of Arabia. Vol. one. Calcutta, 1813.

¹ موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص 475.

وقد ظهر الجزء الأول فقط. ونظرا إلى أهمية الكتاب ترجمه الأستاذ عبد الرحيم بن عبد الكريم إلى اللغة الفارسية بعنوان "غاية البيان في علم اللسان" وقد أشرف على عملية الترجمة المؤلف ماثيو لومسден بنفسه. ونُشرت الترجمة في عام 1828. وبالرغم من أن معظم أعمال الأستاذ لومسден في الدراسات الفارسية إلا أنه اهتم باللغة العربية أيضا اهتماما بالغاً.

وعلى صعيد آخر، اعتنى الأساتذة الهنود في كلية فورت ولیم أيضا بنشر وترويج اللغة العربية تدريسا وتأليفا. فها هي طائفة من المدرسين في الكلية تقوم بتأليف معاجم لغوية وكتب في النحو، ومختارات، وترجمات، وتحقيق نصوص. فترجم مولوي محمد راشد الكتاب الشهير في الفقه الحنفي "الهداية" للمرغينيني، من اللغة العربية إلى اللغة الفارسية في أربعة أجزاء ونُشر الكتاب في كلكتا. كما قام مولوي الله داد ومولوي جان علي من قسم اللغة العربية والفارسية بكلية فورت ولیم بنشر "المقامات الحيرية" في مجلدين من كلكتا. وكذلك نشر "ديوان المتنبي" كاملا، كما وضع الأستاذ جان علي معجما عربيا فارسيا لمقامات الحريري وطبع في عام 1814. ولأول مرة قام مولوي جان علي بطبع كتاب شهير في علم المعاني "كتاب المعاني" للعلامة التفتازاني تحت إشراف ماثيو لمسден.

إن الأستاذ أحمد بن محمد الشرواني اليماني كان من أنشط الأساتذة في كلية فورت ولیم، وألّف كتابا عربيا شيقا بعنوان "نفحة اليمان، كما نشر كتاب "عجائب المقدور في أخبار تيمور" لابن عربشاه، ثم طبع كتابا في إنشاء الرسائل باللغة العربية وعنوانه "العجب العُجاب"، ثم كتابا مهما للقراءة تحت عنوان "حديقة الأفراح". ومن أبرز أعماله هو قام بنشر "القاموس المحيط للفيروزآبادي في عام 1817، وهي أول طبعة لهذا المعجم المهم. وشرع في نشر "إخوان الصفا" ولكن لم يُكمل. ثم بدأ طبع "ألف ليلة وليلة" ولكنه تمكن من إصدار مجلدين فقط. ثم نشر تيرنر ماكان Turner Macan "ألف ليلة وليلة" كاملا في أربعة أجزاء في كلكتا عام 1839 و 1842. وهو أيضا توفي قبل إتمام الطبع فأشرف على طبعها ماكنجتن W.H. Mac-Naghten وتمت الطباعة. ومن الأساتذة الهنود في كلية ولیم، عبد الرحيم بن عبد الكريم الذي قام بنشر "المعلقات" مع شرح مستمد من شرح الزوزني.

وملخص القول، إن المستشرقين في كلية فورت ولیم قد قاموا بنشر وترويج اللغات الهندية وإحياء التراث العربي- الإسلامي تعليماً وتأليفاً ونشراً وطباعة. كما فعلوا في جميع أنحاء العالمين طريق إنشاء الجامعات والمكتبات والمتاحف والمطابع والمجلات والجمعيات، وأسهموا إسهاماً كبيراً ما بين الترتيب والتحقيق والتصنيف.

المراجع:

- د. أنور سدید: اردو ادب کی مختصر تاریخ (التاريخ الموجز للأدب الأردو)، ناٹیس برنتنغ بریس، صاحب آباد، یوپی، الہند، 2014م.
- د. أنور سدید: اردو ادب کی تحریکین (حركات الأدب الأردو)، 2004 م، کتابی دنیا، دہلی.
- د. جاوید نہال: بنغال اور اردو ادب (انیسویں صدی میں) (بنغال والأدب الأردی) فی القرن التاسع عشر، الطبعة الثانية، عثمانیة بکدبو، کلکتہ، 1984م
- د. عبیدہ بیکنم: فورت ولیم کالج کی ادبی خدمات (اسهامات ادبیة لکلیة فورت ولیم)، 1983م، آلہ آباد.
- د. سلیم اختر: اردو ادب کی مختصر ترین تاریخ، آغاز سی 2000 تک، (تاریخ موجز للأدب الأردو من البداية حتى 2000م) 2005م، کتابی دنیا، دہلی.
- د. محمد عارف عمری: اسلام اور مستشرقین، حصہ ہفتم (الإسلام والمستشرقون، الجزء السابع) 2013. دارالمصنفین شبلی اکیڈمی، أعظم غره.
- سمیع اللہ، فورت ولیم کالج، فیض آباد، الہند، ط.1، 1989م.
- سید ابوالحسن علی ندوی: اسلامیات اور مغربی مستشرقین ومسلمان مصنفین، ترجمة: مولوی سید سلمان ندوی، 2009، دار المصنفین شبلی اکیڈمی، أعظم غره.
- سید صباح الدین عبد الرحمن: اسلام اور مستشرقین، حصہ اول (الإسلام والمستشرقون، الجزء الأول) 2014. دارالمصنفین شبلی اکیڈمی، أعظم غره.

- سید صباح الدین عبد الرحمن: اسلام اور مستشرقین، حصہ سوم (الإسلام والمستشرقون، الجزء الثالث) 2012ء۔ دارالمصنفین شبلی اکیڈمی، اعظم غرہ۔
- سید صباح الدین عبد الرحمن: اسلام اور مستشرقین، حصہ دوم (الإسلام والمستشرقون، الجزء الثاني) 2011ء۔ دارالمصنفین شبلی اکیڈمی، اعظم غرہ۔
- ضیاء الدین /اصلاحی: اسلام اور مستشرقین، حصہ ششم (الإسلام والمستشرقون، الجزء السادس) 2012ء۔ دارالمصنفین شبلی اکیڈمی، اعظم غرہ۔
- عبد الرحمن برواز /اصلاحی: اسلام اور مستشرقین، حصہ چہارم (الإسلام والمستشرقون، الجزء الرابع) 2012ء۔ دارالمصنفین شبلی اکیڈمی، اعظم غرہ۔
- عبد الرحمن بدوی، موسوعة المستشرقین، ص 475، دارالعلم للملایین، بیروت، ط 3، 1993
- محمد عتیق صدیقی: غیلکرسٹ اور اسکا عہد (جیلکرسٹ وعہدہ)، انجمن ترقی اردو، نئی دہلی، 1979ء۔
- مولانا آزاد نیشنل اردو یونیورسیتی، حیدرآباد، الہند، اردو زبان وادب کی تاریخ (تاریخ اللغة الأردیة وأدابها)، الطبعة الأولى، 2005ء
- نجیب العقیقی، المستشرقون، الجزء الأول والثاني والثالث، دارالمعارف، القاهرة، 2006ء۔

عناية المستشرقين بـ "ألف ليلة وليلة": دراسة موضوعية

المقدمة

جالان بعد الحصول على أربعة مجلدات من الكتاب في المكتبة الوطنية بباريس ، بدأ ترجمتها عام 1704م وأكمل هذا المشروع بعام 1717م في 12 مجلدا. ومازالت النسخة التي استخدمها جالان للترجمة محفوظة في المكتبة نفسها. غير أن مجلدًا من تلك المجلدات الأربعة قد أكله الدهر مع مرور الزمن. قد فتحت مبادرات جالان النافذة الجديدة لإخوته المستشرقين الآخرين ، وعدد كبير منهم ، لا بأس به ، اهتموا بنقل النص العربي الأصلي مباشرة دون الاعتماد على ترجمة جالان، من خلال المقارنة بين النسخ المختلفة قدر الإمكان. و من الذين حذوا حذوه كان الاديب النمساوي فون هامر برغشتال (Von Hammer Purgstall) الذي ترجم قصصا لم تكن شاملة في ترجمة جالان، ثم ترجمها الأديب الألماني غوستاف ويل (Gustav Weil) بين عامي 1837م و1841م معتمدا على نسخة بولاق، كما ترجمها الأديب الألماني الآخر هاننغ عام 1896م معتمدا أيضا على نسخة بولاق المصرية بعد حذف الأشعار الواردة في هذه النسخة البولاقية .

ومما يجدر بالذكر أن شهرزاد، البطلة الرئيسية لـ "ألف ليلة وليلة" أو "الليالي العربية" تستهل حكاياتها وأساطيرها بالجملة "بلغني أيها الملك السعيد، ذو الرأي الرشيد..." وتخاطب الملك "شهریار". مع طوال الزمن لم تزل ولا تزال هذه الجملة حاضرة في ذاكرة الأمم الغربية و الشرقية. غير أن الكتاب المذكور أسهم في تشكيل الفكر الغربي نحو العرب بوجه خاص و الشرق بوجه عام، ولفت انتباههم إلى دراسة الشرق وطبائعه، كما وضع اللبنة الأولى لتأسيس علم "الاستشراق".

يعد الكتاب من أهم الأعمال التراثية التي تمثل جزءا من الموروث الثقافي والشعبي العربي، يحتوي حوالي 200 حكاية مع تخلل الأشعار حيناً فحيناً ، وامتزاج الواقع بالأساطير، و هذه الحكايات مستوحاة من التاريخ، والعادات،

¹ جامعة إيفلو- حيدر آباد

وأخبار الملوك، وعامة الناس، وقصص اللصوص، والجن، فضلاً عن قصص جاءت على ألسنة الحيوانات.

تضاربت الآراء بين النقاد عن صاحب الكتاب، فاستدل بعضهم، نظراً إلى أسلوب السرد المتبع في تأليفه، أنه عمل شارك فيه جماعة من المؤلفين في فترات زمنية مختلفة وربما في أماكن متعددة، بينما ذهب البعض إلى أن البناء الأساسي لتلك الحكايات يعتمد على ما يعرف بالألف خرافة الفارسية أو "هزارأفسانه"، ويميل البعض إلى أصوله الهندية¹¹.

المبحث الأول: رحلة المؤلفة إلى أوروبا

مع أن المؤلفة " ألف ليلة وليلة" طلعت من أكادس الغبار التاريخي في مستهل القرن الثامن عشر الميلادي لكنها سطعت في الافاق الأدبية العالمية مع غمزة العيون و لفتت فجأة أنظار الباحثين في الغرب و الشرق على حد سواء. والفضل لاكتشاف هذه المخطوطة الأسطورية يرجع إلى المستشرق الفرنسي الشهير أنطوان جالان. غير أن المؤلفة منذ اكتشافها لم تزل و لا تزال تحتل مكانة بارزة في الأوساط العلمية والأدبية و تسيطر على عقول الاجيال المتواصلة. و قد سبق بأن ترجمتها إلى اللغات الأجنبية بدأت في القرن الثامن عشر بداية من اللغة الفرنسية تحت عنوان "ألف ليلة وليلة: حكايات عربية" على يد المستشرق الفرنسي أنطوان جالان. و في أعقابها صدرت ترجمتها الإنجليزية الأولى سنة 1706م.

بيد أن النقاد اتهموا جالان بالخيانة في ترجمته ، ورأوا بأنه لم يترجم جميع الليالي، بل زاد عليها بعض القصص لا أصل لها في النص العربي و حذف بعضها، حتى تصرف في تعديل بعض النصوص لتقريبها إلى ذوق القاريء الفرنسي.

ووفقاً للكاتب الإنجليزي جون باين (John Payne) هناك بعض القصص المشهورة مثل "علاء الدين والمصباح السحري"، و"علي بابا والأربعون لصاً"،

¹¹ وائل جمال، بي بي سي نيوز عربي، 26 مارس/ آذار 2024م

و"رحلات السندباد البحري السبع"، لم تكن موجودة في ألف ليلة وليلة العربية، ولكنها أضيفت من قبل المترجم المذكور أعلاه¹.

رغم التصرفات المذكورة سيطرت ترجمة جالان على أذهان المجتمع الفرنسي و الأوروبي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من الميلاد وظلت المصدر الوحيد لقصص ألف ليلة وليلة، بل المصدر الذي استفاد منه الدول الأوروبية الاخرى، وخرجت منه العديد من الترجمات في الإنجليزية والألمانية والإيطالية والإسبانية وغيرها من لغات دول أوروبا.

وعلى الرغم من نجاح ترجمة جالان في الأسواق الفرنسية واهتمام القراء بها قرابة قرنين، ظهرت ترجمة فرنسية أخرى أقرب إلى النص العربي دون حذف أو تصرف، عالجت كثيرا من العيوب التي وقعت في ترجمة جالان، وهي ترجمة الطبيب الفرنسي المستشرق جين شارل ماردروس Jean 1868-1949 (Charles Mardrus م). كان ماردروس من مواليد القاهرة عام 1868م، تعلم بها في مدارس الجزويت (Jesuit schools) قبل رحلته إلى باريس لدراسة الطب و انخرطه في وزارة الداخلية الفرنسية كمفتش الصحة، قضى مدة طويلة في الجزائر للعمل. و خلال قيامه فيها شغف بالأدب الشرقي. أسفر هذا الولع الشديد في جمعه العديد من المخطوطات الشرقية، وترجمة القرآن إلى اللغة الفرنسية، كما تجول ماردروس مع البعثات العلمية في الشرق الأوسط، وجاءت بترجمته لألف ليلة وليلة منضمًا إلى أشعارها و أمثالها بين الأعوام 1899-1904م في 16 مجلدا، قريبة إلى درجة عالية من النص الأصلي. وقد اعتر المترجم بأن ترجمته هي أدق وأكمل ترجمة حرفية للكتاب. و استقبلت الأوساط الفرنسية هذه الترجمة الجديدة استقبالا حسنا، ربما لأنها هي الأولى بعد ترجمة

¹John Payne, *Alaeddin and the Enchanted Lamp and Other Stories*, (London 1901) gives details of Galland's encounter with 'Hanna' in 1709 and of the discovery in the Bibliothèque Nationale, Paris of two Arabic manuscripts containing Aladdin and two more of the added tales. Text of "Alaeddin and the enchanted lamp" September 2017.

نسخة محفوظة على موقع وای باک مشین

جالان. و هذه هي الترجمة التي اعتمد عليها الكثير من الأدباء الفرنسيين الذين عاصروا صدورهما وما بعده، ومنهم أندريه جيد (Andre Gide) ومارسيل بروس (Marcel Proust) وأهدى ماردروس هذه الترجمة إلى لرموز الأدب الفرنسي المعاصر مثل ستيفان مالارميه (Stephane Mallarme) الشاعر الفرنسي المشهور، وبول فاليري، وريي دي جورمون، وأناتول فرانس (Paul Valéry, Remy de Gourmont and Anatole France).

سافرت المؤلفة من اللغة الفرنسية إلى اللغة الإنجليزية و اعترف الباحث الإنجليزي تونسن (Rev. Geo Fyler Townsend) أن " هذه القصص مهدت طريقها إلى القراء الإنجليز عن طريقة ترجمة جالان و الذي كان أستاذ الأدب العربي في الكلية الملكية بباريس، و ترجمت من الفرنسية إلى الإنجليزية بفضل جهود الباحث- جونثان سكوت (Jonathan Scott) ، أستاذ الدراسات الشرقية بكلية الدراسات الشرقية الهندية ، وذلك بتشجيع من صديقه أستاذ الدراسات العربية في جامعة أكسفورد الدكتور وايت (Dr.White). لقد شهد مطلع القرن التاسع عشر الميلادي وتحديدا عام 1811م ظهور ترجمة هذه القصص من الفرنسية إلى الإنجليزية لجونثان سكوت ، وتبعه هنري تورنز (Henry Torrens) مع ترجمته عام 1838م، حتى أنتج المستشرق إدوارد وليام لين (Edward William Lane) ترجمته الإنجليزية معتمدا على النص العربي خلال الفترة بين الأعوام 1839 - 1841م، والتي اعتبرها النقاد أفضل التراجم وأقربها إلى النص الأصلي بفضل درايته ومعايشته مع المجتمع العربي في تلك الفترة"¹.

وعلق الباحث المعروف عبدالرحمن بدوي في كتابه "موسوعة المستشرقين" على الترجمة التي قام بها (لين) قائلا: "وفي الفترة من 1838 إلى 1840م عني (لين) بنشر ترجمة إنجليزية لكتاب "ألف ليلة وليلة" فجاءت ترجمة دقيقة جدا، وقد خلت من عيوب الترجمات الأوروبية السابقة وعلى رأسها

¹Townsend, Preface Arabian Nights' Entertainments, P.6

ترجمة جالان إلى الفرنسية، وقد زود (لين) ترجمته بتعليقات تتناول حياة وصفات الشخصيات الواردة في كل فصل مما يكون دائرة عربية وافية¹.
"و لولا أهمية إسهام ادوارد وليم لين لما كان بالغ التأثير على الكتابات التي ظهرت خلال تلك الفترة ، وخاصة تلك التي جاء بها هاترسلي و باجون وآخرون من أبرز كتاب العصر الفيكتوري"².

وأخيرا ليس بآخر عرض الناشر البريطاني جوناثان كيب (Jonathan Cape) في عام 1923م، على المغامر المعروف ت. إي. لورانس (T. E. Lawrence) ، المشهور بلورانس العرب، أن يقوم بترجمة نص ماردروس الفرنسي إلى اللغة الإنجليزية، فوافق لورانس على ذلك ولكن المشروع لم يتحقق، وأكمل المشروع بعد ذلك باويز ماترز (Bowies Matters).

ومن المستشرقين الألمان الذين سبقوا كان فون هامر برغشتال من نمسا الذي ترجم قصصا لم تحتوئها ترجمة جالان، وتالاندر جاء بترجمته عن اللغة الفرنسية بعام 1710م ، قدم فردريش روكرت (Friedrich Ruckert) العديد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع مثل "مباهج وتأملات شرقية" و"سبعة كتب وأساطير وحكايات من الشرق" وغيرها .

مع أن الترجمات الأدبية في اللغة الألمانية بدأت منذ عام 1825م على يد المُستشرق ماكسيميليان هابشت (Max Habicht) ، وغوستاف فايل (Gustav Weil) بين 1837م و 1841م ، وهننج (Henning) بين الأعوام 1895-1899م في 24 مجلدًا، ولكن ترجمة المستشرق إينو ليتمان (Enno Littmann) كانت كاملة. لقد استفاد ليتمان في ترجمته عن طبعة كلكتا الثانية و استعان بنصوص ريتشارد بيرتون (Richard Burton). و مما يخص بالذكر بأنه ترجم أبيات قبيحة إلى اللاتينية بدلا من الألمانية القديمة. وقد ظلت ترجمته مقبولة في الأوساط الألمانية إلى صدور ترجمة ألمانية جديدة عرضت في معرض فرانكفورت للكتاب 2004م بمناسبة احتفاء المعرض بالثقافة العربية. على كل

¹ بدوي عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ص: 524

² الموسوي، محمد جاسم، الاتجاهات الحديثة في دراسة ألف ليلة و ليلة، الأقلام، العدد السابع، ص: 83

، اعتمد المترجمون الألمان في ترجماتهم في النصف الأول من القرن التاسع عشر إما على نسخة كلكتا العربية أو على نسخة بولاق المصرية.

وفي إيطاليا، قام فرانيسكو جابرييل (Francesco Gabriella) بالإشراف على ترجمة ألف ليلة وليلة المبنية على طبعة بولاق وطبعة كلكتا الثانية. و حسب اعترافات الباحثة مكارم الغمري في مقالها المعنونة " مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي " المطبوعة في سلسلة المعرفة ، قد أثرت قصص ألف ليلة و ليلة المثقفين الروس لأنهم وجدوا فيها مرجعا لجوانب من الحياة العربية، وهي أثارت خيال الشعراء الأوروبيين بعامة والرومانتيكيين بخاصة ومنهم الشاعر بوشكين. فأول من قام بترجمة ألف ليلة وليلة كان م. أ. ساليير (M.A.Salier)، وظهرت ترجمته خلال الأعوام 1929-1933م، عن دار النشر "أكاديميا" تحت رعاية مكسيم جوركي (Maxim Gorky) الذي أقام هذه الدار الحكومية كي يوفر للأدباء والمترجمين الروس مجالا للنشر. و في اللغة الإسبانية اشتهرت ترجمة رافاييل كاسينوس - آسينس (Rafael Casinos - Assens) ومُعلم بورخيس- الكاتب الأرجنتيني (Borges' teacher) وجوان فيرنيت (Juan Vernet) .

وبالاختصار يمكن لنا القول بأن الكتاب ترجم إلى معظم اللغات الأوروبية الحديثة مباشرة أو غير مباشرة ولكن الفضل لانتشاره وتشهيره يرجع إلى جالان المستشرق الفرنسي. أما العرب فانهم تغافلوا عنه طوال قرون. ولقد وصف المسعودي صاحب "مروج الذهب" بوصفه سمرا من النوع الرخيص، وأطلق عليه ابن النديم صاحب "الفهرست" بأنه " غث بارد الحديث" مع انه إدعى بأنه رأى الكتاب بتمامه باللغة العربية، في عدة مجلدات . و مما لا شك فيه بأن الالتفات الحقيقي إلى هذا الكتاب بدأ مع رسالة الدكتوراه، التي تقدمت بها سهير القلماوي إلى كلية الآداب جامعة القاهرة، بتشجيع من طه حسين عام 1941م وهي أول دراسة فاحصة و مقنعة باللغة العربية حول هذه المؤلفة ، و في وقت لاحق سار على خطواتها جماعة من الأدباء مثل الدكتور عبد الحميد يونس وأحمد رشدي صالح وفوزي العنتيل وفاروق خورشيد وآخرين. و في الوقت الحالي لمع هذا الكتاب من جديد على آفاق سماء الأدب بفضل مجهودات المترجم والناقد الأدبي المصري السيد إمام الذي نقل

الكتاب الإنجليزي The Arabian Nights Encyclopaedia إلى العربية تحت عنوان " موسوعة الليالي العربية" في مجلدين ضخمين مع مقدمته الضافية. حرره باللغة الإنجليزية أولريش مارزوف، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة جورج أوغست، في غونتين- ألمانيا، وريتشارد فان ليفن، أستاذ مساعد في قسم الدراسات الدينية بجامعة امستردام. و هذه الموسوعة صدرت عن المركز القومي للترجمة في القاهرة عام 2004م.

المبحث الثاني: أصول الكتاب

كما سبق بأن الآراء عن جذور هذا الكتاب تضاربت بين الأدباء و الباحثين الذين قارنوا نسخ متفرقة للوصول إلى أقدمها. وقد أشار المؤرخون إلى أن أهم طبعة للكتاب هي طبعة بولاق المصرية التي اعتمد عليها الأدباء أكثر من النسخة الهندية المطبوعة من كلكتا.

وقد ذكر جالان في ترجمته أن الكتاب من أصول هندية مستدلا من بيانات فون هامر النمساوي الذي أشار إلى عبارة وردت في "مروج الذهب" للمسعودي في الجزء الرابع و هي تنص على أنه هناك كتاب مترجم عن الفارسية باسم "ألف ليلة" (وليس ألف ليلة وليلة) وكان هذا الكتاب معروفا في القرن الرابع الهجري .

والمسعودي قد وصف الكتاب قائلاً: "هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب من الملوك برواياتها، وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة إلينا من الفارسية والهندية والرومية، ومن رواية أخرى الفهلوية بدل الهندية مثل كتاب هزارةأفسانه وتفسير ذلك بالفارسية خرافة، ويقال لها أفسانه والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة، وهو خبر الملك والوزير و ابنته و جاريتها و هما شهرزاد و دنيازاد¹ .

كما ورد ذكره في كتاب "الفهرست" لمحمد بن اسحق بن النديم في الجزء الثامن عند كلامه عن الخرافات. ومن أهم ما جاء في النص أن الكتاب المعنون بـ "هزارةأفسانه" كان البذرة الأولى في كتابة الخرافات، ومتصفا بجميع الصفات من حيث المقدمة وطريقة السرد بصفات ألف ليلة وليلة² .

¹ المسعودي، مروج الذهب ج/4، ص: 89-90

² ابن النديم، الفهرست ج/8 صص: 422-423

ويشير جورجى زيدان، في دراسة عن الأدب العربي، في معرض حديثه عن القصص المنقولة إلى كتاب ألف ليلة وليلة، بعد الإحالة إلى ما ذكره المسعودي وابن النديم عن الكتاب، إلى أن الكتاب "نما بعد ذلك بدليل ذكر القهوة فيه، وذكر بعض الممالك، وأن الكتاب تم تأليفه على الصورة التي وصلت إلينا بعد القرن العاشر للهجرة على أرجح التقديرات"¹.

غير أن المستشرق الفرنسي سلفستر دي سامي (1758-1838م) يرى أن ألف ليلة وليلة لم يكتبه فرد واحد، وسعى إلى إثبات أنه ألف في عهد متأخر، رافضاً القول بوجود عناصر هندية وفارسية فيه، معارضاً بذلك ما ذكره المسعودي صاحب كتاب "مروج الذهب".

والأدبية المصرية البارزة سهير القلماوي أكدت في رسالتها الدكتوراه حول هذه المؤلفات، على أن الحكايات في "ألف ليلة وليلة"، هي عربية الأصل، لكن القلماوي لم تكن منغلقة تماماً في هذا الأمر، على عكس ما فعل ويفعل العديد من الكتاب العرب، إذ أشارت إلى أن "ألف ليلة وليلة"، تشبه الحضارة العربية نفسها، في كونها التقت وتجاوزت ونهلت من إبداعات وثقافات أخرى، أضيفت إلى التراث العربي، ولعل هذه الصفة من الصفات الأخرى التي ميزت كتاب القلماوي.

مع أن الباحثين قد اختلفوا في نسبة مصدر تلك الحكايات التي أنتجت تلك الروائع الخالدة، ما بين الهند، وفارس، والصين وبلاد العرب، وغير ذلك، لكنهم اتفقوا بصورة عامة، على نسبتها إلى الشرق².

والعلامة العراقي محسن مهدي بعد استغراق أكثر من عشرين عاماً في نسخة مجهولة لـ "ألف ليلة وليلة" جاء بطبعة منقحة للكتاب تحت عنوان "ألف ليلة وليلة من أصوله العربية الأولى". في هذا العمل راجع العلامة النسخ الخطية و المطبوعة من جميع النواحي الأدبية بداية من أقدم طبعة للكتاب وهي طبعة كلكتا التي نشرها الشيخ شيرواني اليماني بجزأين بين الأعوام 1814 - 1818م وحملت عنوان "حكايات مائة ليلة من ألف ليلة وليلة". كما عثر على

¹ راجع للتفصيل وائل جمال، بي بي سي نيز عربي، ألف ليلة وليلة: الجذور التاريخية للكتاب الأكثر سحراً في الشرق والغرب، ص: 26 عام 2024م

² سهير القلماوي، الكتاب الأول - ألف ليلة وليلة، صص: 2-67

نسخة خطية في مكتبة المكتب الهندي بلندن التي قد جلبها طبيب إنجليزي من حلب عام 1750م والطبعة الأوروبية (طبعة برسلاو) المنشورة عام 1824م وطبعة بولاق الأولى بثمانية أجزاء والمنشورة عام 1835م بإشراف مكسيميليان هابشت و غيرها.

يقول مهدي في مقدمة الكتاب: "لا يخفى أن مؤلف ألف ليلة وليلة شخص عربي اللسان من أهل العراق. وكان غرضه من تأليف هذا الكتاب أن يقرأه من يرغب في أن يتحدث بالعربية فتحصل له من قراءته طلاقة في اللسان عند التحدث بها. ولهذا كتب بعبارات سهلة كما يتحدث بها العرب، مستعملاً في بعض المواضع ألفاظاً ملحونة بحسب كلام العرب الدارج. ولذلك فلا يظن من يتصفح هذا الكتاب ويجد ألفاظاً ملحونة في مواضع منه أنها غفلة من المصحح، وإنما وضعت عمداً تلك الألفاظ التي قصد المؤلف استعمالها كما هي¹".

ومما يجدر بالذكر أن ماكدونالد قسم القصص في ألف ليلة وليلة إلى قصص هندية مثل قصة التاجر و العفريت و الجمال و الصعاليك الثلاثة و الاحدب، وقصص هندية فارسية مثل الحصان المسحور التي وردت فيها أسماء فارسية مثل سابور و أعياذ فارسية مثل النيروز، وقصة حسن البصري وحكاية سيف الملوك وقمر الزمان والأميرة بدور وحياة النفوس، وقصص بغدادية قصة هارون الرشيد وحكاية أبي حسن والنائم اليقظان، وقصص مصرية مثل حكايات الصعاليك و غيرها².

المبحث الثالث: طبيعة المؤلف

وافق الأدباء العرب والأوروبيين على حد سواء على طبيعة هذه المؤلفات بأنها تمثل الثقافة العربية الإسلامية بوجه عام و الثقافة العراقية و المصرية بوجه خاص، تم تأليفها لإصلاح المجتمع و تهذيبه بأسلوب سخي هزلي . يتجلى من النصوص بأن جماعة المؤلفين مجهولة الهوية بذلوا من خلال الحكايات جهودهم القصوى لإصلاح الملوك و أبنائهم و بالأحرى الملوك الذين

¹ محسن مهدي، مقدمة الف ليلة و ليلة من أصوله العربية، بريل للنشر، لندن، عام 1984م

² أشرف سعد نخلة، عرض كتاب استلهامات ألف ليلة وليلة في الشرق والغرب لآحمد سويلم، مجلة " الثقافة الشعبية، العدد: 35

فقدوا بلدانهم أو انهزموا على أيد الأعداء بسبب آرائهم الخاطئة و اغتارهم بما ملكوا من أموال و جواهر ورعايا . كما سعى هؤلاء المؤلفون لإصلاح الوزراء و الرؤساء و الرجال ذوي الاختصاص العالي لإبعادهم من الفساد الإداري . تهدف هذه الحكايات أيضا إلى إصلاح الرعية العامة.

في هذه الحكايات يتجول المؤلفون في الأسواق، يجتمعون بالتجار الأغنياء المحظوظين الذين يربحون كثيرا من أعمالهم، و يلتقون التجار المفلسين الذين وقعوا في الخسران لضلوعهم في حب الجاريات الحسناء أو النساء الفاتنات أو لوقوعهم في الاغترار النفسي. و نهائيا، ينصح النوع البشري للإبعاد عن المرأة لأنها هي سبب رئيسي لجميع المصائب والآفات .

في تحديد طبيعة المؤلفة قسمت الدكتورة سهير القلماوي موضوعات الليالي في رسالتها البحثية إلى عدة أقسام و منها الليالي التي تمثل الخوارق مثلا كثرة السحرة ووجود الجن والعفاريت و الصراع بين خيرهم وشرهم، والليالي التي تصور معتقدات دينية متعلقة بالإسلام واليهودية والمسيحية والمجوس وعبدة الشمس، والليالي التي ترمز إلى قضايا خلقية مثل صورة التجار واتصالهم بالحكام من جهة وبطبقة الفقراء من جهة أخرى وقضية البخل و الثراء في المجتمع البشري، والليالي التي تعكس الحياة الاجتماعية مثلا يتنكر الخليفة هارون الرشيد في زي تاجر ويتعسس على رعاياه ليعلم مشاكلهم والليالي التي تقدم صورة الشطار والعيارين والأعياد والأفراح في مصر، و الليالي المربوطة بالأحداث التاريخية ، و الليالي عن الموضوعات التعليمية الهادفة إلى معرفة الإنسان على حياته وظروفه الطبيعية وعاداته وتقاليده المتوارثة و الليالي المتعلقة بالمرأة و خداعها¹.

المبحث الرابع: رغبة الغرب في التراث الشرقي

قبل إطلاع الغرب على هذه المؤلفة الساحرة كانت العلاقات بين الغرب و الشرق و بالتحديد بين الغرب و الوطن العربي مقصورة على التجارة محضة، و لكن ظهورها لفت عناية المثقفين والأدباء من الغرب وأجبرهم على مشاهدة هذه المنطقة الخصبة، الحافلة بالتراث الأدبي الغني والثقافة الزاهرة،

¹ سهير القلماوي، ألف ليلة و ليلة - الكتاب الثالث ، صص:122-295

فانهم شدوا أزرهم نحو هذه الأراضي لمعرفة بصورة دقيقة. و بالنتيجة تضاعفت الرحلات الغربية التي دفعت عجلة الترجمات العديدة للمؤلفة مثل "تكملة ألف ليلة وليلة"، للأديب الفرنسي غازوت و"ليال ملحقة بألف ليلة وليلة" في سبعة أجزاء للأديب الإنجليزي بورتون.

ويشير المؤرخ الفرنسي جون ماري كاريه في دراسته "رحالة وكتاب فرنسيون في مصر" عام 1933م إلى مذكرات كتبها أدباء فرنسيون أمثال الشاعر تيوفيل غوتييه، والشاعر جيرار دو نرفال، داعبتهما زيارة مدينة ألف ليلة وليلة (القاهرة)، وبلدان الشرق. و لا شك فيه بأن ألف ليلة وليلة، مضافاً إلى فتح الأبواب للتبادل الثقافي بين الشرق والغرب، أسس اللبنة الأولى للأدب الخيالي ووضع الأسس الجديدة للأسلوب السرد في كتابة الرواية، و نهض بدور كبير في إذكاء شغف الأوروبيين والتطلع إلى معرفة الناس في الشرق الذين أنتجوا هذا الأثر الأدبي الفريد.

المبحث الخامس: تأثير الكتاب في الأدب الغرب و الثقافة الغربية
إضافة إلى السينما والتلفزيون والموسيقى والفنون التشكيلية أثار الكتاب في اللغات الأجنبية المختلفة مثل الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والألمانية وغيرها، كما أثرت حكاياته على الإبداعات العالمية بشكل قوي في حقول الأدب والشعر والفن والمسرح¹.

تأثر الأدباء الفرنسيون بقصص ألف ليلة وليلة منذ ظهورها عام 1704م، ساعدت على إزالة سوء فهمهم عن العرب والإسلام، وسببت فيهم الولع الشديد لمعرفة العرب و الذي بلغ ذروته بغزوة نابليون على مصر عام 1798م، و خاصة جماعة من العلماء والدارسين الذين كانوا برفقة نابليون لم يجدوا مفراً عنها ، و كان منهم الأديب الفرنسي فولتير الذي تأثر في قصته "الصيديق"، واتضح تأثير حكاية ألف ليلة وليلة في المقالة التي كتبها ت. ه. هكسلي (T. H. Huxley) عام 1881م بعنوان "أسلوب الصيديق: التنبؤ الاسترجاعي كوظيفة علمية". و بفضل تأثير الكتاب البالغ في ذاته صرح

¹ محمود شاهين، ألف ليلة وليلة.. محرك الاستشراق الفني وميدان أساطيره، مجلة البيان، أكتوبر 2024م.

فولتير بأنه لم يتمكن من كتابة فن القصة كتابة جيدة وبناءة إلا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة. وأيد الأديب الفرنسي الآخر فلوبيير آراء فولتير بأنه لم يصبح قاصاً إلا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة. بينما تمنى ستندال لفقدان الذاكرة حتى يعيد قراءة حكايات ألف ليلة وليلة، واستمتع بها كما استمتع في أول مرة. وشيخ الاستشراق الفرنسي سلفستر دي ساسي صرح بأنه "يجب أن نعد العرب معلمين لنا في ابتكار الأحداث الشيقة، وفي العناية والاهتمام بالتنوع المستمر من خلال عالم الأساطير المتألق للسحرة والعجائب، ما يجعل العالم أكثر اتساعاً وثراءً، وينمي القوى الإنسانية، وينقلنا إلى آفاق الروعة، ويثير دهشتنا حيال المفاجآت."

و مع ترجمة "ألف ليلة وليلة" إلى اللغة الإنجليزية انعكس تأثيرها على الأدب والشعر الإنجليزي، فتأثر بها عدد من الشعراء الإنجليز، منهم والتر سكوت، واللورد بايرون، وتوماس مور، وجون كيتس، ويبدو هذا واضحاً في ديوان اللورد بايرون "حكايات شرقية" وهو ديوان الشعر الرومانسي. و إدعى الشاعر أحمد سويلم في كتابه "استلهامات ألف ليلة وليلة في الشرق والغرب" بأن الكاتبة ج.ك.رولينج لسلسلة هاري بوتر استفادت من أفكار السحر والخوارق التي جاءت في ألف ليلة وفي أدب الشرق واليونان و صاغت بصياغة عصرية، و استدلت الشاعر من الأمثلة الواردة في السلسلة مثلاً تطير السيارة المسحورة وتعبر البحر مثل البساط السحري في الليالي، ووجود التنين والثعابين والوحوش ذات الرؤوس المتعددة مثلما جاء في الليالي تماماً من الحصان ذو الرأسين والثعابين ذات الرؤوس.

كما تأثر به عملاق الأدب الألماني جيتة ، وظهر هذا التأثير في ديوانه الشرقي. و مضافاً إليه تجلّى تأثير هذا الكتاب في كتابة أدباء اللغة الألمانية الآخرين مثل هنريش هايني وتوماس مان وريلكة (Heinrich Heine, Thomas Mann, Rilke) وغيرهم كثير .

و الملحمة الإيطالية "الديكاميرون" لجوفاني بوكاتشو (1313 – 1375 م) ألقت في ضوء "ألف ليلة وليلة" وهي تسمية محرفة لـ "عشرة أيام" باليونانية، والتي تدل على ارتباطه الوثيق باللغة اليونانية. و تجلّى تأثيره في الروائي المشهور

الإيطالي ألبرتو مورافيا (Alberto Moravia) والروائي الشاعر السينمائي باولو بازوليني (Paolo Pasolini) .

أما بالنسبة للغة الإسبانية، فالأمر يعود إلى ما قبل طبعة جالان، حيث كانت القصص تروى شفاهة منذ الوجود العربي والإسلامي فيها، إلى حد ظهور قصصها في كتب باللغة الإسبانية في مهبها الأول. فتأثر به شاعر غرناطة الأندلسي جرسيه لوركا (Lorca jersey) في شعره، وسرفانتس (Cervantes) في قصصه دون كيشوت (Don Quixote) و معاصره المسرحي الكبير لوبي دي فيجا (Lope de Vega: 1562-1635) في مسرحيته المعروفة "الصبيبة تيودور" (Theodore Boy) مماثلة تمامًا لحكاية "الجارية تودد" في ألف ليلة وليلة. وهذا دليل واضح على ذبوع قصص ألف ليلة في إسبانيا منذ القدم.

وفي أمريكا اللاتينية تأثر الروائي الكولومبي المشهور جابرييل جرسيه ماركيثز (Gabriel Jersey Marquez) صاحب الرواية الخالدة "مائة عام من العزلة" بعالم الخيال وطرق التفكير المسماة بالواقعية السحرية. و اعترف في سيرته الذاتية بأنه قرأ ألف ليلة وليلة في سنه المبكر ودهش بأن الجن يخرج من الزجاجات أو أن الأبواب تُفتح بكلمة سحرية. كما اعترف بأنه وجد كتابا مهملا بعنوان "ألف ليلة وليلة" في مكتبة جده، كانت أوراقه صفراء، تكاد تتمزق من فرط قدمه، ولم يتمكن من أن يكون أديبا إلا أن سحرته حكاياته .

ورواية الخمينيائي للكاتب البرازيلي باولو كويلو من أشهر الروايات العالمية التي قد أحدثت ضجة كبرى، نقلها إلى العربية الأديب الكبير بهاء طاهر. تدور أحداث الرواية حول حكاية مستمدة من "ألف ليلة وليلة"، وتحديدا الليلة الحادية والخمسين بعد الثلاثمائة، وتتحدث عن قصة الراعي الإسباني الشاب سنتياجو الذي كان يبحث عن كنز مدفون في الأهرامات بمصر في منامه . وهي تتماثل قصة حكاية إفلاس رجل من بغداد يبحث عن كنز في مصر في حلمه.

ومما يذكر أن الشيلي العظيم بابلو نيرودا (Pablo Neruda) من جمهورية تشيلي كان يكتب في أول عهده مقالاته وقصائده في جريدة تسمى "علي بابا". واعتنى بهذا الكتاب الأديب الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس (Jorge Luis Borges 1899-1986) الذي تحدث عنه في كتبه ومحاضراته. ويقال بأنه لم

يسافر إلى مكانٍ لقضاء بعض الأوقات إلا أن يحمل معه مجلدات ألف ليلة وليلة ترجمها ريتشارد بيرتون في 17 جزءاً. قد تعلم بورخيس اللغة الإنجليزية قبل أن يتعلم الأسبانية. أما العربية فهو تعلمها أثناء قيامه في أوروبا، و بعد عودته منها استفاد من مكتبة والده حيث وجد نسخة "ألف ليلة وليلة" بين الكتب الأخرى الكثيرة. فموضوعات قصصه مستمدة من مصادر عربية و خاصة "ألف ليلة وليلة"، وكتب الأخبار العربية وتاريخ الإسلام.

وأكد أمبرتو إيكو أن الروايات الكبرى في الثقافة الغربية من "دون كيشوت" رواية إسبانية للكاتب الإسباني ميكايل دي سرفانتي إلى "الحرب والسلام" رواية تاريخية لليو تولستائي ومن "موبي ديك" رواية للكاتب الأمريكي هرمان ميلويل إلى "الدكتور فاولست" ومسرحية للكاتب البريطاني كريستوفر مارلو كتبت بتأثير من "ألف ليلة وليلة".

كمثل الأدب تأثرت به الشاشة البيضاء السينمائية العالمية و عرضت عليها الافلام المبنية على قصص علاء الدين والسندباد البحري وعلي بابا ولص بغداد في الأربعينيات من القرن العشرين. و احتلت حكايات هذا الكتاب مكانا مرموقا في مجال المسرح الأوروبي، فظهرت مسرحيات في تشيكوسلوفاكيا وألمانيا والاتحاد السوفياتي مجسدة حكايات ألف ليلة وليلة، كما تم تمثيل علاء الدين في أعمال والت ديزني الأمريكية وفي عطيل لشكسبير، فهي تتشابه مع حكاية "قمر الزمان ومعشوقته" في ألف ليلة و ليلة. و مع غزوة نابليون على مصر دخل الفنانون الفرنسيون فيها و رسموا لوحات مدهشة لمصرتصور جوها و قيمها الجمالية، والفنان العالى بابلو بيكاسو رسم لوحة الشهيرة "الديك الشرقى" ، كما قدمت الحملة الفرنسية كتاب "وصف مصر" في 10 مجلدات يحتوي 974 لوحة تمثل مشاهد "سوق العبيد" في القاهرة ومساجدها الجميلة، و كان من بينهم الفنان جان ليون جروم.

نتائج جلية

في ضوء مما سبق يمكن الوصول إلى النتائج الرئيسية التالية:

➤ مع ان المؤرخين المتقدمين العرب مثل المسعودي و ابن النديم أشاروا إلى وجود هذه المؤلفة الرائعة في مؤلفاتهم و لكنهم لم يعتنوا بها عناية تستحقها هذه المؤلفة.

- إن العرب حافظوا على نسخها الخطية الموجودة في المكتبات العالمية المختلفة منضمًا إلى نسخها في كلكتا من كوارث و نكبات الدهر.
 - يرجع الفضل إلى المستشرق الفرنسي انطوان جالان لتعريفها في الأوساط الأدبية العالمية من خلال ترجمتها إلى اللغة الفرنسية ونشرها في بداية القرن الثامن عشر من الميلاد.
 - كما يرجع الفضل إلى الدكتورة سهير القلماوي لحل هذه العقدة و تعميمها في العالم العربي الحديث من خلال رسالتها البحثية تحت إشراف الدكتور طه حسين.
 - ارتحلت هذه المؤلفة من اللغة الفرنسية إلى اللغات الغربية و الشرقية من خلال الترجمة و التلخيص و التعليق و التعقيد.
 - ذهب المؤرخون و الأدباء في تحديد أصول حكايات ألف ليلة و ليلة إلى مذاهب شتى و لكنهم اتفقوا على أنها من التراث الشرقي.
 - أثرت هذه المؤلفة في جميع الأنواع من الأدب العالمي شرقا و غربا، و المسرحيات و الأفلام ، والفنون التشكيلية مثل اللوحات، و الرسوم، و الرقص، و الموسيقى .
 - كما أثرت المؤلفة في عباقرة الأدب و الفن عبر القارات السبع العالمية، و يتجلى هذا التأثير في إبداعاتهم الأدبية و الفنية.
 - الحكايات الواردة في المؤلفة تنتهي إلى الوطن العربي، و الفارس و الهند، كما هي منسوبة إلى مدن عربية مختلفة مثل القاهرة و بغداد و دمشق.
 - تم تأليفها في أزمان و أماكن مختلفة من قبل جماعة المؤلفين مجهولة الهوية، و لا يمكن تحديد عدد حكاياتها إذ أنها تختلف من نسخة إلى نسخة .
- المصادر و المراجع
1. أحمد إبراهيم الشريف، ألف ليلة وليلة.. كيف سحرت العالم؟.. تاريخ استلهام الغرب لليالى العربية.. من قصص الديكاميرون لرواية الخميائي أثر الحكايات لا يزول.. جوته وتولستوى وماركيز وقعوا في غرام الشرق.. ومسلسل جودر يعيد "الخيال" لمكانته، مجلة "اليوم السابع" أبريل 2024 م.
 2. أحمد سويلم - استلهامات ألف ليلة وليلة في الشرق والغرب - سلسلة الدراسات الشعبية عدد 168 الهيئة العامة لقصور الثقافة المصرية - يناير 2016م.

3. أشرف سعد نخلة، عرض كتاب استلهامات ألف ليلة وليلة في الشرق والغرب لـاحمد سويلم، مجلة " الثقافة الشعبية، العدد: 35
4. ألفت إدلبي، نظرة في أدبنا الشرقي، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق عام 1974م.
5. الموسوي، محمد جاسم، الاتجاهات الحديثة في دراسة ألف ليلة وليلة، مجلة الأقلام، العدد السابع،
6. بدوي عبد الرحمن، موسوعة المشتشرقين، ط/3، دار العلم للملايين، بيروت، عام 1993م.
7. سبير القلماوي، ألف ليلة وليلة، دار المعارف – القاهرة، عام 1959م
8. محسن مهدي، ألف ليلة وليلة من أصوله العربية، بريل للنشر، لندن، عام 1984م.
9. محمود شاهين، ألف ليلة وليلة.. محرك الاستشراق الفني وميدان أساطيره، مجلة البيان، أكتوبر 2024م.
10. وائل جمال، بي بي سي نيوز عربي، 26 مارس/ آذار 2024م
11. Preface, The Arabian Nights' Entertainments, Frederick Warne & Co. London

دراسة لترجمة (محمد مارمادوك) بكتال لمعاني القرآن الكريم

مدخل

تعد ترجمة القرآن الكريم إلى الإنجليزية أداة فعالة تسهم في تعزيز فهم النصوص الإسلامية لدى جمهور غير ناطق بالعربية. تسهم الترجمات الدقيقة في توفير نافذة لفهم أعمق للمبادئ والقيم التي يحملها القرآن الكريم. تعد ترجمات القرآن الكريم إلى الإنجليزية من المواضيع الشائكة والمهمة في دراسة النصوص الدينية وتبادل الثقافات. ومع تزايد الاهتمام العالمي بالإسلام والبحث في تعاليمه في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي، اجتهد فيها المترجمون الغربيون من المستشرقين الأوروبيين. فظهرت منهم ترجمات عديدة وفيرة في الإنجليزية وفي اللغات الأوروبية وأكثرها متحيزة لأغراضهم السيئة، ألا وهي تشويه صورة الإسلام وإبعاد بني جلدتهم من رسالة محمد ﷺ وإثارة شبهات حول هذا الدين. وفي جانب آخر ظهرت ترجمات إنجليزية من المسلمين أيضاً، ولكن ظلت تساؤلات حول كيفية نقل الروح الدينية والمعاني العميقة للقرآن في ظل التحديات اللغوية والثقافية التي تواجه هؤلاء المترجمين.

من هنا، تبرز ترجمة محمد مارمادوك بكتال (Marmaduke Pickthall)، بريطاني الأصل الذي اعتنق الإسلام، كأحد الأعمال البارزة في هذا المجال، حيث قدم عملاً يتسم بالدقة والالتزام بأصالة النص العربي. أنجز بكتال هذا العمل الجليل أثناء إقامته في الهند. وكان جل اهتمامه مرتكزاً على تقديم فهم عميق وموثوق لمعاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية الأصيلة. وأنجز إلى حد كبير في تعزيز التواصل بين الثقافات ونقل المعاني والتفسيرات القرآنية الأساسية المقاربة للأصل العربي إلى الناطقين بالإنجليزية الأقحاح. إن أهمية هذه الترجمات لا تقتصر على تبادل المعرفة، بل تتجاوز كيتكون جسراً للتفاهم والتعايش بين الأديان والثقافات المختلفة، مما يجعل دراسة هذه الترجمات وتحليلها أمراً ذا أهمية كبيرة في السياق العالمي المعاصر.

¹ الأستاذ المشارك، جامعة دهملي، الهند

موجزٌ عن حياة محمد مارمادوك بكتال

وُلد ويليام مارمادوك بكتالعام 1875 في لندنلأب أنجليكاني وأم إيرلندية فيأسرة مسيحية. أمضى سنواته الأولى في ريف سوفولك، بلندن. توفي والده وهو في سن الخامسة. فانتقل مع أسرته إلى مدينة لندن، مما أثر على نفسيته سلبيا. أُدخل بمدرسة هارو، حيث أظهر موهبةً كبيرةً في تعلم اللغات. وكان يتطلع إلى الحصول على وظيفة في وزارة الخارجية. ولكنه لم يفز بها. فسافر إلى فلسطين لتعلم اللغة العربية حيث أقام لمدة عامين بين العرب وأتقن العربية وتأثر بالشرق وشعوبه وأحب الإسلام. عاد إلى بريطانيا في عام 1896 وتزوج، ونال شهادة الماجستير في الصحافة واللغة الإنجليزية من جامعة كمبردج. وفي عام 1903 نشر روايته الشهيرة "لصياد سعيد" Said The Fisherman وهي مذكرة سفره الأول لفلسطين وما حولها، لاقت الرواية نجاحا كبيرا، ومن ثم توالى أعماله الأدبية التي عبرت عن أجواء الشرق، أو عن موطن طفولته في سوفولك. وفي عام 1907 زار مصر، ومن ثم جال في شمال مصر وجنوبها، ليخرج بمجموعة من القصص القصيرة ورواية "أبناء النيل". فأصبح معروفاً في الأوساط الثقافية والأدبية بصفته كاتباً وصحفيًا. سافر إلى تركيا في عام 1913 ونشر كتاباً بعنوان "مع الأتراك في زمن الحرب". وكتب مقالاتٍ حول الشرق الأوسط وانتقد سياسات بريطانيا تجاه الدولة العثمانية.

وأخيراً في 29 نوفمبر لعام 1917م، أعلن بكتال إسلامه في القدس بفلسطين بعد أن اقتنع بصدق هذا الدين. وأصبح اسمه بعد تحوله إلى الإسلام، "محمد مارمادوك بكتال". وهو قرار كان له تأثير عميق على حياته المهنية والشخصية. واستمر بكتال في العمل كصحفي وكاتب تنشر مقالاته الأدبية والتاريخية في المجلات الإنجليزية الصادرة في نيويورك ولندن، ولكنه أصبح مدافعاً عن الإسلام، ساعياً إلى تقديم صورة أكثر عدلاً ودقة عنه وإزالة سوء الفهم الذي كان يحيط بهذا الدين في الغرب.

نشأ بكتال في بيئة دينية محافظة في بريطانيا، ولكن منذ شبابه كان شغوفاً بالشرق وثقافته. وبفضل خلفيته الأدبية واهتمامه الكبير بالتاريخ والدين، وخاصة بعد زيارته المتكررة إلى العالم العربي وتركيا اتجه إلى البحث في

الإسلام. وأثارت هذه الزيارات شغفه لفهم الإسلام عن كثب، ورغبته في استكشاف الدين من منظور غير متحيز. ومنحته فرصة الاقتراب من الإسلام بتفهم وموضوعية، مما دفعه في النهاية إلى اعتناق الإسلام والعمل على تقديم صورة إيجابية عنه في الغرب.

وعلى الرغم من أن بكتال اعتنق الإسلام في وقت انهيار الخلافة العثمانية في تركيا، كان داعماً كبيراً لفكرة الخلافة الإسلامية. وفي عام 1920، سافر إلى الهند مع زوجته، وأقام في مدينة مومباي للعمل كمحرر لصحيفة "بومباي كرونكل"، حيث دافع عن استقلال الهند ورفض تقسيمها. واستمر في هذه الوظيفة إلى العام 1924م. وفي عام 1925، قَبِلَ عرضاً للعمل كمدير "المدرسة العالية جادر غات" بحيدرآباد. وفي عام 1927، تم تعيينه محرراً لمجلة إنجليزية "إسلاميك كالشر" "الثقافة الإسلامية"، وهي مجلة ربع سنوية كانت تُنشر تحت رعاية نظام حيدرآباد. ثم تم تكليف بكتال بمزيد من المهام الهامة للدولة. وأسندت إليه مسؤولية الإشراف على قسم إدارة المعلومات العامة وبيت الخدمات المدنية.

حصل بكتال على الدعم والمساعدة من نظام مير عثمان علي خان، حاكم حيدر آباد، التي كانت آنذاك المركز الثقافي الرئيسي في الهند. وفي عام 1928، حصل بكتال على إجازة لمدة عامين من نظام حيدر آباد ليتفرغ تمامًا لترجمة القرآن التي أكملها خلال مدة الإجازة وقدمها للنشر حتى طبعت ترجمته بعنوان The Meaning of the Glorious Qur'ân عام 1930م. وأثناء عمله استشار وراجع إلى العديد من العلماء في العالم الإسلامي. ولما أنهى عمل الترجمة، سافر إلى مصر عام 1929 للحصول على موافقة علماء الأزهر. وأقام في مصر لمدة ثلاثة أشهر، وعرض الترجمة على علمائها للنظر والمراجعة. وتم عمل الاستعراض والمراجعة والتطبيق بإشراف شيخ الأزهر العلامة الشيخ مصطفى المراغي. ولما تأكد المترجم من صحة الترجمة وموافقة العلماء على دقتها قدمها للنشر والطباعة.

وفي عام 1935م، عاد إلى بريطانيا ليقضي ما بقي من حياته، حيث توفي في 19 مايو عام 1936م، وكان عمره 61 سنة. ودفن في مقابر المسلمين في سُرّي في إنجلترا.¹

المستشرقون وأشهر ترجمات القرآن الكريم إلى الإنجليزية
تاريخ ترجمة القرآن الكريم إلى الإنجليزية مليئ بترجمات كثيرة قام بها المستشرقون. فظهرت أول ترجمة إنجليزية لمعاني القرآن عام 1664م قام بها أليكزندر روز (Alexander Rose) تحت عنوان "قرآن محمد" The Koran of Mahmet. كانت هذه الترجمة تعتمد على النص اللاتيني ولم تكن مباشرة من العربية. وقد شابها الكثير من التحريف والتشويه. هذه الترجمة بدأت تصدر في أجزاء منذ عام 1664م وطُبعت بالكامل في عام 1718م. قام روز بتحريف اسم النبي محمد ﷺ عمداً ليُصبح "Mahmet"، كما قدم محتويات خرافية ومنحازة تهم النبي بأنه مؤلف القرآن. ورغم أن هذه الترجمة تحمل طابعاً عدائياً وتفتقر إلى الدقة، كان المستشرقون يقدرونها تقديراً لأنها تُعتبر بداية لسلسلة الترجمات التي أتت بعدها.

ثم ظهرت ترجمة جورج سيل (George Sale) الشهيرة في عام 1734م التي تُعتبر أول ترجمة مباشرة من العربية إلى الإنجليزية، رغم أنها حملت نزعة عدائية تجاه الإسلام، كانت تتميز بدقة أكثر ونزاهة أكثر مقارنة بالترجمات السابقة. لم يهاجم الإسلام ورسوله بشكل مباشر، بل حاول التقليل من شأن القرآن ورسالة الإسلام من خلال التلاعب في الترجمة، وهو ما يراه بعض الباحثين المسلمين شكلاً من أشكال الدهاء والخبث.

وظهرت ترجمة إدوارد هنري بالمر Edward Henry Palmer التي صدرت من مطبعة أكسفورد عام 1880م. سعى بالمر إلى تقديم ترجمة أدبية تعكس الجمال اللغوي للقرآن. وقد تميزت ترجمته بمطابقة دقيقة للكلمات العربية مع الإنجليزية. رغم أن بالمر حاول التحرر من أفكار رادويلبي متاثراً بترجمة جورج سيل، ما أدى إلى تضيق آفاق التفسير القرآني وحصره في نطاق ضيق، على عكس الدعوة العامة للإنسانية التي يحملها القرآن.

مأخوذ من مقال أردي للدكتور سيد داؤد أشرف بعنوان "بيروني ارباب كمال اور حيدرآباد".¹

وفي عام 1886م، ظهرت ترجمة ج. م. رادويل (J. M. Rodwell)، باسم "The Koran" التي اعتمدت ترتيب السور وفق ترتيب النزول، محاولة منه لفهم تطور الفكر الإسلامي. تميزت ترجمته بأسلوب معاصر مقارنة بترجمات سابقة، مما جعلها محطاً اهتمام المستشرقين.

وظهرت ترجمة آرثر جون آربري (Arthur John Arberry)، التي ركزت على الجانب الأدبي وحاولت نقل البلاغة القرآنية بأسلوب لغوي حديث ودقيق عام 1955م. أسماها "القرآن مترجماً" (The Koran Interpreted)، تعتبر ترجمةً ممتازةً مقارنة بترجمات المستشرقين الآخرين. تتميز بوضوح الأسلوب وحدائته، وجمال التعبير وسهولة الألفاظ. كان آربري حريصاً على نقل كل لفظ في القرآن بدقة دون إضافة أو حذف، وابتعد تماماً عن التهجم أو التشويه أو الانتقاص من جمال القرآن والدين الإسلامي أو التقليل من شأن النبي ﷺ، كما يفعل بعض المستشرقين عادةً.

علق د. عبدالله عباس الندوي "أن الأمر المشترك العام في جميع هذه الترجمات التي كتبها المستشرقون هو أنهم لم يحاولوا فهم معاني القرآن على الإطلاق ولم يعتمد أحد منهم البحث العلمي للوصول إلى الحقيقة، لكن الأمر الذي أرادوه من وراء أعمالهم هو إبعاد بني جلدتهم عن القرآن وسيرة الرسول الكريم - عليه أفضل الصلوات والتسليم -".¹

التعريف بترجمة محمد مرامادوك بكتال

الاسم الكامل للترجمة The Meaning of the Glorious Qur'an,an explanatory translation. تم نشرها لأول مرة بدون النص العربي من مطبعة جورج ايلين انون (George Allen & Unwin) في لندن ومن مطبعة دار كنويف في نيويورك عام 1930م. وفي عام 1938، أصدرت المطبعة الحكومية المركزية في حيدر آباد طبعة تحتوي على النص العربي والترجمة الإنجليزية جنباً إلى جنب في مجلدين.

قام بكتال بإهداء ترجمته إلى نظام حيدرآباد نواب صدر جنغ بهادر اعترافاً لفضله الكبير لإتاحته الإجازة السمحة تمكن من خلالها إكمال هذه الترجمة. تحتوي الترجمة على 650 صفحة تقريباً، مسبقاً بكلمة المترجم ومرفقاً

¹ الندوي، عبدالله عباس، ترجمات معاني القرآن، ص35

بموجز عن حياة النبي محمد في مكة المكرمة قبل الهجرة وفي المدينة المنورة بعد الهجرة.

يعبر بكتال في مقدمة ترجمته عن إعجابه الكبير بالقرآن بقوله: "القرآن لا يمكن ترجمته، هذه هي عقيدة العلماء السلف وعقيدة كاتب هذه السطور. الكتاب هنا يُنقل تقريبًا بشكل حرفي، وتم بذل كل جهد لاختيار لغة مناسبة. لكن النتيجة ليست القرآن المجيد، تلك السيمفونية التي لا تضاهي، والتي تحرك أصواتها الرجال إلى البكاء والنيشوة. إنها مجرد محاولة لتقديم معنى القرآن – وربما شيئًا من سحره باللغة الإنجليزية. لا يمكن أبدًا أن يحل محل القرآن بالعربية، ولا يُقصَد منه أن يفعل ذلك".¹ (ترجمة من الباحث)

كما اهتم بذكر النسخة المستخدمة من القرآن الكريم لعمله، وهي التي كتبها الحاج محمد "شَقَر زاده" في عام 1246 للهجرة بتكليف من السلطان محمود. واعتمد على تفسير ابن هشام ومصادر أخرى مثل سيرة ابن خلدون وسير أبي الفداء، مع الاستعانة بتفسير البيضاوي والزركشي وتفسير الجلالين. واعتمد على صحيح البخاري لتأكيد صحة الأحاديث. اهتم المترجم في ترجمة كل سورة بصياغة مقدمة تعريفية لمبادئ السورة الأساسية ومعارفها المحورية مع ذكر تعليقات وملاحظات وأقوال المفسرين والمؤرخين من العلماء.²

تمتاز هذه الترجمة بالموضوعية والدقة مقارنة بالعديد من الترجمات السابقة التي قام بها مستشرقون غير مسلمين، والتي كانت غالبًا متحيزة أو غير دقيقة. لقد أدرك بكتال أن الكثير من المفاهيم الخاطئة حول الإسلام في الغرب تعود إلى ترجمات سابقة للقرآن، فكانت غالبًا غير دقيقة، أو مُغرضة. وكانت تلك الترجمات إما ناتجة عن مستشرقين غير مسلمين لم يتعاطفوا مع النص الديني، أو عن أشخاص لم يكونوا يمتلكون معرفة كافية باللغة العربية وفهمًا عميقًا للدين الإسلامي. تحتوي ترجمة بكتال على ملاحظات تفسيرية قصيرة جدًا. وإن لغة الترجمة تتميز بأناقة ودقة وإضاءة، لأنها ترجمة قام بها متحدث أصلي باللغة الإنجليزية، وهذا ما يجعلها ترجمةً من الدرجة الأولى تحظى بموافقة غالبية المسلمين.

¹ بكتال، محمد مارمادوك، The Meaning of the Glorious Qur'ân، المقدمة

² المرجع السابق

ذكر إي آر قدوائي: "حازت ترجمة بكتال على استحسان فور نشرها، وقد حافظت على شعبيتها حتى اليوم نظرًا للعديد من مزاياها، وحتى الآن تم تسجيل أكثر من مئة وستين طبعة لها. غير أن ترجمة عبد الله يوسف علي (1934-1937) تتفوق على ترجمة بكتال، بأكثر من مئتي طبعة. ويظهر الانتشار العالمي لترجمة بكتال من خلال نشرها في أماكن متنوعة مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والهند وباكستان ولبنان والسعودية وإيران والكويت وماليزيا والأردن. ورغم توفر العديد من الترجمات من قبل المسلمين، فإن إعادة إصدار ترجمة بكتال بانتظام، بما في ذلك إصدارها على كيندل في 23 يوليو عام 2014، يشير إلى مكانتها الخاصة والمتميزة بين الترجمات الأخرى.¹" (ترجمة من الباحث) أهداف بكتال من ترجمة القرآن الكريم

قبل ترجمة بكتال، كانت هناك ثلاثة أنواع من الترجمات الإنجليزية: (1) تلك التي قام بها المستشرقون، وهم ألكسندر روس (1649)، جورج سيل (1734)، ج.م. رودويل (1861)، وإدوارد هنريالمر (1880). (2) تلك التي قام بها مجموعة أخرى من المترجمين الأحمديين، وهم محمد عبد الحكيم خان (1905) ومحمد علي (1917)، وغللام سرور (1920). (3) تلك التي قام بها بعض المسلمين ذوو النوايا الحسنة من الهند البريطانية ولكنهم كانوا غير مؤهلين تمامًا وهم أبو الفضل (1911) وحيرت دهلوي (1916).

كان هدف بكتال من ترجمته هو تقديم القرآن بطريقة تُظهر للمجتمع الغربي كيف يفهم المسلمون القرآن. في مقدمته، أكد بكتال أن هذه الترجمة تهدف إلى جعل القارئ الإنجليزي يقترب من فهم كيفية إدراك المسلمين للقرآن ككتاب سماوي، مشيرًا إلى أن القرآن يحمل تأثيرًا روحانيًا فريدًا يصعب نقله إلى أي لغة أخرى، ومؤكداً أن اللغة الإنجليزية تعجز عن نقل الكثير من الجمال البلاغي والإعجاز اللغوي الذي يحتويه القرآن في أصله العربي.

¹A.R. Kidwai, Muhammad Marmaduke Pickthall's English Translation of the Quran
(1930): An Assessment, Marmaduke Pickthall: Islam and the modern world /
edited by Geoffrey P. Nash.

كما سعى بكتال إلى تصحيح الفهم الخاطئ للقرآن الذي كان سائدًا في الغرب، حيث كانت هناك ترجمات سابقة تميل إلى تقديم الإسلام بصورة سلبية، وتُظهر القرآن على أنه نص غامض أو مليء بالتناقضات. رأى بكتال أن هذه الترجمة يمكن أن تكون جسرًا بين الثقافات وتساعد في نشر فهم أعمق وأكثر دقة للإسلام.

خصائص ترجمة بكتال لمعاني القرآن الكريم
ترجمة محمد مارمادوك بكتال تُعد واحدة من أبرز الترجمات التي قام بها مسلم غربي. هذه الترجمة تميزت بعدة خصائص جعلتها رائدة بين الترجمات السابقة للقرآن، حيث قدمت صورة أكثر دقة وأمانة عن النص القرآني مقارنة بالكثير من الترجمات الأخرى التي كانت تعتمد على مفاهيم مغلوطة أو متحيزة.

1. الالتزام بالأمانة الدينية واللغوية

تميزت ترجمة بكتال بالتزامه الكبير بالأمانة في نقل معاني القرآن الكريم. كان بكتال يُدرك أن القرآن هو كتاب مقدس يحمل رسالة إلهية للمسلمين، ولذلك حرص على تقديم ترجمة تعكس بصدق معاني القرآن بقدر الإمكان. حاول بكتال الابتعاد عن التأويلات أو التفسيرات التي قد تؤدي إلى تشويه النص القرآني، وركز على اختيار الكلمات التي تعبر عن المعنى الحقيقي دون تحريف أو تغيير، على عكس بعض الترجمات السابقة التي قام بها مستشرقون غير مسلمين.

2. الحفاظ على البلاغة والتأثير الأدبي

كان بكتال على دراية تامة بجماليات اللغة القرآنية، ولذلك حرص على أن تكون ترجمته انعكاسًا لجماليات النص الأصلي بقدر الإمكان، وحاول أن يقدم لغة إنجليزية قريبة من النص العربي، تتميز بالسلاسة والتأثير الروحاني. استخدم بكتال لغة إنجليزية كلاسيكية تعبر عن الجلال والعظمة التي يحملها النص القرآني البليغ. اختار بكتال الأسلوب الأدبي الأنيق معبرًا عن فخامة النص الأصلي.

3. الترابط بين المعنى والسياق

كان بكتال يُدرك أهمية السياق في تفسير معاني القرآن، لم تكن الترجمة عبارة عن نقل ميكانيكي للكلمات، بل كانت ترجمة تعكس الفهم الأعمق للسياق الذي

وردت فيه الآيات. فقد اهتم بكتال بأن يقدم معاني الآيات بطريقة تحافظ على السياق الديني والثقافي الذي نزل فيه القرآن، ما جعل ترجمته أكثر دقة من الترجمات الأخرى.

4. التوازن بين الحرفية والمعنوية

إن الترجمة الحرفية البحتة قد تؤدي إلى إضعاف المعنى، بينما الترجمة المعنوية قد تؤدي إلى تحريف المعنى الأصلي. لذلك، حاول بكتال إيجاد توازن بين الحرفية والمعنوية بحيث يتمكن القارئ من فهم النص بشكل صحيح دون أن يفقد الروحية والمعاني العميقة للنص القرآني. فقد اختار تعبيرات إنجليزية تنقل المعنى الحرفي للنص العربي، لكنه في الوقت نفسه أضاف إليها تفسيرات أو تعليقات وجيزة عندما شعر أن المعنى الحرفي قد يضلل القارئ.

5. الحفاظ على القيم الروحية والدينية للنص

يلتزم بكتال بنقل القيم الروحية والدينية للنص القرآني. بكتال لم يكن يسعى فقط إلى نقل المعنى اللغوي، بل كان يهدف إلى تقديم القرآن ككتاب روي ينقل قيمًا دينية وأخلاقية عالية. حرص على أن تحافظ ترجمته على القوة الروحية للنص الأصلي، مما يجعل القارئ يشعر بقداسة النص وتأثيره الروحي حتى عند قراءته بالإنجليزية. حاول بكتال الحفاظ على هذا الجانب من خلال استخدام لغة تحتفظ بالهيبة والقداسة التي يبعثها النص القرآني في نفس القارئ. وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد، حيث أن العديد من القراء شعروا بالارتباط الروحي مع النص من خلال ترجمته.

وخلاصة القول: إن ترجمة محمد مرمادوك بكتال لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية تميزت بعدة خصائص فريدة جعلتها من أهم الترجمات التي قامت بتقريب النص القرآني إلى الغرب. وعلى سبيل المثال نقدم ترجمة سورة الفاتحة فيما يلي:

The Opening

In the name of Allah, the Beneficent, the Merciful.

Praise be to Allah, Lord of the Worlds,

The Beneficent, the Merciful.

Master of the Day of Judgment.

Thee (alone) we worship; Thee (alone) we ask for help.

Show us the straight path

The path of those whom Thou hast favoured; Not the (path) of those
who earn Thine anger nor of those who go astray.¹

مقارنة بين ترجمة محمد مارمادوك بكتال ويوسف علي لمعاني القرآن الكريم إلى
الإنجليزية:

ومن بين أشهر الترجمات التي قام بها مترجم مسلم كانت ترجمة محمد
مارمادوك بكتال التي نُشرت في عام 1930 بعنوان **The meaning of the**
Glorious Quran، وترجمة عبد الله يوسف علي التي نُشرت في عام 1934
بعنوان **The Meaning of the Holy Qur'an**. من مطبعة شيخ محمد أشرف،
لاهور، باكستان.

وإن هاتين الترجمتين أكثر الترجمات شهرةً وتداولاً بين المسلمين في
الغرب. وهما تختلفان في الأسلوب، والهدف، والمنهجية. بينما ركز بكتال على
الأمانة اللغوية والدقة في الحفاظ على الروحانية والنص الأصلي، وترجمته
موجهةً بشكل رئيسي إلى المسلمين الذين يتحدثون الإنجليزية كلغة الأم. اختار
يوسف علي نهجاً تفسيرياً أكثر شمولية ووضوحاً مع إضافة تعليقات تفسيرية
تهدف إلى شرح النص للقارئ غير المسلم. وترجمته موجهةً إلى جمهور أوسع من
الأكاديميين والمثقفين الغربيين الذين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام. بالرغم أن
الترجمتين اختلفتا من حيث الأسلوب والاتجاه الفكري بأنهما اشتركتا في الهدف
الأكبر المتمثل في تقديم القرآن إلى الجمهور الناطق بالإنجليزية بطريقة تعكس
جماله وعمقه الديني.

ترجمة بكتال تمتاز بأسلوب أدبي كلاسيكي يميل إلى البساطة والدقة.
استخدم بكتال لغة إنجليزية قديمة أقرب إلى الحرفية. وأما ترجمة يوسف علي
فهي أكثر شمولية وتفسيرية. استخدم لغة إنجليزية حديثة ومبسطة نسبياً
مقارنةً بأسلوب بكتال الكلاسيكي، واعتمد بشكل كبير على التفسير والإيضاح.

¹ بكتال، محمد مارمادوك، **The Meaning of the Glorious Qur'ân**، ص 20

يهدف بكتال من ترجمته إلى نقل الشعور الديني والتأثير الروحاني الذي يحمله القرآن. وفي المقابل، كان يوسف علي أكثر اهتمامًا بإيضاح الجوانب الدينية والفكرية للنص القرآني.

ذكر د. عبد الله عباس تعليقًا على ترجمة عبد الله يوسف علي: "أن أول ما يستلفت نظر القارئ في هذه الترجمة أنها منظومة نظمًا حرًا، وذلك لأن المترجم حاول أن ينقل إلى قارئه قدرًا مستطاعًا من جمال الأسلوب القرآني المعجز وروعته وفخامته. ثانياً: أنه لا يفسر آية إلا وكان له سند و مرجع من أقوال المفسرين المعترف بهم عند جمهور المسلمين. ثالثاً: أنه قد جعل لكل سورة مقدمة ذكر فيها تاريخها وسبب نزولها نقلاً عن التفاسير المعتمدة، وتَحَرَّى في نقل القصص القرآنية وجمع الأقوال الناقصة للمفسرين وذَكَرَ ما يرجحه منها بالتفصيل وأسباب هذا الترجيح.

وهكذا يجد القارئ في أمكنة أخرى من ترجمته أنه يقدم جهده في إفهام معنى القرآن الكريم، وأنه إذ اختار كلمة في الترجمة لم يقع عليها اختيار غيره من المترجمين السابقين فإن له حجةً ودليلاً، أما الأمور التي يجب الانتباه إليها فهي أن الترجمة ليست نثرًا بل هي منظومة بالشعر الحر، وهذه مزية لترجمته ومَنْقَصَةٌ لها معاً، لأنها تستهوي القارئ الأجنبي وتحمله على المضي في القراءة وتشعره أنه يقرأ شيئاً ذا فخامة وإجلالٍ، ومَنْقَصَةٌ لأنها ساقط المترجم في كثير من الأمكنة إلى أن يكتفى بإعطاء مدلول الآية بدون ترجمة لفظ بلفظ مثله، ومثال ذلك أنه ترجم معنى الآية الكريمة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا واسمعوا (البقرة: ١٠٤) بكلمات:

O Ye of Faith say not (to the Apostle) words of ambiguous import, but words of respect: And hear to Him المؤمنون لا تقولوا (لِلرَّسُولِ) كلمات نابية بل استعملوا (له) كلمات الاحترام واستمعوا إليه".¹

كما سَلَطَ د. عبدالله عباس الضوء على خصائص ترجمة محمد مازمادوك بكتال: "ترجمته (معاني القرآن المجيد) The Meaning of the "Glorious Koran" وقد أجمع العلماء المعنيون بترجمات القرآن وتفسيره على

¹ الندوي، عبدالله عباس، ترجمات معاني القرآن ص ١١٥

أنه لم يُترجم معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية أحسن من ترجمة بكتال من ناحية جمال الأسلوب وفصاحة اللغة، ومن ناحية الاحتفاظ بالعقائد التي يلتزم بها الجمهور من أهل السنة، وليس فيه إنكار أو تأويل لوجود الملائكة والجن والمعجزات، وحاشى أن يكون فيه أي غمز أو لمز أو تحريف مما يأتي به المستشرقون. ويقول العلامة المفسر الشيخ الدريابادي : إن بكتال استطاع بتوفيق من الله أن يجعلنا نحن المسلمين نقدم كتاب الله المقدس أمام الأجانب بدون خوف.

وتمتاز هذه الترجمة من ناحية أخرى بأنها واضحة المعني لا تحتاج الى مزيد من الشرح في الهامش، وإذا اضطر المترجم أن يوضح شيئاً أو يفسر نقطة لآيات لا تفهم معناها إلا بالتفسير، نقل قول ابن هشام على العموم وفي بعض الأمكنة نقل الرواية من تفسير الطبري ولم يأت بشئ من عنده على الإطلاق .

أما بعض الأخطاء في فهم التركيب النحوي الذي قد يلاحظه القارئ فهو من قبيل ما يقع لكل إنسان من الأخطاء البشرية ولا دخل فيها للعناد أو سوء النية، ويجوز تصحيح ما وقع في الطبقات القادمة، منها أنه ترجم الآية وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . (البقرة : ٥٧) فأخطأ في ترجمة ما ظلمونا وترجم ما معناها ظلمناهم كذلك جعل الآية ألا إنهم هم المفسدون ﴿ [البقرة : جملة استفهامية إذ اعتبر (أ) للاستفهام و (لا) للنفي .

ويجب أن لا ننسى أن بجانب ما ذكر، تحرى الصحة ما أمكنه التحري، فهو لا يستعمل لفظ God لله تعالى بل يستعمل لفظ الله لأن كلمة God في اللغة الانجليزية لا تدل على المفهوم الكامل والمدلولات الشاملة لما في كلمة (الله) ﷻ كما هي في اللغة العربية"¹.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. أعظمي، أرنغ زيب، ترجمات معاني القرآن الإنجليزية دراسة نقدية وتحليلية، دار التوبة، الرياض، 2009
3. داؤد أشرف، "بيروني ارباب كمال اور حيدرآباد" شغوفه بليكيشنز، حيدرآباد، 2005، مأخذ (Instalment No. 81, List No. 4, S.No. 216)

¹ الندوي، عبدالله عباس، ترجمات معاني القرآن ص111.

4. داؤد أشرف، مارمادوك بكتال وترجمة القرآن الكريم، سه ماهي مجله تدبر لاهور، العدد 98، يوليو 2024، إدارة تدبر قرآن وحديث، لاهور، باكستان.
5. الندوي، عبدالله عباس، دراسة حول "ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب"، دعوة الحق العدد 174، رابطة العالم الإسلامي، 1417هـ.
6. قمر شعبان، قرآن كريم كے انگریزی تراجم کا تنقیدی مطالعہ، 2009
7. Kidwai, A.R., Muhammad Marmaduke Pickthall's English Translation of the Quran, (1930): An Assessment, Marmaduke Pickthall: Islam and the modern world / edited by Geoffrey, P. Nash.
8. Pickthall, Marmaduke, The Meaning of the Glorious Qur'an, London, 1930
9. Peter Clark, Marmaduke Pickthall – British Muslim, London 1988
- Yusuf Ali, Abdullah, The Meaning of the Holy Qur'an, Amana publications, Beltsville, Maryland, U.S.A.

السيروليم جونز

كلمات مفتاحية: اللغة العربية، اللغات الآسيوية، الثقافة، المعلقات، الجمال اللغوي، الفصاحة، البلاغة، حفظ التراث

السيروليم جونز، المعروف بـ "السير جونز"، وهو يعرف بـ "وليم جونز الثاني" أيضا، ولد في 28 سبتمبر عام 1746م في لندن، وتوفي في 27 أبريل عام 1794م بمدينة كولكاتا في الهند. كان بريطانيا، وبذل مساعيه في تشجيع الغرب على متابعة الدراسات الشرقية، فيعد من كبار الشعراء واللغويين ومن أصحاب الخبرة في العلوم الآسيوية وثقافتها. أكمل دراسته الجامعية والماجستير في جامعة أكسفورد.

كان لديه اهتمام كبير بتعلم اللغات، وخاصة اللغات الشرقية، واشتهر كباحث في الثقافة الهندية. هو ابن وليم جونز الذي يعد من وجوه الرياضيين، وابتكر الرمز الرياضي pi، فبذلك عرف ابنه باسم "وليم جونز الثاني" أيضا، كان لغويا موهوبا منذ صغره، حيث تعلم اللاتينية واليونانية والعبرية والفارسية في وقت مبكر. عقب تكميل دراسته في أكسفورد اشتغل بالعمل كمدرس و مترجم. ثم طوعت له نفسه الانضمام إلى مدرسة ميدل تيمبل (Middle Temple) عام 1770، لدراسة المحاماة، وعمل قاضيا في محكمة الدائرة لعدة سنوات. عيّن قاضيا مساعدا للمحكمة العليا في البنغال، فسافر من بريطانيا متجها إلى كولكاتة، فأعجب هناك باللغة السنسكريتية والثقافة الهندية. ترجم أعمالا قديمة متعددة من السنسكريتية إلى الإنجليزية. تناولت إسهاماته الأكاديمية مجالات أخرى أيضا منها علم النبات والقانون الهندي إلى جانب الموسيقى. وقت مغادرته هذه الدار الفانية عن عمر يناهز سبعة وأربعين (47) عاما، إنه أتقن بثلاث عشرة (13) لغة، بينما كان بارعا في ثمان وعشرين (28) لغة أخرى².

¹الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، مانو ، حيدرآباد

²Zaffar Junejo, "In Praise Of A Pioneer: 'Oriental' William Jones – II, The Friday Times, Features, History, Legacy, January 17, 2023, www.thefridaytimes.com/17-Jan-2023/in-praise-of-a-pioneer-oriental-william-jones-ii

إنه احتل منزلة أصحاب علم رفيع وجهد كبير. إذا انخرط إلى عمل انغمس فيه بعناية وافية كما يبدو مما وقع في نهاية حياته أن حالة المناخ في كولكاتة لم توافقه ولا زوجته أنا ماريا. فكانت صحتها تتأثر به سلباً، حتى اضطرت أنا جونز في نوفمبر 1793 للعودة إلى إنجلترا، فرحلت، وبقي وليام جونز وحيداً في كولكاتة لإكمال ترجمته للقوانين الإسلامية والهندوسية. وقد أخبر أنا بأن المهمة ستستغرق عامين آخرين للتكميل. فعاش وليام جونز وحيداً في منزله في كولكاتة، ولكن الحياة لم تستطع أن تكون وافية له، فتوفي في 27 أبريل عام 1794 بسبب التهاب الكبد.¹

كان شغوفاً باللغات الشرقية فأظهر إلمامه الكبير في استيعابها. تعلم العبرية التي كانت تعتبر من اللغات الشرقية، وكذلك درس العربية والفارسية لدى حلي في أكسفورد. حصل على درجة الزمالة من الكلية الجامعية عام 1766. وبدأ في تعلم اللغة الصينية عام 1767، وانتخب زميلاً في الجمعية الملكية عام 1772.²

يتجلى إتقانه في اللغات الشرقية مما دعاه كريستيان السابع ملك الدنمارك إلى ترجمة كتاب "تاريخ نادري" لمحمد مهدي خان، من الفارسية إلى الفرنسية. وفي حين كان يقدم خدماته كقاضٍ في المحكمة العليا بكولكاتا عام 1783، مالت طبيعته إلى تعلم السنسكريتية. إنه أسس "جمعية البنغال الآسيوية" في كولكاتا عام 1784، وكان غرضها تشجيع الدراسات الشرقية. فتعلم السنسكريتية إعداداً لنفسه لتحضير مدونة كبيرة في القانون الهندي، ولكنه لم ينجز منها غير كتاب باسم "نظم القانون الهندي" في عام 1794، بعد أن نشر "المواريث في الشريعة الإسلامية" في 1792. تولى رئاسة الجمعية حتى وفاته. وقد كان يعتبر أبا الدراسات الهندية في المجتمع الأوروبي. ووفرت نتائجه زخماً في أوائل القرن التاسع عشر لتطوير دراسة المقارنة في مجال فقه اللغة.

أثاره العلمية

دَوّن قواعد اللغة الفارسية في 157 صفحة، وديوان شعر، معظمه ترجمات من اللغات الآسيوية، وترجمة تاريخ نادري لمحمد مهدي خان من

¹Zaffar Junejo

²يحيى مراد، "معجم أسماء المستشرقين"، www.alkottob.com، ص. 453-454

الفارسية إلى الفرنسية، وتعليقات على الشعر الآسيوي و جله مختارات من الأدبين العربي والفارسي وهي في ستة مجلدات، وأخلاق العرب قبل عصر محمد نقلا عن المعلقات، والمعلقات السبع وهي ترجمة في مائة وسبعين صفحة، وبغية الباحث عن جميل الموارث لابن الملقن وهو أيضا ترجمة، ومجنون ليلي لهاتفى بالفارسية، و ترجمة شاكونتالا كاليداس وهي مأساة باللغة السنسكريتية، وبحوث الجمعية الآسيوية للبنغال، والسراجية في علم الفرائض والموارث الإسلامية لسراج الدين السجاوندي، وأشرف على ترجمة شرائع الإسلام للحلي، وتحرير الأحكام لابن المطهر وقد نقلهما من العربية في أربعة أجزاء¹.

بدأ الاستشراق برغبة المتحمسين الغربيين في دراسة اللغة العربية وثقافتها وآدابها وتاريخها. وانتهى، بعد التوسع الاستعماري الغربي في الشرق، إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وحضاراته وجغرافيته وتقاليده وأشهر لغاته². بيد أنه كان يعرف أساسيا اللاتينية والعبرية واليونانية والعربية والفارسية، وحتى أواخر حياته فقد تعلم 28 لغة ومنها الصينية. ومعظم الأوقات كان يتعلمها بنفسه.

تعلم جونز اللغة العربية خلال زمنه كان طالبا في مدرسة هارو الثانوية Harrow Secondary School، وعندما التحق بجامعة أكسفورد شجعه بعض أصدقائه على مواصلة تعليم اللغة العربية. والتقى بشخص سوري من مدينة حلب في لندن، لم يكن عالما، ودعاه إلى الذهاب إلى أكسفورد. أول مساهمته في ميدان الدراسات الشرقية كتابه "نحو اللغة الفارسية" Grammar of the Persian Language، الذي ظهر في 1771م، وفي السنة التالية وهي سنة 1772، أصدر مجلدا صغيرا بعنوان "قصائد"، معظمها ترجمات من اللغات الآسيوية، ومن أشهر قصيدة لحافظ الشيرازي، وقد كان نشر ترجمتها قبل ذلك في كتابه "نحو اللغة الفارسية"، وفي 1782، نشر جونز ترجمة إنجليزية لموجز في الموارث بحسب مذهب الإمام الشافعي عنوانه "بغية الباحث عن جمل الموارث"، فواصل دراساته للموارث في الشريعة الإسلامية. ثم نشر في

يحيى مراد، ص. 454¹

جون م. غانم، "الاستشراق والقرون الوسطى" ترجمة عبلة عودة، مشروع كلمة، هيئة أبو طي للسياحة والثقافة، 2012/1433، ص. 19²

عام 1792 متنا مشهورا في هذا الموضوع وهو الفرائض السراجية لأبي طاهر بن عبد الرشيد السجاوندي، وهو يتبع مذهب الأحناف. وإلى جانبها قام جونز بنشر النص العربي وترجمته إلى الإنجليزية وشرحه، إلا أن أبرز أعماله ترجمة "المقامات السبع"، وظهرت هذه الترجمة في سنة 1782، بعنوان "Moallakat"، تحتوي على النص العربي للمعلقات مكتوبا بحروف لاتينية مع الترجمة إلى الإنجليزية وشرح مفصل. ثم أصدر كتابا بعنوان "شروح على الشعر الآسيوي" في 1774، يشتمل على ستة كتب، فقد أراد بهذا التأليف أن يقدم خدماته الأدبية بالنسبة إلى جمع الشعر الآسيوي على غرار ما فعله الأسقف لوث (Lowth) (1710-1787)، في جمع الشعر العبراني. وقد نوى بهذه الجهود الأكاديمية أن يقدم إلى القارئ الأوروبي نماذج من الشعر الآسيوي. وإن كان قد تناول فيه قصيدة صينية، وتحدث عن الشعر الحبشي أيضا، إلا أن القسم الرئيسي من الكتاب يشتمل على علم العروض والقوافي في الشعر العربي والفارسي. فتحدث عن بحور الشعر العربي الستة عشر في الفصل الثاني، وعن القصيدة في الثالث، وعن الغزل الفارس في الفصل الرابع، وكذلك عن البلاغة والبديع في الفصول من الخامس إلى الحادي عشر، ثم تطرق إلى الكلام من الأنواع الشعرية في الفصل الثاني عشر إلى الثامن عشر. وأضاف في الفصل التاسع عشر إلى معلومات القارئ بذكر الاطلاعات الأولية عن الشعراء العرب، وهكذا عن الفرس والترك، وينتهي الكتاب بالفصل العشرين مع الحديث عن الأسلوب¹.

والأمثلة التي يسوقها للاستشهاد بها مأخوذ معظمها من الشعر العربي والفارسي، بعض الأحيان من الشعر التركي. وقد ساق آيات من القرآن الحكيم، وفي مواضع أتى بنماذج من العهد القديم للكتاب المقدس لإيضاح الأسلوب السامي. إنه كان يرى أن الأوزان العربية في الشعر تلائم تماما للأوزان الشعرية اليونانية واللاتينية. ولهذا يقسم البيت العربي إلى مقاطع طويلة وقصيرة مثلما في الشعر اللاتيني، ويحاكي البحور العربية بأبيات لاتينية².

الدكتور عبد الرحمن بدوي، "جونز"، موسوعة المستشرقين، ط. 3، بيروت، دار العلم للملايين، 1993، ص. 208¹
الدكتور عبد الرحمن بدوي، ص. 208²

ويزيد على ذلك بأنه ترجم قصائد عربية بشعر لاتيني يماثل في الوزن، فإنه قام بترجمة قصيدة ابن الفارض بشعر لاتيني مماثل في الوزن للبحر الذي منه قصيدة ابن الفارض. وهكذا ترجم فقرة من "الشاهنامة"، وغزلية من غزليات حافظ الشيرازي، وتم طبع هذه القصائد في شكل كتاب مستقل. وكان لهذا الكتاب تأثير كبير، إذ تيسر لعامة الأوروبيين أول مرة أن ينظروا إلى الشعر الإسلامي في اللغات العربية والفارسية والتركية. وقدم للقارئ الأوروبي مجموع الشعر العربي ابتداء من المعلقات و بانت سعاد ثم مرورا بأبي نواس وابن المعتز وأبي العلاء المعري حتى ابن الفارض والشعراء المتأخرين.

وكان لديه المزيد من المشروعات في ذهنه التي كانت ذات صلة وثيقة بالموضوع ومفيدة للغاية في طبيعتها، لكن فاجأته المنية ولم يكد يبلغ السابعة والأربعين حتى غادر هذه الدار الفانية في 27 أبريل 1794 بمدينة كولكاتا. وقد قيل إن إقامته الطويلة في إقليم البنغال ذي الجو الرطب الحار، هي التي أودت بصحته.

في الواقع إنه كان يرغب في الترجمة والنشاطات العلمية، ولكن من أجل الدواعي المالية توجه إلى دراسة القانون. ووجهت إليه الدعوة للانضمام إلى المحكمة في 1774، إلا أنه لم يترك الاستشراق. وكتابه "المعلقات" الذي تم نشره عام 1782، نال شهرة عالية في الشعب البريطاني. وهو الذي عرّف الشعر الجاهلي على المجتمع البريطاني. تبدو رغبته في اللغات الآسيوية بما لعب من دوره في تأسيس مجتمع البنغال الآسيوية في 1784، في غضون عام واحد فقط منذ وصوله إلى كولكاتا في 1783 كقاضٍ للمحكمة العليا.

قام جارلاند كانون (Garland Cannon) بتحقيق مكتوبات جونز التي نشرت في مجلدين عام 1970، كانون هو الذي أصدر سيرة جونز الذاتية في 1964.

اختياره المعلقات للترجمة

من العوامل التي بعثته على ترجمة المعلقات احتلالها مكانة مرموقة في مجال الأدب كما تمثل أجود الأشعار العربية من العصر الجاهلي. إنها تقدم صورة رائعة للحياة البدوية والعادات الرائجة في المجتمع الجاهلي وكذلك نزعاتهم وأفكارهم. عاش هؤلاء الشعراء في القرن السادس الميلادي، منهم من

عاش عصر الإسلام وهما زهير بن أبي سلى وليد بن ربيعة. فأسلم لبيد بن ربيعة على يد النبي ﷺ، وتوفي زهير قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة. إلا أن أشعارهما تنتمي إلى الطبيعة الشعرية التي سادت في العصر الجاهلي. وأشعار هذه القصائد مبنية على أسلوب القصيدة القديم. كما تبدأ هذه القصائد بالنسيب إذ يأتي الشاعر بذكرياته مع الحبيبة ثم يذكر مشي الناقة أو الخيل، ومناظر الصحراء والبادية وما جرى فيها من الأحداث والحروب. والفكرة المركزية التي تدور حولها القصائد هي المدح، حيث يمدح الشاعر نفسه وقبيلته وأسلافه وأمجاده من خلال هذه الأبيات الزاهية. فهذا الوصف الجميل بهاء حقيقي لهذه المعلقات. والشاعر يصور صورة حية وملاحظة دقيقة لما رآه من الظروف والأحوال، ويقدم مشاعره العميقة الجياشة وعلاقته العميقة بمناظر الطبيعة في الصحراء العربية. هذه الخصائص تجعل المعلقات نموذجاً مثالياً من الأدب العالمي. هذا الوصف الحيوي لعاصفة الصحراء في قصيدة امرئ القيس يمثل نموذجاً رائعاً للتعبير. على الرغم من ذلك لا يسع للاعتقاد أن القصيد هي مجرد أوصاف طبيعية أو رومانسية للحياة البدوية، إنما تجسد لغتها وصورها نظاماً معقداً للقيم الخلقية التي انتقلت من جيل إلى جيل عن طريق الشعر.

إن الفضائل المميزة التي كانوا يتباهون بغرسها وممارستها كانت احتقار الثروة، وحتى الموت، ولكن في عصر الشعراء السبعة انحرف كرمهم إلى الإفراط الجنوني، وشجاعتهم إلى الشراسة، وصبرهم إلى روح عنيدة لمواجهة الأخطار غير المثمرة. إن القصائد التي تحمل عنوان المعلقات، تعرض صورة دقيقة لفضائل أولئك الشعراء ورذائلهم، وحكمتهم وحمافتهم، وتظهر ما يمكن توقعه باستمرار من الرجال ذوي القلوب المفتوحة والعاطفة الغاضبة الذين لا قانون يتحكم بهم، وقليل من الدين يكبحهم¹.

¹ Sir William Jones, "The Fourth Anniversary Discourse on The Arabs" delivered on 15th February 1787, at The Asiatic Society, Calcutta, Compiled in The Works of Sir William Jones, in Six Volumes, Printed at London, for G. G. and J. Robinson, Peter-Noster-Row, and R. H. Evans (Successor to Edwards), No. 6, Pall-Mall, Vol. I, p. 43

إن العرب كانوا جاهليين بالتأكيد، وأن الآثار الوحيدة للتاريخ العربي القديم هي مجموعات من القطع الشعرية وتعليقاتها، وأن جميع المعاملات التي لا تنسى في الجزيرة العربية سجلت بالشعر، وأن الحقائق الأكثر يقيناً يمكن معرفتها من خلال قراءة "الحماسة"، وديوان هذيل، والعمل القيم لعبيد الله، بدلاً من تصفح مائة مجلد نثراً.

وقد رأى بعض أدباء الفرنج من أن الشعر العربي ليس فيه شيء غير التصنع في اللفظ، وتعمّل في الشكل، ولا يوجد فيه خيال رائع، ولا شعور صادق¹، إلا أن هذا الموقف يتناقض مع ما ذهب إليه وليم جونز. نماذج من ترجمته المعلقة

معلقة امرئ القيس

قفانك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
Stay Let us weep at the remembrance of our beloved, at the sight of the station
where her tent was raised, by the edge of yon bending sands between DAHUL
and HAUMEL,

فتوضّح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب و شمال
"TUDAH and MIKRA; a station, the marks of which are not wholly effaced,
though the south wind and the north have woven the twisted sand."

وقوفا بها صحبي عليّ مطّهم يقولون لا تهلك أسى وتحمل
Thus I spoke, when my companions stopped their coursers by my
side, and said, "Perish not through despair: only be patient.

وإنّ شفائي عبّرة مُهراقة فهل عند رسم داري من معول
A profusion of tears, answered I, is my sole relief; but what avails it to
shed them over the remains of a deserted mansion?

وقد ترجم خمسة وسبعين (75) بيتاً على أربع عشرة صفحة.²

معلقة طرفة بن العبد

أحمد حسن الزيات، "تاريخ الأدب العربي"، بيروت، لبنان، دار المعرفة، 1993/1413، ص. 229¹

²William Jones, The MOALLAKAT, London, Printed by J. Nichols, pp. 4-14

لخولة أطلال بـبرقة تهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

"The mansion of KHAULA is desolate and the traces of it on the stony hills of TAHMED faintly shine, like the remains of blue figures painted on the back of a hand."

وقوفا بها صَحْبِي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

While I spoke thus to myself, my companions stopped their coursers by my side, and said, "Perish not through despair, but act with fortitude."

كأنّ خُدوج المالكية غُدوةً خلايا سفينٍ بالنواصف من دد

Ah! Said I, the vehicles, which bore away my fair one, on the morning when the tribe of MALEC departed, and their camels were traversing the banks of DEDA, resembled large ships

عدوليةٌ أو من سفين ابن يامنٍ يجوزُ بها الملاحُ طَوَرا ويهتدي

Sailing from ADULI; or vessels of the merchant IBN YAMIN, which the mariner now turns obliquely, and now steers in a direct course.

إنه ترجم مائة وثلاثة أبيات على خمس عشرة صفحة.¹

معلقة زهير بن أبي سلمى

أ من أمّ أوفى دمنه لم تكلم بحومانة الدراج فالمتلّم

Are these the only traces of the lovely OMMAUFIA? Are these the silent ruins of her mansion in the rough plains of DERRAAGE and MOTHATALLEM?

ودارٌ لها بالرقمتين كأنها مراجيعُ وشمٍ في نواشرِ معصم

Are the remains of her abode, in the two stations of RAKMA, become like blue stains renewed with fresh woad on the veins of the wrist?

بها العين والأرام يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كل مَجْثم

¹William Jones, The MOALLAKAT, pp. 17-31

There the wild cows with large eyes, and the milk-white deer, walk in slow succession, while their young rise hastily to follow them from every lair.

وقفتُ بها من بعد عشرين حِجَّةً فلأيا عرفتُ الدار بعد توهم

On this plain I stopped, after an absence of twenty summers, and with difficulty could recollect the mansion of my fair one after long meditation.

قد ترجم أربعة وستين بيتا على تسع صفحات.¹

معلقة لببى بن ربيعة

عمتِ الديار محلها فمقامها بمئى تأبد غولها فرجامها

Desolate are the mansions of the fair, the stations in MINIA, where they rested and those where they fixed their abodes! Wild are the hills of GOUL, and deserted is the summit of RIJAAM.

فمدافع الرّيان عُرِيَ رسمها خلّقا كما ضمّن الوحيّ سلامها

The canals of RAYAAN are destroyed: the remains of them are laid bare and smoothed by the floods, like characters engraved on the solid rocks.

دِمنٌ تجرّم بعد عهد أنيسها حججٌ خلّون حلالها وحرامها

Dear ruins! Many a year has been closed, many a month, holy and unhallowed, has elapsed, since I exchanged tender vows with their fair inhabitants.

رُزقتُ مرابيع النجوم وصابها ودقّ الرواعد جودها فريها

The rainy constellations of spring have made their hills green and luxuriant: the drops from the thunder-clouds have drenched them with profuse, as well as with gentle flowers.

ترجم تسعة وثمانين بيتا على ثلاث عشرة صفحة.²

¹William Jones, The MOALLAKAT, pp. 42-34

²William Jones, The MOALLAKAT, pp. 45-57

معلقة عنتره بن شداد

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم

Have the bards, who preceded me, left any theme unsung? What,
therefore, shall be my subject? Love only must supply my lay. Dost
thou then recollect, after long consideration, the mansion of thy
beloved?

يا دار عبله بالجواء تكلمي وعيني صباحا دار عبله واسلمي

O bower of ABLA, in the valley of JIWAA, give me tidings of my love!
O bower of ABLA, may the morning rise on thee with prosperity and
health!

فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن لأقضي حاجة المتلوم

There I stopped my camel, large as a tower, the anguish of my passion
having delayed the accomplishment of my bold enterprise,

وتحلّ عبله بالجواء وأهلنا بالحنن فالصمان فالمتلّم

Whilst ABLA was dwelling in JIWAA, and our tribe were stationed in
HAZN, and SAMAAN, and MOTATHALLEM.

ترجم واحدا وثمانين بيتا على اثنتي عشرة صفحة.¹

معلقة عمرو بن كلثوم

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

HOLLA! – Awake, sweet damsel, and bring our morning draught in
thy capacious goblet; nor suffer the rich wines of ENDEREIN to be
longer hoarded:

مُشعّشة كأنّ الحُصّ فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

Bring the well-tempered wine, that seems to be tintured with
saffron; and, when it is diluted with water, overflows the cup.

تجوّز بذی اللبانة عن هواه إذا ما ذاقها حتى يلينا

¹William Jones, The MOALLAKAT, pp. 60-71

This is the liquor, which diverts the anxious lover from his passion;
and as soon as he tastes it, he is perfectly composed:

ترى اللجرَ الشحيحَ إذا أمرتْ عليه لماله فيها مُهيناً

Hence thou seest the penurious churl, when the circling bowl passes
him, grow regardless of his pelf.

ترجم مائة وثمانية أبيات على أربع عشرة صفحة.¹

معلقة الحارث بن حلزة

أذنتنا ببينها أسماء رُبْ ثاوٍ يملُ منه الثواءُ

DOH fair ASOMA give us notice of her departure? Oh, why are
sojourners so frequently weary of their sojourning!

بعد عهد لنا بريقة شَماء فآدنى ديارها الخُلصاءُ

She is resolved to depart after our mutual vows among the sandy
hillocks of SHAMMA, and in the nearer station of KHALSA;

فالمُحياة فالصيفاح فأعنا قُ فِتاقٍ فعاذبٌ فالوفاءُ

Vows, repeated in MOHAYAT, SIFAH, and AGLAI, in DHU FITAK,
ADHIB and WAFa,

فرياض القطا فأودية الشُر بُب فالشعبتان فالأبلاء

Vows, renewed in the bowers of KATHA, and the dales of SHOREIB,
in the Two Valleys, and in the plains of AYLÄ.

ترجم خمسة وثمانين بيتاً على إحدى عشرة صفحة.²

أهداف مجمع البنغال الآسيوي

أعرب السير وليم جونز بنفسه عن إعجابه بتأسيس جمعية عرفت
فيما بعد بـ "جمعية البنغال الآسيوية". اختصت هذه الجمعية بإجراء البحث
والتحقيق في شؤون آسيا المدنية والطبيعية وتاريخها، وكذلك في الآثار والفنون
والعلوم والآداب. فبمناسبة تأسيس تلك الجمعية عقدت الحفلة، وألقى فيها
جونز محاضرة بصفته رئيساً للجمعية. وأوضح أمام الحضور خلال حديثه

¹William Jones, The MOALLAKAT, pp. 75-88

²William Jones, The MOALLAKAT, pp. 92-102

أهمية قارة آسيا وكان متحمسا للغاية عندما بدأ رحلته البحرية متجها إلى الهند. وكان يحمل رغبة عارمة في أعماق قلبه بالنسبة إلى هذه الزيارة. فيذكر أنه وجد في إحدى الأمسيات وكان يتفقد ما جرى من الأمور في ذلك اليوم، أن الهند تقع أمامه وبلاد فارس على يساره، بينما هبت نسمة من شبه الجزيرة العربية من خلفه. وكان يشعر بغاية من السرور والابتهاج عندما تفكر في موقفه إزاء هذا الوضع الجغرافي، لأنه كان وضعاً جديداً له، وأنشأ في ذهنه إحساساً عميقاً آثار سلسلة من التأملات التي اعتاد أن يتأملها منذ زمن مبكر ببهجة، خاصة في سياق تاريخ العالم الشرقي الذي يحفل بالأحداث والقصص الجميلة. وقد أسعده وجوده وسط مدرج بهذا الرقي، حيث تمتد أرجاء آسيا الشاسعة التي لطالما اعتبرت مهد العلوم ومخترعة الفنون الجميلة والنافعة واشتهرت بمشاهد الأعمال المجيدة، وهي خصبة في إنتاج العباقرة البشرية، وزاخرة بالعجائب الطبيعية، ومتنوعة بالحدود في أشكال الدين والحكم، وفي القوانين والأخلاق والعادات واللغات، وكذلك في ملامح البشر وبشورتهم. ولم يسعه إلا أن يلاحظ مدى أهمية هذا المجال واتساعه، الذي ظل في وضع مجهول بعيد عن استكشاف. وكم من مزايا قيمة هناك لم يتم تحسينها¹.

إن العرب لهم ميزة أنهم لم يقهر عليهم أحد قط، ولم يترك عليهم أثراً، إلا على حدود بلادهم حيث استوطن فيها الفينيقيون والفرس والإثيوبيون. وفي العصر الحديث التتار والعثمانيون، ولكن إلى جانب هذه الاستثناءات، احتفظ أهل الحجاز واليمن عبر العصور بالسيادة الوحيدة على صحاريهم ومراعيهم وجبالهم ووديانهم الخصبة، وبالتالي، وبصرف النظر عن بقية البشر، احتفظ هذا الشعب المتميز بأخلاقه البدائية ولغته وسماته وشخصيته، طالما احتفظ بها الهندوس أنفسهم. إن جميع العرب الأصليين من سوريا الذين عرفهم جونز في أوروبا، وأولئك من اليمن الذين رأهم في جزيرة هينزوان التي جاءها كثير من منطقة مسقط بغرض التجارة، وأولئك من الحجاز الذين لقيهم في البنغال

¹Sir William Jones, "The Preliminary Discourse", at The Asiatic Society, Calcutta, Compiled in The Works of Sir William Jones, in Six Volumes, Printed at London, for G. G. and J. Robinson, Peter-Noster-Row, and R. H. Evans (Successor to Edwards), No. 6, Pall-Mall, Vol. I, pp. 1-2

يتميزون تميزاً واضحاً من السكان الهندوس في هذه المقاطعات. فعيونهم مليئة بالحيوية، وكلامهم طليق واضح، وسلوكهم رجولي وكريم، وفهمهم سريع، وعقولهم حاضرة دائماً، ومتنبهة كذلك، مع روح الاستقلال التي تظهر في وجوههم، حتى فيمن أدناهم مرتبة. سيختلف الناس دائماً في مفاهيمهم عن الحضارة، كل يقيسها بعادات بلده وأحكامه المسبقة، لكن إذا كانت المجاملة والتحضر، وحب الشعر والبلاغة، وممارسة الفضائل السامية مقياساً عدل للمجتمع المثالي، فهناك دليل أكيد على أن شعب الجزيرة العربية، في السهول والمدن، وفي الدول الجمهورية والملكية، كانوا متحضرين للغاية لعصور عديدة قبل فتحهم بلاد فارس¹.

ف نجد جونز صحيحاً وعميقاً في ملاحظاته كما يؤيدها بيان أحمد حسن الزيات أن العرب لو ساغ لنا أن نحكم عليهم بمقتضى لغتهم وأدبهم لوجدنا لهم نفوساً كبيرة واذهاناً بصيرة وحنكة خبيرة ومعارف واسعة، كَوْنُوا أكثرها من نتاج قرائحهم، وثمار تجاربهم².

في نقد تاريخ العرب

من المؤسف أن التاريخ القديم لهذا العرق المجيد معروف بقدر قليل من التفصيل. على الرغم من أن الجداول الأنسابية التي قد يتم التأكد من التسلسل الزمني منها بشكل أفضل، مقدمة للعديد من مؤلفات الشعراء العرب القدامى، إلا أن معظم المخطوطات غير صحيحة للغاية، ويوجد العديد من التناقضات في أفضلها، بحيث لا يمكن الاعتماد على التقاليد بأمان، ويجب اللجوء إلى نفس الوسائط للتحقيق في تاريخ العرب، كما جرى الاعتماد سابقاً فيما يتعلق بتاريخ الهند، أي استناداً إلى لغتهم ورسائلهم ودينهم وأثارهم القديمة وبعض البقايا من فنونهم. وكانت هذه الملاحظات مقتصرة بشكل عام على أحوال الجزيرة العربية قبل الثورة الفريدة في بداية القرن السابع، والتي لاتزال أثرها باقية حتى يومنا هذا³.

¹ Sir William Jones, "The Fourth Anniversary Discourse on The Arabs" Vol. I, p. 37

أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، بيروت، لبنان، دارالمعرفة، 1413هـ/1993م، ص. 12²

³ Sir William Jones, "The Fourth Anniversary Discourse on The Arabs" Vol. I, p. 38

إن اللغة العربية، كما يدعي جونز، هي في سلطة الغربيين بالكامل تقريباً. وكما هي واحدة من غير شك من أقدم اللغات في العالم، فإنها لاتضاهي أي لغة تكلم بها البشر من حيث عدد كلماتها ودقة عباراتها¹.

وذكر جونز قدرته على فهم اللغة العربية بكلمته أنه يتمكن من قراءة مائة شعر معاً من غير دراسة سابقة لأي مجموعة من القصائد العربية القديمة². مع أنه كان يجيد اللغة العربية، إلا أنه ركز بشكل أساسي على فترة ما قبل الإسلام، كما يتضح مما ألقاه في خطابه السنوي في الجمعية الآسيوية. إنه يتحدث عن تاريخ اللغة العربية مع الإصرار على أفكاره الخاصة بدلاً من تقديم دليل ملموس حيث يقول إنه لا يعرف إلا القليل عن الحروف التي كتبت بها التراكيب العربية القديمة، باستثناء القرآن الكريم كما ظهر أصلاً في حروف الكوفة، التي اشتقت منها الحروف العربية الحديثة، بكل تنوعاتها الأنيقة، والتي لاشك فيها أن لها أصلاً مشتركاً مع العبرية أو الكلدانية. أما بالنسبة لحروف حمير، أو تلك التي توجد باسم المسند فما زال الغرب في جهل تام³.

الخط الكوفي

إن الخط العربي الذي عرف في الإسلام بالخط الكوفي، قد كان معروفاً في الجاهلية منذ مطلع القرن الرابع الميلادي على أقل تقدير. وأن العرب في الجاهلية قد كتبوا بهذا الخط الذي كان المسلمون يستطيعون قراءته في يسر. و يعتقد أن العرب يستطيعون الآن أن يقرأوه بعد شيء من المراتبة والدربة. ويعود هذا الخط إلى فترة ثلاثة قرون قبل الإسلام أو الأكثر منها⁴.

الخط العربي في القرن السادس الميلادي، تم اكتشافه وفيه نقشان: أولهما، نقش وجد في خربة زبد، بين قنسرين ونهر الفرات، ويعود تاريخه إلى سنة 511 للميلاد، وعليه ثلاث كتابات: اليونانية والسريانية والعربية. وخطه يتشابه بالخط الكوفي الإسلامي، وإن كانت بعض كلماته مازالت غير مقروءة. أما سائر كلماته فهي عربية الخط على اختلاف العلماء في قراءتها. وثانيهما، نقش مؤرخ في

¹ Ibid. p.39

² Ibid. p. 40

³ Sir William Jones, "The Fourth Anniversary Discourse on The Arabs" Vol. I, p. 41
الدكتور ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمها التاريخية"، ط. 7، القاهرة، دارالمعارف، 2021، ص. 619⁴

سنة 568 للميلاد. عليه كتيبان باليونانية والعربية. وقد وجد منقوشا على حجر فوق باب كنيسة بحرّان اللجا في المنطقة الشمالية من جبل الدروز¹. الخط الكوفي من أقدم أنواع الخطوط العربية وأشهرها. نال هذا الخط رواجاً من فضل أشكاله الهندسية وزواياه الحادة مما جعله متميزاً عن الخطوط العربية الأخرى. فجرى استخدامه في كتابة الآيات القرآنية على جدران المباني والمحاريب والنقوش المعمارية علامة للفنون الإسلامية.

عند نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ لم يكن العرب يعرفون شكلاً من النقط والتشكيل في عبارات اللغة العربية، لأن كتابتها كانت خالية من وجود النقط على الحروف كنقط الباء والتاء والثاء والجيم والخاء وما إلى ذلك. وكذلك لم تكن علامات الإعراب والحركات في شكل مكتوب، كما جرى رسمها فيما لضبط الحركات. إنما ظهرت هذه العلامات في وقت متأخر بعد وفاة النبي ﷺ، بعشرات السنين. فالمصحف الذي تم جمعه في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كان خالياً عن النقط والتشكيل، وكذلك المصحف الذي أعد في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، لم تكن فيه النقط ولا التشكيل، لأن العرب ما كانوا يعرفون شيئاً منها آنذاك.

من المعروف أن الكتابة العربية في أول نشأتها كانت غير منقوطة، واستمرت خالية من النقط حتى زمن عبد الملك بن مروان. ولكن ظهر وجه آخر في هذا الموضوع من قول أورده القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه "العواصم من القواصم"، فقال: وكان نقل المصحف إلى نسخه على النحو الذي كانوا يكتبونه لرسول الله ﷺ كتابة عثمان وزيد وأبيّ وسواهم من غير نقط ولا ضبط. واعتمدوا هذا النقل ليبقى بعد جمع الناس على ما في المصحف نوع من الرفق في القراءة باختلاف الضبط². روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جردوا القرآن ليربو فيه صغيركم ولا ينأى عنه كبيركم...، وقد ذكر الزمخشري شارحاً قول ابن مسعود أنه "أراد تجريده من النقط والفواتح والعشور لئلا ينشأ نشء فيرى أنها من القرآن". فبدأ بهذا أن النقط أمر قد كان معروفاً قبل كتابة مصحف عثمان

الدكتور ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية"، ط. 7، القاهرة، دارالمعارف، 2021، ص. 29¹

الدكتور ناصر الدين الأسد، ص. 34²

ﷺ، ثم عُدل عنه عدلا مقصودا ، وجُرِدَ القرآن منه تجريدا متعمدا. وتجريد القرآن يتضمن تجريده من النقط ايضا. وقد يكون المقصود من النقط هنا "النقط بالنحو" أي نقط أبي الأسود الدؤلي، وهو بيان حركات أواخر الكلام بوضع نقطة فوق الحرف للدلالة على الفتحة ، ونقطة تحت الحرف للدلالة على الكسرة ، ونقطة بين يدي الحرف للدلالة على الضمة ، بحبر يخالف لونه لون حبر الكتابة نفسها¹.

وكان العرب يكرهون أي نوع من الإضافة إلى ما كان رائجا فيما بينهم من أسلوب الكتابة. فلا يشجعون أي تغير أو تبديل خوفا من التحريف الذي قد يطرأ على القرآن.

موقفه من الثقافة الجاهلية

ومن المؤكد أن أهل اليمن كانوا يعبدون الشمس والسماء، فحتى الثالث من سلالة يقطان اتخذ لقب عبد الشمس أو خادم الشمس. فيتأكد به أن عائلته كانت تجلّ ذلك النور إجلالا خاصا. وكذلك عبدت قبائل أخرى الكواكب والنجوم الثابتة. أما الشعراء فديانتهم تبدو على الأقل أنها كانت تنتهي إلى الآلهة. ويمكن الاعتراف بها باليقين في ضوء أبيات العرب القديمة التي تتضمن مشاعر تقية سامية عن الخير والعدل، وقدرة الله ووجوده في كل مكان².

ثم يحوّل مسار الحديث عن ديانتهم إلى ديانة الهندوس فيقول بأنه لا يوجد تشابه قوي بين ديانات العرب الوثنيين والهندوس. ولكن على الرغم من أن هذا قد يكون صحيحا، إلا أن الاتفاق في عبدة الشمس والنجوم لن يثبت وجود قرابة بين الأمتين. إن قوى الله المتمثلة في صورة آلهة أنثوية ، وعبدة الأحجار، واسم المعبود "ود"، قد تقود بالفعل إلى الشك في أن بعض الخرافات الهندوسية قد كانت رائجة في شبه الجزيرة العربية، وعلى الرغم من عدم وجود أي أثر في التاريخ العربي لمثل الفاتح أو المشرع مثل سيساك العظيم الذي يقال

الدكتور ناصر الدين الأسد، ص. 35-36¹

²Sir William Jones, "The Fourth Anniversary Discourse on The Arabs" Vol. I, p. 42

عنه إنه أقام أعمدة في اليمن وكذلك مصب نهر الجانجا، إلا أننا نعلم أساسيا هو لقب بوذا الذي يفترض أن يكون "ودا"، وبما أن بوذا لم يكن من مواطني الهند الأصليين، وبما أن عصر سيساك يتفق تماما مع عصر ساسيا، فيمكن الاستنتاج من تخمين معقول أنهما كانا في الواقع نفس الشخص الذي سافر شرقا من إثيوبيا. إما كمحارب أو مشرع قبل حوالي ألف عام من ميلاد المسيح¹. والذي نرى طقوسه الآن ممتدة حتى بلاد نيسون، أو ما يسميها الصينيون جابوين، وكلاهما يدل على شروق الشمس، قد تكون كلمة ساسيا مشتقة من كلمة تعني "القوة"، أو من كلمة أخرى تدل على طعام نباتي، لذا فإن هذا اللقب لن يحدد ما إذا كان بطلا أم فيلسوفا، لكن لقب بوذا أو زوجته، قد يدفع إلى الاعتقاد بأنه كان محسنا، لا مدمرا، لبني جنسه. ومع ذلك لو كان دينه قد دخل حقا إلى جزء من شبه الجزيرة العربية، لما كان عاما في ذلك البلد، ويمكن الجزم بأنه قبل الثورة الإسلامية، كان العرب النبلاء والمتعلمون مؤمنين، ولكن عبدة الأصنام الغبية سادت بين الطبقات الدنيا من الناس².

خلاصة البحث

المستشرق السير وليم جونز شخصية معروفة في مجال اللغات الشرقية وثقافتها. قبل مجيئه الهند كان راغبا في اللغة العربية وثقافتها. في سياق القدرة على اللغة العربية ادعى جونز أنها في سلطة الغربيين بالكامل تقريبا. وهو يمتلك الإتقان بها إلى درجة أنه يتمكن من قراءة مائة شعر في جلسة واحدة من غير دراسة سابقة لأي مجموعة من القصائد العربية القديمة. وجاءت هذه الرغبة في اللغة من أنها تعد من أقدم اللغات في العالم من غير شك. وهي لا تضاهي أي لغة تكلم بها البشر من حيث عدد كلماتها ودقة عبارتها. من أجل ذلك بذل جهده في سبيل تكثيف شعبيتها بين الغربيين عن طريق ترجمته المعلقة السبع. وقد رأى أن العرب تفوقوا في الشعر والبلاغة. وكانوا يمتازون في الأزوان الشعرية. ولهم قدرة فائقة على حفظ الأبيات. إنهم كانوا فصحاء إلى درجة عالية، فأظهروا موهبة عجيبة في مجال الكلام من غير استعداد في فترات زمنية متدفقة وقوية. وذلك من أن العرب القدماء كانوا

¹ Sir William Jones, "The Fourth Anniversary Discourse on The Arabs" Vol. I, p. 42

² Ibid. p. 43

يقيمون مجالس رسمية لعرض مواهبهم الشعرية، ويعتبرون من واجهم تدريب أبنائهم على حفظ أشعارهم المحبوبة عن ظهر القلب.

مراجع:

- يجي مراد، "معجم أسماء المستشرقين"، www.alkottob.com
جون م. غانم، "الاستشراق والقرون الوسطى" ترجمة عبلة عودة، مشروع كلمة، هيئة أبو طي للسياحة والثقافة، 2012/1433
أحمد حسن الزيات، "تاريخ الأدب العربي"، بيروت، لبنان، دار المعرفة، 1993/1413
الدكتور عبد الرحمن بدوي، "جونز"، موسوعة المستشرقين، ط. 3، بيروت، دار العلم للملايين، 1993
الدكتور ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية"، ط. 7، القاهرة، دارالمعارف، 2021
نجيب العقيقي، "المستشرقون"، دارالمعارف بمصر، 1964
أبو الحسن علي الحسني الندوي، "مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين"، دمشق، دار ابن كثير، 2002/1423
Sir William Jones, "The Works of Sir William Jones", in Six Volumes, Printed at London, for G. G. and J. Robinson, Peter-Noster-Row, and R. H. Evans (Successor to Edwards), No. 6, Pall-Mall, Vol. I,
William Jones, The MOALLAKAT, London, Printed by J. Nichols
Richard Allen and Harish Trivedi, "Literature and Nation; Britain and India 1800-1990", Routledge, London, 2000.
Zaffar Junejo, In Praise Of A Pioneer: 'Oriental' William Jones – II, The Friday Times, Features, History, Legacy, January 17, 2023
www.thefridaytimes.com/17-Jan-2023/in-praise-of-a-pioneer-oriental-william-jones-ii
M. Bagchee, "Sir William Jones: Discourses and Essays", Delhi, People's Publishing House, 1984
S. S. Pachori, "Sir William Jones: A Reader", Delhi, Oxford University Press, 1993
Franklin Michael John, "Sir William Jones: Selected Poetical and Prose Works", Cardiff: University of Wales Press, 1995
Lord Teignmouth, "The Work of Sir William Jones", 1807
"Oriental Jones; A Biography of Sir William Jones 17-46-1794", Cambridge University Press, 1990
S. N. Mukherjee, "Sir William Jones: A Study in Eighteenth Century Attitude in India", Cambridge University Press, 1968
Sir William Jones, "Orientalist: An Annotated Bibliography of his Works", Honolulu University of Hawaii Press, 1952
"Sir William Jones: A Bibliography of Primary and Secondary Sources", Amsterdam: Benjamins, 1979

M. Bagchee, "The Asiatic Society: A Brief History", Delhi, People's Publishing House, 1984
O. P. Kerval, "Asiatic Society of Bengal and the Discovery of India's Past 1784-1838", Oxford University Press, 1988
Raymond Schwab, "The Oriental Renaissance: Europe's Rediscovery of India and the East 1680-1880", Trans. By G. Patterson Black and V Reinking, New York, Columbia University Press, 1984

جهود المستشرق ألبرت تايل في تطور الصحافة العربية في ألمانيا

المقدمة:

وُلد ألبرت تايل في هورده، وهي إحدى مقاطعات دورتموند (Dortmund) حاليًا. سافر إلى البلاد العديدة الشرقية في شبابه، هربًا من البيئة الصارمة لمنزله الأبوي وافتتأًا بالشرق. بعد إنهاء دراسته الثانوية، عمل تايل كعامل مناجم ومربي نحل، ثم حصل على دبلوم المدرسة الثانوية وواصل دراساته في الصحافة، أولاً في مونستر فميونيخ ثم برلين. بين عامي 1926 و1927، اكتسب خبرته الصحفية الأولية من خلال عمله كمحرر مستقل في باريس².

الهجرة والسفر حول العالم: باعتباره معارضًا للاشتراكية الوطنية، غادر ألبرت تايل ألمانيا في عام 1933م وانتقل إلى باريس. وفي نفس العام، انطلق رحلته حول العالم بدأ بالذهاب إلى الهند، ثم توجه إلى جمهورية الصين فاليابان ثم الولايات المتحدة. ساعدته رسالة توصية من الكاتب الفرنسي رومان رولاند في التواصل مع الكتاب والدوائر الفنية على طول رحلته. خلال هذه الرحلة، اكتسب تايل معرفة عميقة بالثقافة الآسيوية، كما يتضح في عمله المكون من ثلاثة مجلدات بعنوان "فن الشعوب غير الأوروبية" الذي نُشر في عام 1955م. وأهدى المجلد الثاني من هذا العمل إلى المترجمين والكتّاب اليابانيين توشيهيكوكاتايتاما (1898-1961م) وتاكيياماميتشييو (1903-1984م)، اللذين التقى بهما خلال رحلاته. وبعد أن أكمل رحلته حول العالم، هاجر تايل إلى النرويج (1936م)، حيث عاش في أوصلو حتى أبريل 1940م. عندما غزت القوات الألمانية النرويج، اضطر إلى الفرار مرة أخرى، وهذه المرة إلى السويد. من هناك، شق طريقه عبر

¹ جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي، الهند

² خطاب شكر من ألبرت تايل بمناسبة منحه جائزة فريدريش روكرت لعام 1971م في شفابنهورت، سنة النشر الخاصة بجمعية روكرت، إيرغونفيلاج، 1996م، ص: 172.

روسيا، الصين، واليابان، ووصل أخيراً إلى سانتياغو دي تشيلي خلال عطلة عيد الميلاد عام 1940م، حيث حصل لاحقاً على منصب أستاذ.

استمر ألبرت تايل في السفر بشكل متكرر وقضى فترات طويلة في الخارج، مثل روما ومايوركا وتشيلي. في السنوات التالية، اشتهر تايل كصحفي ومترجم ومحرر للأدب والشعر في أمريكا الجنوبية. وبفضل شغفه بفرن العالم، استمر في العمل كمؤلف للمجلات التي كانت إلى جانب السفر، جزءاً مهماً في حياته. كتب سلسلة من الكتب التي تناولت الثقافات التقليدية للقارات المختلفة. من بين إنجازاته الصحفية البارزة كان كتاب "الفن في أفريقيا" (1955)، الذي تُرجم إلى عدة لغات¹.

الأوسمة والتقدير:

حصل ألبرت تايل على جائزة "وسام الصليب الأعظم للاستحقاق" من جمهورية ألمانيا الاتحادية (1965م) والعضوية في مركز القلم التابع لجمهورية ألمانيا الاتحادية (1970م)، و"جائزة فريدريش روكرت" (1971م) تقديراً لترجماته العديدة ومختاراته الأدبية من ثقافات مختلفة، بما في ذلك أعمال شعراء من أمريكا اللاتينية واليابان، والملاحم الإسكندنافية، وأدب الغاوتشو، والشعر لشعوب المكسيك وبيرو الأصلية. انتقل ألبرت تايل إلى برن (1974) حيث قضى السنوات الأخيرة من حياته وتوفي فيها (1986م).

المسيرة الصحفية لألبرت تايل:

كان ألبرت تايل شخصية بارزة في الصحافة الألمانية بعد الحرب، حيث ترك بصمة واضحة من خلال تقاريره العميقة وأعماله التحريرية المتميزة. لعب دوراً حاسماً في تشكيل الخطاب العام عبر عمله مع الصحف والمجلات الألمانية الكبرى، وامتدت مساهماته إلى ما هو أبعد من الصحافة التقليدية، إذ انخرط أيضاً في القضايا الثقافية والسياسية، مع التركيز بشكل خاص على الشرق الأوسط. يتسم عمل تايل بالتزامه بتقديم تحليلات ثاقبة وتعزيز التفاهم بين الثقافات المختلفة، مما يجسد إرثه كصحفي متميز بتفانيه في كل من التقارير الواقعية والحوار الثقافي.

¹ Albert Theile: *Kunst in Afrika*. Chr. Belser Verlag, Stuttgart, 1982.

في عام 1928م، شارك ألبرت تايلر في تأسيس المجلة الدولية (Die Böttcherstraße)، التي ركزت على الثقافة والأدب والفن والموسيقى والسياسة الدولية. وقد سميت المجلة على اسم الشارع في البلدة القديمة في بريمن، نُشرت المجلة (Die Böttcherstraße) في 14 إصدارًا بين مايو 1928 ويوليو 1930، بطباعة 10000 نسخة لكل إصدار.¹

في المنفى: في عام 1942م، أسس ألبرت تايلر مجلة المنفى "الصفحات الألمانية" (Die Deutschen Blätter) في تشيلي، بالتعاون مع أودو روكسر، المحامي وجامع الفن الألماني الذي هاجر من ألمانيا قبل عام من تايلر. أصبحت المجلة منبراً للمعارضة غير الحزبية لهتلر. استطاع تيلاوروكسر جذب كتاب ومفكرين بارزين في المنفى مثل توماس مان، كارل زوكماير، ألبرت شفايتزر، و G. Jung. كان الأدب محوراً رئيسياً في المجلة بالإضافة إلى السياسة، حيث ركزت على دعم الكتاب اللاتينيين الأمريكيين وترجمتهم إلى اللغة الألمانية. نشرت المجلة (Die Deutschen Blätter) أيضاً نصوصاً مترجمة بواسطة ألبرت تايلر لكتاب مثل غابريلا ميسترال، بابلو نيرودا، وخورخي لويس بورخيس وغيرهم.²

مجلة هومبولت (Die Zeitschriften Humboldt): بجانب عمله المستقل في الإذاعة، حيث كتب مساهمات لبرنامج "صدى الزمن"، كان هدف ألبرت تايلر الرئيسي هو تصور وتصميم المجلات. كانت الندوة التي أُقيمت في برلين عام 1960م، التي كانت تهدف إلى تعزيز التبادل الثقافي بين الكتاب الناطقين بالإسبانية والألمانية، بمثابة مقدمة لتأسيس مجلة "هومبولت"، التي مخصصة للعالم الأيبيري، والتي نُشرت باللغات الألمانية والبرتغالية والإسبانية. كما كان الحال مع المنشورات التي عمل بها تايلر سابقاً، كان التركيز الرئيسي في المجلة على الموضوعات الثقافية والعلمية. وكان الهدف الخاص للمجلة هو تعزيز الحوار الثقافي بين العالمين اللاتيني والأوروبي.

¹ Daniel Schreiber: *Die Böttcherstraße – nationalistischer Lehrpfad und „Internationale Zeitschrift“*. In: HKMB-news, 1/2006 (= *Journal der Arbeitsgemeinschaft der Kunst- und Museumsbibliotheken*. Jahrgang 12), S. 10–13. Weblink: archiv.ub.uni-heidelberg.de.

² Klaus Goebel: Thomas Manns Briefwechsel mit den Deutschen Blättern in Santiago de Chile. In: *exil-archiv.de*. 14. Februar 2013,

ألبرت تايلو والصحافة العربية:

مجلة "فكر وفن": هي مجلة عربية أدبية وثقافية نصف سنوية من ألمانيا، أُسست في عام 1963م بواسطة ألبرت تايلو مع عميدة الاستشراق الألماني أنا ماري شيميل (Annemarie Schimmel)، التي كانت تمتلك معرفة واسعة بالعالم الإسلامي. في البداية، كانت المجلة تُنشر باللغتين: العربية والألمانية فقط، ولكن ابتداءً من العدد الـ 76، توسعت إلى اللغتين الفارسية والإنجليزية. كانت المجلة تنشر مقالات تركز على التبادل الثقافي بين ألمانيا والعالم العربي أو العالم الإسلامي. كان مقر نشر المجلة في شمال ألمانيا بالقرب من مدينة هامبورغ.

المحتويات المتنوعة في المجلة:

تحت إشراف ألبرت تايلو، تميزت محتويات مجلة "فكر وفن" بتنوعها وشمولها لمجموعة واسعة من المواضيع التي عززت التبادل الثقافي بين العالمين العربي والألماني. شملت المجلة الفنون التشكيلية الإسلامية في أوروبا والهندسة المعمارية الإسلامية، كما تناولت ترجمة الشعر العربي المعاصر والقصة القصيرة من الأدب الألماني، بالإضافة إلى استكشاف الصوفية والفلسفة الإسلامية. وأبرزت المجلة دور المستشرقين الألمان في الدراسات العربية، بينما قدمت تقارير عن أحداث ثقافية هامة، معارض فنية، مهرجانات موسيقية، وأحداث أدبية من كلا العالمين، مع تحليل أثرها على الثقافة والفن. كما شملت مراجعات للكتب المهمة وناقشت الفنون الغربية وعلاقة العرب بالغرب. سنقوم في الأقسام التالية بمراجعة هذه المواضيع بشكل مفصل، حيث سنتناول كل موضوع على حدة.

ترجمة الأدب:

لعبت المجلة دورًا محوريًا في تقديم الأدب العربي للجمهور الألماني عبر ترجمته إلى الألمانية، بينما عرّفت القارئ العربي بالأفكار الثقافية والفنية الغربية. منذ تأسيسها، شعراء مثل نزار قباني، محمود درويش، نازك الملائكة، كان حضورهم في المجلة لافتاً. هذه الترجمات لم تكن مجرد عملية لغوية بل شملت أيضاً محاولة لالتقاط الروح والأسلوب الشعري العربي، كما اهتمت بأعمال شعرية من ثقافات شرقية أخرى، مثل الشعر الفارسي والأردي

والهندي، مما أضاف تنوعاً ثقافياً إلى محتواها. كما نشر العدد الثاني من المجلة ترجمة ألمانية لقصيدة "خمس أغان للألم" لنازك الملائكة، مما أتاح للجمهور الأوروبي فرصة التعرف على أعمال الشاعرة العراقية الشهيرة. ساعدت هذه الترجمة في نقل عمق وعواطف القصيدة إلى لغة جديدة، مما تمكن القراء غير الناطقين بالعربية من تقدير الجمال الأدبي للشعر العربي المعاصر وتأثيره الثقافي¹. ومقالة يان مارك حياة وإبداع الشاعر الباكستاني فيض أحمد فيض، الذي يُعد من أبرز شعراء القرن العشرين في جنوب آسيا. تبرز المقالة كيف جمع فيض بين حبه لوطنه واهتمامه بالمبادئ الاشتراكية، حيث كان شعره تجسيدا لوجدان قومي وإنساني يتجاوز حدود السياسة. تأثر فيض بالظروف الاجتماعية والسياسية في بلاده، وعبر عن ذلك من خلال شعره الذي أُلّفه في الغالب أثناء سجنه بسبب مواقفه السياسية. تميز شعر فيض بتمازج الرومانسية والواقعية، معبراً عن حبه لبلاده وشعبها، وداعياً إلى العدالة الاجتماعية والحرية. استخدم فيض أسلوباً كلاسيكياً يمزج بين التقاليد الأدبية الأوردية والفارسية والفكر الحديث، مما جعل شعره مؤثراً ويحافظ على ارتباطه بالتقاليد الأدبية. رغم اعتقاله وسجنه عدة مرات، واصل فيض إبداعه الشعري، ونال جائزة لينين للأدب من الاتحاد السوفياتي. يُعتبر فيض رمزاً للإبداع الأدبي والالتزام الإنساني في باكستان والهند، وترك بصمة بارزة في الأدب الأوردي المعاصر، "لقد أحب فيض بلاده ولكنه كان يشعر في الوقت نفسه ويعتبر فيض في باكستان والهند بحق من أبرز الشعراء بالحب والتعاطف مع الشعوب المظلومة المضطهدة في المعاصرين قاطبة"². بفضل هذه الترجمات، تمكن القراء الألمان من اكتشاف الفنون الشرقية والأدب العربي، مما عزز التبادل الثقافي والفهم المتبادل، وفتح آفاقاً جديدة لاستكشاف جمال الشعر العربي.

تضمنت المجلة ترجمة العديد من القصص الألمانية إلى العربية، مما ساعد في تقديم الأدب الألماني بجوانبه المتعددة للقراء العرب. لم تكن هذه

¹ تيلا، ألبرت. نازك الملائكة: خمس أغان للألم"، فكر وفن، 1963م، ع2، ص: 34.
² مارك، يان. ترجمة محمد علي حشيشو. "قريض فيض: الشاعر الباكستاني الإنساني"، فكر وفن، ع15، 1970م، ص: 66.

الترجمات مجرد نقل للكلمات، بل كانت محاولة لنقل الأفكار والحضارات والسياقات الثقافية التي تحملها القصص. إحدى هذه القصص هي "في زمن ما" بقلم ماري لويزه كاشنيتز، التي تتناول موضوع الوجود الإنساني ومساويته من خلال قصة حقوقي شاب يعمل على جرد تركة سيده متوفاة. الشاب، الذي كان يطمح للنجاح المهني السريع، يواجه عالم الرسامة الراحلة التي توفيت جوعاً رغم أنها من عائلة موسرة. خلال عملية الجرد، يستكشف الشاب لوحات الرسامة التي تعكس حياتها المنعزلة وغير المرتبطة بالمجتمع، ويشعر بالانجذاب الغريب نحوها. تتصاعد مشاعره حتى يصل إلى حالة من التماهي مع المرأة الميتة، ويبدأ في رؤية نفسه في لوحاتها. مع تقدم القصة، يزداد انغماس الشاب في هذا العالم الغامض ويبدأ في فقدان الاتصال بالواقع. في النهاية، يعود إلى حياته الطبيعية بعد قضاء ليلة غير مريحة في منزل الفقيدة، لكنه يحتفظ بأثار هذه التجربة الغريبة في داخله. تعكس القصة براءة الشعور بالعزلة والاغتراب وكيف يمكن للفن أن يكون مرآة للصراعات الداخلية والخوف من مواجهة الذات.¹ بفضل هذه الترجمات، تمكن القراء العرب من التعرف على الأعمال الأدبية الألمانية، وفهم السياقات الاجتماعية والثقافية التي تنبع منها. وفي المقابل، ساهمت هذه الترجمات في تقديم وجهات نظر جديدة وفهم أعمق للأدب الألماني من خلال عدسة الثقافة العربية.

التصوف الإسلامي:

دراسة التصوف في ألمانيا تشكل جزءاً رئيسياً من الاهتمام الأكاديمي بالعلوم الإسلامية. بدأت في القرن التاسع عشر ضمن حركة الاستشراق، حيث درس المستشرقون الألمان الفكر الصوفي وتأثيره. في القرن العشرين، تطورت هذه الدراسات بشكل ملحوظ، مع التركيز على تفاصيل التصوف وممارساته وتأثيره على الأدب والفكر.

تستعرض أنا ماري شيمل في مقالها شخصية الحلاج، الذي ترك أثراً عميقاً في التصوف الإسلامي. اشتهر الحلاج بعبارته "أنا الحق"، التي جعلته رمزاً للفناء في الحق وصراعاً مع الفقهاء والعلماء الذين اعتبروا أفكاره تهديداً للإسلام. قُتل بتهمة الكفر والخروج عن الشريعة، لكن موته ساهم في تعزيز

¹ كاشنيتز، ماري لويزه. "في زمن ما....."، فكر وفن، 1967م، ع10، ص: 83-86.

أفكاره وأثر في المتصوفة اللاحقين. تبرز شيميل كيف ظل الحلاج شخصية محورية في الدراسات الصوفية رغم تباين الآراء حوله، مشيرة إلى أن تأثيره امتد إلى المستشرقين الأوروبيين مثل بوخوكوثيرلوك، الذين ساهموا في نشر أفكاره من خلال ترجماتهم ودراساتهم، فإن الحلاج مثال أعلى للحقيقة ومنهم أفاد عنها في الكثير من أبياته التي لا زالت محبوبة عند ده اربلوت (B Herbelot) و اوجوست مولر (A Muller)¹. يبرز المقال تأثير الحلاج على الشعر الصوفي والفلسفة الهندية، ويستعرض كيف استمر تأثيره في الأدب الفارسي والتركي والباكستاني حتى العصر الحديث. على الرغم من إعدامه، يُعتبر الحلاج رمزاً للحب الإلهي والفناء في الحق، وتُحتفظ ذكره عبر ضريحه الذي يُعد رمزاً لوجوده في الذاكرة الصوفية، رغم غيابه الجسدي. يبرز تأثير الشاعر الباكستاني محمد إقبال على ألبرت تايل (Albert Theile) وأصدقائه بشكل واضح في العدد الثاني والثلاثين الصادر عام 1978م، حيث تضمنت تسع مقالات متنوعة مخصصة له، أبرزها: "إقبال في سياق حركات الإصلاح الهندية الإسلامية"²، "شعر إقبال بالعربية"، و"مؤلفات محمد إقبال وترجماتها العربية"³، إضافةً إلى إقبال، يقدم هذا العدد مقالات وأبحاث حول الصوفية وتأثير الشرق على ألمانيا خلال الفترة الكلاسيكية والرومانسية.

الدراسات العربية في ألمانيا: تناولت مجلة "فكر وفن" بعمق موضوع الدراسات الإسلامية في ألمانيا، بالتركيز الخاص على جهود المستشرقين الألمان في تحليل النصوص الإسلامية. أبرزت المجلة مساهماتهم في ترجمة ونشر الأعمال الإسلامية، وناقشت كيفية تأثير هذه الدراسات على تعزيز الفهم المتبادل للثقافة الإسلامية وتعزيز التبادل الثقافي بين الشرق والغرب.

يناقش الدكتور محمد حميد الله الهندي في مقالته دور العلماء الألمان في خدمة وتحقيق النصوص القرآنية، مشيراً إلى إسهاماتهم في مجال الطباعة، التأريخ، وترقيم الآيات. يستعرض المقال دور العلماء الألمان في دراسة القرآن،

¹ شيميل، أنا ماري. "شهاد العشق الإلهي"، فكر وفن، ع13، 1969م، ص: 19-30.
² شيميل، أنا ماري. إقبال في سياق حركات الإصلاح الهندية الإسلامية، فكر وفن، 1979م، ع32، ص: 46.
³ تايل، ألبرت. "شعر إقبال بالعربية"، فكر وفن، 1979م، ع32، ص: 19، 33، 64، و95.

بدءاً من أول طبعة قام بها باكانيني عام 1530م، والتي أعقبتها احتراق النسخ التي طبعها البابا ألكسندر السابع. يُبرز المقال أيضاً إسهامات تيودور نولدكه وأبراهام هنكلمان في القرون التالية، بالإضافة إلى جهود غوستاف فلوجل في ترقيم الآيات وتقديم فهرس أبجدي مهم. يشير إلى أن معهد القرآن في جامعة ميونيخ، الذي كان مركزاً رئيسياً للبحث في هذا المجال، دُمّر خلال الحرب العالمية الثانية. يستعرض الدكتور حميد الله أيضاً جمع العلماء الألمان لنسخ قديمة من القرآن وتوثيقها، مؤكداً أهمية هذه الأعمال في فهم تطور النصوص القرآنية. كما يبرز المقال الجهود المبذولة في ترجمة القرآن إلى لغات مختلفة، بما في ذلك الألمانية، ويشدد على أهمية هذه الترجمات في توثيق وفهم النصوص القرآنية. يُختتم المقال بالإشارة إلى أن القرآن يظل من أكثر الكتب قراءةً وحفظاً في العالم، بفضل الجهود المستمرة للحفاظ على النص القرآني عبر الأجيال¹.

تتناول مقالة في العدد الثالث عشر من المجلة تأثير الصيدلة العربية على الطب الغربي، مع التركيز على إسهامات العلماء العرب في تطور علم الصيدلة. يبدأ المقال بذكر أهمية الأدوية في الطب العربي وتقدير الأطباء في العصور الوسطى لتفاصيل استخدامها وفوائدها. يستعرض كيفية استفادة العرب من المصادر الطبية اليونانية مثل كتب ديقوريدس وجالينوس، وتطويرهم لهذا العلم من خلال دمج خبراتهم الخاصة. يُبرز المقال إسهامات العلماء العرب مثل ابن سينا والرازي، ويشير إلى تأثيرهم في إثراء التراث الطبي بأسس علمية متقدمة. كما يناقش دور المستشرقين الألمان مثل إرنست زيكنبيرجر وماكس مايرهوف في دراسة وتحليل الأدوية والعلاج من المخطوطات العربية القديمة، مما ساهم في توسيع الفهم الغربي للطب العربي. تُشدد المقالة على أهمية جهود هؤلاء العلماء في الحفاظ على التراث الطبي العربي وتطويره من خلال أبحاثهم وترجماتهم. "عالمان ألمان إرنست زيكنبيرجر وماكس مايرهوف - خدما العلم في الشرق. أحدهما... قام بدوره في توضيح علم الأدوية والعقار عند العرب في القرون الوسطى. أما الآخر فهو طبيب العيون الذي عرفته القاهرة واشتهر بين أهلها، كما اشتهر بين العلماء عن طريق دراساته العديدة في علم العقار عند العرب، وهي التي أدّى بها خدمة كبيرة في الميدان البحث في هذا

¹ حميد الله، محمد. "الألمان في خدمة القرآن"، فكر وفن، 1963م، ع2، ص: 17-23.

المجال حتى اليوم. كانا عالمين كرسا حياتهما لخدمة العلم، وفتحا بابا جديداً لإدراك العلوم العربية على مصراعيه¹. ويؤكد المقال على استمرار تأثير هذا التراث على الطب والصيدلة حتى اليوم، مشيداً بالعلماء الألمان الذين ساهموا في الكشف عن أهمية الصيدلة العربية وتقديمها إلى العالم الغربي.

المقالة التي كتبها يوهان فوك تسلط الضوء على حياة وأعمال كارل بروكلمان (1868-1956)، أحد أبرز المستشرقين الألمان. يبرز المقال إنجازات بروكلمان العلمية العديدة، بما في ذلك إتقانه للغات السامية مثل العبرية والآرامية والسريانية والتركية، مما أهله للتميز في الدراسات الشرقية. يتناول المقال بشكل خاص عمل بروكلمان على المعاجم السريانية وتأليفه لكتاب "تاريخ الأدب العربي"، الذي يُعد من أبرز الأعمال في الاستشراق. كما يشير إلى رؤيته النقدية والعلمية الموضوعية التي ساهمت في تطوير منهجيات دراسة اللغات السامية. ويستعرض التقدير الذي حظي به بروكلمان، بما في ذلك عضويته في جمعيات علمية دولية وجوائز عديدة. يُعكس في المقال التزام بروكلمان العميق بالبحث العلمي ونقل المعرفة عبر الأجيال².

الفنون الجميلة الإسلامية في أوروبا:

الفنون الجميلة الإسلامية في أوروبا تشكل جزءاً مهماً من التراث الثقافي العالمي. تأثرت أوروبا بالفن الإسلامي منذ العصور الوسطى، خاصة من خلال الأندلس وصقلية، وانتقلت الأنماط الزخرفية والعمارة الإسلامية إلى أوروبا. خلال فترة النهضة، أعاد الأوروبيون اكتشاف الفن الإسلامي من خلال التجارة والعلاقات الدبلوماسية، مما أثر على الفنون الأوروبية. وفي القرن التاسع عشر، زاد اهتمام الأوروبيين بالفن الإسلامي ضمن سياق الاستشراق، مما دفع الفنانين والمثقفين لدراسة وجمع التحف الفنية الإسلامية. واهتمت المجلة بتسليط الضوء على مختلف أشكال الفن الإسلامي، من العمارة والزخرفة إلى الخط العربي وفنون الكتاب.

¹ كيرشر، جيزلا. (ترجمة: عزيزه حمدي). "الألمان وتاريخ الصيدلية العربية"، فكر وفن، ع13، 1969م، ص: 56.

² فوك، يوهان. ترجمة محمد الحشيشو، "ورقة من تاريخ الاستشراق في ألمانيا كارل بروكلمان"، فكر وفن، ع15، 1970م، ص: 78-85.

كما نجد في العدد الأول مقالة بعنوان "الفن الإسلامي في برلين"، حيث يناقش الكاتب بعض المعروضات الشرقية الموجودة في متحف برلين القديم، بما في ذلك السجادات الشرقية الفاخرة. كما أهدى السلطان عبد الحميد واجهة قصر المشتى الصحراوي إلى الإمبراطور الألماني غليوم الثاني "قد اتخذت لهذه المجموعة كعتاد أساسي بعض السجاجيد الشرقية الفاخرة. وفي نفس السنة أهدى السلطان عبد الحميد إلى الإمبراطور الألماني غليوم الثاني واجهة قصر المشتى الصحراوي"¹، ولكن القنابل دمرتها خلال الحرب، لكن بعد ترميمها، أُعيدت إلى مكانها في برلين الشرقية. ومن ناحية أخرى، تحتفظ برلين الغربية، في ضاحية دالم، بمجموعة مميزة من الصناعات اليدوية الإسلامية التي تمتد عبر مختلف العصور والفترات، من الأمويين إلى العهد المغربي يستعرض يوهانا زيك في مقالته "الخزف الإسلامي في متاحف ألمانيا" تزايد اهتمام الأوروبيين بالإمبراطورية العثمانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، والذي أدى إلى دراسة أعمق لتقنيات وتزيين الخزف الإسلامي. يبدأ زيك بمقدمة عن تطور فن الخزف في العالم الإسلامي، مسلطاً الضوء على تقنيات التزجيج والتزيين التي ميزت هذا الفن خلال العصور الوسطى. يوضح المقال كيف وصلت قطع الخزف إلى المتاحف الألمانية ويناقش تأثيرها على الفهم الغربي للفن الإسلامي. يقدم زيك صورة شاملة للقطع المعروضة، معلقاً على تنوعها وتاريخها الفني والثقافي، مما يعزز تقدير الخزف الإسلامي كجزء من التراث الثقافي العالمي. يتضمن المقال أيضاً استعراضاً للصور المتوفرة من المتاحف.²

تستعرض مقالة بريجيت كليسه تأثير الفن الإسلامي على اللوحات الإيطالية في القرن الرابع عشر، مشيرة إلى إدخال الخزاف الإسلامية في أعمال كبار الرسامين مثل جيوتو ودوتشيو دي بونينسينا. توضح المقالة أن تأثير الخزاف الإسلامية لم يكن ملحوظاً في البداية، لكنه أصبح واضحاً مع مرور الوقت، حيث تأثرت اللوحات الإيطالية بالخزاف الهندسية والنقوش التي كانت شائعة في المنسوجات الإسلامية. يعكس هذا التأثير كيف أعاد الرسامون

¹ تيلا، ألبرت. "الفن الإسلامي في برلين"، فكر وفن، 1963م، ع1، ص: 36.

² زيك، يوهانا. "الخزف الإسلامي في متاحف ألمانيا"، فكر وفن، 1966م، ع7، ص: 25-40.

الإيطاليون استخدام هذه الزخارف بأسلوب جديد، مما أثر بشكل كبير على الفن الإيطالي. "وجدنا لوحات كبار المصورين الإيطاليين تذخر في القرن السابع عشر عندما ذاعت في الغرب بدعة النصف الأول من القرن الرابع عشر بزخارف المنسوجات الإسلامية أو المستوحاة عنها"¹. تسلط المقالة الضوء على تأثير الأقمشة المزخرفة من الشرق الأوسط، وخاصة من الأندلس، على الفن الإيطالي من أعمال جيوتو حتى القرن الخامس عشر. توضح المقالة أن هذا التأثير كان متبادلاً بين الشرق والغرب، حيث أعاد الفنانون الإيطاليون تشكيل الزخارف الإسلامية بما يتناسب مع ذوقهم الفني. العلاقات الألمانية-العربية:

كانت المجلة تهتم بتقديم صورة شاملة عن العلاقات الألمانية-العربية من خلال تسليط الضوء على التبادل الثقافي والتعليمي بين الجانبين، المجلة كانت تسلط الضوء على البرامج التعليمية التي تقدمها ألمانيا للطلاب العرب، وكذلك على المبادرات الثقافية المشتركة. كما يغطي العدد الخامس من المجلة معرضاً أقيم في مدينة كولونيا، حيث عُرضت كنوز فنية نادرة من تاريخ العراق، تم اختيارها بعناية من المتحف العراقي. هذه القطع، التي تغادر العراق لأول مرة، تقدم لمحة عن الحضارات العريقة التي ازدهرت في هذا البلد. نشر العدد الخامس خبراً عن عقد معرض يبرز عمق العلاقات التاريخية بين العراق وألمانيا، والتي تعود إلى عهد الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان. يهدف المعرض إلى استعراض كيف تكيف الإنسان مع بيئته على مر العصور وتعزيز التفاهم بين الشعوب، "أن الناس قبل عدة آلاف من السنين كانوا قادرين على تكيف حياتهم حسب متطلبات محيطهم وحسب الضرورات التي أملاها عليهم تفكيرهم"². لقد ساهم العلماء الألمان في استكشاف الحضارة العراقية منذ القرن التاسع عشر، واستمر هذا التعاون بعد الحربين العالميتين. تغطي المجلة معرضاً خاصاً من جنيف نظمه متحف الفن والتاريخ في صيف عام 1966 تحت

¹ كليسه، بريجيتة. "زخارف إسلامية في اللوحات الإيطالية"، فكر وفن، 1967م، ع 10، ص: 29-18.

² تيلا، ألبرت. "معرض الفنون العراقية القديمة في كولونيا"، فكر وفن، 1965م، ع 5، ص: 95-94.

عنوان "نفائس إيران القديمة". عرض المعرض مجموعة مميزة من التحف الفنية التي تمتد من العصور ما قبل التاريخ إلى العصر الإسلامي، وتضمن أكثر من تسعمائة قطعة بما في ذلك مائة وثلاثون عملة وخمسون خاتماً. تميز المعرض بضم قطع جديدة ونادرة لم تُعرض من قبل، بفضل الدراسات الحديثة والتنقيبات الأثرية التي ساهمت في تحسين فهم الفنون الإيرانية القديمة. شمل كتالوج المعرض دراسات جديدة حول التنقيبات الأثرية في القبور القديمة وحضارة لورستان، مما عزز تأريخ المصنوعات البرونزية¹.
تقديم الفنون الألمانية:

تحت قيادة ألبرت تايل، قدمت مجلة "فكر وفن" عرضاً شاملاً للفنون الألمانية، بما في ذلك الفنون التشكيلية والموسيقى والأدب، مع التركيز على تحليل الاتجاهات الفنية وربطها بالسياق الثقافي العربي. كما شجعت المجلة على تبادل الأفكار بين الفنانين والمثقفين من كلا الثقافتين، مما منح القراء العرب فرصة أعمق للتعرف على الفنون الألمانية. يتناول المقال في العدد الأول تطور الباليه الألماني في برلين وميونخ، مشيراً إلى تميز الباليه الألماني بالتعبير العميق ورفضه للباليه الكلاسيكي التقليدي. قاد كورت يوس حركة إصلاح الباليه، حيث طالب الراقصين بإتقان الفن الكلاسيكي بجانب الرقصات التاريخية. على الرغم من هذه الاحتجاجات، شهد الباليه الكلاسيكي نهضة جديدة بفضل إصلاحات الروسي ديا غيليف. في برلين، أدخلت تاتيانا جزوفسكي أعمالاً هامة، بما في ذلك تحويل مأساة "لولو" إلى باليه. كما يبرز المقال عروضاً بارزة في ميونخ، مثل "زنجي البندقية" و"مأساة أورفيوس"².
الأنشطة الأكاديمية للاستشراق الألماني:

من بين المواضيع التي كانت تحظى باهتمام كبير في "فكر وفن" كان الاستشراق. تستعرض المجلة الأنشطة الأكاديمية للاستشراق الألماني، مثل الاجتماعات والمؤتمرات العلمية. هذه الفعاليات تسهم في تعزيز التبادل الأكاديمي وتطوير الدراسات المتعلقة بالفنون والثقافة العربية، مما يتيح للباحثين تبادل المعرفة والتقدم في هذا المجال. كما نشر العدد السابع من

¹ تايل، ألبرت. "تاريخ: نفائس إيران القديمة"، فكر وفن، 1966م، ع8، ص: 88.

² تايل، ألبرت. "الباليه في برلين وميونخ"، فكر وفن، 1963م، ع1، ص: 51.

المجلة خبر المؤتمر السادس عشر للمستشرقين الألمان، الذي عُقد في مدينة هايدلبرغ من الأول إلى الخامس من أغسطس 1965م، حيث تناولت المحاضرات في عشرة أقسام مختلفة، من بينها الدراسات السامية والإسلامية التي حازت اهتماماً كبيراً. قدّم العلماء أبحاثاً مهمة مثل سجلات الأديرة المسيحية في الشرق الإسلامي، ودراسة حول شاه عنایت شهيد الصوفي من وادي السند، وتأثيرات الأسلوبين الإسلامي والأرمني في مدينة آني، بالإضافة إلى دراسة عن الزمن في لغة القرآن وأخرى عن الجاحظ وأصحاب المعارف. كما تناولت المحاضرات مواضيع متنوعة في الأدب والتاريخ واللغة، بما في ذلك دراسة عن الترجمة في لبنان في القرن التاسع عشر والقومية العربية. أظهرت المناقشات التي تلت المحاضرات اهتماماً كبيراً بالدراسات الإسلامية. وختاماً، نُظّمت زيارات للمعارض والمتاحف، مما أضاف طابعاً ثقافياً للمؤتمر¹.

مراجعات الكتب:

لم تقتصر المجلة على نشر المقالات والترجمات، بل أولت أهمية كبيرة لمراجعات الكتب التي تناولت أحدث الإصدارات في العالم العربي وألمانيا. ساهمت هذه المراجعات في توسيع دائرة القراء المهتمين بالأدب والثقافة من الشرق والغرب، كما ركزت على قضايا ثقافية واجتماعية مهمة، مما ساعد على تعزيز الاهتمام بالثقافة العربية والإسلامية. يسلط العدد الثالث والثلاثون من المجلة، في قسم مراجعات الكتب، الضوء على جهود دور النشر في إحياء تاريخ الخيول العربية، مشيراً إلى سلسلة (Documenta Hippologica) التي أطلقتها دار نشر "أولس". تتضمن السلسلة كتباً تاريخية مثل (Nachrichten von der Pferdezucht der Araber und den arabischen Pferden) و (Die Pferde der Sahara)، بالإضافة إلى كتاب (AsilAraber: ArabiensedlePferde)، الذي يبرز الخيول العربية الأصيلة ويحتوي على صور فوتوغرافية مميزة. ومن بين الكتب الأخرى التي استعرضها هذا العدد، ترجمة رودي بارت للقرآن، التي أصدرتها دار نشر "كولهمر" التي خضعت لعدة طبعات وتحديثات لتناسب القارئ العادي. كما استعرض العدد كتاب أنا ماري شيمل عن جلال الدين الرومي بعنوان "أنا

¹ تيلا، ألبرت. "المؤتمر السادس عشر للمستشرقين الألمان"، فكر وفن، 1965م، ع7، ص: 84-85.

الريح وأنت النار"، والذي يتناول حياة وأعمال المتصوف الكبير، مركزاً على الشعاعية في كتاباته. إضافة إلى ذلك، تناول العدد كتاب "كيمياء السعادة" للإمام الغزالي، الذي تُرجم إلى الألمانية بواسطة هلموت ريتز، مع مقدمة لآنا ماري شيمل. النص يبرز الجهد الذي بذله ريتز في تقديم ترجمة دقيقة لهذا العمل الذي يُعتبر من أهم الأعمال في التراث العربي¹.

توقّف المجلة: توقفت مجلة "فكر وفن" عن الصدور في عام 2016م، حيث كان العدد المائة وخمسة آخر إصداراتها التي نشرتها المنظمة الثقافية الألمانية "معهد جوته" (Goethe-Institut). ويُعزى هذا التوقف إلى التطورات المعاصرة التي أدت إلى توقّف العديد من المطبوعات².

الخاتمة: وفي الختام، يمكن القول إن مساهمات ألبرت تايلر تتجلى بوضوح في الصحافة العربية في ألمانيا من خلال مجلة "فكر وفن". لقد قدم تايلر منصة فريدة لتجاوز الفجوات الثقافية والفكرية بين العالمين العربي والغربي، وكانت جهوده في تعزيز الحوار عبر الحدود الجغرافية واللغوية تجسيدا لدوره الريادي في مجال الدراسات الشرقية. ولا يزال إرثه مصدر إلهام للأجيال القادمة في سعيه لفهم أعمق بين الثقافات المختلفة. منذ نشأتها، كانت المجلة وسيلة معترف بها عالمياً للحوار الثقافي، حيث قدمت محتوى ثرياً يعكس التأثيرات الألمانية مع التزامها بحرية الرأي والاحترام المتبادل. ورغم توقفها، يبقى تأثيرها الكبير في تحسين صورة الإسلام والمسلمين في الغرب ملموساً، مما يجعل فقدانها خسارة مؤسفة للغاية للقراء العرب في جميع أنحاء العالم.

المصادر والمراجع:

- بدوي، عبد الرحمن. موسوعة المستشرقين، ط3. بيروت: دار العلم للملايين، 1993م.
- زقزوق، محمود حمدي. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. القاهرة: دار المعارف، 2008م.

¹ تايلر، ألبرت. "مراجعات الكتب"، فكر وفن، 1979م، ع33، ص: 84-96.

² الإطلاق الرسمي لمجلة "رؤية"، بيان صحفي من معهد جوته: 11 مارس 2018م.

- سنو، عبد الرؤوف. ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين. بيروت: الفرات للنشر والتوزيع، 2007م.
 - المنجد، صلاح الدين. المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا في الدراسات العربية، ط1. بيروت: دار الكتاب الجديد، 1978م.
- الدوريات والمجلات:
- تيلا، ألبرت. "هدفنا"، فكروفن، 1963م، ع1.
 - تيلا، ألبرت. "البالية في برلين وميونخ"، فكروفن، 1963م، ع1.
 - تيلا، ألبرت. "الفاس: صورة مدينة إسلامية رسمها تيتوس بوركارت"، فكر وفن، 1963م، ع1.
 - تيلا، ألبرت. "الفن الإسلامي في برلين"، فكروفن، 1963م، ع1.
 - تيلا، ألبرت. "نازك الملائكة: خمس أغان للألم"، فكروفن، 1963م، ع2.
 - تيلا، ألبرت. "معرض الفنون العراقية القديمة في كولونيا"، فكر وفن، 1965م، ع5.
 - تيلا، ألبرت. "المؤتمر السادس عشر للمستشرقين الألمان"، فكر وفن، 1965م، ع7.
 - تيلا، ألبرت. "تاريخ: نفائس إيران القديمة"، فكروفن، 1966م، ع8.
 - تيلا، ألبرت. "من روائع المصوغات الذهبية الألمانية حول موضوع عيد ميلاد الإمبراطور المغولي في قصره بمدينة دلهي"، فكروفن، 1966م، ع8.
 - حميد الله، محمد. "الألمان في خدمة القرآن"، فكروفن، 1963م، ع2.
 - زيك، يوهانا. "الخزف الإسلامي في متاحف ألمانيا"، فكروفن، 1966م، ع7.
 - شيميل، أنا ماري. "شهيد العشق الإلهي"، فكروفن، 1969م، ع13.
 - فوك، يوهان. ترجمة محمد الحشيشو، "ورقة من تاريخ الاستشراق في ألمانيا كارل بروكلمان"، فكروفن، 1970م، ع15.
 - كاشنيتز، ماري لويزه. "في زمن ما...."، فكروفن، 1967م، ع10.
 - كليسه، بريجيت. "زخارف إسلامية في اللوحات الإيطالية"، فكر وفن، 1967م، ع10.
 - كيرشر، جيزلا. (ترجمة: عزيزه حمدي). "الألمان وتاريخ الصيدلية العربية"، فكروفن، 1969م، ع13.

- مارك، يان. ترجمة محمد علي حشيشو. "قريض فيض: الشاعر الباكستاني الإنساني"، فكروفن، 1970م، ع15.
المراجع الأجنبية:
- Albert Theile: *Kunst in Afrika*. Chr. Belser Verlag, Stuttgart, 1982.
- Klaus Goebel: Thomas Manns Briefwechsel mit den Deutschen Blättern in Santiago de Chile. In: exil-archiv.de. 14. Februar 2013.
- Said, Edward, W. ***Orientalism***. Penguin Random House, India, Gurgaon, India, 2003.

اهتمام المستشرقين بدراسة الأدب العربي أغناطيوس كراتشكوفسكي أنموذجاً

في الحقيقة إن الأوروبيين لم يعتنوا بتعلم اللغة العربية، ولم يهتموا بها اهتماماً بالغاً في العصور الوسطى إلا قليلاً نادراً، فـ"رينو" يقول: "إن المسيحيين لم يكونوا يفكرون في تعلم العربية حينما ساد الجهل والبربرية والظلام غير أنه ذكر اسم كاهن، وهو "هارتموت"، الذي تعلم العربية في 880م، بالإضافة إلى اللغة اليونانية"(1).

ومن الغريب في هذا الباب بأن اللاهوتيين البيزنطيين الذين كانت لهم صلة قريبة بالمسلمين لم يفكروا آنذاك في تعلم اللغة العربية. ومن يتتبع لأحداث التاريخ يجد مبررات واضحة لعدم عناية الغربيين باللغة العربية، ومنها: خوف رجال الكنيسة من اقتراب المسيحيين بتعاليم الإسلام الحقيقية السمحة، والفضح منها الأكاذيب والأباطيل التي أشاعوها بين الشعب المسيحي الغربي، والحروب الصليبية التي نفخت في نفوس المسيحيين روح العداوة والبغضاء وما يتعلق بهم، غير أنه لم تكن العربية غير معروفة لدى الإسبانين منذ أن فتح المسلمون الأندلس وأقاموا فيها دولتهم.

ومن خلال هذه الفجوة، نعرف أن المستشرقين اهتموا باللغة العربية - عندما اهتموا - تلعماً ودراسة لأهداف سامية شخصية، يعني لبسط النفوذ السياسي والسيطرة الفكرية والغزو الثقافي على الدول العربية والإسلامية، ولأن اللغة العربية زاخرة بشتى العلوم وأنواع الفنون التي تأسس عليها بلاط العلم والمعرفة عند المسلمين.

فمن هنا، نتعرف جيداً على اهتمام المستشرقين بالأدب العربي القديم خاصة بالشعر الجاهلي، كما هو مسجل بصفة واضحة في أعمالهم البحثية وإنجازاتهم العلمية منذ أكثر من قرنين، إلا أن اهتمامهم بالدراسات عن الشعر

¹الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العربية، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية،
حيدرآباد، الهند

الجاهلي وما يتعلق به من العلوم والمعارف قد بلغ القمة في القرن العشرين الميلادي.

ومن الغريب أن أوربا لم تكن تهتم بالأدب العربي بحكم كونه أدباً عالمياً له تأثير بليغ في الآداب العالمية الأخرى، ومن هنا نجد الكثير من المستشرقين قد كثفوا جهودهم للتقليل من شأن الأدب العربي ومجده، غير أننا نتواجد العديد من الأدباء والمفكرين الأوروبيين الذين اعترفوا بمعطيات الأدب العربي ومنجزات المعنيين به على مستوى الآداب العالمية الأخرى، ويعود السبب في هذا الشأن إلى عدم معرفتهم باللغة العربية معرفة دقيقة وصحيحة، لكي يتوصلوا من خلال المعرفة بها إلى خفايا التعبيرات العربية وأسرار البلاغة العربية التي لاتزال تسحر العالم بنصاعة بيانها وجمال تعبيرها. المكتبة العربية لم تشهد جهداً مشكوراً من قبل أوروبا في إخراج دراسات جدية في اللغات الشرقية، وبالأخص اللغة العربية، وذلك حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، ولكن حينما قام عالم اللغة والمستشرق الإنجليزي السير ويليام جونز بنشر كتابه في الشروح اللاتينية للشعر العربي عام 1774م، واهتم فيها اهتماماً بالغاً لجمال اللغة والبيان في الترجمة من اللغة الفارسية، وهو كان من أوائل الباحثين الذين اهتموا بدراسة الأدب العربي وترجموه وشرحوه باللغة اللاتينية تسهيلاً فهمه للقراء الغربيين. أنارت محاولة ويليام جونز مشوار المستشرقين الأوروبيين تجاه الدراسات العربية، وفتحت لهم باباً جديداً في الحقول العلمية العربية، غير أنه قل عدد المستشرقين الذين نهجوا منهج ويليام جونز، بل شغلهم المذاهب الشعرية المتواجدة عندهم، كما كان من اللزام عليهم أن لا يخرجوا من تقاليدهم البالية التي ردعتهم عن أي خروج منه.

وفي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، نجد العديد من الدوافع التي حفزت المستشرقين ليخطوا نحو الأمام في تناول اللغة العربية وآدابها دراسة ونقداً وعطاء، والفضل يعود في ذلك إلى مؤرخي الأدب العربي، مثل: إدوارد فاندبك، وفيلبيدس قسطنطين، وكارل بروكلمان المؤرخ الشهير للأدب العربي، الذي ألف كتابه باسم "تاريخ الأدب العربي". يقول أحمد سمائلوقتش في هذا الشأن:

"إن نهاية القرن التاسع عشر كانت فترة مقدرة للانقلاب في هذا المجال من الدراسات، حيث ظهر فيها عاملان لها أهميتهما، ولا سبيل إلى إنكارهما مطلقاً، فأولهما حدث في العالم العربي نفسه "إذ ظهر في مصر قبل بروكلمان كتاب في تاريخ العرب وآدابهم تأليف إدوارد فاندبك وفيليبس قسطنطين، وطبع في بولاق سنة 1892م" ثانيهما ظهر في العالم الغربي حيث جاء بروكلمان الذي "وضع الأساس لحركة علمية جديدة بكتابة "تاريخ الأدب العربي" سنة 1898م إلى سنة 1902م، ويعتبر خير كتاب جامع لما تحت أيدينا من الأدب العربي".(2)

خلف الكتابان أثراً عميقاً على دارسي الأدب العربي، على الرغم من أن هذا الكتاب لم يكن دراسة تحليلية عميقة إلا أنه تفضل قراءه المتضلعين بالعلوم العربية في أوروبا، بفكرة واضحة، ودفع هذه العجلة عجلة الدراسة والبحث والتنقيب وإصدار الأحكام إلى الأمام هو المستشرق الشهير و. أ. نيكولسن الذي قام بدراسة المناحي العديدة لثقافة الأدب العربي، واستطاع بمستطاعه الأدبي أن يخوض في خضم كثير من الموضوعات الأدبية العربية وأحسن بها، وكتابه الشهير "تاريخ الأدب العربي" خير مثال لما حاول من تكثيف جهدٍ مضمّن في الأدب العربي وتاريخه.

وقد سبقنا الذكر بأن محاولات المستشرقين الأوروبيين في تاريخ الأدب العربي فتحت باباً جديداً لدراسة الأدب الكلاسيكي العربي في أوروبا، وسدت فراغاً ضخماً في حقل البحث الاستشراقي فيما يتعلق بالدراسة المتأنية للأدب العربي الكلاسيكي. وامتدت سلسلة الإبداعات حتى حينما نتصفح المستشرقين القائمين بدراسات حول الأدب العربي حديثاً وقديماً، فقلّما نجد أحداً منهم لم يساهم في بحث وتحقيق الأدب العربي القديم، وعلى الأقل إنه اعتنى بالمعلقات السبع التي حازت مكانة مرموقة في الأدب العربي، والتي تعتبر نموذجاً رائعاً للشعر العربي القديم، ولم تفقد أهميتها ومكانتها حتى الآونة الأخيرة.

إن قائمة المستشرقين الذين أسهموا في الأدب العربي طويلة جداً، ولكن سأقتصر بذكر بعض الأسماء ذات السمعة والتألق، وليس المقصود هنا احتواءها حيث إن المقام ليس متسعاً. ومن أولئك المستشرقين النباهة: بروكلمان، ونولدكه، وآبري، ونلنيو، ومرج ليوث، وبلاشير، وليال، ونيكولسن،

وغوساف فون غرنباوم، ودلافيدا، ورودوكناكيس، وباروسلاف، والمستشرق ريتانا يعقوبي وإيفالد فاجنر وما إلى ذلك. ولابد من الإشارة إلى أنه لكل منهم مذاهبهم الخاصة في دراسة الأدب الكلاسيكي، فمنهم من نهج منهجاً متوسطاً في تناول الأدب الكلاسيكي خاصة الشعر الجاهلي، بينما كان الآخرون متحيزين للغاية، فظهر هذا الانحياز والتعصب في مؤلفاتهم وكتاباتهم حيث نقدوا الشعر الجاهلي وأنكروا عليه بشكل كامل مدعين دعواهم بالمستدلالات التي جاء بها النقاد العرب القدماء، إلا أن هذا التحيز والإنكار وقضية الانتحال منهم كان جزئياً.

تألق المستشرق بلاشير في سماء الاستشراق، ولمع اسمه لمعاً فيما بين المستشرقين الأوروبيين حيث اعتنى بدراسة موسعة حول الأدب العباسي وشاعره الفذ أبي الطيب المتنبي، كما أنه أثرى المكتبة العربية بكتاباته العلمية حول الموضوعات الإسلامية والعربية الأخرى. ومن مميزات تأليفه احتواء دراسة على جميع الجوانب من حياة المتنبي الشخصية والعلمية، مضيفاً إلى التحدث عن الشعراء والنقاد العرب من أمثال إبراهيم اليازجي، وأمير الشعراء أحمد شوقي، وشاعر النيل حافظ إبراهيم، وأحمد حسن الزيات، وكامل الكيلاني، وعبد القادر المازني، وطه حسين، ومحمد الأسمر (3) وغيرهم، مما زاد الكتاب قيمة وثروة في البحث العلمي والنقاش الأدبي، واعتبرت إضافة مميزة جديدة لدى أهل الدراسة والبحث حول المتنبي، ولا تقتصر الزيادة في القيمة والتميز عند المستشرقين فحسب، بل إنها تتعدى إلى الأدباء والنقاد العرب سواسية.

لأنخوض في غمار البحث عن دراسة المستشرقين للأدب العربي القديم، إلا أنه يكفي ذكر بواعث دراسة الأدب القديم، وأسماء العدد القليل من الرواد المستشرقين في ساحة الأدب العربي القديم.

دراسات المستشرقين حول الأدب العربي الحديث

لم تحظ الدراسات المبسطة الموسعة حول الأدب العربي الحديث بعناية المستشرقين مثلما لقي الأدب العربي القديم من اهتمامهم البالغ ودراساتهم التفصيلية الدقيقة عبر القرون، إذ برز ونبغ عدد ضخم من المستشرقين على الساحة العلمية، ودرسوا الأدب العربي دراسة متأنية عميقة من المناحي، واتبعوا لذلك المناهج المختلفة في كتاباتهم مما جاء بنتائج متباينة

لدى المستشرقين، إلا أن معظمهم وصلوا إلى إنكار الأدب الجاهلي لعوامل دينية وسياسية ومنهجية انتهجوها في دراساتهم. لا نجد لدى المستشرقين إلا اهتماماً قليلاً للأدب العربي الحديث، ومن خلالها محاولتهم بما يجري في العالم العربي من ازدهار فكري، ورفق علمي، وتطور ثقافي واجتماعي. ذكر الأدباء العرب العديد من الأسباب التي حالت دون الخوض في مغمار الأدب العربي الحديث، منها إهمالهم الأدب العربي الحديث لانشغالهم في الآداب الأخرى، والصعوبة في فهم اللغة العربية، وقلة المقدرة في اللغة العربية، وفي نقل الكتب العربية إلى اللغات الأوروبية. يعترف إدوارد بدين (وهو مسيحي يدرّس العلوم الإسلامية، وهو عربي فلسطيني بجواز إسرائيلي حتى عهد قريب، وهو سويسري الجنسية) بالفتور في الهمة فيما يخص بترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأوروبية وبالأخص الألمانية. يقول، وهو يتحدث، عن أسباب الفتور في الترجمة العربية: "قلة من يجيدون فهم الأدب العربي الحديث بعمقه اللغوي والاجتماعي والحضاري والسياسي" .. ويفيض الحديث بقوله "هل لدى المترجم المقدرة اللغوية والعمق الحضاري ولو جزئياً بالنسبة للألمانية بحيث يتمكن من إيصال إنتاج الأدب العربي المترجم إلى جمهور القراء الألمان بشكل سائغ وجميل ومفهوم". (4)

هذا جانب من الجوانب لقلة الاهتمام بالأدب العربي الحديث في أوروبا، ولكن في مثل هذا الوضع، نجد في جانب آخر عدداً من الجمعيات والجرائد والمجلات قامت بنشر المقالات والبحوث حول الأدب العربي الحديث بصفة مستمرة، ومن أمثالها:

1. Arab Studies Quarterly
2. Journal of Arabic Literature
3. Middle Eastern Literature
4. Digest of Middle Studies

وغيرها من المجلات التي تصدر من أقسام الأدب العربي والدراسات الشرقية بجامعة أوروبا، شهرياً، وسنوياً ونصف سنوي. ولقد تزايد الاهتمام من قبل المستشرقين بالأدب العربي الحديث والاتجاهات الفكرية فيها دراسة ونقداً في القرن العشرين. يقول عبد الله العدوي:

"حتى وقت قريب كان الكتاب العرب يشكون من أنهم غير معروفين في الخارج فكانوا يضغطون على دولهم لمساعدتهم في نشر أعمالهم الأدبية خارج البلاد ليمحووا بذلك الأفكار الظالمة عنهم، ولحسن الحظ فقدت هذه الشكاوى اليوم طابعها الراهن، ذلك لأن مجموعات من المختارات والترجمات والدراسات الانتقادية قد نشرت في اللغات الأوروبية الرئيسية". (5)

ويجدر بنا الذكر أن المكتبة العربية زاخرة بمنجزات الكثير من المستشرقين الذين اهتموا بدراسة الأدب العربي الحديث. ولا يتسع الوقت هنا أن نقوم باستيعاب أعمال المستشرقين في هذا الحقل الأدبي، ولكننا سنشير إلى بعض المستشرقين المشهورين ومساهماتهم في هذا المجال الذي نحن بصددده الآن.

ومن هؤلاء المستشرقين الذين ذاع صيتهم، إغناطيوس كراتشكوفسكي (1883-1951)، وهو مستشرق روسي، كما هو أحد مؤسسي مدرسة الاستشراق الروسي. تألق اسمه نجماً لامعاً في سماء الأدب العربي والدراسات الشرقية بفضل إسهاماته الجمة القيمة في الأدب العربي قديماً وحديثاً، وهو من الأوائل الذين درسوا الأدب العربي الحديث نقداً وتحليلاً، وقاموا بتعريف الأدب العربي الحديث أمام الشعب الروسي، ولفت أنظار الدارسين الغربيين الآخرين نحو الأدب العربي الحديث. إن الجهود المكثفة في مجال اللغات الشرقية منذ طفولته، وتردده إلى العالم الشرقي، خاصة العالم العربي، من مصر، ولبنان، وسوريا، وفلسطين، والاستفادة من الأستاذة العرب ومن علماء الأزهر مثل: أمين الريحاني، وجورجي زيدان، وكرد على، ومحمود تيمور، والمراسلة مع ميخائيل نعيمة، والمستشرقين الآخرين الذين كانوا يدرسون في الجامعات المصرية من أمثال كارل نلانيو، لعبت دوراً هاماً في حياته العلمية التي مكنته على منصب إمام المستشرقين في الاتحاد السوفيتي. "إنه كان أول من درس في البلاغة العصرية درساً مطرداً" (6)، يقول عمر الدسوقي عنه "إنه عني عناية خاصة بالأدب العربي الحديث، وانتدب أستاذاً بجامعة القاهرة" (7). يقول نجيب العقيلي عن إسهاماته: "آثاره قيمة وفيرة، تربو على أربعمئة وخمسين أثراً بين مصنف، ومترجم، وبين مفسر، ومنقود، ورسالة،

باللغات الروسية والفرنسية والألمانية والعربية في كبرى المحلات، لا سيما مجلة الشرق البتروجرادية" (8).

ومن مؤلفاته في الأدب العربي الحديث "نشأة وتطور الأدب العربي الحديث (1922)"، و"الأدب العربي الحديث بالألمانية (1934)"، و"تاريخ الدراسات العربية في الاتحاد السوفيتي" (1947م)، ورسالة عن "أثر الكتاب الروس على الأدب العربي المعاصر (1911م). وترجم لعدد من الأدباء العرب المعاصرين من أمين الريحاني، وقاسم أمين، واليازجي، وغيرهم باللغة الروسية. ألف كتاباً عن الشيخ محمد عياد الطنطاوي (1925م)، ونقل "الأيام" لطله حسين إلى اللغة الروسية.

عرف كراتشكوفسكي بأرائه الفريدة في الأدب العربي الحديث شعراً ونثراً. كان يرى بأنه من الصعب جداً أن توجد آثار النهضة الأدبية في القرن التاسع عشر، على الرغم من وجود محاولات فردية بين الأقليات المسيحية من أمثال المطران الباروني وجرومانوس فرحات، ويعتبر الحملة الفرنسية والمحاولات التي قام بها العلماء من أمثال: بطرس البستاني، وعبد الرحمن الجبرتي، ورفاعة الطهطاوي، وحسن العطار، نقطة انطلاق في النهضة الأدبية العربية الحديثة. يقول عن ظهور المسرح في العالم العربي: "أما المسرح فلم يكن له حظ يذكر إلا في النصف الثاني من القرن الماضي، والفضل في هذا يعود إلى كل من محمد الطنطاوي، وميخائيل صباغ، وإلياس قنظر".

قسم كراتشكوفسكي الأدب العربي الحديث إلى خمسة عصور: (1)- ما قبل 1880م، (2)- بعد سنة 1880 حتى 1890م، (3)- من 1890 إلى 1900م (4)- من 1900م حتى 1907م (5)- من 1907 حتى يومه. لقد أبان لكل عصر من هذه العصور مزايا وخصائص، وما تطور الأدب العربي في الفترة المحددة، وما برز من رجال الأدب والثقافة في كل عصر على حدة.

يقول عن تاريخ الشعر العربي الحديث:

"تاريخ الشعر في القرن التاسع عشر ليس إلا تاريخ تجديد شباب الشعر القديم بطرق معدلة كل التعديل، وقد شارك في بعثته كل من ناصيف اليازجي وفرنسيس مراض ومحمود سامي البارودي وإسماعيل صبري وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم، و خليل مطران، وعباس العقاد ومصطفى الرافعي

ومعروف الرصافي وغيرهم الذين دفعوا كل منهم على حدة بالشعر العربي إلى تقدمه من جديد".

وقام بتحليل الشعر الشعبي، ولم يقدّم له أي وزن كبير، حيث يقول: الشعر الشعبي "الذي تستعمل فيه العامية بدلاً من الفصحى، فالواقع أنه لم ينتج سوى مؤلفات فكاهاية انتقادية شأنه كما كان في الأزمنة السالفة". بجانب هذه الموضوعات، إنه تحدث عن موضوعات أدبية أخرى من تأثير الأدب الأوروبي في الأدب العربي، والقصة التاريخية عند العرب، والمسرحية العربية وغيرها من الموضوعات (9). نلخص إنجازاته على ما ذهب إليه نجيب العقيقي: "قام نشاط كراتشكوفسكي على:

1. تاريخ الشعر العربي ونقده منذ أقدم العصور إلى اليوم
 2. الأدب العربي لدى الأدباء النصارى
 3. الأدب العربي منذ بدء النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر
- والحلقة الثالثة كان هو أول من تناولها من المستشرقين الروس وأحد قلائل المستشرقين العالميين الذين عنوا بها" (10).

ومن الطريف أن كتب نجيب محفوظ حظيت بدراسة عميقة في أوروبا ما لم تحظى بها مؤلفات أي أديب عربي آخر (11)، وكتبت بحوث ومقالات حول جوانب مختلفة للأعمال الأدبية الإبداعية والفكرية لنجيب محفوظ، وخليل جبران، وأدونيس، وتوفيق الحكيم، وميخائيل نعيمة، وغيرهم من أعلام الأدب العربي، ولا تزال هذه الدراسات تستمر بشكل مكثف نحو الأمام إلى الأمام في جامعات أوروبا وتصدر في صفحات الجرائد والمجلات والدوريات البحثية المحكمة في الدول الغربية الراقية المتضلعة بالتفكير والتنظير.

فحوى القول إن المستشرقين اهتموا بدراسة الأدب العربي اهتماماً كبيراً، للدوافع الحضارية والاقتصادية والعلمية والثقافية وحفظ التراث الأدبي من الضياع والاندثار، وذلك في إطار اهتمامهم بالثقافات الشرقية على كثرتها واختلافها. وحاولوا محاولات جادة لفهم الثقافة العربية وتاريخها من خلال نماذجها ونصوصها الأدبية، وقاموا بترجمة ونشر الأعمال العربية الأدبية وإجراء دراسات نقدية وتحليلية للأدب العربي بعصوره المختلفة، وتأسيس أقسام اللغة العربية في الجامعات الغربية، وإنشاء كراسي دراسة اللغة العربية

وأدائها، وساهموا في تعريف الأدب العربي في الغرب وتطوير مناهج دراسة الأدب، وإثراء الفكر الإسلامي من خلال دراساتهم الأدبية.

الهوامش

1. إسماعيل أحمد عمارة: بحوث في اللغة والاستشراق، دار البشير، عمان، 1996م، ص 372.
2. أحمد سمايلوكتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص 498 – 499.
3. المرجع السابق، ص 501.
4. إدوارد بدين، ترجمة الأدب العربي الحديث إلى الألمانية في سويسرا (في الاستشراق)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع 4، 1990، ص 216-217.
5. عبد الله العدوي، الأيدولوجية العربية المعاصرة، ص 239-240.
6. محمد أمين حسونة، المستشرقون بين الأديين القديم والحديث، مجلة المعرفة، أغسطس 1932م، ص 481.
7. عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، ج 1، ص 383.
8. نجيب العقيلي، المستشرقون، ص 951.
9. أحمد سمايلوكتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص 510-515.
10. نجيب العقيلي، المستشرقون، ص 954.
11. علي أحمد سعيد أدونيس قد لقي اهتماما بالغا من الأدباء الغربيين في السنوات الأخيرة، وترجمت أعماله إلى شتى لغات أوروبا.

دراسة الاستشراق في ضوء كتابات الدكتور مصطفى السباعي

كان الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله شخصية علمية ودعوية وإصلاحية فذة وقامة شامخة في الفكر الإسلامي المعاصر، لقد ترك السباعي رحمه الله إرثاً علمياً ضخماً لا يزال يُلهِم الأجيال، ولم يكتف بالعمل في ميدان واحد، بل خاض في الميادين المختلفة و قام في كل ميدان بجلال الأعمال .

لمحات عن حياته ومسيرته الأكاديمية والمهنية

وُلد الدكتور السباعي عام 1915م في مدينة حمص السورية، ونشأ في أسرة علمية عريقة توارثت الخطابة في الجامع الكبير بـحمص. تأثر تأثراً عميقاً بوالده الشيخ حسني السباعي. بدأ مصطفى السباعي رحلته العلمية مبكراً، حيث كان يصحب والده إلى مجالس العلم مع فقهاء حمص، وحفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادئ العلوم الشرعية. التحق بالمدرسة المسعودية الابتدائية، ثم الثانوية الشرعية، وأتم دراسته فيها عام 1930م لم يقتصر على المناهج المدرسية بل كان يحضر مجالس والده العلمية ويتردد على كبار علماء حمص. في عام 1933م سافر إلى مصر والتحق بالجامع الأزهر، حيث درس الفقه، ثم التحق بكلية أصول الدين ونال إجازتها بتفوق. أكمل دراسته العليا في قسم الدكتوراه، وقدم أطروحته العلمية القيمة بعنوان "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" التي نالت درجة الامتياز عام 1949م، وأدهشت هذه الأطروحة كبار علماء الأزهر بدقتها العلمية واستيعابها للموضوع من جميع جوانبه، وأصبح الكتاب مرجعاً هاماً للباحثين وطلاب العلم.¹ أحب الدكتور مصطفى السباعي مهنة التدريس رغبةً منه في نشر العلم وتربية النشء على الأخلاق الفاضلة، عمل مدرساً للغة العربية والتربية

¹الأستاذ المشارك، قسم الدراسات العربية، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدرآباد

الدينية في مدارس حمص الثانوية. بعد انتقاله إلى دمشق، ساهم في تأسيس "المعهد العربي الإسلامي" وتولى إدارته ليكون له فروع في معظم المحافظات. في عام 1950م، عُيِّن أستاذًا في كلية الحقوق بجامعة دمشق، حيث لمع نجمه كأحد ألمع أساتذة الجامعة في فن التدريس ووزارة الإنتاج العلمي. ولم يتوقف طموحه عند هذا الحد، ففكر في إنشاء كلية خاصة ومستقلة للشريعة الإسلامية ضمن الجامعة، بهدف تخريج علماء على أرفع المستويات. نجحت مساعيه وتأسست كلية الشريعة عام 1955م، وكان السباعي أول عميد لها. إلى جانب مهامه في التدريس والإدارة، سعى لإحياء التراث الفقهي الإسلامي العظيم، فعمل مع زملائه على إنشاء موسوعة للفقهاء المسلمين تهدف إلى صياغته وتبويبه بأساليب حديثة، وأخرج المشروع إلى حيز الوجود، وكان أول رئيس لهذه الموسوعة التي ضمت خيرة العلماء والفقهاء. كما ترأس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في جامعة دمشق. وأولى عناية خاصة لمناهج التربية والتوجيه في كلية الشريعة، فبدأ درسًا أسبوعيًا سمّاه "قاعة البحث" تولى إدارته بنفسه.²

أصدر الدكتور مصطفى السباعي عددًا من المجلات، وألف عشرات من الكتب، وساهم في إنشاء وتوسيع العديد من المنظمات والحركات الإسلامية، فهو نموذج من النماذج التي تحتذى، وقدوة يقتدي بها في كل زمان ومكان، ومن أهم مؤلفاته: "شرح قانون الأحوال الشخصية" (جزءان)، و"من روائع حضارتنا"، و"المرأة بين الفقه والقانون"، و"هكذا علمتني الحياة" (جزءان)، و"اشتراكية الإسلام"، و"السيرة النبوية دروس وعبر"، و"التكافل الاجتماعي في الإسلام"، و"نظام السلم والحرب في الإسلام"، و"دروس في دعوة الإخوان المسلمين"، "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي"، و"الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم"³

كان السباعي عالمًا وداعية وسياسيًا، قاد حركة الإخوان المسلمين في سوريا بنجاح. كما قاد حركة الإصلاح الديني، مقاومًا البدع ورافعًا لمستوى الخطاب الإسلامي. لم تكن قضية فلسطين عادية عند السباعي، فقد قاد جولات ومظاهرات حاشدة في سوريا عام 1943 لدعمها، وفي عام 1951 ترأس وفد سوريا للمؤتمر الإسلامي العالمي في باكستان، وفي 1954 ترأس وفدًا للمؤتمر الإسلامي المسيحي في بجمدون، ملقيًا خطابه الشهير عن "الإسلام

والشيوعية" الذي أزعج الدوائر الاستعمارية. في عام 1956، وزار جامعات غربية بتكليف من الجامعة السورية، حيث ناقش المستشرقين في مؤلفاتهم وكشف أخطائهم مدهشاً إياهم بقوة حجته. كما ألقى محاضرات دفاعاً عن حقوق العرب والمسلمين، زار موسكو في عام 1957، والتقى بأساتذة الدراسات الشرقية، ووضح رأيه في الشيوعية.⁴ رؤيته للاستشراق

الدكتور مصطفى السباعي أخذ على عاتقه نقد الاستشراق من خلال دراساته النقدية المتخصصة، وقد تميزت هذه الدراسات بدقة معلوماتها، ورصانة أسلوبها، وحيادها في تناول الموضوع، ويتجلى ذلك في عنوان كتابه المعروف: "الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم". وقد اختار المؤلف في دراسته للاستشراق المنهجين التاريخي والتحليلي، ويبدو من خلال قراءة كتاباته أنه يتبنى موقفاً وسطاً تجاه ظاهرة الاستشراق، لا يميل إلى التهويل ولا إلى التهوين.

ويُعد كتابه "الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم" صغيراً في حجمه، عظيمًا في تأثيره. ويظهر اهتمام الأستاذ الدكتور مصطفى السباعي بدراسة الاستشراق في أغلب مؤلفاته، إلا أن هذا الاهتمام يتبلور بشكل أوضح في كتابه "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي"، الذي يحظى بأهمية بالغة في ميدان الدراسات الإسلامية الاستشراقية؛ إذ لا يزال الباحثون والدارسون منذ صدوره يرجعون إليه في معرفة التاريخ العلمي للسنة النبوية، وبيان حجّيتها، والدفاع عنها.

أما كتابه "الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم"، فقد ألفه بعد كتاب "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي"، حيث تناول فيه أبرز المؤلفات التي سبقتها في ميدان البحث في الاستشراق، وعلّق قائلاً:

"الاستشراق والمستشرقون بحث لم يُعَنَّ أحد من الكاتبين بأمرهما عناية علمية واسعة، تبحث عن تاريخ الاستشراق، وأهدافه، ومراميه، وحسناته، وسيئاته، وعن المستشرقين وطوائفهم وأعمالهم، وما أصابوا وما أخطؤوا فيه من أبحاث ومؤلفات. وكل ما كتب في هذا الموضوع لا يخلو من أن يكون تمجيذاً لهم، مثل كتاب 'المستشرقون' للأستاذ نجيب العقيقي، أو أن

يكون كشفًا موجزًا عن أهدافهم التبشيرية والاستعمارية. وأهم بحث في هذا الشأن محاضرة قيمة للأستاذ الدكتور محمد البهي، المدير العام للثقافة الإسلامية في الجامع الأزهر، ألقاها في قاعة المحاضرات الكبرى الأزهرية.⁵

يرى الشيخ مصطفى السباعي أن الدراسات السابقة حول الاستشراق تفتقر إلى الشمولية والتحليل النقدي لبيان جوانبه الإيجابية والسلبية. ويشير إلى كتاب مهم للأستاذ نجيب العقيلي "المستشرقون وإنتاجهم العلمي" وهو كتاب يتضمن تراجم للمستشرقين وإنتاجهم، وقد أبدى فيه المؤلف انبهارًا وإشادة بأعمالهم، كما يشير إلى محاضرة للأستاذ محمد البهي بعنوان "المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام": وصفها الأستاذ السباعي بـ "القيمة"، وقد طبعها مطبعة الجامع الأزهر تحت إشراف الإدارة العامة للثقافة الإسلامية. يوضح البهي في هذه المحاضرة أن الاستشراق والتبشير كلاهما يمثل دعمًا للاستعمار في مصر والشرق الإسلامي. ويرى أنهما يدعوان إلى إضعاف القيم الإسلامية، والنيل من اللغة العربية الفصحى، وتقطيع أواصر الإخوة بين الشعوب العربية والإسلامية.⁶

يقول الأستاذ مصطفى السباعي مشيرًا إلى ظاهرة الاستشراق و ردود أفعال المثقفين العرب عنها:

"وقد أفرط منا أناس في الثقة بهم، والاعتماد عليهم والثناء المطلق على جهودهم ويمثل هؤلاء المعجبين بهم الدكتور طه حسين من أوائل تلاميذ المستشرقين في تاريخنا الأدبي المعاصر"، حيث يتساءل ويقرر في مقدمة كتابه "الأدب الجاهلي" "وكيف نتصور أستاذًا للأدب العربي لا يُلم ولا ينتظر أن يلم بما انتهى إليه الفرنج (المستشرقون من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة؟، وإنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس ولا بد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن تنهض على أقدامنا ونطير بأجنحتنا، ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخنا وأدبنا ويمثل هؤلاء أيضًا الأستاذ أحمد أمين في كتابه "فجر الإسلام" و "ضحى الإسلام"، وقد بينت ما في فصل "الحديث" من كتاب فجر الإسلام من سرقة لأراء المستشرقين دون أن ينسبها إليهم في كتابي الذي صدر حديثًا "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي..... ومن هؤلاء أيضًا الدكتور علي حسن عبدالقادر في كتابه نظرة

عامة في تاريخ الفقه الإسلامي وهو ترجمة حرفية لما كتبه جولد تسمهر في كتابيه دراسات إسلامية و العقيدة والشريعة في الإسلام وكذلك كان كسابقيه غير أمين حين نسب هذه الآراء إلى نفسه ولم ينسبها إلى أساتيد المستشرقين⁷ قام مصطفى السباعي بتحليله المواقف التي ظهرت في كتابات هؤلاء المثقفين العرب وأثبت أن كل هؤلاء المفكرين العرب ما هم إلا مقلدون لوجهات نظر المستشرقين. فيقول :

"ولا رب في أن هذا الكلام يمثل طورا من أطوار العبودية الفكرية التي مررنا بها في مطلع نهضتنا العلمية والفكرية الحديثة وهذه العبودية تتمثل في كتاب طه حسين نفسه في الأدب الجاهلي كان ترديدا مخلصا لآراء غلاة المستشرقين المتعصبين ضد العرب والإسلام أمثال مرجليوث الذي نقل آراءه كلها في كتابه "الأدب الجاهلي"، ونسبها إلى نفسه وليس له في الكتاب رأى جديد نتيجة بحث علمي قام به أو تعب في سبيله".⁸

الاستاذ السباعي يضيف قائلاً:

"ويقابل هذا الاتجاه المفرط في الثقة ببحوث المستشرقين اتجاه "يحمل" على المستشرقين واتجاهاتهم المغرضة المفرطة في التعصب، ويمثله أحمد فارس الشدياق في كتابه ذيل الفارياب: "إن هؤلاء الأساتيد (المستشرقين) لم يأخذوا العلم عن شيوخه، وإنما تطفلوا عليه تطفلا، وتوثبوا فيه تونبا، ومن تخرج فيه بشيء فإنما تخرج على القسس، ثم أدخل رأسه في أضغاث أحلام أو أدخل أضغاث أحلام في رأسه، وتوهم أنه يعرف شيئا وهو يجهله، وكل منهم إذا درس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئا منها تراه يحيط فيها خبط عشواء، فما اشتبه عليه منها رفعه من عنده بما شاء وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه وحنن فرجّ منه المرجوح، وفضّل المفضول".⁹

وبعد مناقشة مستفيضة و تحليل مفصل اقترح الاستاذ السباعي ضرورة اختيار نهج سليم للتعامل مع قضية المستشرقين.فهو يقول:

"وفي الحق أن كلاً من الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال، وما تطرقوا إليه من أبحاث، ونحن من قوم يأمرهم دينهم بالعدل حتى مع أعدائهم ويقول

اللّٰهُ تَعَالٰى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ.¹⁰
تاريخ الاستشراق

قام الدكتور مصطفى السباعي بدراسة قضية الاستشراق من نواح مختلفة، فيقول عن تاريخ الاستشراق إنه لا يُعرف بالتحديد من هو أول غربي اهتم بالدراسات الشرقية أو متى كان ذلك. لكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين زاروا الأندلس في أوج عظمتها، حيث تثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية. من أوائل هؤلاء الرهبان جريبرت (بابا روما عام 999م) وبطرس المحترم وجيرار دي كريمون. لعب هؤلاء الرهبان دوراً محورياً في تأسيس الاستشراق، وبعد عودتهم نشروا الثقافة العربية، مما أدى لتأسيس معاهد للدراسات العربية مثل مدرسة "بادوي". اعتمدت الجامعات الغربية على الكتب العربية كمراجع أساسية لقرون. في القرن الثامن عشر، مع بداية الاستعمار الغربي، ازدهر الاستشراق، حيث قام علماء غربيون بجمع وسرقة المخطوطات العربية ونقلها إلى أوروبا، والتي بلغت مئات الآلاف. عُقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873، وتوالت المؤتمرات حتى اليوم.¹¹

يرى الدكتور مصطفى السباعي أن أهم ميدانين لبداية الدراسة المعرفية للاستشراق هما اللغة العربية والعقيدة الإسلامية. بدأ الاستشراق بدراسة هذين المجالين، ثم توسع ليشمل جميع ديانات الشرق وعاداته وحضاراته وجغرافيته وتقاليده وأشهر لغاته، وذلك بعد التوسع الاستعماري الغربي. ومع ذلك، تبقى العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي الأهم للمستشرقين حتى اليوم، وذلك لدوافع دينية وسياسية.¹²

الدوافع الرئيسية للاستشراق
يُصنّف السباعي دوافع الاستشراق إلى دينية، استعمارية، تجارية، وسياسية، وعلمية:

1. الدافع الديني هو الأساس، بدأ مع الرهبان واستمرّ بهدف تشويه الإسلام وإظهاره بصورة سلبية لجماهيرهم، خاصة بعد أن زعزعت الحضارة الحديثة أسس العقيدة الغربية. هذا يتصل بدافع تبشيري يسعى لإضعاف العقيدة الإسلامية والتشكيك في التراث والحضارة الإسلامية.

2. الدافع الاستعماري يكمن في رغبة الغرب بالعودة لاحتلال بلاد الإسلام بعد الحروب الصليبية. درس المستشرقون المنطقة لفهم نقاط قوتها وضعفها، ويهدف إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية، وزرع الشك في تراث المسلمين وقيمهم، وتفتيت وحدتهم عبر إحياء القوميات القديمة.
3. الدافع التجاري يمثل في سعي الغرب لترويج بضائعه وشراء الموارد الخام بأبخص الأثمان، مع قتل الصناعات المحلية.
4. الدافع السياسي يتجلى في وجود ملحقين ثقافيين بسفارات الدول الغربية يعملون على فهم العقول المحلية وبث التوجهات السياسية التي تخدم مصالح دولهم، وغالبًا ما يسعون لزرع الفتنة بين الدول العربية والإسلامية.¹³

أهداف الاستشراق

يحدد الدكتور مصطفى السباعي أهداف الاستشراق في ثلاثة أقسام رئيسية:

(أ) أهداف دينية

يهدف هذا القسم إلى التشكيك بصحة رسالة النبي محمد ﷺ ومصدرها الإلهي، فينكرون نبوته ويُفسّرون الوحي بـ"صرع" أو "تخيّلات" أو "مرض نفسي" بدافع التعصب الديني. يتبع ذلك إنكارهم لكون القرآن كتابًا منزّلًا، ويزعمون أنه استمد معلوماته من الآخرين أو أن ذكاء النبي فسر الحقائق العلمية. كما يدّعون أن الإسلام ملقّق من اليهودية والمسيحية، وهو ادعاء تروّجه المستشرقون اليهود والمسيحيون دون سند علمي، متجاهلين جهود العلماء المسلمين في تنقية الحديث. يفسّر السباعي حملة الاستشراق على السنة النبوية بما تحويه من ثروة فكرية وتشريعية تتناقض مع مطامع الغرب. تتلخص هذه الأهداف في تشكيك المسلمين بنبيهم وقرآنهم وشريعتهم وتراثهم الحضاري، وادعاء أن الحضارة الإسلامية منقولة عن الرومان لإضعاف ثقتهم بأنفسهم.

(ب) أهداف سياسية (استعمارية)

المستشرقون يهدفون أيضًا لإضعاف روح المقاومة والإخاء الإسلامي عبر إحياء القوميات القديمة وإثارة النعرات، لمنع وحدة الأمة الإسلامية والعربية وتشتيت شملها.

(ج) أهداف علمية خالصة

بعض المستشرقين هدفهم البحث والتمحيص في التراث العربي والإسلامي. على الرغم من إخلاصهم، قد يقعون في أخطاء بسبب جهلهم بأساليب اللغة العربية أو الأجواء الإسلامية التاريخية. هذه الفئة هي الأقل خطراً، وسرعان ما يرجعون إلى الحق عندما يتضح لهم. بعضهم اعتنق الإسلام ودفع عنه، مثل الفنان الفرنسي "ناصر الدين دينيه". هذه الفئة قليلة جداً.¹⁴ وسائل المستشرقين

لتحقيق أهدافهم، استخدم المستشرقون وسائل متعددة:

- تأليف الكتب: تحتوي على تحريف متعمد للنصوص وفهم خاطئ للوقائع.
- إصدار المجلات: متخصصة في بحوثهم حول الإسلام.
- الإرساليات التبشيرية: تنشط تحت غطاء الأعمال الإنسانية (مستشفيات، مدارس).
- إلقاء المحاضرات: في الجامعات والجمعيات العلمية، حتى في الجامعات العربية والإسلامية.
- مقالات الصحف: في صحفهم المحلية، وقد اشترروا عدداً من الصحف في بلادنا.
- عقد المؤتمرات: لوضع خططهم وتنفيذ بحوثهم.
- إنشاء الموسوعات: مثل "دائرة المعارف الإسلامية" التي حُشد لها كبار المستشرقين ودُسَّ فيها السم في الدسم¹⁵

نقد الاستشراق

يهتم الأستاذ السباعي بنقد منهجية الاستشراق، مبرزاً تحيزها ومعاييرها الذاتية. يرى أن معظم المستشرقين يعتمدون على منهج غريب في البحث العلمي، حيث يضعون فكرة مسبقة ويسعون لتصيّد الأدلة لإثباتها، بغض النظر عن صحتها، مستنبطين أحكاماً كلية من حوادث جزئية. يضرب الأستاذ السباعي أمثلة على ذلك، فالمستشرق جولد تسهر زعم أن الحديث النبوي من صنع القرون الثلاثة الأولى، وأن كبار الأئمة كانوا جهلاء بأحكام الشريعة وتاريخ الرسول، مستنداً إلى روايات ساقطة ومتهافئة. يفند السباعي ذلك بذكر كتب الفقه الإسلامي عريقة كـ "الرد على سير الأوزاعي"

و"السير الكبير" التي تثبت إمام الأئمة بتاريخ السيرة. كما شكك تسمير في صدق الإمام الزهري، مدّعيًا أنه كان يضع الحديث للأمويين، فقط لأنه عاصر عبد الملك بن مروان. ويشير الدكتور السباعي إلى محاولة المستشرق بروكلمان تأكيد تعالي العرب الفاتحين على المسلمين الأعاجم، مستدلًا بكلمة "الرعية" التي فسرّها بمعنى القطيع، متجاهلاً معناها اللغوي الأعم الذي يشمل الحفاظ والإحسان، والأحاديث النبوية التي تطلق "الرعية" على جميع الناس. ويذكر السباعي أيضًا زعم المستشرق مايور بأن النبي ﷺ مارس فن البلاغة قبل النبوة، وهو استنتاج وهمي لا سند له.¹⁶

منهجية الاستشراق

يخلص الدكتور السباعي إلى أن منهجية الاستشراق تتميز بـ:

1. سوء الظن والفهم: لكل ما يتصل بالإسلام وأهدافه ورجاله.
2. تصوير سلبي للمجتمع والحضارة الإسلامية: تصويرهما بأقل من واقعهما، مع احتقار آثارهما.
3. الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامي: والحكم عليه من منظور الأخلاق والعادات الغربية.
4. إخضاع النصوص للأفكار المسبقة: والتحكم في ما يُقبل أو يُرفض من النصوص.
5. تحريف النصوص وسوء فهم العبارات: بشكل مقصود.
6. التحكم في المصادر: بالاعتماد على مصادر غير موثوقة في استنتاجاتهم.

ويشيد الأستاذ السباعي بالمستشرقين القلائل ذوي الأهداف العلمية الخالصة، مثل ناصر الدين دينيه وتوماس أرنولد، الذين كانوا أكثر إنصافًا، وبعضهم اعتنق الإسلام، لكنهم واجهوا اتهامات بالتحيز من المستشرقين المتعصبين. يرى السباعي أن التناقضات بين أبحاث المستشرقين سببها محاولتهم تحليل التاريخ الإسلامي والعقليات الشرقية بمنطق غربي محض، مما يؤدي إلى نتائج خاطئة.¹⁷

يتناول الأستاذ السباعي نقدًا منهجيًا للاستشراق، كاشفًا عن تحيزاته ومعاييره الذاتية. يرى أن غالبية المستشرقين، رغم ضعف تأهيل بعضهم العلمي في العربية وعلوم الإسلام، يصدرن دوريات ومؤلفات تنقض المفاهيم الإسلامية دون دراية حقيقية. كما يغيب الحياد العلمي عن كثيرين ممن يمتلكون القدرة البحثية، مستبدلينه بالتعصب ضد الإسلام. يضرب الدكتور السباعي أمثلة من لقاءاته، فمثلاً، البروفيسور أندرسون، رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية بجامعة لندن، تعلم العربية في سنة واحدة فقط من دروس عامة، وأسقط أطروحة دكتوراه لباحث أزهرى برهن فيها على حقوق المرأة في الإسلام، مدعيًا أن الباحث "ليس ناطقًا رسميًا باسم الإسلام". وفي جامعة أكسفورد، كان رئيس قسم الدراسات الإسلامية يهوديًا لا يجيد العربية الفصحى، ويستقي مصادره الفقهية من مستشرقين متحيزين كجولد تسمهر.

خلص الأستاذ السباعي إلى أن أغلب المستشرقين هم إما قساوسة، استعماريون، أو يهود. ويرى أن الاستشراق ينبع من الكنيسة، ويسير جنبًا إلى جنب مع وزارة الخارجية في الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا، التي ما زالت توجهه لهدم الإسلام وتشويه سمعة المسلمين. يؤكد أن الاستشراق يمثل مواجهة حضارية، وأن الغرب لم يتوقف عن الانتقام من الإسلام بطرق أخرى بعد فشل الحروب الصليبية عسكريًا، فبدأ بدراسة الإسلام ونقده، ثم بتبرير استعمارهم. يرى الدكتور السباعي أن الدراسات الاستشراقية كانت محجوبة عن الحق بحاجبين: التعصب الديني الذي ما زال مؤثرًا، والغرور المادى والعلمى الذي جعلهم يعتقدون بتفوق العقلية الغربية واستصغار العقلية الإسلامية.¹⁸

خطورة الاستشراق وتأثيره على المثقفين المسلمين

يبين الأستاذ السباعي خطورة هيمنة مؤلفات الاستشراق على العقل المسلم، فكثير من المثقفين المسلمين، لعدم سهولة الوصول للمصادر الإسلامية المنظمة، اعتمدوا على كتب المستشرقين المنظمة، ظانين أنها لا تقول إلا الحق، متأثرين بأسلوبهم المنهجي. يعزو الدكتور السباعي هذا التأثير إلى

ضعف نفسي وشعور بالتخلف لدى المسلمين في فترة سابقة، مما جعلهم يثقون بالمستشرقين إعجاباً بتفوق الغرب المادي. يدعو الدكتور السباعي الباحثين المسلمين إلى ضرورة تحري القواعد العلمية والنقدية عند التعامل مع الإنتاج الاستشراقي. يتساءل: لو طبق المسلمون معايير النقد الاستشراقي على كتب الغرب المقدسة وتاريخهم، ماذا سيبقى من "قوتها" و"ثبوتها"؟ ويشجع على بناء موسوعة عربية إسلامية حول الاستشراق، مؤكداً أن التعامل معه يتطلب الثقة الذاتية بالمصادر الإسلامية، والقوة الوجدانية لكشف اضطراب أفكارهم.¹⁹

المصادر والمراجع

1. مصطفى السباعي الداعية المجدد ، الدكتور عدنان محمد زرزور ، دار القلم دمشق ، الطبعة الأولى ص 81 - 119
2. مصطفى السباعي الداعية الرائد و العالم المجاهد ، عبد الله محمود الطنطاوي دار القلم دمشق ، الطبعة الأولى ص 11 - 16
3. ذكرياتي مع السباعي محمد حسناوي ، دار البشير ، جدة ، السعودية ، الطبعة الأولى ص 9 - 18
4. مصطفى السباعي الداعية المجدد ، الدكتور عدنان محمد زرزور ، دار القلم دمشق ، الطبعة الأولى ص 81 - 119
5. الاستشراق و المستشرقون مالهم وما عليهم " الدكتور مصطفى السباعي ، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان – الاردن، ص، 9
6. نفس المصدر، ص، 9
7. نفس المصدر، ص، 10-11
8. نفس المصدر، ص، 10
9. نفس المصدر، ص، 10
10. نفس المصدر، ص، 17
11. نفس المصدر ص 17 - 19
12. نفس المصدر ص 19
13. نفس المصدر ص 20-24
14. نفس المصدر ص 25-32
15. نفس المصدر ص 33-36
16. نفس المصدر ص 54-62
17. نفس المصدر ص 54-64
18. نفس المصدر ص 54-64
19. نفس المصدر ص 65-7

غيرت يان فان غيلدر وإسهاماته في إحياء التراث العربي: دراسة كتابه "حول الأطباق والخطاب في الأدب العربي الكلاسيكي"

يُعدّ غيرت يان فان غيلدر (Geert Jan van Gelder، 1947م-) واحداً من أبرز أعلام الدراسات العربية في العصر الحديث. شغل منصب أستاذ كرسي الأدب العربي في جامعة أوكسفورد (1998-2012م)، وترك وراءه إرثاً علمياً مهماً في حقل الدراسات الأدبية والنقدية العربية. وقد عُرفَ بقراءاته العميقة للنصوص الكلاسيكية العربية، ومقارنته المنهجية التي جمعت بين الدقة الفيلولوجية والمنظور النقدي المقارن. هو أحد أبرز المستشرقين الهولنديين المتخصصين في الأدب العربي الكلاسيكي، ويُعدّ من الأسماء البارزة في الدراسات العربية المعاصرة. ترك بصمة مهمة في حقل النقد الأدبي والدراسات المقارنة، حيث جمع بين المنهج الدقيق في التحقيق وبين الرؤية النقدية الواسعة في قراءة النصوص.

أهم مساهماته في الأدب العربي:

1. إحياء التراث العربي الكلاسيكي
عمل على دراسة النصوص القديمة وإعادة قراءتها بطرق حديثة، مما أظهر غنى الشعر والنثر العربي في العصور الكلاسيكية (العباسي والأندلسي خصوصاً). تخصّص في الشعر العربي القديم، خاصة في قضاياها الفنية والجمالية، مثل السخرية، الغزل، والفكاهة الأدبية، مبرزاً أبعاداً جديدة لم تكن مطروحة في الدراسات التقليدية. أدخل الأدب العربي في حوار مع آداب أخرى، مثل الأدب الفارسي واليوناني واللاتيني، وأبرز القواسم المشتركة والاختلافات. اهتم بالنصوص والأشكال الأدبية التي لم تكن تحظى بالاهتمام الكافي، مثل الأدب الساخر والهزلي، ما وسّع من أفق الدراسات الأدبية العربية.
2. من أبرز إسهاماته كتابه المرجعي «Beyond the Line: Classical Arabic Literary Critics on the Coherence and Unity of the Poem» (لندن:

¹ الأستاذة المشاركة لقسم اللغة العربية و آدابها بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية.

1982م)، الذي تناول فيه بالتحليل جهود النقاد العرب القدماء حول وحدة القصيدة وتماسكها الفني. وقد برهن من خلاله على أن النقد العربي الكلاسيكي لم يكن مجرد شروح لغوية، بل امتلك رؤية متقدمة في دراسة النصوص الشعرية.

3. اهتم فان غيلدر كذلك بالأدب الساخر والفكاهي، معتبراً إياه جزءاً أصيلاً من الثقافة العربية. ففي كتابه *Of Dishes and Discourse: Classical Arabic Literary Representations of Food* (1999م)، تناول علاقة الأدب بالحياة اليومية، كما قدم دراسات معمقة في الأدب الساخر والأشعار الخفيفة، مسلطاً الضوء على التنوع والثراء في التراث الأدبي العربي. اعتمد فان غيلدر على المنهج المقارن، حيث درس الأدب العربي في ضوء آداب أخرى كاللاتينية والفارسية واليونانية. ومن خلال هذه المقارنة أبرز أن الأدب العربي جزء من التراث الإنساني العام، وأنه يتقاطع مع تجارب الأمم الأخرى في موضوعاته وأساليبه، دون أن يفقد خصوصيته الثقافية والجمالية.

4. ساهم فان غيلدر في ترجمة نصوص عربية مختارة إلى الإنجليزية، مثل عمله على مقامات الهمذاني والحريري، مما أتاح للأدب العربي الكلاسيكي حضوراً أكبر في الدراسات العالمية. وبهذا، أسهم في جعل الأدب العربي جزءاً من الحوار الأكاديمي العالمي في الأدب المقارن. إن أعمال فان غيلدر تمثل جسراً معرفياً بين الثقافة العربية والأوساط البحثية الغربية. فقد أعاد الاعتبار للتراث الأدبي العربي الكلاسيكي من خلال دراساته الدقيقة، ووسّع من آفاق البحث في الأدب من خلال الاهتمام بالأنواع "الهامشية" والمقاربات المقارنة. وبذلك غدا اسمه مرجعاً لا غنى عنه للباحثين في الأدب العربي الكلاسيكي والنقد الأدبي القديم.

فان غيلدر وترجماته للأدب العربي

تحتل الترجمة موقعاً مركزياً في التعريف بالثقافات، وهي الجسر الذي يربط بين النصوص المحلية وفضاء العالمية. وفي هذا الإطار، غيّر يان فان غيلدر (Geert Jan van Gelder، 1947م-) بوصفه واحداً من أبرز من قدموا التراث العربي الكلاسيكي إلى القارئ الغربي من خلال أعماله النقدية والترجمية. فإلى جانب دراساته النظرية، قام بترجمة نصوص مختارة من الشعر والنثر العربيين، ليمنح الأدب العربي حضوراً في الحقل الأكاديمي العالمي. آمن فان غيلدر بأن الأدب العربي الكلاسيكي لا ينبغي أن يُقرأ فقط في سياقه العربي، بل

يجب أن يُقدّم كذلك للقارئ الغربي حتى يُصبح جزءاً من الحوار الأدبي المقارن. ومن هنا جاءت أعماله الترجمة التي لا تنقل النصوص نقلاً حرفياً فحسب، بل ترافقها شروح نقدية تكشف أبعادها الفنية والثقافية.

قام فان غيلدر بترجمة مختارات من المقامات للهمذاني والحريزي، وهي من النصوص المعقدة لغوياً وأسلوبياً. وقد ركّز على إيصال جمالية السجع والبلاغة إلى الإنجليزية بقدر الإمكان، مع الإبقاء على روح الدعابة واللعب اللغوي. كما ترجم مختارات شعرية تمثل أنماطاً متعددة من الأدب العربي: الغزل، الهجاء، والفكاهة، مبرزاً تنوع التجربة الشعرية العربية. في كتابه "Classical Arabic Literature: A Concise Introduction" (كامبردج، 2012)، قدّم نصوصاً مترجمة مع تعليق أكاديمي موجز، ليجعلها مدخلاً للقارئ الغربي إلى عالم الأدب العربي.

الخصوصية الأسلوبية في ترجماته

تتميز ترجمات فان غيلدر بأنها توازن بين الأمانة للنص العربي والوضوح للقارئ الغربي. فهو لا يلجأ إلى الترجمة الحرفية التي تفقد النص جماليته، ولا إلى الترجمة الحرة التي تفسخ هويته، بل يتبنى منهج "التفسير الأدبي" الذي يحافظ على روح النص ويكشف طبقاته البلاغية. أتاحت ترجمات فان غيلدر للنصوص العربية الكلاسيكية أن تدخل مناهج الجامعات الغربية، وأن تصبح مادة للنقاش في مجال الأدب المقارن. كما أن ترجماته مرفقة بدراسات نقدية عميقة، مما يجعلها مصادر مزدوجة: للنصوص ذاتها وللتحليل النقدي المواكب لها. وبذلك أسهم في بناء جسر معرفي متين بين التراث العربي والبحث الأكاديمي العالمي.

يمكن القول إن إسهامات فان غيلدر في الترجمة لا تقل أهمية عن دراساته النقدية، إذ لعبت دوراً محورياً في تقديم الأدب العربي بصورة إنسانية وعالمية. لقد قدّم الأدب العربي الكلاسيكي للقارئ الغربي بوصفه أدباً متنوعاً، ثرياً بالمعاني، ومقارباً في عمقه للأدب العالمي. وهكذا، فإن ترجماته ستبقى منارة أساسية لكل باحث يسعى لفهم الأدب العربي في سياقاته المختلفة. أهم أعمال فان غيلدر في الترجمة: مقامات الحمداني، نصوص مترجمة مختار، مقالاته المتفرقة التي ترجم فيها مختارات شعرية ونثرية في دوريات مثل *Oriens* و *Journal of Arabic Literature*.

دراسة كتابه "Of Dishes and Discourse in Classical Arabic Literature" (حول الأطباق والخطاب في الأدب العربي الكلاسيكي):
المؤلف صدر أولاً عام 2000، من ضمن سلسلة *Routledge Studies in Middle Eastern Literatures*.

الكتاب مقسّم إلى فصول رئيسية ستة: ركز على تحديد المفاهيم لبعض المصطلحات المتعلقة بالطعام والخطاب في الأدب الكلاسيكي. ذكر منهجه، وأيضاً ذكر سبب التركيز على الطعام في الأدب العربي الكلاسيكي. يتحدث عن التغذية كدعامة للأدب الحسن والتربية الحسنة (الشعر المبكر: التغذية كالسلوك الجيد) — وفي هذا السياق يذكر كيف يُستخدم الطعام في الشعر العربي المبكر كدلالة اجتماعية، تعليمية، وأخلاقية. تحت عنوان "الأكل والأخلاق الجديدة / العادات الجديدة (Eating and the New Ethos)" — التغيرات في الممارسات الغذائية وربطها بالمواقف الاجتماعية والأخلاقية في العصور الوسطى. الأدب (adab)، أو النص كوليمة (Adab, or the Text as a Banquet) — المقارنة بين مفهوم الأدب والنص كوليمة، كيف يُقدّم النص الأدبي بوصفه مأدبة، أي استهلاك قرائي نوعي. الغذاء في السخرية والمحاكاة الساخرة (Food for Satire and Parody) — استخدام الطعام كأداة ساخرة، محاكاة أو نقد اجتماعي داخل النصوص الأدبية. الاستعارات الغذائية (Alimentary Metaphors) — كيف يُستعمل الطعام كمجاز، امتداد للدلالات الرمزية في الأدب، وكمصدر لقوة التعبير (ibid n.d.).

النقاط القوية

1. موضوع مبتكر ومهم
2. الطعام كمظهر يومي وثقافي غالباً ما يُغفل عنه في الدراسات الأدبية. التركيز على الطعام يُتيح رؤية جديدة للتفاعلات الاجتماعية، الرموز، القيم، والتغيرات الثقافية في العالم الإسلامي والعربي. هذا ما يفعله van Gelder بإتقان .
3. تنوع مصادر الأدب والنصوص المؤلف لا يكتفي بنصوص شعرية فقط، بل يستعرض نصوص الـ *adab*، السخرية، المحاكاة، الاستعارات، مما يعطي صورة شاملة. هذا التنوع يساعد على فهم كيف يُستخدم الطعام في مواقف أدبية مختلفة .

4. منهج نقدي متوازن بين النصّ والسياق الكتاب لا يُحلل اللغة أو الأسلوب فقط، بل يُربط ذلك بالسياق الاجتماعي، الأخلاقي، التغيّر التاريخي. مثلاً كيف تغيّرت الممارسات الغذائية مع التوسع الإسلامي، وكيف انعكس ذلك في الأدب. هذا الربط بين الأدب والتاريخ/المجتمع يُعطي عمقاً.
5. أسلوب مكتوب بوضوح وجذاب رغم أن الموضوع أكاديمي، أسلوب Van Gelder وشرحاته تقرب القارئ من النصوص الأدبية، وتجعله ممتعاً ولا يشعر بأنه غارق فقط في المصطلحات. وقد ذُكر في المراجعات أنه "موجز، عالم، ومُكتب بشكل جذاب".
6. يسهم في تقديم الدعم المعرفي في الدراسات الأدبية والثقافية من خلال سد الفجوة الموجودة في الأدب النقدي العربي والغربي بخصوص موضوعات الطعام؛ كرمز، والإشباع الحسي والرمزي، والخصائص الاجتماعية المرتبطة بالطعام. ويهدف هذا الجهد إلى تلبية احتياجات الباحثين في مجالات الأدب، والتاريخ، والأنثروبولوجيا، وعلوم الثقافة. نقاط الضعف أو المجالات التي يمكن النقد فيها
1. التركيز الزمني والجغرافي الكتاب يغلب عليه التركيز على الأدب الكلاسيكي العربي خلال العصور الوسطى، مع نصوص من بيئات محدودة (الخليج، الشام، العراق، الحجاز، المشرق الإسلامي). قد يخلو من تغطية كافية لبعض المناطق الأخرى أو الفترات الانتقالية الحديثة، أو الفولكلور الشعبي المتعلق بالطعام عند الناس العاديين. هذا أمر منطقي من جهة التخصص، لكنه يقلل من الإمكانيات للمقارنات الموسعة مع الأدب الشعبي أو المعاصر.
2. غياب المصادر الأثرية أو المادية معظم التحليل يأتي من النصوص الأدبية – قصائد، كتب الأدب، السخرية، المحاكاة، الاستعارات. لكن الطعام حضوره المادي في المطبخ، الأدوات، الثقافة المادية (أوانٍ، طرق الطهي، المكونات الفعلية) غير مفصّل بتحليل ميداني أو أثري. لمن يهتم بالتاريخ الثقافي أو التاريخ الغذائي، هذا نقص ملحوظ.
3. مسألة الترجمة أو الوصول إلى النصوص الأصلية، بما أن العمل باللغة الإنجليزية ويعتمد على ترجمات أو ملخصات في كثير من النصوص، قد يكون هناك فقد للدقائق اللغوية، أو أن القارئ الناطق بالعربية قد يختلف في فهم بعض الاستعارات أو الأساليب. هذا لا يعني أن العمل غير جيد، لكن يُذكر كمحدودية في نقل بعض "الأذواق" البلاغية المفردة.

4. عمق التحليل الفلسفي أو النظري أقل مما يمكن أن يكون على الرغم من أن الكتاب يلمس موضوعات نظرية (الرمزية، الاستعارة، العلاقة بين الأدب والمجتمع)، إلا أن بعض القراء قد يطلبون تحليلاً أعمق باستخدام نظريات ثقافية/أنثروبولوجية/دراسات الغذاء الحديثة أو مقارنات مع ثقافات غير عربية، لم تُستخدم كثيراً. مثلاً، كيف يقارن هذا الأدب الأدنى/الطبقات الفقيرة بالكتوب الأدبي للنخبة، أو كيف تأثر بمهادنات المحيط (الهند، فارس، الشرق الأقصى).

5. أهمية الكتاب في الحقل المعرفي
يضيف هذا الكتاب بعداً مهماً للدراسات الأدبية العربية من خلال التركيز على الطعام كمفردة ثقافية رمزية، وليس فقط كموضوع ثانوي أو زَيّ تجميلي في النص، ويساعد في فهم الأبعاد الاجتماعية للأدب: كيف يُعبّر من خلال الطعام عن الطبقات، الأخلاق، الترف، التضاد بين الغنى والفقر، حتى الهوية الثقافية. يدهش كيف أن الطعام يعمل كعدسة لقراءة تغيّر القيم الثقافية والأخلاقية، وكذلك ممارسات المجتمع – مثلاً انتقادات السلوك، تطور الذوق، الطقوس، المأكّل والمشرب. يمكن أن يفتح مسارات بحثية لاحقة، مثل دراسات مقارنة: بين الأدب العربي والأدب الفارسي أو التركي أو الهندي، مثلاً، في تمثيل الطعام، أو دراسة الطعام الشعبي أو الثقافة اليومية مقابل الأدب الرسمي.

خلاصة

باختصار، Of Dishes and Discourse هو عمل محوري لمن يدرس الأدب العربي الكلاسيكي، الثقافة العربية الإسلامية، دراسات الطعام، أو مزيج بين الأدب والثقافة المادية. يُوفر مصادر، تحليلاً، وإطارات نظرية مفيدة، مع بعض المحدوديات التي تُنتقد عادةً في مثل هذه الدراسات (نطاق المصادر، مكوّن الطعام المادي، الاستمرارية التاريخية). مع ذلك، تظل مساهمته عالية الجودة وقيّمة.

يركّز فان غيلدر على الكيفية التي تُستخدم بها السرديات المتعلّقة بالطعام في الأدب العربي الكلاسيكي، ليس فقط بوصفها مؤشرات ثقافية، بل أيضاً كوسائط لمعانٍ أدبية واجتماعية أوسع.

يؤكد فان غيلدر في دراساته على دور الأدب في حفظ الهوية الثقافية وإحيائها. فمن خلال استكشاف كيفية دمج النصوص الكلاسيكية لعناصر

الحياة اليومية مثل الطعام، يُظهر كيف تعكس هذه الأعمال الأدبية القيم والمعايير والهويات الثقافية وتُسهّم في ترسيخها عبر الأجيال. ويُبرز هذا التركيز على التفاعل بين الثقافة اليومية والفن الرفيع ضرورة إعادة النظر في النصوص الكلاسيكية، لا بوصفها مجرد آثار تاريخية، بل باعتبارها أجزاء حيّة من النسيج الثقافي الذي لا يزال يُسهّم في تشكيل الهوية العربية المعاصرة. علاوة على ذلك، تُسهّم أعمال فان غيلدر في توسيع نطاق النقاش حول التراث الثقافي من خلال كشفها عن تعقيدات الثقافة العربية عبر منجزها الأدبي. ويساعد هذا النهج في مدّ الجسور بين الفهمين الماضي والحاضر، مُقدّمًا رؤية جديدة حول كيفية توظيف الأدب التاريخي في فهم وتفسير الهوية الثقافية العربية المعاصرة. إنّ استكشاف موضوع الطعام كرمز أدبي وثقافي يُفضي إلى فهم أعمق للسياق التاريخي للعالم العربي وسرديته المتطوّرة، مُبرزًا كيف يظل التراث الثقافي حيًّا ومؤثرًا وقادرًا على التحوّل

المصادر والمراجع

- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، بيروت: دار الثقافة، 1971.
 شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، القاهرة: دار المعارف، 1960.
 عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها، القاهرة: دار الفكر العربي، 1970.
 محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، القاهرة: دار المعارف، 1962.
 عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر: قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، القاهرة: دار الفكر العربي، 1971.
- Van Gelder, G. J. *Beyond the Line: Classical Arabic Literary Critics on the Coherence and Unity of the Poem*. London: E. J. Brill, 1982.
 - Van Gelder, G. J. *Beyond the Line: Classical Arabic Literary Critics on the Unity of the Poem*. Reading: Ithaca Press, 1989 (طبعة منقحة).
 Van Gelder, G. J. (Van 2000). Richmond: Curzon Press, 2000.
 - Van Gelder, G. J. *Close Relationships: Incest and Inbreeding in Classical Arabic Literature*. London: I.B. Tauris, 2005.
 - Van Gelder, G. J. "Classical Arabic Literature: A Concise Introduction." Cambridge: Cambridge University Press, 2012.
 - Van Gelder, G. J. *Beyond the Line: Classical Arabic Literary Critics on the Coherence and Unity of the Poem*. London: E. J. Brill, 1982.
 - Van Gelder, G. J. *Beyond the Line: Classical Arabic Literary Critics on the Unity of the Poem*. Reading: Ithaca Press, 1989 (طبعة منقحة).
 - Van Gelder, G. J. *Of Dishes and Discourse: Classical Arabic Literary Representations of Food*. Richmond: Curzon Press, 2000.

- Van Gelder, G. J. *Close Relationships: Incest and Inbreeding in Classical Arabic Literature*. London: I.B. Tauris, 2005.
- Van Gelder, G. J. "Classical Arabic Literature: A Concise Introduction." Cambridge: Cambridge University Press, 2012.
- Allen, Roger. *An Introduction to Arabic Literature*. Cambridge: Cambridge University Press, 2000.
- Bauer, Thomas. *A Culture of Ambiguity: An Alternative History of Islam*. New York: Columbia University Press, 2021.
- Kilpatrick, Hilary. *Arabic Literature: To the End of the Umayyad Period*. Cambridge: Cambridge University Press, 1983.
- Montgomery, James E. *Al-Jahiz: In Praise of Books*. Edinburgh: Edinburgh University Press, 2013.
- Hämeen-Anttila, Jaakko. *Maqama: A History of a Genre*. Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 2002.
- مقالات علمية
- Kilpatrick, Hilary. "The Maqāmāt and the Prospects of Translation." *Journal of Arabic Literature*, vol. 27, no. 1, 1996, pp. 1–20.
- Bauer, Thomas. "In Search of 'Post-Classical Literature': A Review Article." *Journal of Arabic Literature*, vol. 34, no. 1/2, 2003, pp. 216–231.
- Allen, Roger. "The Arabic Literary Heritage and its Modern Reception." *Middle Eastern Literatures*, vol. 4, no. 1, 2001, pp. 5–18.
- Suleiman, Y. (2019). *The Arabic Language and National Identity*. Edinburgh University. <https://doi.org/10.1515/9781474472937>
- Wilder, L. (2005). "The Rhetoric of Literary Criticism" Revisited. *Written Communication*, 22(1), 76–119. <https://doi.org/10.1177/0741088304272751>
- Brown, S. (1999). Marketing and Literature: The Anxiety of Academic Influence. *Journal of Marketing*, 63(1), 1–15. <https://doi.org/10.1177/002224299906300101>

Starkey, P. (2006). *Modern Arabic Literature*.

Edinburgh University.

<https://doi.org/10.1515/9780748627240>

الاستشراق وبعث اللغة العربية في العصر الحديث

المقدمة

يعد الاستشراق واحداً من أبرز الظواهر الثقافية والفكرية التي ربطت بين الشرق العربي والغرب الأوروبي منذ بدايات العصر الحديث. فقد انطلق المستشرقون بدافع علمي وثقافي في الظاهر، وبأهدافٍ سياسية واستعمارية في كثير من الأحيان، إلى دراسة اللغات الشرقية وفي مقدمتها اللغة العربية، وتراثها الأدبي والفكري والديني. وكان لجهودهم أثر واضح في بعث اللغة العربية من جديد، حيث قاموا بجمع المخطوطات النادرة، ونشرها، وتحقيقها وفق مناهج البحث العلمي الحديث، كما أسسوا الجمعيات والمعاهد المتخصصة، وأعدوا المعاجم والقواميس والدراسات التي أسهمت في التعريف بالتراث العربي والإسلامي على نطاق عالمي. ومع ذلك، فقد ارتبط الاستشراق أحياناً بمظاهر من التحيز والتشويه، أو بخدمة المطامع الاستعمارية. ومن هنا، تأتي أهمية دراسة هذا الموضوع لفهم الدور المزدوج الذي لعبه المستشرقون بين خدمة العلم وخدمة الاستعمار.

بداية احتكاك الشرق بالغرب

بعد سقوط العهد العباسي، عانى الشرق من الركود والاضطراب بفعل دخول الأعاجم والأتراك، وتراجعت العلوم والفنون، وانصرف الناس إلى الأدب العامي، وخدمت العبقريات، وغرق الشرق في ظلام فكري وفني. وجاءت الشرارة الأولى لليقظة مع الاحتكاك بالغرب، فبدأت نهضة تدريجية اتسعت شيئاً فشيئاً. كان لبنان سباقاً بفضل موقعه وانفتاحه، فمهد الطريق لبقية الأقطار العربية نحو النور والرقى. والموقع الجغرافي للبنان جعله أكثر انفتاحاً على العالم الغربي وأقرب إلى الاتصال بمرافقه وثقافته. بدأ هذا الاتصال منذ القرن السادس عشر، وبلغ أثره أوضح صورة في عهد الأمير فخر الدين (1572-1635م). ظهرت حركة الإرساليات الأوروبية، وأنشئت في روما وباريس مدارس خاصة لتعليم أبناء الشرقيين، خاصة اللبنانيين.

¹ أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها جامعة مولنا آزاد الأردنية الوطنية

يقول حنا فاخوري: "اتصل لبنان بالغرب في عهد فخرالدين (1572-1635م)، وجرت منذ ذلك الحين حركة البعثات الأوروبية إلى الشرق بواسطة الإرساليات، وتأسست في روما وباريس وغيرهما من كبريات المدن الأوروبية مدارس لتعليم أبناء الشرقيين ولاسيما اللبنانيين منهم، وقد تخرج من تلك المدارس طغمة مباركة من أرباب العلم والثقافة (نذكر منهم إبراهيم الحاقلائي (1664) والمطران جرمانوس فرحات (1670-1732) والأب بطرس مبارك (1660-1747) وخصوصاً يوسف سمعان السمعاني (1687-1768) منظم المخطوطات الشرقية في كلية الفاتيكان، و مترجم الكثير من الآثار الشرقية إلى اللغات الأدبية) الذين لمعوا في سماء المعرفة، وكان لأقوالهم وكتاباتهم أصداء عالمية، وكان من أبحاثهم في آثار الشرقيين حافظ لعلماء الغرب حفزهم على دراسة أدب الشرق ونتاج عقله، وكان من ذلك حركة الاستشراق التي لها فضل جم على النهضة الحديثة والتي وجهت الباحثين شطر الدراسات العلمية والأخذ بأساليب البحث العلمي وتصحيح النظريات القديمة في التاريخ والنقد والعلوم".⁽¹⁾

بعد انقطاع طويل، بدأ اتصال مصر بالغرب مع الحملة الفرنسية (1798م)، لكنه لم يُثمر مباشرة. وفي عهد محمد علي، اتضحت الحاجة إلى جيش منظم حديث، فاستُقدم أساتذة عسكريون من أوروبا، وأُرسلت بعثات تعليمية من الشبان المصريين لتلقي العلوم العسكرية وغيرها. هذا كان بداية العلاقة الفعلية بين مصر والغرب، وإن بدأت عسكرية محضة. سرعان ما توسعت هذه الصلة إلى العلاقات العلمية والثقافية، عبر استقدام العلماء وإرسال بعثات علمية، مما أسس لعصر جديد من التبادل العلمي بين الشرق والغرب. يقول أحمد إسكندري: "لقد سلف عليك أن مصر بعد أن ظلت الأزمان الطويلة في تمام الانقطاع عن بلاد الغرب، وأنها قد بدأت تتصل به من عهد الحملة الفرنسية، وإن كان هذا الاتصال لم يجد عليها شيئاً أو لم يجد عليها لوقته. إلا أنه لما استقر الأمر في مصر لمحمد علي رأى الحاجة شديدة إلى إنشاء جيش منظم مدرب على الأساليب العسكرية الحديثة. ولم يكن له بد في تحقيق هذا الغرض من أن يستقدم رجالاً من أساتذة الفن العسكري ليدربوا الجند في البلاد، وأن يبعث في الوقت نفسه إلى أوروبا طائفة من الشبان لتلقي هذه

حنا فاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، طبعة أولى، بيروت-لبنان، دار الجيل، 1986م، ص 10.¹

الفنون وما إليها هناك. ومن هذا الحين بدأت العلاقة، ذات الأثر الفعلي، تنعقد بين مصر وبلاد الغرب، وإن كان أثرا عسكريا محضاً. على أنه لم يمض كبير من الزمن حتى جعلت تنظم العلاقات العلمية بينهما وتقوي وتستوثق على مر الأيام، وكان هذا أيضاً باستقدام العلماء وإرساله البعث⁽¹⁾.

لا مشاحة في أن المستشرقين والمستعربين قد قدموا خدمات جليلة، وبذلوا جهوداً مكثفة، تركت بصمات واضحة ومظاهر بارزة في بعث اللغة العربية وآدابها. فأما بالنسبة إلى المخطوطات العربية، فأتوا بتحقيق النصوص، ومقابلة النسخ المختلفة وضبط الأعلام، وإضافة الفهارس والحواشي. وأما بالبحوث اللغوية والتاريخية، فقاموا بدراسة الألفاظ العربية وردّها للأصول السامية، ودراسة آداب العرب في الجاهلية والإسلام. وأما بالنسبة إلى المناهج العلمية الحديثة، فقاموا بتطبيق النقد التاريخي والفيلولوجي والمقارن. كما جادوا بالمعاجم والقواميس في لغات متعددة. وقد ذهب أحمد إسكندر وأصحابه إلى أن هذا الأثر البعيد يعود، في جملته، إلى جملة من العناصر الرئيسة:

- 1 - نشر مجفوات الكتب العربية القيمة، وإحسان طبعها، وبذل أقصى العناية في تصحيحها، ومعارضتها على النسخ المتعددة، ولو تفرقت في الممالك المختلفة توسلاً إلى ضبطها، وبيان ما اختلفت عباراته في تلك النسخ، وضبط الأعلام وأسماء الأمكنة ونحوها. وتعليق الحواشي بما يعين على الفهم ويستفتح المستغلق. وتعقيها بألوان الفهارس الجامعة للموضوعات، وأسماء الأشخاص والأمكنة وغير ذلك مما ييسر للطالب الوقوع على ما ينبغي من الكتاب من غير كد في طول المراجعة، ولا جهد في كثرة التنقيب.
- 2 - البحوث القيمة في متن اللغة من تحقيق كثير من ألفاظها، وردّها إلى أصولها. وكذلك التحقيق في كثير مما يتصل بتاريخ العربية وآدابها. فضلاً عن تحقيق الكثير من مسائل تاريخ العرب في جاهليتهم وإسلامهم.
- 3 - الاعتماد في البحث على التحقيق العلمي، وفي النقد على مذاهب النقد الحديثة مما أجدى على العربية وطلاب التفقه في آدابها كثيراً. ومما يدلّك على هذا أن مصر - وهي في طليعة البلاد العربية فقهاً في اللغة، وعلماء بتاريخ

أحمد إسكندري وآخرون: المفصل في تاريخ الأدب العربي، طبعة أولى، بيروت، دار إحياء العلوم، 1994م، ص 518¹.

آدابها، وإصابة لمنازع بلاغاتها- ما برحت من يوم إنشاء الجامعة المصرية القديمة إلى اليوم (في الثلاثينات) تستقدم المستشرقين لتستعين بهم في تدريس الآداب العربية على خير الوجوه".⁽¹⁾

بالإضافة إلى ذلك ركز المستشرقون عنايتهم على:

-تأسيس الجمعيات الآسيوية، ومن أشهرها: الجمعية الآسيوية الملكية بلندن 1722م، والجمعية الآسيوية بباريس 1820م، ولكل من الجمعيتين مجلة تعنى بالأبحاث الشرقية والإسلامية والعربية، بالإضافة إلى مراكز الاستشراق في مدريد، وروما وموسكو وصقلية وغيرها. وقد أنشأت هذه الجمعيات والمراكز الشرقية أساسا لدارسة شؤون المستعمرات ومعرفة لغاتها وتاريخها، ومن جهود هذه الجمعيات نشر المخطوطات وترجمة بعض نصوصها، وطبع بعض الكتب التي لم يسبق نشرها.

-عقد المؤتمرات الدورية في المدن الكبرى لإلقاء البحوث الشرقية والإسلامية، ويدعى إلى هذه المؤتمرات كبار المستشرقين وعلماء الشرق، ويطلع الجميع على ما قامت به الجماعات العلمية والثقافية من جهود في ميدان العلم والثقافة. ومن أهم المؤتمرات مؤتمر باريس عام 1873م، ومؤتمر أميركا عام 1967م.

-جمع المخطوطات، فقد عني المستشرقون بجمع نفائسها والإفادة من كنوزها الدفينة وبناء حضارتهم على أساس منها، وبلغت هذه المهمة ذروتها إبان محنة المسلمين في الأندلس، وفي أيام الحروب الصليبية.

ويقول الدكتور حسن شاذلي فرهود: "إن حركة الاستشراق أدت إلى إنشاء جمعيات علمية يتولى العلماء فيها وضع الدراسات الخاصة بكل تلك الشؤون. ومن أهم هذه الجمعيات الآسيوية الملكية بلندن التي تأسست سنة 1722م ونظيرتها الفرنسية وتأسست 1820م، ولكل واحدة من الجمعيتين مجلة مشهورة تعنى بالأبحاث الشرقية والإسلامية والعربية، ونشر المخطوطات التي لم تر النور من قبل (مثل مخطوطات مقامات الحريري)، كما كانت تتولى ترجمة الكتب العربية ذات الأهمية لدى المستشرقين على اللغات الأوروبية.

وقد تأسست تبعا لهذه الحركات معاهد اللغات الشرقية في الغرب يدرس طلابها اللغات الشرقية كالعربية والفارسية والتركية والأردية، ويبحثون

المفصل في تاريخ الأدب العربي، ص 626.¹

آدابها وثقافتها، وينشرون تراثها، ومن أهم هذه المعاهد مدرسة اللغات الشرقية بلندن وباريس وبرلين. كذلك اهتمت حركة الاستشراق بتكوين المكتبات التي تحتوي على نفائس الكتب الشرقية ومخطوطاتها لتكون مراكز البحث والدراسة لطلاب الدراسات الشرقية الغربيين. ومن أشهرها مكتبات لندن وباريس وبرلين وليبزج وليدن وأكسفورد وأدنبره وليننجراد والإسكوريال بأسبانيا".⁽¹⁾

نشاطات المستشرقين على الصعيد العلمي

ويقول جرجي زيدان عن نشاطات المستشرقين ومساهماتهم ومحاولاتهم الجادة على الصعيد العلمي: "ولم ينقض القرن الثامن عشر حتى اهتم الفرنسيون بالأدب الشرقية، بجمع الكتب الشرقية في المكتبة الأهلية في باريس، وأنشأوا مدرسة اللغات الشرقية الحية عام 1795م، وأصبحت فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر كعبة طلاب العلوم الشرقية، فتقاطروا إليها من ألمانيا، وإيطاليا، واسوج وغيرها ليتلقوا العلم علسلفستردساي الآتي ذكره، وأكثر المستشرقين الذين نبغوا في النصف الأول من القرن المذكور من تلاميذ تلك المدرسة، واستقدم قيصر الروس معلمين منها لكي ينشئوا في بطرسبرج مدرسة على مثالها، غير ما أنشئ من الجمعيات الآسيوية في باريس عام 1822م فقلدهم الإنجليز عام 1823م، ثم الألمان عام 1844م، ولكل جمعية مجلة تنشر أعمالها، ومن كل مجلة الآن مجموعة فيها زبدة أعمال المستشرقين في سبيل اللغات الشرقية وآدابها، منذ إنشائها إلى اليوم، ولا تزال تصدر.

وكان لبونابرت يد في تنشيط الأدب العربية في فرنسا، ولا سيما بعد أن جاء مصر وخلف فيها آثاره، ومن رجاله شامبليون الذي حل رموز القلم المصري القديم (الهيروغليف)، وتنهت الأذهان إلى الشرق، وتألقت الجمعيات للتنقيب عن آثاره ودوله وأممه، في مصر وبابل واشور وفينيقية وبلاد العرب، فاكتشفوا من آثار العرب أشياء مفيدة جاءت خلاصتها في كتابنا "العرب قبل الإسلام".

ودخل القرن التاسع عشر وانصرف هم المستشرقين إلى آداب الشرق وعلومه، ولا سيما العرب، وأخذوا في نشر آدابهم وعلومهم ونقلها ودرسها، فنبغ من المستشرقين طبقة من العلماء يختص كل منهم بلغة من اللغات الشرقية مع

د.حسن شاذلي فرهود وآخرون: الأدب والنصوص، طبعة ثالثة، وزارة المعارف المملكة العربية السعودية، 1979م، ص 46.¹

إمامه بسواها، ويهمننا منهم الآن المستعربون أو المشتغلون باللغة العربية،
ويقسم اشتغالهم فيها إلى ثلاثة أبواب:

- 1 - نشر الكتب العربية.
 - 2 - ترجمتها إلى لغاتهم.
 - 3 - التأليف من الآداب العربية في ألسنتهم.
- فمن المستشرقين من اقتصر عمله على أحد هذه الأقسام، ومنهم من جمع بين اثنين منها، أو بينها كلها⁽¹⁾.

ومن آثار المستشرقين في العربية وعلومها وفنونها وأبائها وتاريخها أن الغرب كان بهذا كله في جهالة تامة، بحيث لا يتمثل لأبنائه من هذا إلا بقدر ما كانوا يتصورون العرب، وما كانوا يتصورونه إلا جماعات من البدو ترعى الإبل في الصحراء المجردة، يقوم عيشهم على النهب والسلب، والعدوان والبغي، لا أكثر ولا أقل. فلما ترجموا إلى لغاتهم كتب العرب في الآداب والأخلاق والعلوم والفنون وعرفوا أقوامهم قدر العربية وقدر العرب.

وفوق هذا وهذا فإنهم ما برحوا الحين بعد الحين يعتقدون المؤتمرات الشرقية في أمهات مدن الغرب، ويدعون إليها رجالات الآداب الشرقية في أقطار العالم. وهناك يدلي كل ببحوثه فيما عند قومه. ولقد كان للأقطار العربية، ومصر خاصة، في هذه المؤتمرات حظ غير يسير.

وأخيرا، لقد كان الدين الإسلامي وكانت علومه وآدابه مجهولة جهلا فادحا في بلاد الغرب، وكان يمثلها غلاة المتعصبين لقومهم أشنع تمثيل. فانظر بعد هذا قدر سعي المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم وتفسيره، وكتب السنة، والكلام، والفقه، والتصوف، والأخلاق الدينية، وغيرها مما يتصل بآداب الشرع الحنيف. على أن التعصب الأعشى عصف ببغض هؤلاء فافتروا على هذا الدين وأحالوا حسناته سيأت، وتعمدوا تشويه كثير من حقائقه الناصعة، فخانوا بهذا أمانة العلم، وعملوا على تضليل أقوامهم، منهم غير أحرىء بأن ينسبوا إلى العلم، وينظموا إلى سلك العلماء⁽²⁾.

جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مكتبة الحياة 1978م، ج 4 ص 147.¹
المفصل في تاريخ الأدب العربي، ص 627.²

المعاجم العربية التي ألفها المستشرقون
وللمستشرقين عناية خاصة بدراسة معاجم اللغة العربية وترجمتها،
بدأوا بذلك من القرن السابع عشر للميلاد، وهناك أشهر معاجمهم العربية
واللاتينية وغيرها:

- 1- معجم جيجانوس: عربي لاتيني طبع في ميلان عام 1632 م في 4 مجلدات.
 - 2- معجم جوليوس: عربي لاتيني طبع في ليدن عام 1653 م.
 - 3- معجم مانينسكي: ويسمى كنز اللغات الشرقية، عربي وفارسي وتركي ولاتيني
وألماني، طبع في فيينا عام 1780 م في 4 مجلدات.
 - 4- معجم فرايتاغ: عربي ولاتيني، طبع في هليس عام 1830-1837 م في 4
مجلدات.
 - 5- معجم كازميرسكي: عربي وفرنسي، طبع في باريس عام 1860 م في مجلدين.
 - 6- معجم شربونو: عربي وفرنسي، طبع في باريس عام 1876 م.
 - 7- معجم بادجر: إنجليزي وعربي، طبع عام 1881 م.
 - 8- معجم لين: عربي و إنجليزي، هو أكبر المعاجم العربية، طبع في لندن عام
1862-1863 م.
 - 9- معجم كوش: عربي وفرنسي، طبع في بيروت عام 1862 م.
 - 10- معجم أرموند: عربي وألماني، طبع عام 1879 م في جيسن في مجلدين.
 - 11- معجم جاسلين: فرنسي وعربي، طبع عام 1880-1886 م في ثلاثة مجلدات.
 - 12- معجم استاينجاس: انجليزي وعربي، طبع في لندن عام 1884 م.
 - 13- معجم دوزي: ملحق للمعاجم العربية، طبع في لندن عام 1881 م في
مجلدين.
 - 14- معجم جرجاس: عربي وروسي، طبع في قازان عام 1881 م.
 - 15- معجم بوسية: عربي وفرنسي، طبع في الجزائر عام 1887 م.⁽¹⁾
- أبرز المستشرقين والمستعربين

البارون سلقستر دي ساسي الفرنسي (المتوفى سنة 1838 م)
هو من أعلى المستشرقين قدرا، وأبعدهم في هذا الباب أثرا، ولقد تجرد في تعلم
العربية والفارسية حتى برع فيهما أيما براعة. وتخرج عليه فيهما طائفة من أعلام
المستشرقين في أرجاء بلاد الغرب. ومن مؤلفاته في العربية كتاب دعاء "الأنيس

جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج 4 ص 160، 161.¹

المفيد للطالب المستفيد"، جمع فيه صدرا محمودا من المنتخبات العربية. وله شرح وجيز على مقامات الحريري. ونشر كتاب كلية ودمنة، وألفية بن مالك، ورحلة عبد اللطيف البغدادي. وذلك عدا الكتب العربية التي ترجمها إلى لغته، والبحوث الكثيرة التي عالجها في الموضوعات الشرقية والغربية. إتيان كترمير الفرنسي (المتوفى عام 1857م)

تلميذ دي ساسي وخليفته. وهو من أعلى المستشرقين كعبا، وأنفذهم أثرا، وأكثرهم تلاميذا تخرجوا عليه في بعض اللغات الشرقية، والعربية منها خاصة. وقد ترجم إلى لغته بعض كتاب "السلوك" للمقريزي، ونشر مقدمة ابن خلدون، ومنتخبات أمثال الميداني، وكتاب الروضتين. وله عدا ذلك بحوث تتصل بالشرق والشرقيين.

فرايتاج الألماني (المتوفى عام 1861م)

وهو أيضا من تلاميذ دي ساسي. ألف معجما في العربية واللاتينية. ونشر حماسة أبي تمام عليها شرح التبريزي مع ترجمة لاتينية، وحكم لقمان، وفاكهة الخلفاء لابن عربشاه، والمنتخب من تاريخ حلب، وأمثال الميداني، ورحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر. وذلك غير ما ألفه عن العرب والعربية في لغته، وما عالجه في هذا الباب من البحوث الكثيرة.

جنبول الهولندي (المتوفى عام 1864م)

نشر قصائد المتنبي ومعاصريه في مدح سيف الدولة مع ترجمة لاتينية، وكتاب "الجبال والأمكنة" للزمخشري، و"مراصد الاطلاع" (مختصر معجم البلدان)، و"النجوم الزاهرة" لأبي المحاسن تغري بردي، و"الخراج" لابن آدم.

أدورد لين الإنجليزي (المتوفى عام 1864م)

عاش بمصر في صدر شبابه بضع سنين. ووضع كتابا في وصف مصر، وآخر في آداب المصريين وعاداتهم، وقاموسا عربيا إنجليزيا. وترجم "ألف ليلة وليلة"، وصدرا من القرآن الكريم. وله عدا ذلك بحوث في الآداب الإسلامية.

جستاف فلوجل الألماني (المتوفى عام 1870م)

نشر "كشف الظنون" و"الفهرست" لابن نديم، و"مؤنس الوحيد" للثعالبي، و"طبقات الحنفية" لقطلوبغا. و"القرآن ونجوم الفرقان"، وهو فهرس للقرآن الكريم.

كازمرسكي البولوني (المتوفى عام 1870م)

وضع قاموسا عربيا فرنسيا، وترجم معان القرآن الكريم إلى الفرنسية، ونشر طائفة من الكتب العربية.

دوزي الهولندي (المتوفى عام 1883م)

ألف معجما عربيا وصله بالمعجمات العربية، جمع فيه الألفاظ التي لم ترد فيها، وهو يقع في جزأين. ومما نشره تاريخ ابن زيان، وتاريخ للمراكشي، والبيان لابن عذاري، وجغرافية الإدريسي.

فلتشر الألماني (المتوفى عام 1888م)

ألف في الآداب الشرقية كتبا كثيرة جدا. ومما نشره تفسير القاضي البيضاوي، والمفصل للزمخشري، وبعض ألف ليلة وليلة، وبعض تاريخ أبي الفداء.

فردينان وستيفيلد الألماني (المتوفى عام 1890م)

من أهم ما نشره من الكتب العربية: طبقات الحفاظ للذهبي، وسيرة ابن هشام، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وكتاب الاشتقاق لابن دريد، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، ومعجم ما استعجم للبكري، وتهذيب الأسماء للنووي، وتهذيب الأنساب للسمعاني، والمشارك لياقوت، وعجائب المخلوقات للقزويني، والمعارف لابن قتيبة وغير ذلك.

نلدي الألماني (المتوفى عام 1931م)

ألف في الألمانية "تاريخ القرآن"، وأحرز به الجائزة من المجمع العلمي الفرنسي (الأكاديمية)، وتاريخ عروة بن الورد، وبحث في الشعر الجاهلي، وتاريخ الفرس والعرب في عهد الساسانيين، واللغات السامية، وبحث في المعلقات الخمس وغير ذلك.

الأستاذ جلتزير (جولدتسهر) المجري

له مؤلفات عدة في اللغة العربية والإسلام، وبحوث في الفقه الإسلامي والحديث النبوي. وبحث في آداب البحث والمناظرة عند الشيعة، وآخر عند الظاهرية، وكتاب في طبقات المفسرين، وكل هذا بالألمانية. وله آثار غير هذه كثيرة.⁽¹⁾

أحمد الاسكندري وآخرون: المفصل في تاريخ الأدب العربي، ص 628-631.¹

كان الاستشراق أول استعراب في النصف الأول من القرن التاسع عشر خاصا بالفرنسيين تقريبا، ثم اشترك فيها غيرهم من أمم أوروبا، وإليك خلاصة تاريخ ذلك عند كل أمة:

1- المستشرقون الفرنسيون

بيرون: بحث في آداب الجاهلية وأخلاقهم. وله كتاب في نساء العرب قبل الإسلام وبعده، وترجم بعض أشعار الجاهلية، كما ترجم كتاب الصناعاتين للناصر في الفروسية إلى الفرنسية. ونقل كتاب خليل بن إسحق في الفقه المالكي وغيره.

دي سلان (المتوفى 1879م): ألف كتاب في البربر في ستة أجزاء، ألف فهرسا مشروحا لمخطوطات باريس الشرقية، أتمه ونشره ديرنبورج عام 1883م، ترجم مقدمة ابن خلدون إلى الفرنسية، وترجم تاريخ البربر لابن خلدون في أربعة مجلدات. وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان إلى الفرنسية. شربونو (المتوفى عام 1882م): له نشاطات ملحوظة في إحياء الآداب العربية، ومؤلفات كثيرة في تواريخ العرب. ونقل رحلة العبدري وتاريخ ابن حماد من العربية إلى الفرنسية، وله معجم في الفرنسية والعربية. باربيه دي مينار (المتوفى 1908م): ألف كتابا في الشعر الفارسي، وترجم مروج الذهب إلى الفرنسية، وله معجم تركي فرنسي، ومعجم تاريخي جغرافي أدبي بالفرنسية.

يوسف ديرنبورج (المتوفى 1895م): نشر ترجمة التوراة لابن سعيد الفيومي إلى العربية، هذ ما عدا مساهمات جادة في خدمة آداب الشرقية لاسيما اللغات السامية.

المستشرقون الألمان

كوسفارتن: نشر مجلدا من الأغاني مع ترجمة لاتينية، ومجلدين من الطبري مع ترجمة لاتينية.

وبكي (المتوفى 1864م): نشر رسالة الخيامي في الجبر مع ترجمتها الفرنسية، لخص كتاب الجبر والمقابلة المعروف بالفخري لأبي بكر الكرخي، كما نشر عديدا من الكتب الرياضية مع ترجمتها.

سليمان منك (المتوفى 1867م): ألف كتابا في جغرافية فلسطين وأثارها وتاريخها، وله مؤلفات عدة في الفارسية والعربية والعبرانية.

غوستاف فلوغل (المتوفى 1870): نشر كشف الظنون في سبعة مجلدات مع ترجمتها اللاتينية، وكتاب الفهرست لابن نديم، ومؤنس الوحيد للثعالبي، طبقات الحنفية لقطلوبغا، وتعريف الجرجاني، والقرآن ونجوم الفرقان. ووصف مخطوطات فينا العربية والفارسية والتركية في ثلاثة مجلدات. ديتر بتشي (المتوفى 1888م): نشر رسائل إخوان الصفا، ونخبة من يتيمة الدهر للثعالبي عن المتنبي وسيف الدولة، ونشر ديوان المتنبي عام 1861م، وألبيات فرسطو، وفلسفة الفارابي وغيرها. بروكلمان (المتوفى 1956): ألف "تاريخ الأدب العربي" وغير ذلك.

المستشرقون النمساويون

همر بورجشتال (المتوفى 1856م): ألف في الشرق تاريخ الدولة العثمانية كتبه بالألمانية في عشرة مجلدات، وقد ترجم إلى الفرنسية، وتاريخ شعراء العثمانيين في أربعة مجلدات بالألمانية، وتاريخ آداب اللغة العربية في سبعة مجلدات لم يتمه، ودائرة معارف شرقية تشتمل على آداب الشرق وتاريخه الألمانية، وترجم أطواق الذهب للزمخشري، وتائبة ابن الفارض، وأبها الولد للغزالي، وديوان المتنبي نظماً في الألمانية.

المستشرقون الهولنديون

دي يونغ (المتوفى 1890م): نشر كتاب المشتبه، ولطائف المعارف وغيرهما.

دي غوية (المتوفى 1909م): نشر فتوح البلدان للبلاذري. وصفاً فريقيا والأندلس للإدريسي بالاشتراك مع دوزي، ديوان مسلم بن الوليد. ألف مذكرات في التاريخ والجغرافية الشرقيين في عدة مجلدات في اللغة الهولندية. فان فلوتن (المتوفى 1909م): نشر كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي، ومعظم رسائل الجاحظ.

المستشرقون الإنجليز:

كورتن (المتوفى 1864م): نشر كتاب الملل والنحل للشهرستاني، وعقيدة أهل السنة للنسفي، ومنتخبات من طبقات الأطباء. أدوارد لين (المتوفى عام 1876م): ترجم ألف ليلة وليلة في ثلاثة مجلدات كبيرة، وله قاموس عربي إنجليزي. بالمر (المتوفى عام 1883م): نشر ديوان البهاء زهير مع ترجمته إلى الإنجليزية، وترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية.

رايط (المتوفي عام 1888م): نشر الكامل للمبرد، ورحلة ابن جبير، ومنتخبات شعراء الجاهلية، واستخرج القسم التاريخي من نفح الطيب، وله كتاب تعليم اللغة العربية.

المستشرقون الروسيون وغيرهم: كان الروسيون في أثناء ذلك أقل الأوروبيين عناية بأدب الشرق، لكن بعض الكتب المهمة نشرت في بطرسبورج وفي قازان. ومن الروسيين أو البولونيين كازيميرسكي البولوني المتوفي عام 1870م صاحب القاموس العربي الفرنسي، وقد نقل القرآن الكريم إلى الفرنسية ونشر كتباً عربية.

المستشرقون الأسيان: ومن أشهر المستشرقين الأسيان غانيكوس، نشر ملخص نفح الطيب بالإنجليزية وطبعه في مجلدين، ونشر كليله ودمنة، وغيرها.

المستشرقون الاسوجيون: ومن المستشرقين الاسوجيين تورنبرج. طبع ابن الأثير طبعة كاملة بفهارس، وكتاب الأنيس المطرب في تاريخ فاس، وغيرهم كثيرون. ⁽¹⁾

المستشرقون الإيطاليون

دافيد سنتالانا (المتوفي عام 1931م): ولد في تونس ودرس في روما، وكان له بالمشهد المالكي والشافعي علم واسع، عين في سنة 1910م أستاذا للفلسفة بالجامعة المصرية، فألقى بها محاضرات قيمة.

تلينو (المتوفي عام 1938م): قد دعي في سنة 1909م لإلقاء محاضرات في تاريخ أدب اللغة العربية فأفاد بخبرته وطريقته كثيراً من الناس، وقد عني بالمسائل الجغرافية والفلكية عند العرب.

اغناطيوس جويدي (المتوفي عام 1925م): وقد انتدبته الجامعة المصرية كذلك سنة 1908م للتدريس فيها، فألقى دروسه باللغة الفصحى. ⁽²⁾

راجع التفصيل: جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مكتبة الحياة 1978م، ج 4 ص 150 وما بعد¹

حسن زيات: تاريخ الادب العربي، ص 381.²

تراجم القرآن للمستشرقين دراسة وصفية نقدية انتقائية

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد! لقد تناول المستشرقون عددًا كبيرًا من موضوعات حول دراسات القرآن وتراجمه، وتختلف كثيرًا من وجهة النظر الإسلامي، بالرغم من أنّ معظم موضوعات دراسات القرآن عند المستشرقين تدور حول شبهات المستشرقين عن القرآن الكريم وتراجمه، ودراساته من جوانب مختلفة، ولم تترك دراسات المستشرقين أيّ ناحية من نواحي الدراسات الشرقيّة ومعارفها، إلا واتخذت محور مناقشاتها ومؤلفاتها، وجعل المستشرقون الإسلام وجميع العلوم الإسلامية ومعارفها بوابة فكرهم وقلمهم، وحينما ألقينا نظرة عابرة على دراسات المستشرقين التي تتعلق بالإسلام وعلومه ومعارفه، فتتجلى هذه الحقيقة بتمامها أنه لا توجد أية ناحية من دراسات الإسلام، إلا تحدّث المستشرقون بها، ويوجد كثير من مؤلفات المستشرقين، وتبحث عن كل نواحي الإسلام، ولا تقتصر هذه المؤلفات الاستشراقية على الكتب فحسب، بل وهي منتشرة في مئات المجالات والجرائد وأعداد السنين الخاصة والمؤتمرات والندوات. وبدأ الاستشراق دراسات الإسلام بالعلوم الشرعية، فتكتفي بمعرفة الإسلام والحضارة الإسلامية وثقافتها بهذه العلوم، وتحتوي هذه العلوم على القرآن والحديث والفقه وغيرها، وفي السطور التالية سيتم استعراض خدمات المستشرقين فيما يتعلق بالقرآن وتراجمه. فنذكر شكوك المستشرقين وشبهاتهم حول القرآن وتراجمه، وسوف نقوم بالرد عليهم حتى ما في وسعنا وقدرتنا.

¹ الدكتور المفتي محمد شرف عالم، الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية، حيدرآباد، الهند.

القرآن الكريم:

القرآن هو كتاب الله المقدّس، ويعتبره المؤمنون كلمة الحق من ربّهم، وهو كتاب أوحى به إلى النبي صلى الله عليه وسلّم، ويعتقدون أنه كتاب أزلّي، وأنه موجود في اللوح المحفوظ، وأذهل الجماهير بعجائبه العلمية والبلاغية منذ بداية نزوله، وأحدث ثورة علمية وفكرية وثقافية على الأرض، واستمال عناية العالم كلّه إليه، وكان اهتمام الغرب بالإسلام أيضاً نتيجة لهذه الدهشة والاستنكار، وجعل هذا العجب أهل الغرب أو المستشرقين أن يدرسوا هذا الكتاب، ويناقشوه، ويبحثوا عنه، وشخص ما قام بهذه الدراسة بموضوعية وإيجابية، وشخص آخر فعل ذلك تحت تأثير المشاعر الدينية، وكانت أعمال البعض واقعية وبعضها منحازة، ومنهم من كانت دراستهم خالية من العصبية، ولكن كانت لهم مصدر المعرفة قليلة، ولم يقدروا على اللغة العربية جيّدة، فأثرت على نتائجهم العلمية.

ولقد طالع المستشرقون القرآن الكريم من نواحٍ مختلفة، وبعض النواحي الهامة فيما يلي:

الأولى: ترجمة القرآن: وتشتمل ترجمات القرآن الكريم على اللغات المختلفة، وبعضها ترجمات جزئية، وبعضها تفسير، وبعضها كامل، وبعضها ناقص.

الثانية: تاريخ القرآن الكريم" وتشتمل على الوحي، وأسباب نزوله، وكتابة القرآن، وجمعه، وأقسام سوره وغيرها.

الثالثة: نشر الكتب القديمة في علوم القرآن والبحث عن مخطوطاته وأعمال فهرسه وغيرها.

الرابعة: البحوث والدراسات التي تتعلق بالقرآن وعلوم القرآن.

وسيتّم استعراض أعمال المستشرقين في تراجم القرآن فيما يلي:
ترجمة القرآن الكريم:

ومن المستحيل أن نفهم الإسلام بدون القرآن، ويحتاج القارئ غير العربي إلى ترجمة لفهم القرآن، فنرى أعمال المستشرقين في العلوم الإسلامية بدأت بترجمة القرآن الكريم، وإذا قطعنا النظر عن عمل يوحنا الدمشقي وجدنا معظم أعمال الاستشراق في البداية كانت عبارة عن ترجمات القرآن كلّها، وبذل المستشرقون مجهودات جبّارة في هذا الصدد، فيكون عمل الترجمة عملاً صعباً للغاية، وتزداد هذه الصعوبة في كتاب مثل القرآن الذي هو نخبه

من علم البيان، ولاتقتضي ترجمة القرآن معرفة عميقة باللغة العربية وبلاغتها فحسب، بل تتطلب أيضاً درجة عالية من الفكر والذوق الأدبي.

وكانت أول محاولة لترجمة القرآن الكريم على يد مارديو نيسيوس ابن الصليبي، واستمرت هذه العمليات حتى القرن العشرين، وكانت بعض ترجمات القرآن بأكمله، وبقيت بعض الترجمات غير مكتملة. وذكر الدكتور محمد صالح بندا أن محاولات ترجمة القرآن الكريم تتكون من ترجمات النصوص القرآنية باللغة السريانية، وبين عنها ابن الصليبي في كتاب الجدل أو المباحث، وهو يعتبر من أكابر علماء علم الكلام، ويُعدّ كتابه الشهير بـ "الدر الفريد في تفسير العهد الجديد" من شرح كتب "الكتاب المقدس إنجيل" العظيمة، وهو من أهمّ مراجع المسيحيين.

وكان العلامة الشهير حجة اللاهوتيين وعمدة لأئمة المفسرين مار ديونيسيوس يعقوب الملطي مطران في مدينة آمد (ديار بكر) المشهور بابن الصليبي الملقب بالمنطقي أو البليغ أحد ملافنة الكنيسة السريانية العظام ومشاهير آبائها الأعلام الذي فسّر الكتب العتيقة والحديثة وهو في الأصل من أهل أرمينيا، واستقرّ في سوريا، وجعل أسقفًا على ديار بكر لعلمه وشهرته، ولقد رفض الإسلام واليهود وردّ عليهما في الجزء الثاني من كتاب "المباحث" أو "الجدل"، فترجم عدّة آيات من القرآن الكريم إلى اللغة السريانية. وكتب كتاب المباحث في المجادلات في الرد على الاسلام واليهود والنساطرة والخلقدونيين والارمن في بعض عوائدهم وهذان الكتابان الجليلان مكتوبان في عدة مجلدات كبيرة.¹

وأريد أن أقدم بعض الترجمات الهامة موجزة فيما يلي:

الأولى: تمت أول ترجمة للقرآن في أوروبا على يد بطرس المقدس عام 1143م، وتمت هذه الترجمة باللغة اللاتينية، وتمت هذه الترجمة بمساعدة كاهن عربي إسباني. وتم نشرها بعد أربعة قرون، ويرى مترجم القرآن الكريم

¹/. American Foundation for Syriac Studies. www.syriacstudies.com/ الدر الفريد، نقلا عن تفهيم استشراق، البروفيسور عليم أشرف الجائسي، دارالعلوم جئس، الطبعة الثانية 2018م ص 83

الفرنسي الشهير ريكيس بلاشير (R.L. Blacher) المتوفي 1973م أن هذه الترجمة لم تكن عادلة، ولم تشتمل على محتويات النصوص القرآنية¹.
الثانية: تمت أول ترجمة للقرآن إلى اللغة الإسبالية على يد المستشرق "أريفاين" عام 1547م. وتمت طباعة الحروف العربية لأول مرة في إيطاليا عام 1530م في مطبعة وينس.
الثالثة: كانت أول ترجمة للقرآن إلى اللغة الألمانية على يد سولومونساتشيغر المتوفي 1662م، ونشرت هذه الترجمة عام 1616م.
الرابعة: ظهرت أول ترجمة فرنسية للقرآن الكريم عام 1647م، على يد القنصل الفرنسي ديوريئر في مصر، وكانت مليئة بالأخطاء.
الخامسة: الترجمة الإنجليزية: ظهرت أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة الإنجليزية بيد جورج سيل سنة 1734م، وولد في عام (1091هـ/1697م) بمدينة كانتبري في مقاطعة "كنت" بإنجلترا، وهو مستشرق إنجليزي ومحامي، وتوفي سنة (1149هـ/1736م) بلندن، واشتهر عنه أيضاً معجم مسمى بالمعجم العام- (The General Dictionary بالإنجليزية_ ويوجد على شكل سجلات في عشر مجلدات.

وقد نجح جورج سيل في ترجمته، فذكرها فولتير في قاموسه، وأعيد طبعها مراراً، واحتوت على شروح وحواش ومقدمة، وكتب مقالة إضافية عن دين الإسلام عامة، وبحسب الدكتور محمد علي الصغير ملأها بالإفك واللغو والتجريح² ويوضح جورج سيل في مقدمته لهذه الترجمة أن هدفه من هذه الترجمة تسليح المسيحيين البرزنتست بالمعرفة عن الإسلام³.
واعتنى جورج سيل بدراسة اللغات الشرقية وغيرها سواء الحديث منها أو القديم، وقد عاونه كارلوس داديتشي مترجم الملك في فهم اللهجات الشرقية، كما اشتهر عنه أنه قضى حياته 25 عاماً في جزيرة العرب، وتدرّس بغضون ذلك اللغة العربية وبعض العادات، فتمكن جورج سيل في عام 1734م من نشر

¹ المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، محمد صالح بندق، دارالآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، 1983م، ص 94.

² المستشرقون والدراسات القرآنية، الدماقر نخند خسيث للصغير دارالمؤرخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعو الأولى 1999م، ص 65.

³.. رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد عبد الحميد غراب، المنتدى الإسلامي، ليدن 1411هـ، ص 35.

ترجمته لمعاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، وأحاط فولتير مديحا جما بترجمة سيل، ولكن مع هذا كله لم يضع سيل الإسلام بمكانة مساوية للمسيحية حيث قال:

"على الرغم من أن محمداً قدم للعرب في زمانه أفضل دين يمكنه والمفضل - على الأقل بالنسبة لأولئك الوثنيين القدامى، فإنني أعتز لا أرى ما يمنعه من الحصول على الاحترام، والذي بالطبع لا يقارن مع ما يستحقه موسى وعيسى اللذان قد أتيا بتشريعات حقيقية من السماء، والذي يعتقد بأن استخدم الدجل لتأسيس دين جديد جريمة كبرى، حيث أنه دعا إلى الاعتراف بوحدانية الله وتحطيم الأصنامدون أن يستخدم نفس الوسائل للحصول على السمعة من خلال وضع قوانين وأنظمة لجعل تلك الوثنية الموجودة مسبقاً أكثر تنظيماً".

وقد أعيدت طباعة ترجمة سيل لمعاني القرآن الكريم حتى وقتنا الحاضر، وقد نقل ترجمة سيل إلى العربية: ابن الهاشم العربي¹. السادسة: بدأت ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الروسية في القرن الثامن عشر، إلا أن أول ترجمة علمية بهذه اللغة قدم بها ساهلكوو الذي توفي عام 1889م، ونشرت هذه الترجمة عام 1878م.

وهذه بعض الترجمات الشهيرة التي تمت حتى القرن التاسع عشر، وتم نشر العديد منها عدة مرّات، وتمت ترجمة بعضها إلى لغات أوروبية أخرى، وبعض الترجمات الهامة التي نشرت في القرن العشرين فيما يلي:

السابعة: وكانت ترجمة فرنسية للقرآن بقلم أدوارد مونشي المتوفي 1927م، ونشرت عام 1929م، وكتب محمد فؤاد عبد الباقي في هذه الترجمة عن الأمير شكيت أرسلان، وهي أفضل ترجمة صادرة باللغة الغربية، وتشتمل هذه الترجمة على مقدّمة تفصيلية للقرآن وصاحب القرآن، وأضاف قائمة موضوعية في النهاية². وتعتبر هذه الترجمة بأقلام متوازنة بشكل عام، ويوجد العديد من أقواله في مساعدة الإسلام خاصّة وعامة، ويكتب على غلاف ترجمته اسم الرسول كمؤلف القرآن، وتحتوي ترجماته للقرآن على أخطاء لا يمكن توقعها من أيّ مدرّس للغة العربية، ويذكر مثالا في هذا الصدد آية " من كان

¹ نجيب العقيقي، المستشرقون: دارالمعارف، القاهرة، 1964م\1965م، ص 471.

² تفصيل آيات القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دارالكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1969م، مقدمة

عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكايل فإن الله عدو للكافرين¹. ويكون النمط العربي مثالا للشرط، وفي هذه الجملة جزآن، الأول شرط، والثاني جزاء، ولقد ترجم مونيت هاتين المادتين إلى جمل مستقلة، واستبدل صيغة الشرط بالاستفهامية، فتغير حالة الترجمة.²

الثامنة: أشهر ترجمة للقرآن باللغة الفرنسية هي لبلاشير، وولد بلاشير في باريس، ولكنه تلقى تعليمه في المغرب والجزائر، وعمل كمدرس للغة العربية بالرباط والسيدي بون، ونشرت ترجمته في باريس في ثلاثة مجلدات بين عامي 1947م و1952م³. ولم يكتب بلاشير اسم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم باعتباره المؤلف للقرآن على غلاف ترجمته، على عكس مونيت وآخرين، وتعتبر هذه الترجمة بالنسبة إلى الآخرين جيدة وعلمية. ومن المعروف أن الدكتور إبراهيم قد أشار إلى أخطائها الكثيرة في كتابه "المستشرقون والقرآن"، كما أن نوعية العديد من الأخطاء مثيرة لدهشة أيضاً، وأذكر مثلاً واحداً كنموذج، آية "ألا إنهم هم المفسدون، ألا إنهم هم السفهاء" واعتبر هذه الكلمة "ألا" مركبة من همزة الاستفهام واللآ لنفي الجنس، فأخطأ في الترجمة خطأ فاحشاً.⁴

التاسعة: ومن بين الترجمات الإنجليزية في أوروبا في القرن الماضي، أبرز ترجمة هي ترجمة بكتال، وقدم بكتال إلى مصر بعد إكمال ترجمته، وطلب من علمائها مراجعة ترجمته، فتعتبر هذه الترجمة أحسن ترجمة باللغة الإنجليزية، وهي شائعة في أوروبا وكذلك في الدول الإسلامية.

العاشر: وقام البروفيسور آربري بترجمة القرآن، وتعتبر هذه الترجمة من أهم الترجمات في اللغة الإنجليزية، وهو أحد خبراء اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وخاصة الصوفية، وعمل في الهند والدول العربية، وكان أيضاً مديراً لمكتبة مكتب الهند، ومؤلفاً وباحثاً لعدة كتب، ونشرت ترجمته في نيويورك عام 1955م، ولندن عام 1959م⁵.

¹الرقعة:87.

²المستشرقون والقرآن، إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعو الأول، 2003م، ص26.

³المستشرقون، نجيب العقيقي، دارالمعارف مصر، 1980م، 1\316.

⁴المستشرقون والقرآن، إبراهيم عوض، المرجع السابق، 56.

⁵المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين الصغير، المرجع السابق، 68.

الحادية عشرة: وكانت ترجمة فرنسية بيد جاك أوغيستن بيرك Jacques Augustin Berque (1328-1416هـ/1910-1995م)، هو مستشرق فرنسي وعالم اجتماع، ودرس في جامعة الجزائر والسيون.

ولد جاك بيرك في مدينة قَرْندة الجزائرية، ونشأ هناك وترعرع، وأجاد العربية في مدارسها، ثم وضع نهاية لرحلته العلمية بشهادة في القانون، وثانية في الآداب واللغة العربية لدى كبار المستشرقين بباريس. وقام بإصدار عن الموضوع عشرات الكتب والمقالات. وزين جولته العلمية بترجمة للقرآن اعتبرها باعثة أعماله حول الإسلام المعاصر، إذ بدون العودة إلى هذا النص الأساسي لاسبيل لفهم ظواهر الإسلام الحديث وإشراقاته في الممارسات السياسية والاقتصادية وحركة الوعي. وقد استوعبت هذه الترجمة ست عشرة سنة متكاملة، عشرًا أنهى إليها في أمر الإعداد، وستًا لإصلاحها، ويحرص على أن تكون كل جملة منها واقعة في المحل الأعلى من الدقة والجمالية.

كان بيرك، كما يؤكد في "مقدمة ترجمته"، ويعي بما تستدعيه مخاطرة نقل معاني القرآن من معارف عقلية، ويزيد عن الحساسية الأدبية، حتى كاد أن يعلل فعله بأعذارها ويتقهر إلى الخلف. ولكنه حقق تقدّمًا بعدما اجتمعت لديه طائفة جيدة من الآيات كان قد ترجمها للاستشهاد بها في دروسه. ومن جهة المختارات اللغوية، اتكأ بيرك أنه اعتمد على قاموس Le Robert وعلى ما تضمنه من المفردات. والاستناد الوحيد كان كلمات مثل "هدى" التي ترجمها guidance، و"كافر" التي اختار لها مقابلاً Denegateur، و"محسن" Bel-agissant، وهي مصطلحات استخدمها هو لتوافق ما في المفردات العربية من دقةٍ وغنى.

وأعترف بأنه اعتضد بنظام الرسم والنقط من أجل الإشارة إلى أسلوب الالتفات، وهو تحول الضمائر من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى التكلم، وذلك في جهد منه لتزايد تفاهم النص الفرنسي، وعرض العذر عن قطع أوصال الوحدة العضوية في نظيره العربي.

وقد كتب في بداية كل سورة مقدمة تاريخية عن "أسباب نزولها" ومباحثها المهمة، ويرغب في معاونته القارئ على فهمها، كما كانت له تعليقات وحواش على آيات القرآن ومفرداته، ويذكر بأصولها ويفسر معانيها، وهي شروح مختصرة، مثل لمعات وجيزة، وعددها بأرقام الآيات نفسها في السور للتعليق

ووضّح نقطة بلاغية كَلِّفَ بها المفسرون أو عرض مسألة خاض فيها الفقهاء والمتكلمون.

كما أدخل في ترجمته ضميمته تشتمل على مباحث مهمة للقرآن وآياته التي تشير إليها، ورتبها حسب النسق الأبجدي الفرنسي، وجعله بمثابة المرشد الذي يساعد القارئ على الوصول إليها بسرعة. وكتب في الأخير تكملة طويلة تعدّ أكثر من سبعين صفحة خصّصها لمعضلات القرآن.

وقد تعب جاك بيرك في البحث الأسلوبي وأثقل النص الفرنسي بالمحسنات وصور البديع حتى جعله بعيداً عن الفهم العفوي، إذ كان يتأنق في انتخاب العبارات والبحث عن غرائبها إلى درجة تعقد الوصول إلى المعنى كما اتجه إلى التفاسير التقليدية، ما جعله مائلاً، في الكثير من المواطن لا إلى ما يفهم بالسليقة، بل إلى ما يقتبسه من تأويلاتهم.

ومن أمثلة ذلك ترجمته الآية: "إن إبراهيم كان أمة" بمقابل غريب Architype، وهي كما قال هو بنفسه، "مجازفة، لا مناص منها" حيث لا يصح أن يترجمها Communaute، الدالة على لفييف الناس. وقد ترجم آية النور: "ليس كمثله شيء"، لم يجد، في اللسان الفرنسي، ما يستعيد به هذا التعاود المعنوي بين حرف التشبيه "الكاف" واسمه "مثله"، وما فيه من تأكيد أسلوبى على نفي النظير. على أن الرجل كان نزيهاً، حيث كان يسجل المواطن التي تعجز فيها ترجمته عن التعبير عن النص الأصلي.

فأكمل جاك بيرك ترجمته بروح إجماع الآراء وحاول التطابق فيها اختياراته اللغوية مع اختيارات العقيدة الغالبة، الآراء الفقهية الشهيرة والمهيمن من قواعد الأخلاق والمروءة، واستند إلى الظاهر من قواعد العربية، ورجّحه قدماء المفسرين، وقد أزره في ذلك علماء عصره من المسلمين.

الثانية عشرة: وهناك أيضاً مجهودات متناثرة وقائمة طويلة من التراجم غير المكتملة للمستشرقين، ويقتطفون بعض سور، ويحاولون تراجمها في لغات متعدّدة، واختار اندراي أكولوتوس (1654م-1704م) في حروب بولونيا مع الأتراك نسخة من القرآن بترجمتين تركية وفارسية، فقام بترجمتها، ولم يُعطَ له الموافقة على نشرها، فقنع بنماذج منها، وترجم كلّ نصّ عربي بمساعدة

ترجمة فارسية وتركية ولاتينية بعنوان: نصوص من القرآن مترجمة إلى أربع لغات، برلين، (1701م).¹

الثالثة عشر: وقد قام البركازيميرسكي البولوني (1809م-1887م) بترجمة القرآن إلى اللغة الفرنسية بطريقة جزئية تفتقر إلى بعض الاستيعاب العلمي وفهم اللغة العربية.²

الرابعة عشر: وقد ترجم المستشرق السويدي سترستين المتوفي ١٩٥٣م عدّة سور من القرآن إلى اللغة الاسبانية، وطبعها في مجلة العلم الشرقي (١٩١١م).³

الخامسة عشر: وقد نقل المستشرق الدانماركي بول أجزاء متعدّدة من القرآن إلى اللغة الدامكاركية فكشف في ذلك دراسات معطيات عن الإسلام.⁴

وقد ذكر المستشرق الألماني كارل بروكلمان فهرس ببتراجم غير المتكاملة المتعددة، وتشير إليها بالتالي:

- دانيمركية هُبل، كوبن هاكن 1912م.

- إنجليزية إيم إيلي، واكنج 1917م، لاهور 1928م.

- إنجليزية آرسرور لندن 1931م، لاهور 1935م.

- فرنسية لاماس 1930م.

- تشياوسلوفاكية نيكل 1934م.

وفي هذا القدر مما ذكرناه حول ترجمة القرآن كلية وجزئية تكون قد ألقينا مزيداً من الضوء على أجواء هذه الظاهرة.

¹ نجيب العقيقي، المستشرقو، دارالمعارف، القاهرة، 1964م | 1965م، ص 821.

² نفس المصدر: 824.

³ نفس المصدر: ص 897.

⁴ كارل بروكلمان المستشرق الألماني (1868م-1956م)، بارخ الأدب العربي، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، 1968م، 1: 142.

تطور المعاجم العربية في جمهورية ألمانيا الاتحادية

نظرة عابرة على جمهورية ألمانيا الاتحادية: من المعلوم لدى الجميع أن ألمانيا دولة ديمقراطية حرة حيث تتساوي حقوق الرجل والمرأة، وتنوع القبائل التي نتج عنها مظهر يتميز عن جيرانها إلى حد بعيد يلفت نظر الزائر الأجنبي، ودولة فدرالية حيث تشتمل على 16 ولاية اتحادية وبرلين هي عاصمتها²، وأكبر بلدان الاتحاد الأوروبي من حيث عدد السكان³، وصاحبة أكبر عدد من الجيران في أوروبا⁴، وقناعة أوروبية من حيث أحد البلدان المؤسسة للاندماج الأوروبي⁵، وعالم يختلف عن عالمنا بجوئه وهوائه وأرضه وسكانه حيث يصل عمر النساء وسطيا 82 سنة والرجال 77 سنة، وبلاد جغرافية بهية حيث توجد الجبال الشامخة والبحور التاريخية، وبلاد هجرة حيث يأتي الناس منذ الستينات في القرن الماضي لأجل المعيشة والعمل، ويتمتعون بفرص جيدة عديدة⁶. كما هي تتمتع بالبرلمان الجمهوري التي تضم 630 عضوا، والدستور الأساسي الذي يشمل على 146 مادة فيما بينها حقوق المواطنة الأساسية كمادة أولى لصيانة كرامة الإنسان بشكل عام⁷. وتحتل الريادة العالمية في مجال الطاقة التقليدية والطاقة النووية والطاقة المتجددة والعلوم التقنية والتشابك الرقمي منذ أول يومها. ولم تبتعد عن المشاركة في السياسة الخارجية لنشر الديمقراطية ودعم حقوق الإنسان والسلم الأهلي وترويج لغتها الأم الألمانية في

² المراد ب " الفدرالية " دولة اتحادية كبيرة تتألف من مجموعة الولايات.

³ حسب الدراسات عدد السكان في ألمانيا 81.2.

⁴ تتشرف ألمانيا بالجيران " تسع دول " في أوروبا.

⁵ المعيار الأوروبي (ec.europa.eu/COMMFrontOffice/PublicOpinion)

⁶ قد جرت الدراسات الألمانية سنة 2015م أن 20.3 من السكان يتحدثون من أصول أجنبية فيما بينها 9.2 مليون نسمة يحملون

الجنسية الألمانية... وخمس السكان في ألمانيا اليوم يتحدثون من أصول أجنبية.

⁷ حقائق عن ألمانيا، ص: 6

أنحاء العالم. وتكتمل البيئة السياسية الألمانية بخمسة أحزاب سياسية رئيسية وهي اليسار والخضر والحزب الديمقراطي الاجتماعي (SDP) والاتحاد الديمقراطي (CDU وCSU).

وإن كلمة "ألمانيا" تقال باللغة الألمانية "دويتشلاند" (Deutschland)، وبالإنجليزية "GERMANY"، واسمها الكامل بالعربية "جمهورية ألمانيا الاتحادية"، وبالألمانية "بوندسريبليك"، (BUNDESREPUBLIK) (DEUTSCHLAND)¹.

وتقع جمهورية ألمانيا الاتحادية في وسط أوروبا يحدها من الشمال: بحر الشمال، والدنمارك، وبحر البلطيق، ومن الجنوب: النمسا، وسويسرا، ومن الشرق: بولندا، والتشيك، ومن الغرب: فرنسا، ولوكسمبورغ، وبلجيكا وهولندا. كما تبلغ مساحة ألمانيا " 357.021 كلم مربع، ويبلغ عدد سكانها 81751602 نسمة، وهي تعتبر الدولة أكثر عدد وكثافة بالسكان في دول الاتحاد الأوروبي²، وثالث أكبر دولة من حيث عدد المهاجرين إليها³. كما أن الشعب الألماني هو أحد الشعوب المعروفة بـ "الشعوب الجرمانية"، ويتألف أصلا من القبائل الجرمانية القديمة المختلفة مثل قبائل السكسون والفريزون في الشمال، وقبائل الفرنجة في الغرب، وقبائل التورنج في الوسط، وقبائل السواب والبافارين في الجنوب⁴. والجدير بالذكر أن الحرب العالمية الثانية شتتت شمل الشعوب الألمانية، وفرقت كلمتها، وشردها من ديارها، وقسمت البلاد إلى أربعة مناطق احتلتها دول مختلفة واستغلتها بدون طريق الشرعية: المنطقة البريطانية والمنطقة الفرنسية والمنطقة الأمريكية في الغرب، والمنطقة السوفيتية في الشرق. وكذلك الحال حتى أعلن ممثلو الولايات الألمانية الغربية عام 1949م

¹ MPI/Data Hub/ Country and Comparative Data

² المصدر السابق

³ هذه قائمة الدول حسب نسبة السكان المهاجرين إليها استنادا إلى الأمم المتحدة، ويبلغ مجموع السكان المهاجرين من أوطانهم

186579300 نسمة، كما كشفت الإحصاءات الألمانية (Germany: Inflow of foreign population by country of nationality, 1994 to 2003).

⁴ الولي الشيخ طه:الاسلام والمسلمون في ألمانيا بين الأمس واليوم، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، 1966م، ص:

13، نقلا عن الرسالة، المجلد 3، العدد 51، 22 من شهر ديسمبر 1961م.

تأسس " جمهورية ألمانيا الاتحادية" التي أصبحت دولة ذات سيادة في 1955م. كما أن السلطات السوفيتية حولت منطقة الشرق إلى ما جرى العرف على تسمية بـ "الجمهورية الألمانية الديمقراطية"¹.

اهتمام الألمان بالمعاجم العربية: قد ساد الأذهان الإنسانية في أنحاء العالم عن العلاقة بين الغرب والشرق أن الغرب غرب، والشرق شرق، والفصل بينهما فصل بعيد جدا، ولن يمكن الاقتراب بينهما من أي ناحية، ولن يلتقيا بأي حال من الأحوال ... على الرغم من هذه الحقيقة الواضحة أن بذور العلاقة ظهرت بينهما منذ زمن، ونبت نباتاتها بمر العصور، ووثقت بشكل جيد حتى اليوم.

وبجنب هذه العلاقة الثنائية بينهما، نالت لغة الضاد حظا وافرا من اهتمام الألمان، وظفرت بعنايتهم الخاصة بشئ من الحضارة والثقافة والسياسة والفكر والأدب، ودفعتهم إلى دراسة تاريخ الشرق والأمة الإسلامية والفنون العربية والعلوم اللغوية والتراث الأدبي والثقافة الإسلامية والعقيدة العربية حينما بدأت حركة التعريب والاستشراق في القرن الثاني عشر تحت رعاية الكنيسة، وحينما نشبت الحروب الصليبية بين أوروبا والعرب... حتى أصبحت اللغة العربية هدفا رئيسا ووسيلة ناجعة في حركة التبشير الديني والمفاوضات مع التجار العرب وحكامهم. ويكتب نجيب العقيلي إن "جنود اتصال ألمانيا بالشرق تعود إلى الحملة الصليبية الثانية (1147-1149م) وعودة حجاجها من الأراضي المقدسة ووصفهم لها ونقلهم عنها شيئا من حضارتها. واشتدت هذه العلاقة العربية حينما تمت ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية وغيرها في القرن الثاني عشر الميلادي، وتأسيس كراس لتعليم اللغة العربية بخمس جامعات أوروبية"². وأول من تعلم اللغة العربية هو ألبرت الكبير، ثم تلميذه الممتاز توما الأكويني حتى اشتهر القول في مستوى اللغة العربية وأدبها "لو لا ألبرت لما وجد توما".

¹ المصدر السابق، ص: 15.

² زيدان جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، المجلد الرابع، القاهرة: دار الهلال، 1983م، ص: 144.

وبالإضافة إلى العناية بتعلم اللغة العربية اهتمت ألمانيا بعلومها وقواعدها وإعداد معاجمها وموسوعات لتعلمها وتعليمها الأجيال الألمانية من حيث الفصاحة والسلاسة منذ أول يوم ... فدعت ترجمة الكتاب المقدس من اللغات الشرقية إلى اللاتينية، إلى دراسة قواعد لغات الشرق¹. ففي عصر النهضة والإصلاح بدأت دراسة قواعد اللغة العربية في كليات اللاهوت باهتمام بالغ من وجهة نظر دينية بشكل أفضل². ثم أسست أقسام للغة العربية في بعض الجامعات الأوروبية عامة، والجامعات الألمانية خاصة، وطاف علماءها العالم العربي والإسلامي لجمع المخطوطات العربية. واتخذ النتاج المعجمي والقاموسي آنذاك صيغتين: تمثلت الأولى في وضع معاجم متعددة اللغات، ومنها العربية، مع الاهتمام الواضح أحيانا بالكتب الدينية المسيحية. كما تمثلت الثانية بوضع معاجم ثنائية اللغة موجهة للاستخدام العام. ويجمع أغلب مؤرخي الاستشراق الألماني على أن الدراسات العربية واهتمام علومها وقواعدها وإعداد معاجمها وموسوعات في ألمانيا بدأت وتطورت في أواخر القرن السادس عشر الميلادي. وجرت العناية الفائقة بها في القرن السابع عشر الميلادي أقل بكثير عما كان عليه في هولندا أو إيطاليا أو فرنسا أو إنجلترا لقلّة المصادر العربية ومخطوطاتها الهامة³. وفي أوائل القرن الثامن عشر الميلادي عمت ترجمات القرآن الكريم أنحاء ألمانيا بشئ من تفسير الآيات وتشرح الألفاظ وتوضيح المفاهيم بكل اللغات الأوروبية الحية فيما بينها اللغة الألمانية⁴. وفي هذه الحقبة الميمونة طلع المستشرق الألماني يوحنا يعقوب رايسكه (1716-1774م) في علم اللغة العربية، وأزال الأوهام

¹ العقيلي نجيب: المستشرقون، المجلد الثاني، مصر: دار المعارف، 1964م، ص: 678.

فوك يوهان: تاريخ حركة الاستشراق، 2002م، ص: 48-55.

² كولنج: الموسوعة اللغوية، المجلد الثالث، الرياض: جامعة الملك سعود، 1990م، ص: 785. بروكلمان: فقه اللغات السامية، الرياض: مطبعة جامعة الرياض، 1997م، مقدمة المترجم، ص: 6.

³ يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، مترجم: عمر لطفي العالم، 2002م، ص: 55.

صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان، المجلد الأول، 1978، ص: 7.

⁴ المصدر السابق، ص: 98، 105، 106.

والأباطيل منها، وجعل دراستها في الكليات والجامعات الألمانية فنا مستقلا ومادة مستقلة.¹ ولعب دورا هاما في تأسيس جامعة لايبزك حتى عد والدها الروحي ومؤسسها. ولعل ذلك دفع عميد الاستشراق الأوروبي سلفستر دوساسي (1758-1838م) إلى الإعجاب بشخصيته اللغوية العبقريّة ومؤهلاته الفائقة في علوم اللغة العربية ومعاجمها وموسوعاتها.² فلا أبالغ أن أقول إنه كان متميزا في علوم اللغة العربية بدون عون خارجي، وعمادا قويا من أعمدتها في عصره، وماهرا في قواعدها، وخبيرا بعناصرها، ومتفوقا في معاجمها.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي تروج علم اللغة العربية أكثر من القرن السابق بغاية من الدراسات اللغوية المقارنة والتاريخية، واحتل مكانا عظيما بين علماء ألمانيا كفن مستقل. ولقى اهتمامهم البالغ. وظفر بعنايتهم الفائقة. ونال حظا كبيرا من الشيوخ والذيوخ في المستوى العالمي عامة، والمستوى الوطني خاصة. وفي هذا القرن الميمون ظهر اتجاهان كبيران في هذه السماء اللغوية حسب اللغوي الألماني فرانز بوب تلميذ المستشرق الفرنسي دوساسي، أولهما الاتجاه الفيلوجي الذي هو معرفة لحضارة الأمة بنشر نصوصها ثم دراستها. وتفسيرات قومية لظواهر لغوية.³ فيقول همبولت (1767-1835م) إن اللغة هي خاصية مميزة للأمة أو الجماعة التي تتكلمها.⁴ والثاني: الاتجاه العلمي الذي هو دعوة لتطويع العلوم الطبيعية ومناهجها في خدمة علم اللغة وتفسير التغير بقوانين واضحة. وظهر هذا الاتجاه تحت قيادة اللغوي الألماني فلايشر المتوفى 1868م.

وأن المستشرق الألماني العبقري فلايشر كان رائدا كبيرا في علم اللغة وعلم الأصوات وعلم اللهجات. وبذل الجهود المضنية لنشر النحاة الجدد مع

¹ ديتريش البرت: الدراسات العربية في ألمانيا: تطورها ووضعها الحالي، مكتبة فيسبان، 1962م، ص: 9-10.

فاييكه فالتز: نشر التراث العربي ودراسته في ألمانيا، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، 1979م، ص: 353-354.

² الولي الشيخ طه: الإسلام والمسلمون في ألمانيا بين الأمس - اليوم، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، 1966م، ص: 28.

³ ر.ه. روبنز: موجز تاريخ علم اللغة، المترجم: أحمد عوض، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1997م، ص: 281.

⁴ المصدر السابق، ص: 286.

نظريتهم الفائقة عام 1878م، كما أنه شق سبيلا جديدا في الاهتمام بدراسة علوم اللغة العربية في كلية علوم اللغة بجامعة لايبزك. وأن هذه الكلية إحدى أهم المؤسسات العلمية التي ركزت أذهان الألمان على دراسة اللغة والآداب العربية، والعناية بالمنهج العلمية الجادة التي تقوم بالدرجة الأولى على ترجمة وجمع وتحقيق المخطوطات وتأليف الكتب اللغوية وإعداد المعاجم والموسوعات العربية.

وأن هذا اللغوي درس في جامعة لايبزك، وتلمذ على يد المستشرق الفرنسي الكبير دي ساسي، وعاد إلى ألمانيا حيث عين أستاذا للغات الشرقية بجامعة درسدن، حيث وضع فهرسة مهمة لما تحتويه مكتبتها من مخطوطات شرقية بفهرسة تفصيلية تشتمل على عناوين المخطوطات وأسماء مؤلفيها والأعلام الجغرافية فيها، ثم أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة لايبزك، وأسس "الجمعية الشرقية الألمانية" سنة 1844م التي أشرفت على طبع عدد من عيون الكتب العربية الهامة ... فأستطيع أن أقول بمزيد من الاطمئنان في ضوء هذه المعلومات القليلة إن هذا المستشرق العبقرى كان مؤسسا للمعجم اللغوي العربى في ألمانيا، وأول من اهتم بعلوم اللغات الشرقية في جامعة لايبزك كمادة إجبارية.

ومما يجدر بالذكر أن النجم الفرنسى دوساسي¹ لمع في سماء اللغات الشرقية في القرن التاسع عشر الميلادى، ومال إلى ترويج علوم اللغة العربية وإعداد المعاجم والموسوعات، وألف كتابا قيما اشتهر بإسم "النحو العربى"، واستفاد من شخصيته العبقرية ومؤهلته اللغوية عدد كبير من الطلاب الألمانين بينما اتجه بعضهم بعزيمة ونشاط إلى تحقيق المخطوطات العربية القيمة. كما انصرف بعضهم إلى إعداد المعاجم والموسوعات العربية فيما بينهم إيفالد (1802-1875م) الذي عد مع فلايشر من مؤسسى علوم الدراسات العربية في ألمانيا، وجورج فيليبلم فريديريك فريتاغ الذي ألف معجما ثميناً قيما مشتملا على أربعة أجزاء: (العربى - اللاتينى) في حالة، واعتمد فيه على معجم "القاموس المحيط" للفيروز آبادى. ولم يزل هذا المعجم موضع إفادة في كل

¹ حجازى محمود فهى (الدكتور): البحث اللغوى، المجلد الأول، الطبعة الأولى، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر، 1994م، ص: 90

مكان وزمان¹. ويقول أوجست فيشر " خاصة معجم فريتاغ الذي يقع كثيرا في عمله، على أخطاء جديدة تدل على أنه لم يدرك معنى بعض ما وجد في الصحاح والقاموس وغيرهما"². ويلمع إسم شهير في فهرسة تلاميذه المتفوقين المتبحرين، هو اللغوي الألماني الكبير غوستاف فلوجل³ الذي ولد في باوتسن Bauten بألمانيا، ونشأ وترعرع في بيئة علمية، وتربى تربية حسنة، وتعلم اللغات الشرقية في جامعة لا ييزك على مشاهير أساتذتها البارعين، ثم توجه إلى فينا لدراسة المخطوطات العربية في المجموعة التي تضمها مكتبة فون همر بورغشتال، ثم سافر إلى باريس، وجلس مجالس المستشرق الكبير دي ساسي، واستفاد من شخصيته اللغوية العبقريّة، ثم اشتغل في مسؤولية التدريس في المعهد الملكي كأستاذ للغات الشرقية ووضع فهرسة للمخطوطات العربية والفارسية والتركية الموجودة في المكتبة الامبراطورية في فيينا حيث تم تصنيف مئات المخطوطات في ثلاثة مجلدات فاق عدد صفحاتها الالفين صفحة. كما هو من أخصب المستشرقين إنتاجا في الكتابة والتحقيق والنشر فيما بين اشتهر تحقيقه اللغوي المشتغل على منهج المعجم والموسوعة نحو: كتاب "كشف الظنون" لحاجي خليفة⁴ متنا مع ترجمة لاتينية وفهارس وملاحق في سبعة

¹ للمزيد: العقيلي نجيب: المستشرقون، المجلد الثاني، الرياض: جامعة الملك سعود، 1964م، ص: 678.

G.W. Freytagii, Lexicon arabico – latinum praesartim ex Djeuharii Firuzabadiique et aliorum Arabum operibus. 4 vols.

² أ. فيشر: المعجم اللغوي التاريخي، تصدير: د. إبراهيم مذكور، الطبعة الأولى، القاهرة: مجمع اللغة العربية، المطابع الأميرية، 1967م، ص: 21.

³ للاستزادة في تفصيلات السيرة الذاتية لغوستاف فلوجل: العقيلي نجيب: المستشرقون، المجلد الثاني، 1964م، ص: 701-702.

بدوي عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، الطبعة الثالثة، بيروت: دار العلم للملايين، 1993م، ص: 411-413.

⁴ حاجي خليفة (1609-1657م) جغرافي ومؤرخي تركي ... ومعجمه البليوغرافي الكبير "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" هو

موسوعة مهمة رصد المصنف فيها ما يقارب ثمانية عشر ألف عنوان من كتب التراث العربي. وقد قام فلوجل بتحقيق ونشر هذا الكتاب،

وقدمه مع ترجمة لاتينية وفهارس وملاحق في سبعة مجلدات ضخمة، وقضى فيها قرابة ثلاثة عشر عاما.

مجلدات، وكتاب "الفهرست" لابن النديم، ثم ألف كتباً عديدة في المعاجم والموسوعات العربية، ومن أهمها: "نجوم الفرقان في أطراف القرآن" وهو أول معجم مفهرس لألفاظ القرآن الكريم في اللغة العربية. ويقول عبد الرحمن بدوي تعليقاً على هذا المعجم "إن كل ما عمل من فهارس للقرآن الكريم بعد فهرس فلوجل هي عيال عليه، ولم تصل إلى درجته من الدقة، وقد أسدى فلوجل بهذا الفهرس خدمة جليلة للجميع من الباحثين وعامة الناس"¹. وله كتاب آخر في هذا الصدد "المدارس النحوية عند العرب" الذي نشر عام 1862م، الذي هو أول كتاب من حيث الموضوع والفن، وأول لمن أستخدم اصطلاح المدرسة النحوية للتعبير عن عناصر النحو ومقاصده مع نظرية العلماء العرب، وكشوفات مدهشة قد دخلت فيها في الآفاق الفكرية للثقافة العربية من خلال دراسة مختلف اللهجات العربية والقراءات العاطفية ذات المقاصد المبيتة، وتقلبات تاريخية على مستوى السليقة والذوق وسلامة اللسان، وتقعيد النحو العربي على مستوى المصطلح، وعلم اللسانيات العربية. وأن هذا الكتاب هو كنز علمي في كونه من أمهات المراجع والمصادر العربية، وملجأ لغوي في علم النحو وعلوم البلاغة، وبحر كبير في مضامير اللغة والآداب، وبحث ثمين في تاريخ علوم اللغة والآداب، وتراث قيم في تراجم اللغويين والنحاة. بعد أن تلقى نظرة عابرة على هذا الكتاب، نستطيع أن نعهده ونضعه بمزيد من الإطمئنان في صف المعاجم والموسوعات إلى حد ما لكونه بذوراً أساسية تمس صلب حقل الدراسات اللغوية، ولكونه مشتملاً على دراسة تاريخ النحو العربي بشكل جامع سببا في رواج النقد والقراءات.

ولا يفوتني من الذكر أن نجما لامعا برز في هذه الحقبة في سماء المعجم، واشتهر بيننا باسم "الفرائد الدرية" لهافا، من ألف معجماً عربياً – إنكليزياً عام 1899م، وسماه "المعجم العربي – الإنكليزي" (Arabic English Dictionary)، وصدرته المطبعة الكاثوليكية في بيروت². وما هذا إلا معجم

¹ بدوي عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، الطبعة الثالثة، بيروت: دار العلم للملايين، 1993م، ص: 412

² أنظر : J. G. Hava, Arabic – English Dictionary for the Use of Students (Beirut: Catholic press 1899).

شامل مستقص للعربية القديمة، اختزل في أقل من ألف صفحة باستخدام حروف طباعية صغيرة، وتعريفات مختصرة وحذف الاقتباسات. فإنه يشغل مكانا أقل مما تشغله رواية بالحجم المتوسط للروايات المعاصرة. وتابع هافا طريقة المعجميين الأوروبيين مثل لين بجمعه المشتقات تحت جذورها واستعمال المختصرات العربية والإنكليزية على حد سواء، وأورد أصول عدد من الكلمات المقترضة. ويحوي المعجم ملحقا تأثليا رتب فيه مجموعة منها مع مصادرها المحتملة، كل لغة على حدة: الفرنسية والألمانية، العبرية- الإيطالية، اللاتينية- الفارسية - السريانية - العثمانية - التركية. كما أورد مفردات من اللهجتين السورية والمصرية. وأشار إليها على مستوى أقل، حين تسنى ظهورها في النصوص الطبوعة، لكن لا يمكن النظر إلى هذا المعجم على أنه معجم للعامية بأي معنى. واحتفظ معجم هافا بمكانة عالية عند المستعربين الغربيين المحدثين، واحتل مكانة توازي مكانة القاموس عند العلماء العرب.

وظلت المساهمات الألمانية في المعجمية العربية محدودة طوال القرن التاسع عشر الميلادي بعد فريتاج. وكان معجم أدولف فارموند الكلمات العربية الحديثة فلماذا السبب هو المعجم المتميز في ما يخص العربية المعاصرة. وله شهرة فائقة في ألمانيا وخارجها من حيث المنهج والأهداف. وفي هذه الحقبة الميمونة دارت الغايات النبيلة والأهداف الهامة الأولى في الاهتمام بإعداد وتأليف المعاجم والموسوعات العربية حول تعليمية وتبشيرية، ووفقا لهذا القسم تأتي المعاجم والموسوعات التي تذكر من حيث المناهج التأليفية اللغوية في السطور التالية:

- فهرسة النصوص معجميا مثل: "نجوم الفرقان في أطراف القرآن" لفلوجل.
- التأصيل المقارن للألفاظ المعربة مثل: "الألفاظ الآرامية في القرآن" لفرينكل.
- فكرة المعجم التاريخي مثل: "المعجم اللغوي التاريخي" لأوغست فيشر.
- المعجم الوصفي لمرحلة معينة مثل: "معجم العربية المعاصرة" لهانز فير.

- المعجم الإحصائي ذو الحقل الدلالي الواحد مثل: "معجم الألوان في الشعر العربي" لف. فيشر.

وفي القرن العشرين الميلادي تروجت علوم اللغة ومعاجمها أكثر من قبل، واغتنت بمفردات جديدة مقترصة، وفي مجال التقنية بمعناها الواسع خاصة ولقيت عناية المستشرقين الألمان بها كفن مستقل، واحتلت مكانا مستقلا في المناهج الدراسية في المدارس والمعاهد والكليات والجامعات في أنحاء الوطن، اختصت مكانا خاصا في المكتبات الألمانية والعالمية، ولما تم تأسيس الجامعة المصرية عام 1908م في القاهرة، سافرت جماعة كبيرة من المستشرقين الألمان إلى هذه الجامعة الشهيرة للحصول على العلوم اللغوية والفنون الأدبية، والتحقوا بها، وجالسوا مجالس أساتذتها الأجلاء، واستفادوا من شخصياتهم اللغوية ومؤهلته العظيمة، ورجعوا إلى وطنهم، وأرسوا الدعائم الأولى لعلم اللغة وفقه اللغات السامية، وبذلوا قصارى جهودهم في إعداد المعاجم والموسوعات العربية، ولهم منهجان في هذا الموضوع: المقارن والتاريخي في رحاب الجامعة المصرية حتى عد أكثرهم من الرواد الكبار في هذه السماء اللغوية في العالم عامة، وفي ألمانيا خاصة. ومن أشهرهم إينو ليتمان وبرجشتراسر وشاده وبول كراوس ونولدكه وبروكلمان وولفنسون وغيرهم¹. وعين بعضهم من أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة فيما بينهم فيشر وليتمان، كما انتخب من أعضاء مجمع اللغة العربية في دمشق فيما بينهم بروكلمان وهارتمان وريتر وغيرهم.

وشملت المعاجم الألمانية في هذا القرن الميمون في هذه السماء معجمي إرنست هاردر المعجم الألماني - العربي، ومعجم الجيب المزدوج الألماني - العربي والعربي - الألماني². كما تجب الإشارة بمعجم غونثر كراهل الذي نشر في ألمانيا الشرقية.

ولا يفوتني من الذكر أن ظهرت فكرة المعجمات اللغوية التاريخية في Historical Dictionaries في النصف الأول من القرن التاسع عشر نتيجة منهج

¹ للمزيد: الهنساوي حسام (الدكتور): الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة والدرس اللغوي الحديث، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2014م، ص: 152.

² Ernst Harder, Deutsch – arabisches handwörterbuch 1903.

التحليل التاريخي في الدرس اللغوي. وكانت الغاية من هذه المعجمات التاريخية: حفظ التراث الإنساني والتعرف على مراحل تطور الألفاظ والمفردات في الشكل والمعنى منذ أول ظهور مسجل لها. كما هبت ربح الروح التاريخية في سماء المعاجم والموسوعات العربية في أواخر القرن التاسع عشر، وانتشرت إلى أنحاء البلاد في أوائل القرن العشرين الميلادي، ونالت حظا كبيرا من عناية العلماء الألمان المتفوقين في اللغة، المتميزين في علومها، وجعلت مكانا تميز به بين أخواتها. وأن ربح التاريخ في المعجم يطلق على ما يسجل كل مفردات اللغة في كل مراحل تطورها مع الدلالات الخاصة لكل كلمة وكل تركيب في ضوء النصوص الموثوقة على نحو دقيق، ويقدم صورة كاملة لألفاظ اللغة عبر القرون¹. وقد فتح " المعجم الكبير" هذا الباب في سماء اللغة العربية تحت إشراف مجمع اللغة العربية في القاهرة. كما اشتهر المستشرق الألماني أوغست فيشر في تزيين هذا الباب بتأليف "المعجم اللغوي التاريخي"، وفتح باب الاحتجاج بما بعد عصر الاستشهاد.

المصادر والمراجع

1. أ. فيشر: المعجم اللغوي التاريخي، تصدير: د. إبراهيم مدكور، الطبعة الأولى، القاهرة: مجمع اللغة العربية، المطابع الأميرية، 1967م.
2. ألبرت ديتريش: الدراسات العربية في ألمانيا: تطورها ووضعها الحالي، مكتبة فيسبان، 1962م.
3. الهساوي حسام {الدكتور}: الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة والدرس اللغوي الحديث، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2014م.
4. العقيلي نجيب: المستشرقون، المجلد الثالث، مصر: دار المعارف، 1964م.
5. المنجد صلاح الدين: المستشرقون الألمان، المجلد الأول، 1978م.
6. الولي الشيخ طه: الإسلام والمسلمون في ألمانيا بين الأمس واليوم، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، 1966م.
7. بدوي عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، الطبعة الثالثة، بيروت: دار العلم للملايين، 1993م.
8. بروكلمان: فقه اللغات السامية، الرياض: مطبعة جامعة الرياض، 1997م.
9. حجازي محمود فهي (الدكتور): البحث اللغوي، الطبعة الأولى، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر، 1994م.
10. ر. ه. روبنز: موجز تاريخ علم اللغة، المترجم: أحمد عوض، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1997م.

¹ فيشر: المعجم اللغوي التاريخي، تصدير: د. إبراهيم مدكور، الطبعة الأولى، القاهرة: مجمع اللغة العربية، المطابع الأميرية، 1967م، ص: 43.

11. زيدان جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، المجلد الرابع، القاهرة: دار الهلال، 1983م.
12. كولينج: الموسوعة اللغوية، المجلد الثالث، الرياض: جامعة الملك سعود، 1990م.
13. فالتر فايبيكه: نشر التراث العربي ودراسة في ألمانيا، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، 1979م.
14. يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، المترجم: عمر لطفي العالم، 2002م.

اسهامات المستشرقين في ترجمات معاني القرآن الكريم: دراسة نقدية

الملخص: تتناول هذه المقالة دور المستشرقين في ترجمة معاني القرآن الكريم، مشيرة إلى التحديات الفكرية والعسكرية التي واجهها الإسلام منذ نشأته. وفي إطار هذه التحديات، يعد سعي المستشرقين إلى تشويه صورة الإسلام وتفنيده تعاليمه إحدى الأدوات الفكرية التي اعتمدوا عليها، حيث تم ذلك من خلال دراسة عميقة للنصوص الإسلامية، لا سيما القرآن الكريم والسنة النبوية، باستخدام مناهج بحثية دقيقة، وقد أولى المستشرقون اهتماما بالغاً بالقرآن الكريم باعتباره المصدر الأساسي للتشريع الإسلامي، محاولين التشكيك في معانيه وتبيان مواطن الضعف في لغته، كما زعموا، وقد تباينت آراء الباحثين في تعريف الاستشراق، إلا أن المعنى العام يشير إلى دراسات يقوم بها علماء غربيون لاستكشاف ثقافات الشرق وفهمها من منظورهم الخاص، بدأت أولى الترجمات للقرآن في القرن الثاني عشر الميلادي، على يد راهبين في دير كلوني، لكنها لم تر النور على نطاق واسع إلا بعد قرون عديدة. وقد نشأت مدارس استشراقية متعددة، كان لها أثر بارز في نشر ترجمات معاني القرآن بلغات عالمية مختلفة، وكان من أبرز هذه المدارس: المدرسة الإسبانية في الأندلس، التي أنتجت ترجمات أسهمت بشكل جوهري في إيصال مضامين القرآن إلى الغرب.

تسلط هذه المقالة الضوء على المدارس الاستشراقية الرئيسية التي أدت دوراً محورياً في ترجمة معاني القرآن، وهي:

1. المدرسة الاستشراقية الإسبانية: نشأت في الأندلس، وصدرت منها العديد من الترجمات التي كان أبرزها ترجمة روبرت القطني في القرن الثاني عشر، والتي وضعت ضمن جهود منهجية لنقل معاني القرآن إلى اللغات الأوروبية.

¹الأستاذ المساعد: كلية ايه كيه ايم الشرقية (التابعة بالجامعة العثمانية حيدرآباد)

2. المدرسة الاستشراقية الألمانية: اشتهرت بترجمات العديدة التي تركزت على تفسير المعاني القرآنية بدقة وتحليل أكاديمي، ساعية إلى تقديم فهم أعمق لنصوص القرآن.

3. المدرسة الاستشراقية الفرنسية: أنتجت ترجمات مهمة مثل ترجمة سافاري، وكازيميرسكي، وبلاشير، والتي اهتمت بدراسة القرآن من زوايا متعددة، وشكلت مرجعا لدراسات الاستشراق الأخرى حول العالم.

4. المدرسة الاستشراقية الإنجليزية: شهدت إنتاج ترجمات ذات أثر واسع مثل ترجمة جورج سيل، التي تعد من أدق الترجمات وأكثرها انتشارا، حيث اعتمدت على دقة لغوية وأسلوب علمي جعلها مرجعا أساسيا في الأوساط الاستشراقية.

إن الإسلام منذ بزوغ فجره يواجه تحديات عديدة تارة من قبل الكفار والمنافقين، وتارة أخرى من اليهود والنصارى والصهاينة، والصليبيين والمستشرقين الذين اتخذوا موقفا عدائيا ضد الإسلام والمسلمين، وهذه التحديات لا تقتصر بصورة الغزوي العسكري والفكري فحسب؛ بل يتعدى إلى غزو فكري مستمر بمختلف أنواعه وأشكاله عبر العصور والأزمنة، وما زالت المؤامرات ضد الإسلام حاكت ولا تزال تحاك، ولكن الله عز وجل قد ضمن بنفسه حفظ هذا الدين، وصون الشريعة الإسلامية الغراء من كيد الأعداء وحقدهم، فقد قال الله عز وجل موضحا: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (سورة الحجر: 9).

انطلق هذا الغزو الفكري من نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وبداية من القرن التاسع الميلادي، الذي تمثل في حركات فكرية وثقافية مختلفة، ومن بين هذه الحركات الفكرية والثقافية، هي الاستشراق.. وهذه الحركة سعت ولا تزال تسعى إلى تشويه صورة الإسلام المشرقة، وإظهار النقص، وإبراز مواطن الضعف فيه، ومحاولة الطعن في تعاليمه وقيمه، من خلال دراسة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والتراث الإسلامي المجيد ومستغلين كل أدوات البحث والدراسة في سبيل النيل من الإسلام ومبادئه، ولم يتركوا أي مجال من مجالات الدراسة والتحقيق إلا خاضوا فيها، وحرروا بحوثا وصنفوا كتباً ضد الإسلام وتعليماته.

اهتموا القرآن الكريم اهتماما، باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي، فكانوا يحاولون جاهدين لتشويه صورته بأساليب عديدة، فلم

يدخروا أي وسع في محاولة التشكيك في معانيه، وبحثوا عن نقاط الضعف في لغته، وبلاغته، كما سعى الطعن على أحكامه التشريعية.

لا يمكن إنكار دور المستشرقين وإسهاماتهم في ترجمة القرآن الكريم، حيث لعبوا دوراً مهماً في نقل معانيه إلى لغات أخرى، وتنوعت إسهاماتهم حول العديد من الجوانب اللغوية والثقافية، والدينية، واختلفت ترجماتهم من حيث استخدام المصطلحات اللغوية، فبعض الترجمات تعاني مشاكل في نقل المعاني الدقيقة العربية إلى اللغات الأخرى، بينما حاول بعض المستشرقين التحيز والتأويل غير الموضوعي، وفي حين أن بعض المستشرقين كان لديهم دوافع علمية بحتة، ورغبة في نشر المعرفة، إلا أن الأغلبية كانت عندهم الدوافع الدينية، والاستعمارية، والايديولوجية، والتبشيرية، تهدف إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين.

من المستشرقون؟

فقد اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الاستشراق والمستشرقين، فأورد كل واحد منهم تعريفاً خاصاً للاستشراق، والمستشرقين، والمفهوم الجامع الشامل للاستشراق والمستشرقين:

فقد عرف البعض:

هم علماء وباحثون من الغرب بذلوا عنايتهم بدراسة ثقافات وتاريخ ولغات وأديان الشرق، وخاصة العالمين العربي والغربي، كلمة " استشرق " مشتقة من كلمة " الشرق " وهذا اللفظ بنفسه يشير إلى توجه هؤلاء العلماء نحو دراسة وفهم الشرق من منظور غربي، نعترف أن بعض المستشرقين كان لديهم دافع حقيقي لفهم ثقافات الشرق وإسهام في نقل المعرفة الشرقية إلى الغرب، ولكن العدد الكبير من المستشرقين قد حاولوا وراء الاستشراق لفهم الإسلام بغرض المقارنة بالمسيحية أو بهدف التبشير، وسعوا في بعض الأحيان العثور على نقاط ضعف في الإسلام، حتى يمكن استخدامها في الجدل الديني أو النقد، وفي بعض الأحيان يهدفون إلى تبرير سياسات الهيمنة الأوروبية، لإظهار الشرق بصورة متخلفة غير متحضرة مقارنة مع الغرب.

1- قال المفكر الإسلامي القدير مالك بن نبي " إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية ⁽¹⁾ .

⁽¹⁾ مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث: 5، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ، بيروت، الطبع، الطبعة الأولى: 8831هـ، 9691م.

2- قال الأستاذ محمد كرد علي: " المستشرقون هم من يعنون بالبحث في لغات الشرق وعلومه ⁽¹⁾ .

3-- قال الدكتور إدوارد سعيد: المستشرق هم كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه ⁽²⁾ .

4- وقال الأستاذ الدكتور محمد فتح الله الزيايدي: "المستشرق هو كل من تعرض لحضارة العرب والإسلام بالدراسة، وخاصة من اتصف بالدس والكيد على الإسلام" ⁽³⁾ .

معنى الترجمة:

إن الترجمة تنقسم إلى قسمين: ترجمة حرفية، وترجمة تفسيرية، وقيل: ترجمة لفظية ، وترجمة معنوية أو تفسيرية ⁽⁴⁾ .

الترجمة الحرفية: فهي نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى، مع مراعاة الموافقة في النظم والترتيب، والمحافظة على جميع معاني الأصل المترجم..

الترجمة: التفسيرية: فهي شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى، بدون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه، وبدون المحافظة على جميع معانيه المرادة منه ⁽⁵⁾ .

شرائط الترجمة:

كما أجمع الباحثون والمعنيون بالترجمة، وجوب توفر أربعة شروط لتحقيق الترجمة الصحيحة.

(1) معرفة المترجم لأوضاع اللغتين: لغة المترجمة والمترجم إليها.

(2) معرفة لخصائص اللغتين وأساليبها.

(3) وفاء الترجمة بجميع معاني الأصل ومقاصده على وجه كامل.

(4) أن تكون صيغة الترجمة مستقلة عن الأصل ⁽⁶⁾ .

ترجمة القرآن الكريم

⁽¹⁾ محمد علي كرد، مجلة المجمع العلمي العربي: 12، دمشق، العدد: 3.

⁽²⁾ سعيد ادوارد، الاستشراق: 8، نيويورك، نوفمبر، 1978م

⁽³⁾ د. محمد فتح الله الزيايدي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها: 62، مكتبة المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، الطبع الأولى: 1983، 1392هـ، طرابلس.

⁽⁴⁾ الموسوعة الفقهية: 168/11، وزارة الشؤون الدينية ، الكويت،

⁽⁵⁾ الذهبي ، التفسير والمفسرون: 19/1، مكتبة وهبة ، شارع الجمهورية، عابدين، القاهرة.

⁽⁶⁾ موسي كامل، وعلي دحروج: 104، 105، كيف نفهم القرآن : 102، 103. دار المحروس للطباعة والنشر، بيروت.

إن العلماء قديما وحديثا لقد اختلفوا في جواز ترجمة القرآن الكريم وعدم جوازه، ولكن هذا الخلاف لفظي، لأننا ذكرنا من قبل أن الترجمة تنقسم إلى قسمين: ترجمة حرفية، الترجمة الحرفية بالمثل: فمعناها أن يترجم نظم القرآن بلغة أخرى تحاكيه حذوا بحذو بحيث تحل مفردات الترجمة محل مفرداته، وأسلوبها محل أسلوبه، حتى تتحمل الترجمة ما تحمله نظم الأصل من المعاني المقيدة بكيفياتها البلاغية وأحكامها التشريعية، وهذا أمر غير ممكن بالنسبة لكتاب الله العزيز⁽¹⁾.

لأن القرآن الكريم كلام معجز بليغ منزل من عند الله عزوجل في لفظه ومعانيه وأحكامه وتشريعاته، فلا يمكن لأحد أن يحاكيه، وأن يأتي بمثل له. وأمر الترجمة التفسيرية بمعنى شرح نظم القرآن الكريم، وبيان معناه بلغة أخرى بحيث يؤدي الغرض الذي سيق له نظم القرآن، ولا تراعي فيه المحاكاة المطلوبة في الترجمة الحرفية، وهذا النوع من الترجمة لا خلاف بين العلماء في جوازه⁽²⁾.

إن مثل هذه الترجمة لا شك ولا مرأه في جوازه، بل هي واجب شرعي، ومن الفروض الكفاية لغرض التبليغ والدعوة الإسلامية، والتعاليم، والمبادئ والقيم الإسلامية، ولكن أرجح في ذلك عند المحققين والمحدثين أن يستخدم " ترجمة معاني القرآن الكريم" وليس ترجمة القرآن الكريم، كما استعمل إصطلاح ترجمة معاني القرآن الكريم في البيان الختامي الذي أصدرته الندوة العالمية حول ترجمات معاني القرآن التي جاء عقدها خلال الفترة: 21، 22، من مارس عام 1986 بمدينة استانبول ، تركيا⁽³⁾. وهكذا نجد هذا المصطلح في جميع ترجمات القرآن الكريم التي أصدرتها جمعية الدعوة الإسلامية بطرابلس، ومجمع الملك فهد للمصاحف بالسعودية والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر وغيرها.

(1) د. محمد حسن الذهبي، التفسير والمفسرون: 21/1، مكتبه وهبة ، شارع الجمهورية، عابدين، القاهرة.

(2) كامل وعلي دحروج، كيف نفهم القرآن: 103، 102، دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر، بيروت

(3) بحوث الندوة العالمية حول ترجمات معاني القرآن، الكريم، جمعية الدعوة الإسلامية: 5، الطبعة الاولى، 1986م.

تعد المحاولات المبذولة معاني القرآن الكريم من أصعب المحاولات في ميدان الترجمة ، عموماً، فترجمة معنى آية كريمة واحدة بنقلها من النص القرآني المحكم البليغ إلى أي نص في لغة أجنبية تواجه صعوبات كبيرة، إذ تهتز المعنى الجميل الرائع ، ويفقد التركيب البلاغي للآية الكريمة ورونقه ودقته، ويفرغ اللفظ من وقعة الجميل المؤثر⁽¹⁾.

أول ترجمات لمعاني القرآن الكريم

إن القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد، والدين الذي جاء به النبي ﷺ رحمة للعالمين، وقد أنزل الله القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وقد حث الرسول ﷺ المسلمين على تبليغ دعوته إلى العرب والعجم، وقد بلغت رسالة الإسلام منذ بزوغ فجرها إلى إناس من العجم، وأنهم قد فهموا ترجمة معاني القرآن الكريم مترجمة إلى لغتهم، غير أنه لم تتم ترجمة معاني القرآن الكريم بالمصطلح المتعارف، وقد تمت ترجمة بعض القرآن الكريم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

- 1- لما هاجر المسلمون أولاً إلى الحبشة فراراً بدينهم من مكة المكرمة، هناك طلب ملك الحبشة أصحابه النجاشي ملك الحبشة من الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب أن يعرض عليه من القرآن يذكر عيسى عليه السلام، فقرأ عليه صدراً من كهيعص، فبكى والله النجاشي حتى أخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم⁽²⁾.
- ولا ريب إن الملك الحبشي فهم معاني القرآن الكريم المترجمة إلى لغته الحبشية
- 2- وكذلك لما أرسل ﷺ بعد صلح الحديبية الرسائل في السنة السادسة للهجرة إلى هرقل في بيزنطة (في أوروبا) و إلى كسري وهو في المداين (في آسيا) وإلى المقوقس وهو في الاسكندرية، وإلى النجاشي وهو في الحبشة (في أفريقيا) وإن هذه الرسائل مشتملة على بعض آيات القرآن الكريم التي ترجمت عند الملوك في لغاتهم.

⁽¹⁾ الفقير د. محمد حمادي التسماني، تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين ودوافعها وخطرها: 9، 10، الناشر، مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف، سنة النشر: 2001، 1422هـ.

⁽²⁾ صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم: 95 ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، دولة قطر، الطبع: 1428، 2007م.

3- كما جاء في كتاب الكبير في الفقه الحنفي المسمى بالمبسوط في كتاب الصلاة : 37/1 لشمس الأئمة السرخسي، " روي أن الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسي - ﷺ - أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكانوا يقرؤون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم بالعربية" ⁽¹⁾.

ثم تتابعت تراجم معاني القرآن الكريم عبر العالم كما يذكر الدكتور محمد حميد الله يوجد في مكتبة جامعة مانجستر بانكلترا مخطوطة سريانية، فيها تراجم ملتقطات من القرآن الكريم مثل سورة الفاتحة، وآيات أخرى، يرجع تاريخها إلى زمن ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي في خلافة عبد الملك بن مروان الأموي، كما ذكر أن الفيلسوف اليوناني نقيطانس من القرن التاسع الميلادي (الثالث من الهجرة) نقل القرآن إلى اليونانية، فقسم منه ترجمة وقسم آخر خلاصة وزاد نقدا وردا" ⁽²⁾.

دور المستشرقين في ترجمة معاني القرآن الكريم

إن المستشرقين بدأوا نشاطاتهم منذ أن سيطر المسلمون على الغرب، و أسسوا دولة إسلامية في الأندلس التي شهدت نهضة علمية وحضارة إسلامية راقية لم توجد في أوروبا من قبل، عندما كان الغربيون غارقين في الجهل والتخلف، فجعل أهل الغرب يبحثون عن أسباب النهضة للمسلمين، فتوجهوا إلى المراكز المنتشرة في الأندلس لينهلوا من مناهلها، ويتعلموا العلوم الإسلامية المختلفة، وعنوا عناية كبيرة بالعلوم الإسلامية، وفي مقدمتها القرآن الكريم حيث إنه المصدر الأول للإسلام والنهضة الإسلامية. ⁽³⁾

أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم من المستشرقين

إن المسيحيين يخافون على ديانتهم النصرانية بانتشار الإسلام وتعليماته، فلذا لم يسعوا في أول الأمر إلى ترجمة القرآن الكريم، بل قاموا بترجمة معاني القرآن الكريم بعد مضي خمسة قرون على ظهور الإسلام، فأول ترجمة باللغة اللاتينية برزت على حيز الوجود في إشراف رئيس دير كلوني

⁽¹⁾ محمد حميد الله ، الندوة العالمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم : 52، 53، جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1986م.

⁽²⁾ محمد حميد الله ، الندوة العالمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم : 53، 56، جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1986م.

⁽³⁾ د. محمد فتح الله الزيايدي، ظاهرة انتشار الإسلام، وموقف المستشرقين منها: 64، مكتبة المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس.

بجنوب فرنسا عام 1143م على يد راهب انجليزي يدعى " روبرت الرتيبي (Robert de Retina)، وراهب ألماني يدعى هرمان (Hermann) ⁽¹⁾. ولكن هذه الترجمة لم تبرز على منصة الشهود نظرا لخوف الكنيسة من تأثيرها في الرأي العام المسيحي إلا في عام 1543م. ⁽²⁾

هذه النسخة تم ترجمتها إلى اللغات الأخرى ، اللاتينية، والألمانية، والهولندية، والفرنسية والانجليزية والروسية، حتى ترجمت في جميع لغات العالم .

ترجمة معاني القرآن الكريم والمدارس الاستشرافية المهمة.

إن المستشرقين أنجزوا ترجمة معاني القرآن الكريم بعدد من اللغات في مختلف البلاد، حتى لا يمكن عددهم وحصرهم بسبب ضخامة أعمالهم، وتزايد عددهم، واختلاف أجناسهم وأعمالهم ولغاتهم، هنا نذكر فهرسا لتلك المدارس المهمة التي اهتمت بترجمة معاني القرآن الكريم.

ألف: المدرسة الاستشرافية الأسبانية: هذه المدرسة وهي الأساس لجميع المدارس الاستشرافية في ترجمة معاني القرآن الكريم، لأن المستشرقين من أوروبا أولا سافروا إلى الأندلس لدارسة الإسلام والعلوم الإسلامية، وجاء ترجمة الكتب الإسلامية والتراث الإسلامي من بينها القرآن الكريم من طليطلة إحدى مدن أسبانيا، ومن أقدم وأشهر الترجمات لمعاني القرآن المنتسبة إلى هذه المدرسة وهي كالتالي:

- 1- ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية عام 1130م بتوجيه من رئيس دير كلوني بطرس على يد الراهب روبرت القطوني (Robert Al-Qatouni)
- 2- ترجمة أخرى باللغة اللاتينية، صدرت عام 1143هـ على يد الراهبين روبرت وهرمان (Robert Wahrman) بإشارة من رئيس دير كلوني.
- 3- ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة القشتالية، بإيعاز من الملك ألفونسو العاشر (Alfonso).
- 4- ترجمة الشماس ماركوس دي طولينو بأمر من رئيس الأساقفة رودريغو (Rodrygo).

(1) د. محمد حسن الذهبي،، التفسير والمفسرون: 71/1، 81، دار الأرقم، بيروت.

(2) محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم: 90، ادار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، 1983م، بيروت.

5- ترجمة مطران كنيسة سقوفيا جون السقوفي إلى الأسبانية ثم إلى اللاتينية.⁽¹⁾

ب: المدرسة الاستشرافية الألمانية:

هذه المدرسة شهيرة ومعروفة بترجمة معاني القرآن الكريم، وقد اهتمت هذه المدرسة بترجمات عديدة لمعاني القرآن الكريم وهي كما يلي:

1- ترجمة سولون شفايفر (Sefweigger) الواعظ بكنيسة فراون في نورمبرج، وهي أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية، جاء نشرها تحت عنوان "القرآن المحمدي" في ثلاث مجلدات عام : 1616 م وهذه الترجمة لم تترجم من النص العربي⁽²⁾.

2- ترجمة فريدرش ماجر لاین ، هذه الترجمة نشرت باسم "الانجيل التركي" عام 1770 م، وترجمت من النص العربي مباشرة.

3- ترجمة فريدرش البرهاد (Friedrich Alberhad) هذه الترجمة نشرت باسم "القرآن أو قانون المسلمين" عام ، 1770 م.

4- ترجمة بوئزن (Boysen) طبعت عام 1773 م.

5- ترجمة ألمان (L.Ullmann) نشرت عام 1880 م.

6- ترجمة روكارت (F.Rukert) طبعت عام 1888 م.

7- ترجمة هانينغ (M.Hennigg) صدرت عام 1901 م.

ج: المدرسة الاستشرافية الفرنسية: كما اهتم المتشرقون الفرنسيون ترجمة معاني القرآن الكريم، كما عنوا بدراسته من كل الوجّهات، ومن أشهر التراجم التي أنجزها المستشرقون الفرنسيون:

1- ترجمة سافاري (E.savary) التي نشرت في باريس عام 1783 م، وإن صاحب الترجمة أقام مدة طويلا بمصر، وكان متقنا في اللغة العربية.

2- ترجمة كازيميرسكي (Kazimirski) وهي ترجمة صدرت عام 1832 م، وهو ترجمان في قنصل فرنسا في إيران.

3- ترجمة مونتيه (E.Montet) جاء طبع هذه الترجمة عام 1929 م، وكان من مونتية أستاذ اللغات السامية في جامعة جنيف.

(1) الفقير د. محمد حمادي، تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم: 171، موقع

انترنت مدين سنتر.

(2) على الصادق حسنين ، الندوة العالمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم : 171،

جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1986 م.

4-ترجمة بلاشير (R.Blachere) التي ظهر في باريس عام 1947م، وكان صاحبها مستشرق مرموقا، وكان أستاذا للفلسفة العربية في جامعة السربون.

5-ترجمة ماسون(D.Masson) التي صدرت في بيروت عام 1975م، وهي مستشرقة مرموقة.⁽¹⁾

د: المدرسة الاستشرافية الانجليزية: قد اولى المستشرقون الانجليز اهتمامهم وعنايتهم بترجمة معاني القرآن الكريم، وإن جاء صدور ترجمة أولوية في الانجليزية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ومن بين الترجمات الشهيرة لمعاني القرآن الكريم كما يلي :

1-ترجمة الكسندر روس (A Ross) صدرت بلندن عام 1648م، وقد نقل روس ترجمة دويبة الفرنسية إلى الانجليزية، وهي أول نسخة انجليزية مترجمة لمعاني القرآن الكريم.

2-ترجمة جورج سيل(G.sale) التي طبعت عام 1737هـ بلندن، وقد نقل صاحبها من العربية مباشرة، وهو شيخ المترجمين الانجليز، وترجمته تعد من أشهر الترجمات الانجليزية .

3-ترجمة رودويل (M.Rodwell) التي طبعت بلندن عام 1861م ، واضع الترجمة هو القسيس.

4-ترجمة بالمر (E.palmer) صدرت بمجلدين عام 1889م في اكسفورد.

5-ترجمة بل (R.Bell) التي صدرت بمدينة ايدمبرا عام 1939م، وقد غير صاحبها في ترتيب الآيات الوضعية للسورة القرآنية.⁽²⁾

وهناك مدارس أخرى التي قامت بترجمة معاني القرآن الكريم.

أهداف المستشرقين من وراء ترجمة معاني القرآن الكريم.

قام العدد الكبير من المستشرقين بترجمة القرآن الكريم، والهدف وراءها الإطلاع عليه، أو الاستفادة منه، أو إفادة أقوامهم إلا القليل منهم، بل جل هدفهم من وراء ترجمة معاني القرآن الكريم تحقيق مصالحهم، وتتميم مقاصدهم الذي يمثل في تشكيك المسلمين في دينهم، واستخدام الترجمات لشن الهجوم على التعليمات الإسلامية والثقافة الإسلامية، كما يهدفون إلى

(1) على الصادق حسنين ، الندوة العالمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم : 171، جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1986م.

(2) على الصادق حسنين ، الندوة العالمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم : 172، 173، جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1986م.

إثبات بشرية القرآن الكريم ليدحضوا المبادئ والأسس الإسلامية، لأجل الاستخفاف بالمقومات الدينية والحضارية للإسلام، والقصد تشويه القرآن بمختلف الطرق.

هذا مستشرق جورج سيل يوضح في مقدمة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الانجليزية بالصراحة:

"أما أن مجدا كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له، فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان من المرجح أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة".⁽¹⁾

أخطاء المستشرقين في اختيار المنهج لترجمة معاني القرآن الكريم.

المستشرقون رغم ادعائهم النزاهة والحيادة العلمية في ترجمة معاني القرآن الكريم، أنهم ينفجون كل منهج في ترجمة معاني القرآن الكريم التي تخدم مآربهم وتحقق أهدافهم، أنهم يتعبون المناهج التي تنسم تماما القصور والخلل.

1- تحريف النصوص وإخضاعها حسب أهوائهم.

2- تحريف النصوص تحريفا مقصودا .

3- تأويل المعنى عندما لا يجدون مجالا للتحريف.

4- ويقلون قيمة كل من شأنه أن يثبت القرآن هو كتاب الله.

5- تتبع النصوص الملائمة والموافق لهواهم.

6- بذل الجهود في سبيل إثبات بشرية القرآن الكريم.

7- خافوا من انتشار الإسلام اندفعوا نحو الترجمة الكيفية لا الصحيحة والعلمية أو حتى النسبية لحد ما، إمعانا في التحريف والتضليل خوفا من أن يعتنق الإسلام من يقف من الأوروبيين على حقيقة النصوص القرآنية.⁽²⁾

إن المستشرقين سعوا سعيا حثيا، وقاموا بمحاولات عديدة لترجمة معاني القرآن الكريم، ولكن مساعيهم كلها بقيت قاصرة ومشوهة ومعينة لعدم معرفة المقومات اللغوية وأسرار اللسان، فحرفوا النصوص القرآنية، وشوهوها، فوقعوا في عيوب قاذحة وأخطاء جسيمة، لأنهم جاهلون بأسرار اللغة العربية، وتورية القرآن، والمعاني الدقيقة له، وانحرف النص عن قصده الحقيقي،

(1) محمد عزت اسماعيل، التبشير والاستشراق، أحقاد وحملات على النبي محمد ﷺ وبلاد الشام: 54، الزاهراء للإعلام العربي، 1991م.

(2) محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم: 108، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، 1983م، بيروت.

والخلط بين العربية والعبرية والسريانية، والخلط مع بعض المعتقدات اليهودية والنصرانية.⁽¹⁾

فقد حاولوا بترجمة معاني القرآن الكريم تغيير النظريات الإسلامية الصحيحة، أمثال جولد زهر (Goldseher) والفريد غيوم (Fred Guillaume)، وأنجزوا ترجمة حرة بالنصوص عن طريق التقديم والتأخير والإهمال والتحوير بحيث تأتي الترجمة موافقة لأهوائهم، كما سعوا إلى البحث عن القراءات الشاذة، وجعلها وسيلة لإيجاد الشكوك والشبهات، والحق والتعصب الأعلى من عندهم، وخاصة حاولوا من وراء ترجماتهم الفرنسية منها : أن يوهموا بأن القرآن الكريم من وضع محمد ﷺ، وأنه كتاب متناقض وليس بوحى من الله عز وجل، بل حاول بعضهم إثبات بأن النبي ﷺ اطلع هذه الأخبار من كتب اليهود، ومحاولة ترتيب القرآن حسب النزول، لإيجاد الخلل في أذهان الشباب المسلم المثقف، وبل قد تغيروا مواضع الآيات، حذفوا بعضها ووضعوا أخرى في مكانها. نماذج من عيوب ترجمات القرآن الكريم

نقدم هنا بعض الأمثلة لعيوب ترجمات القرآن الكريم في التراجم الفرنسية الانجليزية، فهي إذن ملاحظات ونماذج نظن أنها تتحدث بذاتها عن ذاتها عن عدم استطاعة ترجمة القرآن المعجز؛ ولكن هذا النوع من الترجمات يدل على أمور كثيرة فندناها، وهو لتضليل الناس، والجهل بأسرار اللغة العربية، وجعل التوريات القرآنية، والانحراف بالنص عن قصده الحقيقي إلى غير ذلك من الأسباب التي قد بينها من قبل:

1- فقد قام المتستشرقون بتفسير الآيات "وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ" (سورة النساء: 22) فقد ترجمها سافاري (Savary)

Nepousez Pas les femmes qui ont ete les epouses de vos peres cest un crime! Cest le chemin de la perdition, mais si le mal est fait, qardez-les"

أي " لا تتزوجوا النساء اللاتي كن زوجات لأبائكم، تلك جريمة! أناطريق الضياع، ولكن إذا كان الشر قد حدث فاحتفظوا بهن". ويقول بشأن "إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ".

"Si le crim est commis, le seigneur est indulgent et misericordieux"

(1) د. محمد وخليفة ، الاستشراق والقرآن العظيم، ترجمة مروان عبد الصبور شاهين: 126، 146، دار الاعتصام ، الطبعة الاولى: 1994م.

أي " إذا كانت الجريمة قد ارتكبت فالمولى متسامح كريم"
وترجم كازيمير سكي (Kazimirski) " إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ " هكذا : " ومع ذلك ،
فاستبقوا ما تمّ من قبل " و" إذا كان الأمر قد تم ، فالله سيكون متسامحا
رحيما"....

وترجم بلاشير (Blchere) " إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ " هكذا " ما عدا أولاء المتزوجات في
الماضي".

2- وانتقل إلى ترجمات أخرى وتأخذ مثالا الآية الكريمة " وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى " (سورة الضحى : 8)

فقد ترجموها بالفرنسية et t,a enrichie وبالانجليزية and enrich thee.
أي إن الله تعالى قد اغدق عليك المال فأغنك، الواقع أن المعني القرآني، هو أن
الله عزوجل حرّر النبي الكريم من الحاجة، وهذا مما تنبه له في ترجمته القرآن
للانجليزية العلامة الهندي محمد علي حيث ترجم معاني هذه الآية على وجهها
الصحيح.

And make thee to be free from want
3- ولننظر الآن كيف ترجمة آية " وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ " (سورة القمر:
54) ترجمة ماسون – صبيحي صالح

-Nous avons porte Noe sur un assemblage de planches et de fibres de
palmers
حملنا نوحا على مجموعة من الألواح وخيوط (أو وشعر) النخيل ترجمة
سافاري.

-Nous sauvames Noe dans l,arche formee de planches jointes
وأنقذنا نوحا في سفينة مصنوعة من ألواح مجمعة ترجمة كازيميرسكي
-Nous le (noe)portames dans un vaisseau fait de planches et le clous
وحملنا نوحا على باخرة (مركب) صنعت من ألواح ومسامير.

4- وترجم رادول (Rodwell) هذه الآية " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى
وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (سورة البقرة : 62).
هكذا

Verily, they who believe (Muslims), and they who follow the jewish
religion, and the Christians, and the Sabeite – who ever of those

believeth in Got and the last day, and doeth that which is right, shall have their, reward with their lord, fear shall not come upon theme neither shall they be grieved

فإذا نقلنا هذه الترجمة إلى العربية نجدها:

" إن الذين يؤمنون بالإله، واليوم الآخر، ويعملون عملا طيبا سيكافأون من سيدهم، وسوف لا يلحقهم خوف أو حزن سواء كان هؤلاء مسلمين أو متبعين للديانة الاسرائيلة أو سابتين، الخ....

نرى من ذلك أن الترجمة لا تقتصر على التحريف فقط؛ بل وعلى تحوير معنى الآية الكريمة مما يقتضي تفسيره صفحات عديدة، وكم تذكرنا هذه الآية المحورة بطريقة اليهود التي قال عنها القرآن الكريم:

" فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ " (سورة المائدة: 13).

5-وهناك ترجمة " إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ " (سورة العصر: 103) فقد ترجموها By the afternoon ، فهل كلمة العصر التي اقسم بها الحق عز وجل تعني العصر – صلاة العصر – ما بعد الظهر .

6-وترجمة " اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ " (سورة العلق: 1)

فقد ترجموها مرة (Recite) ومرة (Lis)

وبالانجليزية مرة (Recite) ومرة (Read)

وظاهر تماما الفرق بين الكلمتين فـ (Lis) اقرأ شيئا جديدا تتعلمه وتعرفه، أما () فسمّع ما تعرف، وهذا الفرق بين التعبيرين يدل على مدى دقة عمل المترجم من المستشرقين عندما يعتمد استعمال (Recite) إذ نرى فيها بكل وضوح ما يعني أن القرآن معروف من النبي ، الم يتهم بأنه من عنده، وإنما يعيد تسميعه.. قاتلهم الله أني يؤفكون..

مترادفات القرآن في اللغات الأجنبية:

وإن الترجمة في اللغات الأخرى دقيقة، هناك الألفاظ لا يمكن أن نجد لها مرادفا باللغة الأجنبية، والفرنسية، التي هي لغة الشعر والخيال، يعطيها نفس القوة والمعني والجدالة والردعة والصورة التي نجدها في القرآن الكريم ، أمثال : " فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ " ، و " مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا " ، " وهذا بصائر للناس " ، و " أفئدة من الناس تهوي إليهم " ، " فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

أَعْمَالَهُمْ " ، "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا " ، "وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ " ،
" ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ " ، الخ.

وأني للمترجمين أن تترجموا " الروح والريحان" مثلاً عندما نرى أحد العلماء الكبار يقول في تفسيرها فقط ما يلي : " وكل الذي أرجوه أن يفتح الله عليك أيها القاري الكريم وأن تسمع الموسيقى الإلهية التي بثها الله في هذه الآيات ، انظر إلى وقع "روح وريحان" في النفس والنور الذي تشرق به تجدها شيئاً يجلب عن الوصف ، يقول المفسرون: أن الروح تعني الراحة والرحمة ، وإن الريحان يعني الاستراحة ، ويقول بعضهم: أنها تعني النبات المشهور ، ولكن الأغلبية تتفق على أنها تعني الرزق الحسن.

1- يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ (سورة النور: 31) ليست هي . (Cast down)

2- وترجمة فروجهن وفروجهن ليست (Their private Parts)

أي أجزاءهم وأجزاءهن الخاصة..

3-وآية " بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ " فقد ترجمها مارمدوك (Marmeduke) بالانجليزية ما يعني " فشج رأسه " .

4-وترجم ماكس هاننج (Max Henning) لفظة الإبل إلى الألمانية في قوله تعالى " أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت " (سورة الغاشية : 17) بكلمة "Wolken" أي السحاب .

5-وكيف ترجموا " إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ " (سورة الواقعة : 1)

ماسون -صبيحي الصالح

Lorsque celle qui est ineluctable surriendra

سافاري

Lorsque le Jour du jugement sera venu

كازيميرسكي

Lorsque levenement arrivera

6--وهذه الآية : " وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا " (سورة النبأ: 87) أي جعلنا الليل ساتراً عليكم أيها الناس بسواده ، فقد طالما تندرنا بالترجمة التي طلوعوا بها لهذه اللفظة العظيمة ، ونحن بعد على مقاعد الدرس ، فهي بالنسبة إليهم إما الثواب ، وإما الرداء ، وقد تكون الكسوة أيضاً من يدري.....

تجدها عند سافاري (E.savary)

Nous avons abaissé sur vous le voile de la nuit

وعند كازيميرسكي (Kazimirski)

Nous vous avons adonne la nuit pour manteau

7-وآية " هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ " (سورة البقرة: 186) التي تعني حاجة كل من الطرفين لصاحبه بمعنى شرعي رفيع أدبي، أصبحت هكذا في الترجمات التي بين أيدينا:

سافاري (E.savary)

Elles sont votre vetemant et vous etes le leur

ماسون- صبيحي الصالح:

Elles sont un vetement pour vous, vous etes pour ells un vetemat

كازيميرسكي (Kazimirski)

(1).Elles sont votre vetement et vous etes le leur

خلاصة القول : يعتبر بدء محاولات ترجمة القرآن إلى اللغات الأوروبية في القرن الثاني عشر الميلادي، وتحديدًا في عام 1143م، حين تمت ترجمته إلى اللغة اللاتينية تحت إشراف رئيس دير كلوني في فرنسا. ولاحقًا، انتشرت ترجمات معاني القرآن إلى لغات أوروبية أخرى، مثل الألمانية، والفرنسية، والإنجليزية. وقد أسست في أوروبا مدارس استشرافية متعددة، مثل المدرسة الإسبانية، والألمانية، والفرنسية، والإنجليزية، التي أنتجت ترجمات متعددة، إلا أنها كانت مثيرة للجدل، وتعرضت للانتقاد بسبب تحريف المعاني وانحراف النصوص عن مقاصدها الأصلية.

يشير المقال إلى أن معظم الترجمات الاستشرافية، على الرغم من جهودها الأكاديمية، فشلت في تقديم الفهم الحقيقي للقرآن الكريم، وظلت

المصادر والمراجع

- الإستشراق، أدوار سعيد، نيويورك، 1978م- ادوارد سعيد
- الإستشراق والقرآن العظيم، ترجمة: مروان عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، 1994م- محمد خليفة
- التبشير والاستشراق: محمد عزت إسماعيل، أحقاد وحملات على النبي محمد ﷺ وبلاد الشام، الزهراء للإعلام العربي، 1991م.
- التفسير والمفسرون، الذهبي، شارع الجمهورية، عابدين، القاهرة.

(1) محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم: 621، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، 1983م، بيروت.

- الرحيق المختوم، دار الكتاب الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دولة قطر، الطبع : 1428، 2007م.
- المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، محمد صالح البنداق، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، 1983م، بيروت- محمد صالح البنداق.
- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ، بيروت، الطبع، الطبعة الأولى : 8831هـ، 9691م.
- الموسوعة الفقهية، وزارة الشؤون الدينية، الكويت.
- بحوث الندوة العالمية حول ترجمات معاني القرآن الكريم، جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1986م
- تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم، الفقير د. محمد حمادي التمسamani، الناشر، مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف، سنة النشرة: 2001، 1422هـ.
- ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها، محمد فتح الله الزيايدي، مكتبة المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، الطبع الاولى : 1983، 1392هـ، طرابلس .
- كيف نفهم القرآن، موسي كامل وعلي دحروج، دار المحروس للطباعة والنشر، بيروت.
- مجلة المجمع العلمي العربي، محمد علي الكردي، العدد 12، دمشق، العدد 3.
- الندوة العالمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم، علي الصادق حسين جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1986م- علي الصادق حسنين
- الندوة العالمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم، محمد حميد الله، جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1986م.

دور هيلموت ريتز في تحقيق المخطوطات العربية ونشرها

يعدّ هيلموت ريتز من أهم المستشرقين الذين أسهموا إسهاماً كبيراً في تحقيق ونشر المخطوطات العربية والفارسية والتركية، الأمر الذي ساعد في إثراء الدراسات الأكاديمية المتعلقة بالتراث الفكري والأدبي للعالم الإسلامي. وُلد هيلموت ريتز في مدينة هايدلبرغ بألمانيا في 27 فبراير 1892، وتلقّى تعليمه الأكاديمي في جامعات ألمانية مرموقة، حيث حصل على درجة الدكتوراه من جامعة ميونخ عام 1921. ومنذ بداياته أظهر اهتماماً عميقاً بالدراسات الشرقية، وهو ما دفعه للتخصص في تحقيق النصوص التراثية العربية والفارسية.

بدأت مسيرته الأكاديمية بتعيينات في مؤسسات ألمانية متخصصة في الدراسات الشرقية، لكنه سرعان ما توجه نحو الشرق الأوسط، حيث وجد في إسطنبول مجالاً واسعاً لتطبيق منهجه الأكاديمي والاستشراقي. وكانت هذه الفترة التي قضاها في الشرق الأوسط من أبرز فترات حياته، إذ استقر في إسطنبول بين عامي 1926 و1949، وترك بصمة واضحة في ميدان تحقيق المخطوطات الإسلامية.

إسهاماته في مكتبة السليمانية

أثناء إقامته الطويلة في إسطنبول، عمل هيلموت ريتز في مكتبة السليمانية، التي تعدّ واحدة من أهم مكتبات المخطوطات في العالم الإسلامي. كانت هذه المكتبة تحتوي على مجموعة نادرة وقيمة من النصوص الإسلامية، شملت المخطوطات العربية والفارسية والتركية، ووفرت لروادها تراثاً ثقافياً غنياً يحتاج إلى عناية ودراسة دقيقة. وقد استفاد ريتز من هذه الفرصة الفريدة، حيث قام بدراسة آلاف المخطوطات وتفحصها بدقة، ما مكّنه من فهرستها وتحقيقها بأسلوب علمي يعكس مدى اهتمامه بتراث الحضارة الإسلامية.

وتضمنت منهجيته في تحقيق المخطوطات عدة مراحل، كان أولها جمع أكبر عدد ممكن من النسخ المتاحة للمخطوطة، ومن ثم القيام بمقارنة

¹ رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، كلية حكومية للنساء، غولكنده، حيدرآباد

دقيقة بين تلك النسخ لاستنباط نص أقرب ما يكون إلى الأصل. بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، عاد ريتز إلى ألمانيا ليوصل أبحاثه الأكاديمية، وقد استمر في تدريس التراث الإسلامي ونشر مؤلفاته القيمة حتى وفاته في عام 1971، تاركاً وراءه إرثاً علمياً لا يقدر بثمن.

منهجية هيلموت ريتز في التحقيق

كان ريتز يعتمد في تحقيقه للمخطوطات على منهجية علمية دقيقة وشاملة، تتضمن عدة خطوات أساسية، أهمها:

1. جمع النسخ والمقارنة بينها: كان يجمع أكبر عدد ممكن من النسخ الخطية المتاحة للمخطوطة، سواء كانت عربية أو فارسية أو تركية، ليتمكن من مقارنة النصوص وتحديد الاختلافات بينها. وبهذا الأسلوب كان يسعى للوصول إلى نص يمثل النسخة الأصلية أو الأقرب إليها.

2. التدقيق اللغوي والنحوي: كان ريتز يعتمد على معرفته الواسعة في اللغة العربية، والفارسية، والتركية، حيث يقوم بتدقيق النص لغوياً ونحوياً ليصل إلى صيغة تتسم بالسلامة اللغوية والدقة المعرفية، مما يجعل النص المطبوع أقرب ما يكون للغة الأصلية.

3. تقديم الشروحات والتعليقات: من أهم ما يميز تحقيقاته هو الشروحات والتعليقات التي كان يضيفها، إذ لم يكن يكتفي فقط بتحقيق النص، بل كان يقدم شروحات موسعة تفسر المعاني الصعبة وتوضح الخلفية التاريخية أو الثقافية التي تتعلق بالمخطوطة. وقد أسهمت هذه الشروحات في جعل النصوص التراثية مفهومة وسهلة التناول للباحثين المعاصرين.

4. توثيق الاختلافات وتبيين الأصول: كان يعتمد على توثيق كافة الاختلافات التي يجدها بين النسخ المختلفة، ويشير إلى النسخة المعتمدة التي استخدمها كأصل لتحقيق المخطوطة.

أبرز إسهاماته في تحقيق المخطوطات

أسهم هيلموت ريتز في تحقيق عدد كبير من المخطوطات التي تعتبر من أهم أعماله الأكاديمية. وفيما يلي نستعرض بعضاً من تحقيقاته البارزة:

1- تحقيق "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" لأبي الحسن الأشعري

يُعد هذا الكتاب من أهم الأعمال التي قام بها ريتز في مجال الدراسات الإسلامية، إذ يعتبر مصدراً أساسياً في العقائد والمذاهب الإسلامية حتى القرن الثالث الهجري. اعتمد ريتز على عدة نسخ خطية وجمعها ليقوم بمقارنة

دقيقة، مما مكنه من تقديم نص محقق يتميز بالسلامة والدقة. وأسهمت طبعة ريتز في جعل هذا الكتاب متاحاً في صيغة أكاديمية عالية، مما جعله مرجعاً أساسياً لدراسة الفكر الكلامي والعقائد الإسلامية، حيث تمكن الباحثون من فهم المذاهب المختلفة من خلال شروح ريتز التي أضافها إلى التحقيق.⁽¹⁾

وقد تحدث المحقق المستشرق عن أسلوبه في التحقيق العلمي، والتعليق، واستفدته على النسخ المختلفة في المقدمة التي جاءت في آخر الكتاب، فقام ببيان التفاصيل والرمز لكل مخطوطة، وهي خمسة مخطوطات، وقد قام بهذا العمل الجليل في اللغة العربية. فيقول بنفسه:

ثم ينبغي أن تعلم أن هذه النسخ التي أخذنا عنها أكثرها قليل الإعجام وما يوجد فيها من إعجام، فلغلطه كثير فما تجده من الإعجام في هذه الطبعة فأكثره من عندنا، فإن رجحت غيره مما يحتمله المعني فلك ذلك، وهذا ما لزمنا تبينه للأفاضل الذين يطلعون على هذه الطبعة مما يتعلق بالكتاب ونسخه التي عثرنا عليها، وسنذيل الكتاب بفهرس أسماء الرجال مع ذكر مأخذ تراجمهم بالاختصار وفهرس للمسائل الكلامية.⁽²⁾

2-تحقيق "الوافي بالوفيات" للصفدي.

يُعد هذا الكتاب من أهم أعمال الصفدي في مجال التراجم والتاريخ الإسلامي، وقد قام ريتز بتحقيق جزء من هذا العمل بطريقة علمية دقيقة ومتكاملة. استخدم ريتز عدة نسخ خطية للكتاب، وقام بمقارنة النصوص وتحديد الاختلافات والنواقص. اعتمد على منهجية علمية تركز على توثيق المعلومات التاريخية والأسماء الواردة، كما أضاف شروحات توضح الشخصيات التاريخية والأحداث، مما أسهم في توضيح السياق التاريخي للمخطوطة وجعلها مفهومة للباحثين.

(1) الإمام أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ، بتصحيح هلموت ريتز، كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، طبع دار النشر فرانز شتايز بقيسبادن، 1400هـ، 1980م، الطبعة الثالثة.

(2) الإمام أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ، بتصحيح هلموت ريتز، كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: كز، 723، طبع دار النشر فرانز شتايز بقيسبادن، 1400هـ، 1980م، الطبعة الثالثة.

فقد يقول هيلموت ريتز في مقدمة طبع الكتاب "فلقد تبين مما ذكرنا أن الأساس من الأصول المخطوطة الذي بنينا عليه طبع هذا الكتاب هو الغاية في الرصانة والمتانة حيث تيسر لنا الاستفادة من أصل المؤلف كما وصفنا ومن أصصل قبول بخط المؤلف ومن التراجم الموجودة في كتاب أعيان العصر بخط المؤلف أيضاً ولذلك لم نستجز التصرف في المتن بالتبديل والتغيير والتصحيح، بل رأينا إثباته على ما هو عليه في الأصول، وإن لم يحصل بذلك على متن سالم من الخطأ⁽¹⁾."

3-تحقيق "سوانح العشاق" لأحمد الغزالي الطوسي

يعدّ هذا العمل من الكتب الصوفية التي تركز على مفهوم الحب الإلهي. اعتمد ريتز في تحقيقه على نسخ متعددة للمخطوطة وقام بمقارنة دقيقة بينها لاستخراج النص الأصلي. وقدم شروحات موسعة تفسّر الرموز الصوفية والمعاني الروحية العميقة التي يتضمنها النص، مما ساعد الباحثين في مجال التصوف على فهم رؤى الغزالي. حقق ريتز هذا الكتاب بأسلوب أكاديمي دقيق يبرز اهتمامه العميق بالنصوص الصوفية⁽²⁾.

4-تحقيق "أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني

يُعدّ هذا الكتاب من أمهات الكتب في البلاغة العربية، وقد قام ريتز بتحقيقه بأسلوب علمي يعتمد على جمع عدد من المخطوطات ومقارنتها. وقدم شروحات مفصلة تفسّر المصطلحات البلاغية والفلسفية المعقدة، مع توضيح السياق العلمي والثقافي للنص. كما أسهمت طبعة ريتز في الدراسات البلاغية والنقدية، حيث أصبح الكتاب مرجعاً رئيسياً في البلاغة العربية⁽³⁾.

دورهيلموت ريتز في تأسيس مراكز الدراسات الشرقية

إضافة إلى إسهاماته في تحقيق المخطوطات، كان لهيلموت ريتز دور بارز في تأسيس مراكز أكاديمية متخصصة بالدراسات الشرقية في الجامعات الأوروبية. ساعدت هذه المراكز في تطوير البحث والدراسة في التراث الإسلامي،

⁽¹⁾ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، كتاب الوافي بالوفيات، باعتناء هلموت ريتز، يصدر لجمعية المستشرقين الألمانية البرت ديتريش وهانس روبرت رويمر: 1/ و، طبع دار النشر فرانز شتايز بقيسبادن، 1381÷، 1962م.

⁽²⁾ محمد أمير ناشر النعم، تجليات علمائنا المتعددة في اللغات المختلفة، التليفون السيريا.
⁽³⁾ الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني، كتاب أسرار البلاغة، تحقيق هيلموت ريتز، استانبول، نطبعة وزارة المعارف، عام 1954هـ،

وساهمت في توثيق العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب. كما شارك في إقامة ورش عمل ومؤتمرات علمية، استقطبت باحثين من جميع أنحاء العالم، مما عزز تبادل المعرفة وساهم في إثراء الدراسات الإسلامية..

خلاصة القول: يعتبر هيلموت ريتير من أبرز المستشرقين الذين قدموا إسهامات جليلة في تحقيق ونشر المخطوطات العربية والفارسية والتركية، وقد تميزت أعماله بمنهجية علمية دقيقة تجمع بين المقارنة بين النسخ والشرح المستفيضة. قام بتحقيق عدد من الأعمال البارزة مثل مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، و الوافي بالوفيات للصفدي، و سوانح العشاق لأحمد الغزالي، وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني. ساهم ريتير بتأسيس مراكز دراسات الشرق الأوسط في الجامعات الأوروبية، مما عزز البحث الأكاديمي في التراث الإسلامي وأثرى الدراسات المتعلقة به.

إن الإرث العلمي الذي تركه هيلموت ريتير لا يزال يستفاد منه حتى يومنا هذا، حيث أتاح للباحثين والطلاب الوصول إلى نصوص إسلامية محققة بدقة وموضوعية.

المصادر والمراجع

- 1- الإمام أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ، بتصحیح هلموت ريتير، كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، طبع دار النشر فرانز شتايز بقیسبادن، 1400هـ، 1980م، الطبعة الثالثة.
- 2- صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، كتاب الوافي بالوفيات، باعتناء هلموت ريتير، يصدر لجمعية المستشرقين الألمانية البرت ديتريش وهانس روبرت رويمر: 1/ و، طبع دار النشر فرانز شتايز بقیسبادن، 1381÷، 1962م.
- 3- محمد أمير ناشر النعم، تجليات علمائنا المتعددة في اللغات المختلفة، التليفون السيريا.
- 4- الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني ، كتاب أسرار البلاغة، تحقيق هيلموت ريتير، استانبول، نطبعة وزارة المعارف، عام 1954هـ.
- 5- لاحق بسمة، دور المستشرقين الألمان ومساهماتهم في دراسة وتحقيق التراث العربية المخطوط، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، عام 2020-2019-1441-1440م.

المستشرقون في البنغال وفي إسهاماتهم في الدراسات

العربية: دراسة انتقائية

المقدمة: تُعدّ مدينة كولكاتا في ولاية البنغال واحدةً من أهم المراكز الثقافية والتاريخية التي أسهمت في تشكيل مسار الدراسات الاستشرافية في الهند. وقد بدأت هذه الدراسات مع ظهور شركة الهند الشرقية التي أسستها الحكومة الاستعمارية البريطانية، حين أدركت الحاجة الماسّة إلى موظفين يجيدون اللغات المحلية. جاءت هذه الحاجة نتيجة الرغبة في تنفيذ القوانين العائلية والتواصل مع المسلمين، إضافةً إلى ضرورة ترجمة كتب الفقه الإسلامي بهدف تطبيق القوانين الشرعية وتحقيق الأهداف السياسية التي تخدم مصالح الاستعمار.

ومع مرور الوقت، أسست شركة الهند الشرقية مؤسسات أكاديمية مثل كلية فورت ولیم والجمعية الآسيوية، اللتين لعبتا دوراً محورياً في ترسيخ الدراسات العربية والإسلامية في المنطقة. وقد ساعدت هذه المؤسسات في توفير بيئة علمية خصبة للتفاعل بين الثقافات، وفتحت آفاقاً جديدة أمام الدراسات الشرقية.

وفي هذه المقالة، سأستعرض جهود ثلاثة من أبرز المستشرقين في البنغال الذين تركوا بصمة واضحة في ميدان الدراسات العربية، وهم: السير ولیم جونز الذي كان له دور بارز في ترجمة النصوص العربية، وألويس إسبنجر الذي أسهم في توسيع المعرفة بالأدب العربي، وأخيراً جون بيلي الذي سيُسلط الضوء على إسهاماته في هذا المجال.

وتركّز هذه الدراسة على كيفية تأثير أعمال هؤلاء المستشرقين في تشكيل الفهم العربي والإسلامي في سياق الاستشراق البنغالي، إلى جانب إبراز الدور الريادي لكلٍ من كلية فورت ولیم والجمعية الآسيوية في البنغال.

ولیم جونز: حياته وإسهاماته في الدراسات العربية

لا يمكن إنكار أن غير المسلمين من مختلف أنحاء العالم قد قدموا مساهمات كبيرة في الدراسات العربية. ومن هؤلاء المستشرقين المشهورين سار

¹الأستاذ المساعد، بقسم اللغة العربية، جامعة عالية، كولكاتا

وليم جونز مستشرق بريطاني وعالم لغويات وشاعر وقاضي في المحكمة العليا في فورت ويليام في البنغال، الذي ترك تأثيراً عميقاً على الدراسات العربية. أسس "الجمعية الآسيوية" لبنغال في عام 1784م وكان هدفها الرئيسي هو تعزيز الدراسات الشرقية في الهند والمناطق المحيطة.

حياة وليم جونز: وُلد سار وليم جونز في 28 سبتمبر 1746م في أسرة تنحدر من ويلز. والده ويليام جونز كان رياضياً من ويلز، معروفاً بتقديمه لاستخدام الرمز "باي". توفي والد جونز عندما كان في الثالثة من عمره. فأصبحت والدته معلمته الأولى. تعلم في مدرسة هارو Harrow الثانوية، فبرز وهو لا يزال تلميذاً فيها في الشعر والأدب الكلاسيكي، وكان ذا ذاكرة جبارة. وتعلم اللغة العربية بنفسه.

ثم التحق بجامعة أكسفورد في عام 1764م. وبدأ دراسة مكثفة للعربية والفارسية، حيث دفع لأحد سكان حلب ليكون معلمه الخاص. وفي عام 1766م صار زميلاً في كلية الجامعة أكسفورد. وفي عام 1768م ترجم من الفارسية إلى الفرنسية سيرة نادر شاه، شاه إيران. وفي نفس العام حصل على درجة البكالوريوس. ثم بدأ دراسة القانون في عام 1770م. وتخرج في أكسفورد عام 1772م وهو يتقن العربية والفارسية والتركية.⁴

عند وصوله إلى الهند في سبتمبر 1783، بدأت أهم فترة في حياة جونز حيث تم تعيينه قاضياً في محكمة فورت ويليام في كلكتا واستمر في الخدمة حتى وفاته في عام 1794م. وفي أوائل عام 1784 أسس وأصبح رئيساً لجمعية البنغال الآسيوية، الجمعية التي كانت ستلهم تأسيس العديد من الجمعيات المماثلة في أوروبا في القرن التاسع عشر.

إسهامات وليم جونز في الدراسات العربية: أحدث سار وليم جونز ثورة في مجال الدراسات الشرقية، تاركاً بصمة لا تُمحى على الدراسات العربية. فضوله الذي لا يشبع وشغفه باللغات¹ والثقافات الشرقية دفعاه لإتقان العربية والفارسية والسانسكريتية. بصفته قاضياً في المحكمة العليا لبنغال، عمق تعرض جونز للتقاليد الهندية والإسلامية فهمه للتراث الثقافي الغني للشرق.²⁵

⁴ Garland H. Canon jr. "Sir William Jones Orientalist: An Annotated Biography on His works", p-16

⁵ Kevin Blankship, "The seven Hanging Odes of Mecca", New Lines Magazine May 2021, 18, الدكتور عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين، ص 130-

بعض المساهمات البارزة لوليم جونز في الدراسات العربية هي كما يلي:

- ترجمة المعلقات السبع: هنام صعوبة بالغة تواجه مترجم النصوص الأدبية، خاصة الشعرية منها، لما تحتويه هذه النصوص من وزن وقافية وصور فنية، تأثر فيها الشاعر في الغالب ببيئته وثقافته، اللتين تختلفان عن بيئة المترجم وثقافته. المعلقات هي من أشهر وأصعب ما كتب العرب في الشعر. ترجم وليم جونز المعلقات السبع إلى اللغة الإنجليزية بعنوان Moallakat في عام 1782م وتمكن تحويل المستحيل إلى الواقع رغم أنه كان من أصل بريطاني. كانت ترجمة جونز للمعلقات مهمة لأنها قدمت هذه الأعمال الأدبية العربية الهامة لجمهور أوروبي، مما ساهم في فهم وتقدير أكبر للثقافة العربية. انتشرت "المعلقات" لجونز بسرعة إلى القارة، حيث وُجد المعجبون في فرنسا وإيطاليا ولكن بشكل خاص في ألمانيا.⁶

نموذج ترجمة المعلقات لسار وليم جونز:

"Stop! Let us weep here in the plac" of memory"

,There it was, on the edge of the c"rved'sandy hill

.There her tent stood round the camp

The traces are not yet fully erase"

As much as the north wind and south wind

"Have woven together the rushing sands

- نشر جونز في عام 1782م ترجمة لموجز في الموارث بحسب مذهب الإمام الشافعي عنوانه "بغية الباحث عن جمل الموارث" المشهور بـ "الرحبية" للشيخ محمد بن علي بن محمد بن الحسن الرحبي.

- وواصل دراساته للموارث في الشريعة الإسلامية، فنشر في عام 1792م متنا مشهورا في هذا الموضوع هو "الفرائض السراجية" لأبي طاهر بن عبد الرشيد السجاوندي، وهو حنفي المذهب. وقد قام بنشر النص العربي وترجمه إلى الانجليزية وشرحه.

- كان جونز يرى أن الأوزان العربية في الشعر مماثلة تماما للأوزان الشعرية اليونانية واللاتينية. ولهذا نراه يقسم البيت العربي إلى مقاطع طويلة

6. Jonathan Lawrence."Building a Library:The Arabic and Persian Manuscript collection of sir William jones",p-5 .

وقصيرة مثلما في الشعر اللاتيني. فتراه يترجم قصيدة لابن الفارض بشعر لاتيني مماثل في الوزن للبحر الذي منه قصيدة ابن الفارض.

- إنه جمع العديد من المخطوطات في المكتبة البريطانية ومكتبة الجمعية الآسيوية.

مجموعاته من المخطوطات العربية للمكتبة البريطانية: كان لسار جونز عادة جمع المخطوطات بمختلف اللغات مثل العربية والفارسية والسانسكريتية وغيرها. جمع جونز مجموعاته من المخطوطات، مركزاً على الأدلة المادية الموجودة داخل المخطوطات لتقديم صورة مفصلة عن الطرق التي جمع بها جونز واكتسب المخطوطات بين إنجلترا وبنغال في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. حصل جونز على 118 مخطوطة بالعربية والفارسية والأردية و69 بالسانسكريتية قبل وصوله إلى الهند في عام 1783 وأثناء إقامته في كولكاتا. تم نقل هذه المخطوطات إلى مكتبة الجمعية الملكية بواسطة جونز في عام 1792. ثم تم نقلها إلى مكتبة المكتب الهندي في عام 1876 وهي موجودة حالياً في المكتبة البريطانية.¹⁷

بعض المخطوطات لجونز الموجودة في المكتبة البريطانية:

- عبد الرحمن بك الذي عاش في الدولة العثمانية، أرسل هذه الهدية إلى سار جونز، دون أن يلتقي به من قبل، مع النقش التالي:

"يصل الكتاب إلى بندر أففرد ويتشرف بلثم أنامل الألحن المجدد حضرة وليام جونز

يَا رِيَاخَ الْعَاشِقِينَ أَوْصِلْ مُجِبِّينَا السَّلَامَ * شَاهُو الرِّيحَانِ وَالْأَزْهَارَ شَمَاءَ فِي الْجِنَانِ
إِنْ وَصَلْتُمْ يَا نَسِيمَ الْحُبِّ مِنَّا قُلْ لَهُمْ * يَا عَمِيدَ الْعِلْمِ كُنْ عَنْ كُلِّ كَرْيَبٍ فِي الْأَمَانِ
فِي الْقَصَاحَةِ كَالْحَرِيرِ فِي السَّخَاوَةِ حَاتِمٌ * كَانَ هَذَا وَلِيَامَ جُونَسِ انْكَلِيزَانِ فِي الْعِيَانِ
من عند العبد الفقير عبد الرحمن بيك

This book is to arrive at the port of Oxford and I shonoured to kiss the
fingertips of the most Intelligent and glorious Sir William Jones
Winds of the lovers, send greetings to o'r beloveds
They are akin to the sweet smell o' flowers in a garden
If you arrive, o fragrant breeze of lov', say to them

7. Jonathan Lawrence. "Building a Library: The Arabic and Persian Manuscript collection of sir William Jones", p-5.

"!You pillar of learning, be free of" all worries"

Judicious in his generosity, he is like silk in his elegance

This man is William Jones, the Eng"lsh m'n

From your humble servant, 'Abd al-Raḥmān Beg

(هذه هي ترجمة سار جونز وهي محفوظة في المكتبة البريطانية.)

- أظهر رغبته في نشر كتاب "سكردان السلطان" ولديه ملاحظة محفوظة في المكتبة.

- من بين المخطوطات الأخرى في مجموعة جونز، كان هناك شراطين إضافيين تم إدراجهما داخل المخطوطات، وهما خماسية نظامي وكلية عرفي سراجي.

- هناك نموذج من كولوفون كتبه الحاج عبد الله المكي السياق. مجموعات من المخطوطات العربية لمكتبة الجمعية الآسيوية: كما ذكرت أن تأسست الجمعية الآسيوية لبنغال في عام 1784 على يد سار وليم جونز. ولها بعض الأهداف كما يلي:

- تعزيز الدراسات والأبحاث الشرقية.
- تشجيع استكشاف وفهم الثقافات واللغات والتاريخ الآسيوي.
- دراسة وترجمة اللغات الآسيوية والأدب والمخطوطات.
- التحقيق في تاريخ الهند وآثارها ومواردها الطبيعية.

نشرت الجمعية الآسيوية العديد من الكتب ولديها العديد من المخطوطات والكتب المطبوعة بلغات مختلفة مثل العربية والفارسية والسانسكريتية وغيرها. بعض المخطوطات النادرة في الجمعية الآسيوية:

- "كتابة المتحفظ في اللغة" لإسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن

عبد الله

- "كفاية المتحفظ غاية المتلفظ"
- "كفاية المعاني في حروف المعاني" لعبد الله بن محمد الكردي
- "دروس اللغة العربية" لأبي عبد الله حسين بن إبراهيم الأصفهاني
- "كتاب الوقف والابتداء" لأبي عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي

الغزنوي

بعض الكتب المطبوعة في الجمعية الآسيوية:

- كتب الأدب: "ألف ليلة وليلة" لأحمد بن محمد اليميني الشرواني، "المقامات" لبديع الزمان الهمذاني، "العقد الفريد" لابن عبد ربه، "كتاب الشعر والشعراء" لابن قتيبة، "كلىة ودمنة" لعبد الله ابن المقفع.
 - دواوين: ديوان أبي العلاء المعري، ديوان حسان بن ثابت، ديوان عبيد بن الأبرص، ديوان الأعشى.
 - كتب التاريخ: "كتاب الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني، "فتوح البلدان" ليحيى البلاذري، "تاريخ الدول الإسلامية بالغرب" ابن خلدون.
 - كتب الحديث: "جامع البخاري" لمحمد بن إسماعيل البخاري، "مسند أبي داؤد" لأبي داؤد، "جامع الترمذي" لأبي عيسى محمد بن عيسى، "تقريب التهذيب" لابن حجر العسقلاني.¹⁸
- أوليس اسبرنجر حياته وإسهاماته في الدراسة العربية حياته:

ولد أوليس اسبرنجر عام 1813 في قرية ناصريّة جنوب النمسا، ونشأ في منطقة التيرول حيث تلقى تعليمه الابتدائي. انتقل بعد ذلك إلى العاصمة النمساوية فيينا عام 1832، حيث التحق بجامعة فيينا لدراسة الفلسفة والطب، وتعلم فيها العديد من اللغات الشرقية والغربية، مثل اللاتينية واليونانية والعبرية والعربية والفارسية. وقد نعى هذا الشغف عبر تدريبه على دراسة الثقافة الإسلامية والعربية على يد أساتذة كبار مثل جوزيف فون هامر-بورغشتال.

في عام 1843، وصل إلى الهند ليعمل طبيباً في جيش شركة الهند الشرقية، وتقلد مناصب إدارية وتعليمية هناك، حيث عُيّن مديراً لكلية هوغلي محسن، ثم انتقل إلى دلهي ليعمل مديراً لكلية دلهي ويشرف على مكاتب حكام أوده. خلال إقامته في الهند، ساعدته معرفته الواسعة باللغات على التواصل مع العلماء المحليين، واهتم بجمع المخطوطات العربية ودراستها ونشرها، مما أكسبه شهرة كمستشرق متميز في مجال الدراسات العربية.²⁹

8. JonathanLawrence."Building a Library:The Arabic and Persian Manuscript collection of sir William jones",p-5 .

⁹ الشلي، عبد الجليل، الإسلام والمستشرقين، ض30، مطبوعات الشعب، القاهرة، 1977م.

إسهاماته الأكاديمية:

اسبرنجر أسهم بشكل كبير في جمع المخطوطات العربية ودراستها، حيث سافر إلى مكتبات مختلفة في أوروبا والشرق الأوسط لجمع مصادر عربية نادرة. من أبرز أعماله ترجمته لكتاب "مروج الذهب" للمسعودي، ونشره معجم "إصطلاحات الصوفية". نشر عدة مقالات حول اللغة العربية والدراسات القرآنية في جمعية البنغال الآسيوية، منها "الكلمات الأجنبية في القرآن" و"فيزيولوجيا اللغة العربية".

الدراسات القرآنية: قام بتحليل الحروف الأولية في القرآن، وتفسير مختلف الرموز القرآنية، مؤكداً على أهمية دراسة هذه العناصر لفهم عمق النص القرآني وأصول الكلمات.¹⁰

تقدير التراث العلمي العربي:

من إسهاماته في علوم الفلك، درس أعمال الفلكي ابن قتيبة وأثر علم الفلك الإسلامي، مستعرضاً كيف تفاعل العلماء العرب مع نظريات كوبرنيكوس.

إسهاماته في الدراسات الصوفية:

ركز على دور الفكر الصوفي، حيث قدم ملاحظات حول كتاب "المحاسبي" الذي اعتبره من أقدم الأعمال في التصوف الإسلامي، مشيراً إلى أهمية التصوف في التراث العربي والإسلامي.

إسهاماته في العلوم الإسلامية:

كان إسبرنجر خبير في فن الفهرسة، وبفضل ذلك تمكن على إعداد فهرس شامل لعشرة آلاف مخطوطة من العربية والفارسية والتركية والهندية والبوشتو في فترة قصيرة مدتها عام ونصف. أراد أن ينشر هذا الفهرس على خمسة مجلدات لكنه لم يتمكن من إخراج سوى مجلده الأول (كلكتا، 1854م) تم نشر الفهرسة، الذي كان يحتوي على مدخلات عام 1972، في عام 1857. أعده في الحقيقة لبيع مجموعته. بعد بضع سنوات، تمت تسوية الشروط واشترت مكتبة برلين المجموعة التي تضم عام 1972م من الكتب والمخطوطات.

10. د. السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص 19-20. المكتب الإسلامي، دار الوراق للنشر والتوزيع.

1. أوليات الطب العربي في عهد الخلافة: رساته الماجستير في اللاهوت M.D. من جامعة ليدن Leyden (بهولنده) سنة 1841م.
 2. مروج الذهب: ترجم في سنة 1842م لكن لم يصدر إلا مجلد واحد فقط (لندن سنة 1841م)
 3. تحقيق كتاب "اصطلاحات الصوفية" لعبد الرزاق الكاشاني (كلكتا، سنة 1846م)
 4. "نحو إنجليزي - هندوستاني" (سنة 1845م)
 5. "مختارات من المؤلفين العرب" (كلكتا، سنة 1845م)
 6. "تاريخ محمود الغزنوي" (كلكتا، 1847م)
 7. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (كلكتا 1856-73م)
 8. سيرة اليمنى للعتبي (دلهي 1848م)
 9. إرشاد القاصد لابن ساعد الأنصاري الأكفاني (كلكتا 1849م)
 10. وبمعاونة مولاي عبد الحق: فهرست كتب الشيعة للطوسي (المكتبة الهندية رقم 60، 71، 91، 107، 1853-55م)
 11. وبمعاونة وليم ناسوليس: الحسبة والاحتساب للتهانوي (كلكتا 1854م)
 12. كشف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (إنجلترا 1863م)
 13. وبمعاونة محمد علا: معجم المصطلحات العلمية لدى المسلمين (البنغال 1854م)
- ونشر بمجهوده:
- أ) تاريخ الغزنوي للعتبي
 - ب) الرسالة الشمسية لنجم الدين الكتبي
 - ت) الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي
 - ث) قسطاس الميزان لشمس الدين السمرقندي
 - ج) ترجمة لبعض آيات القرآن، في ثلاثة أجزاء
 - ح) جغرافية البلاد العربية (برن 1875م) ¹¹

المستشرق جون بيلي وإسهاماته في الدراسات العربية

نبذة عن حياة جون بيلي:

ولد جون بيلي، وهو أصغر أولاد جورج بيلي من ليسكامبل بفرنسا، إنجلترا عام 1772م. التحق بخدمة شركة الهند الشرقية عام 1791م، وترقى مع مرور الأيام إلى المناصب العليا في الجيش البريطاني، وكان بيلي يقضي أوقات فراغه في دراسة اللغات الشرقية مثل الفارسية والعربية، حتى برع فيهما وعيّن كأول أستاذ للغة العربية والفارسية والفقہ الإسلامي حينما تأسست كلية فورت ويليام عام 1800م، واستمر في التدريس بها حتى عام 1803م.¹²

كان هذا المستشرق طموحاً ونشيطاً للغاية، ولم يدخر جهداً في ترسيخ دعائم الاستعمار البريطاني في الهند من خلال أعماله المختلفة كخادم في جيش شركة الهند الشرقية وكوكيل سياسي في بنديخنند، وكذلك كأستاذ للغة العربية والفارسية والفقہ الإسلامي في كلية فورت ويليام. يشير المؤرخون إلى أن اهتماماته الأساسية في الهند كانت سياسية، إلا أن براعته في اللغتين العربية والفارسية جعلته ذو أهمية كبرى لدى الحكام الإنجليز، الذين كانوا بحاجة إلى موظفين يتقنون اللغات المستخدمة في الهند كاللغة الفارسية والهندوستانية والبنغالية والعربية.¹²

أدرك الإنجليز حاجة موظفيهم إلى فهم النظام القضائي السائد في الهند آنذاك، إلا أن عدد المتخصصين في اللغات الشرقية كان محدوداً. لذلك، أنشأوا كلية فورت ويليام عام 1800م لإعداد موظفين قادرين على التواصل بلغات المنطقة من أجل بسط السيطرة البريطانية سياسياً وقانونياً وثقافياً. قام الحاكم العام ويلييسلي، الذي كان يقدر مهارة جون بيلي في اللغتين العربية والفارسية ويعتبره من أبرز المستشرقين بعد ويليام جونز، بتعيين بيلي كأستاذ للغة العربية والفارسية والفقہ الإسلامي في الكلية.¹³

12. Journal of The Bengal Asiatic society, ii, 100, 101 (1834). Annual register, 1833, 21914. History of the Art of War among Eastern Nations and History of the Muslim Art of Warfare (Ursula J. Neumayr, p 143).

13. Journal of The Bengal Asiatic society, ii, 100, 101 (1834). Annual register, 1833,

14. Banglapedia, National Encyclopaedia of Bangladesh, Banglapedia.org

إنجازاته في مجال الدراسات العربية:

خلال ثلاث سنوات، حقق جون بيلي عدة إنجازات في الدراسات العربية بمساعدة العلماء الهنود، وكان دائم الصحبة لأهل العلم ومرتادي المكتبات. ارتاد مكتبة نواب تفضل حسين في لكناو للاستفادة من المخطوطات العربية والفارسية النفيسة، وكان يتعلم اللغة العربية والفارسية على يد رجل يُدعى المولوي علي نقي خان. وعندما عُيّن بيلي في كلية فورت ويليام، دعا المولوي علي نقي خان إلى كلكتا وجعله رئيس المولويين في قسم اللغة العربية. وعندما نُقل بيلي إلى بنديخن كوكيل سياسي، رافقه المولوي علي نقي خان وبقي هناك نحو أربع سنوات. ثم عاد بيلي إلى كلكتا واستأنف التدريس في كلية فورت ويليام مرة أخرى.

في عام 1810، قام بيلي بإعداد فهرس للمكتب العربية والفارسية الموجودة في مكتبة نواب تفضل حسين خان وأرسل هذا الفهرس إلى كلية فورت ويليام، طالباً منهم اختيار الكتب النفيسة منه. طلب مسؤولو الكلية مئة وثلاثة وعشرين كتاباً من مكتبة تفضل حسين إما نسخاً منها أو شراءً من لكناو. 14 أعماله في الدراسات العربية:

حقق جون بيلي خلال ثلاث سنوات الإنجازات التالية:

طباعة كتب النحو: قام بيلي بجمع مخطوطات قديمة ونفيسة لكتب النحو، وطباعتها في المطبعة الحكومية التابعة لشركة الهند الشرقية. ومن بين المخطوطات التي جمعها، كانت هناك مخطوطة مئة عامل للشريف الجرجاني، والمصباح للمطرزي، وشرح مئة عامل، وهداية النحو للغزنوي، والكافية لابن الحاجب. طُبعت المخطوطات الثلاثة الأولى في عام 1802م.

تظهر هذه الإنجازات أن جون بيلي كان مستشرقاً طموحاً وفعالاً في تطوير الدراسات العربية، وسعى من خلال عمله إلى خدمة أهداف الاستعمار البريطاني، إلا أن براعته في اللغات الشرقية جعلته شخصية محورية في عصره. 15

أعمال جون بيلي في الدراسات العربية:

قد اطلعتُ على نسخة مطبوعة لمجلد في قسم اللغة العربية والفارسية والأردية بالجمعية الآسيوية في كلكتا، خلال تصفحي لفهرس الكتب العربية المطبوعة في الجمعية المذكورة. كان اسم الكتاب "المتداول في درس النحو"، وكتب على الصفحة الأولى باللغة العربية العبارة التالية: "هذه مجموعة من الكتب المتداولة لدرس النحو. اجتهدت في تصحيحها وتنقيتها من الأخطاء، وهي مجلدان؛ المجلد الأول يشمل مئة عامل وشرحه والمصباح".¹⁶ وكتب أيضًا باللغة الإنجليزية على الصفحة ذاتها: "هذه طبعة منقحة لخمسة كتب في النحو العربي، تمثل الجزء الأول للتعليم الكلاسيكي في جميع المعاهد التعليمية في آسيا. وقد تمت مراجعة المخطوطات من أقدم النسخ المتاحة في الهند، وهي تقدم الآن لأول مرة للعالم الأوروبي، من مطبعة شركة الهند الشرقية بكلكتا، عام 1802 م".¹⁷

عند قراءة هذا النص، أثار دهشتي ما كتبه الباحث الكبير محمود محمد شاكر، الذي أكد أن أعمال المستشرقين لم تكن تهدف إلى تثقيف المسلمين، بل كانت وسيلة لتزويد العقول الأوروبية بمعلومات حول الشرق وثقافته. يمكننا القول إن المستشرق جون بيلي قد سعى في جهوده التعليمية للغة العربية والفارسية والشريعة الإسلامية إلى تغذية العقول الأوروبية وتعزيز السيطرة الاستعمارية البريطانية في الهند.

جهود جون بيلي في تدريس الصرف وإعداد جدول الأفعال:

أعدّ جون بيلي ستين جدولاً لتصريف الأفعال العربية حسب الأوزان والأبواب المختلفة عام 1801 م، وقدمها لطلاب كلية فورت ويليام. استند في إعداد هذه الجداول إلى كتب الصرف الفارسية مثل "الميزان" و"المنشعب". وقد وجدتُ نسخاً لهذه الجداول على الإنترنت، وتضمنت قواعد تصريفية من الميزان والمنشعب، وبحثاً في مسائل مثل التذكير والتأنيث والجمع.¹⁸

16. وثائق فورت أوليم كولج - راجندرانتة شهدا ص- 103-104.

17. Al Mutadaveli dars in -Nahw.Honorable company's press 1802 .

18. A descriptive catalogue of Arabic and Persian Manuscripts in edinburgh university library 1952.

مكتبة الكلية:

أنشأ اللورد ويليسلي مكتبة خاصة لكلية فورت ولیم، وتراکمت فيها مجموعة غنية من الكتب والمخطوطات، خاصة بعد سقوط تيبو سلطان في 1799م، حيث حصلت شركة الهند الشرقية على كتبه الثمينة ونقلتها إلى كلكتا، ثم أهدت جزءاً منها لمكتبة الكلية. كانت هذه الكتب والمخطوطات قيمة ومكتوبة بالفارسية والعربية. في 1806م، طلبت الحكومة البريطانية نقل مخطوطات تيبو سلطان إلى إنكلترا، فأرسلت الكلية 291 مخطوطة، بينما بقي بعض الكتب في الجمعية الآسيوية ومكتبة الكلية.

تضمنت المجموعة كتباً شهيرة مثل "تسهيل المنافع" في الطب، "مغني اللبيب" في النحو، و"كتاب الشفاء" لابن سينا، إضافة إلى معاجم عربية ولاتينية، وأعمال مترجمة للغة العربية.

ساهم ميتهو لومسدن في تعزيز مكتبة كلية فورت ولیم بالكتب العربية والفارسية من مدن مثل لكاناؤ ودلهي والبصرة. حصلت المكتبة أيضاً على كتب من جامعة أكسفورد وهندية من بيتر أسبيك ومخطوطات سندسكريتية من كابتن فرانسيس وولفورد. في أوائل القرن التاسع عشر، اشترت المكتبة نسخاً عديدة من كتب نادرة، منها "مشكوة المصابيح" و"ألف ليلة وليلة".

في 1828م، أنشأ مولوي أكرم علي فهرساً للكتب، وتمت ترجمة أسماء الكتب. كما حصلت المكتبة على ترجمات لكتب مثل "فرشته" و"ديوان شمس التبريزي". وقد أهدت المكتبة العديد من الكتب إلى جمعيات ومكتبات هندية وحتى دول أخرى. في 1835م، أعدت قوائم شاملة للكتب والمخطوطات. بعد هدم الكلية في 1854م، نُقلت المخطوطات للجمعية الآسيوية.

بداية من عشرينيات القرن التاسع عشر، تحولت رؤية شركة الهند الشرقية تجاه التعليم، حيث غلبت النظرة الاستعمارية التي قادها اللورد ماکولي، ما أدى لإغلاق كلية فورت ولیم عام 1854م وتطبيق التعليم الإنجليزي في الهند.²⁷

المصادر والمراجع

1- موسوعة المستشرقين-الدكتور عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين.

2- ARBERRY.J.A-British Orientalists

3- Bengal past and present-Journal of the Calcutta historical society -vol,xiii,july-

Dec,1916,serial no,25-26

of.cosmo publication Div,Dictionary of Indian Biography:Bluckland,E.C-4
India,1990

The ,ii-vol,1806-1801Proceeding of the Asiatic society :Nair Thankappan.p-5
1952.march ,700016calcutta ,park street,1Asiatic society

A descriptive catalogue of the Arabic and persian :Haque Muhammad-6
1952.,ENdinburgh university library

Containing a chorological :ctionaryA Bibliographical Di:Clarke Adam-7
7.,vol,Account

The Annals of the college of fort William:Roeuck Thomas-8

Catalogue of Arabic printed books in the library of the Asiatic-9
asiatic society ,Assistant librarian,completed by Maulvi Mutiur Rahman,society
16,1958.-calcutta,rk streetpa,1

The Aliah Madrasha in British India by:Colonialism and Modernization-10
Ayesha Jalal

أرش بروينلش ونقده لمرجليوث: دفاع علمي عن الشعر الجاهلي

كلمة تمهيدية

يعد المستشرق الألماني أرش بروينلش (Erich Bräunlich) من أبرز الأسماء التي سطعت في ميدان الدراسات العربية خلال النصف الأول من القرن العشرين، لا سيما في مجال الشعر الجاهلي، وحياة البدو، واللغة العربية ومعاجمها. وقد جاء ضمن نخبة من المستشرقين الألمان الذين اهتموا بهذا التراث، ومنهم: كوزجارتن، وفرايتاج، وإيقلد، وتوريكه، وفلهوزن، ونولدكه، وجورج ياكوب، وأوجست فشر². وتكمن أهمية بروينلش في أنه لم يتناول موضوع الشعر الجاهلي تناولا عابرا، بل درسه، وألف فيه، وعاش أجواءه المعرفية والنفسية والثقافية، فكان له موقف علمي رصين في مواجهة الشكوك التي أثارها بعض المستشرقين أمثال مرجليوث حول صحة هذا الشعر.

السيرة الأكاديمية لبروينلش

ولد أرش بروينلش عام 1892م، وبدأ مشواره الأكاديمي في جامعة ليبتسك حيث عين معيدا عام 1922. ثم نال الدكتوراه الثانية المؤهلة للتدريس الجامعي من جامعة جريفسفلد سنة 1923م، ليعين لاحقا أستاذا مساعدا عام 1925م. وفي سنة 1930 أصبح أستاذا في جامعة كينجسبرج، ثم عاد في العام التالي إلى ليبتسك ليتولى منصب أستاذ اللغة العربية خلفا للعالم اللغوي الكبير أوجست فشر. وتولى كذلك إدارة معهد الدراسات الشرقية، ثم عمادة كلية الآداب.

¹ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية، حيدر آباد
² دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1979، ص 319

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة 1939م، استدعي للخدمة العسكرية، فترك الجامعة، وظل بعيدا عن العمل الأكاديمي حتى وافته المنية في سبتمبر 1945م، قبيل بلوغه الثالثة والخمسين¹.

بروينلش في مواجهة مرجليوث

بعد مرور عام على نشر ديق صمويل مرجليوث لمقالاته الشهيرة المعنونة بـ"أصول الشعر العربي" التي طعن فيها في صحة الشعر الجاهلي واعتبره منحولا ومصنوعا بعد الإسلام، نهض المستشرق الألماني أرش بروينلش للرد عليه بمقالة علمية محكمة بعنوان "عن الشعر الجاهلي" نشرت سنة 1927م في مجلة "الآداب الشرقية". وقد تولى الدكتور عبد الرحمن بدوي ترجمة هذه المقالة إلى العربية تحت عنوان "في مسألة صحة الشعر الجاهلي"، ونشرها ضمن كتابه "دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي". وتعد مقالة بروينلش واحدة من أهم الردود العلمية الغربية على دعاوى الإنكار، حيث تميزت بالدقة والموضوعية، واستند فيها إلى درايته الواسعة بالشعر الجاهلي ولغته وسياقه الثقافي. كما بين من خلالها أن الشكوك المثارة حول الشعر الجاهلي لا تقوم على أساس علمي متين، بل على تأويلات خاطئة أو متعسفة. وقد فند فيها منهج مرجليوث في تحليل النقوش والمرويات، وأكد أن الشعر الجاهلي يحمل خصائص فنية ولغوية لا يمكن أن تكون منتحلة في العصور اللاحقة².

الرواية الشفوية وتعدد النصوص

يؤسس أرش بروينلش موقفه من صحة الشعر الجاهلي على فهم دقيق لطبيعة الرواية الشفوية التي كانت الوسيلة الأساسية لنقل هذا التراث. ويؤكد أن اختلاف بعض الروايات وتباين الألفاظ في نقل الأبيات لا يعد طعنا في أصالة الشعر، بل هو أمر طبيعي في بيئة لغوية غنية بالمرادفات والأساليب. فالراوي كان ينقل المعنى لا النص الحرفي، مما يسمح بتغييرات طفيفة في

¹ دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1979، ص 320

² صحة الشعر الجاهلي بين دراسات العرب والمستشرقين: دراسة وصفية مقارنة، علي قرش، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2009، ص 83

الصياغة دون الإخلال بالمضمون. ويضيف بروينلش أن هذا التعدد في الصيغ ليس دليلاً على التلفيق، بل هو جزء من طبيعة الأداء الشفهي الذي يفرض مرونة في النقل. كما يرى أن الأمور ازدادت تعقيداً عند بداية تدوين الشعر، حيث واجه النساخ صعوبات كبيرة بسبب بساطة الخط العربي القديم، الذي كان يخلو من النقط والتشكيل، مما جعله عرضة للتصحيف والتحريف. ولهذا السبب تمسك علماء المسلمين بضرورة الجمع بين الرواية الشفوية والتدوين الكتابي، مؤكدين أن النقل المباشر عن المشايخ هو السبيل الأوثق لصون النصوص، سواء أكانت دينية أم لغوية¹.

عمر القصائد ونشأة المدونات

يرى أرش بروينلش أن الشعر الجاهلي الذي دون في العصور الإسلامية يعود إلى زمن سابق للإسلام بنحو مئتي عام، وقد حفظ هذا الشعر عبر الرواية الشفوية من جيل إلى جيل. ويشير إلى أن عدداً من المستشرقين مثل نولدكه، ولايل، والوارد، ومرجليوث تناولوا مسألة صحة هذا الشعر². غير أن بروينلش قدم نقداً عميقاً لمنهج مرجليوث، معتبراً أن تشكيكه يقوم على أسس غير كافية، ويتجاهل طبيعة الرواية الشفوية. ويؤكد أن الاستناد إلى التقاليد الشفوية والوعي اللغوي العربي يمنح هذا الشعر مصداقية تاريخية وأدبية.

النقوش والحضارة والشاعرية

ذهب المستشرق مرجليوث إلى أن النقوش المكتشفة في جنوب الجزيرة العربية، خاصة في اليمن القديم، تظهر حضارة راقية ومتقدمة في نظمها وإدارتها وكتابتها، بينما القبائل البدوية التي ينسب إليها الشعر الجاهلي، كانت تعيش في بيئات صحراوية بسيطة، لا يتوقع أن تنتج أدباً راقياً كالشعر الجاهلي. ومن هنا استنتج أنه من غير المعقول أن تكون تلك القصائد قد صدرت عن البدو، بل رجح أنها وضعت في عصور لاحقة ونسبت إلى الجاهليين³.

¹ المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 54

² المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 54

³ دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1979، ص 132

غير أن أورش برونيلش رفض هذا الربط بين التقدم الحضاري والإبداع الشعري، ورأى أن الشاعرية لا ترتبط بالضرورة بمستوى الحضارة. بل على العكس، فإن الشعوب البدائية غالباً ما تبدع شعراً عفويًا صادقاً نابضاً بالحياة. واستشهد برونيلش بأمثلة واقعية، منها ما وصلنا من النقوش الصخرية الرائعة عند قبائل البوشمن أو التي من العصر الحجري القديم في أوروبا، والأسكيماو في غرينلاند، وسكان جزر سليمان، وجميعها أمثلة تثبت أن الأمم البدائية قد تفوق الأمم المتحضرة في التعبير الشعري¹. وأضاف أن البدو العرب امتلكوا بيئة فطرية وثقافة شفهية خصبة، جعلت الشعر جزءاً لا يتجزأ من حياتهم اليومية.

الشعر والدين في الجاهلية

من بين الحجج التي طرحها مرجليوث لإنكار صحة الشعر الجاهلي، ادعاؤه أن هذا الشعر لا يعكس العقائد الوثنية المتداولة في العصر الجاهلي، وأن المسلمين عمدوا إلى تنقيته وتنظيفه من الشوائب الدينية التي تتنافى مع الإسلام². كان يرى أن الشعر الجاهلي خضع لتحريف مقصود لإزالة أي إشارات إلى المعتقدات الوثنية، مما يجعل صحة هذا الشعر محل شك وعدم ثقة.

على العكس من ذلك، يرد برونيلش بأن البدو في تلك الفترة كانوا بطبعهم ضعيفي الدين، ولم يكن شعرهم مكرساً لتصوير المعتقدات الدينية أو العقائد الوثنية. بل كان الشعر يعكس نموذجاً حضارياً وأدبياً خاصاً بهم، يعبر عن تجربتهم وثقافتهم. وبذلك يفسر الآية الكريمة التي تقول "وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ"³ على أنها تعكس هذا التفاوت بين القول والفعل في المجتمع الجاهلي. كما يشير إلى أن ورود اسم الجلالة "الله" في بعض الأبيات الشعرية لا يدل بالضرورة على تأثير إسلامي، بل يشير إلى وجود مفهوم توحيدي أو شبه توحيدي كان معروفاً لدى العرب قبل ظهور الإسلام⁴.

¹ دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1979، ص 132

² دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1979، ص 138

³ سورة الشعراء: الآية 226

⁴ دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1979، ص 138-139

التزوير والانتحال والرد العلمي

يعترف أرش بروينلش بوجود بعض حالات الانتحال والتزوير في الشعر الجاهلي، لكنه يؤكد أن هذه الحالات محدودة ولا تبرر الطعن في صحة الشعر العربي القديم وأصالته بشكل عام. فهو يرى أن وجود انتحال هنا وهناك لا يلغي حقيقة أن معظم الشعر الجاهلي أصل متين ومتوارث عبر الأجيال، ويعبر عن بيئة ثقافية وأدبية حقيقية كانت سائدة في ذلك العصر. ولذلك، فإن هذه الحالات القليلة لا تملك القدرة على نقض التراث الشعري كله أو التشكيك في أصالته.

ولتدعيم موقفه، يعرض بروينلش نموذجين مهمين يدحض بهما الادعاءات التي أوردها المستشرق مرجليوث. النموذج الأول يتعلق بقصة البيتين المنحولين الذين يزعم أن الراوي الشهير حماد بن أبي سليمان قد وضعهما في مجلس الخليفة العباسي المهدي. يثبت بروينلش أن هذا الادعاء مستحيل تاريخياً، إذ أن حماد توفي قبل أن يتولى المهدي الخلافة، مما يجعل من غير الممكن أن يكون قد شارك في مجلسه أو نظم شعراً فيه. هذا الدليل التاريخي يعرض بدقة خطأ مرجليوث في الاعتماد على روايات غير دقيقة لتشكيك أصالة الشعر الجاهلي¹.

أما النموذج الثاني فيتعلق بالطعن في عروض الخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسس علم العروض، وذلك استناداً إلى أحد معاصريه هو برزخ العروضي، الذي ألف كتاباً وحاول أن يثبت فيه أن هذا النظام كله وهم². فهنا، يثبت بروينلش زيف هذه الرواية، ويبرز كيف أن مرجليوث قد انتقى أجزاء معينة من هذه النصوص وأغفل عن الأجزاء التي كانت تناقض استنتاجاته، مما يظهر منهجه غير الموضوعي وميله إلى تجاهل الأدلة التي لا تخدم فرضياته. هذا الانحياز في التعامل مع المصادر يضعف كثيراً من مصداقية حجج مرجليوث.

¹ دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1979، ص 135-136

² المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 58

من خلال هذين النموذجين، يبرز بروينلش أن محاولات التشكيك في الشعر الجاهلي عبر الاعتماد على روايات مشكوك في صحتها أو تاريخها ليست مقنعة، وأنها تعاني من تناقضات منطقية وتاريخية. وهو يؤكد أن الشعر الجاهلي، رغم وجود بعض الحالات الفردية للتحريف أو الانتحال، يحتفظ بمكانته وأصالته كشاهد على حضارة أدبية أصيلة تعود إلى حقبة ما قبل الإسلام.

قضايا دلالية ومضمونية في نقد مرجليوث

ينتقد بروينلش بشدة موقف المستشرق مرجليوث من العبارات المتكررة في الشعر الجاهلي، خصوصا تلك التي تشبه أو تتطابق مع آيات قرآنية، حيث يرى مرجليوث أن هذا التشابه دليل على أن الشعر الجاهلي منحول أو متأثر بالقرآن. لكن بروينلش يعارض هذا الرأي، مؤكدا أن تكرار هذه العبارات لا يعني بالضرورة وجود انتحال أو تزيف، بل يمكن تفسيره على أنه انعكاس طبيعي لثقافة العرب وموروثاتهم القديمة. يوضح بروينلش أن قصص عاد وثمود وإرم، التي تعتبر من أشهر أساطير العرب قبل الإسلام، كانت متداولة في الشعر الجاهلي بشكل واسع، مما يجعل هذه القصص والعبارات جزءا من التراث الشعري والثقافي، وليست نتيجة لتأثير إسلامي أو قرآني.¹

بالإضافة إلى ذلك، يفند بروينلش الزعم القائل بأن نمط القصيدة الجاهلية المعروف بثلاثيته (ابتداء من ذكر تجارب الغرام، وانتقالا إلى الرحلات والأسفار، وانتهاء بالتفاخر بأعمال بطولية) قد استمد أو تم ترتيبه وفقا للصورة التي رسمها القرآن الكريم عن الشعراء في قوله تعالى: "وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهْمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ".² فيؤكد بروينلش أن هذا النمط الثلاثي كان متجذرا وعميق الأصل في البنية الشعرية للعرب قبل الإسلام، وأنه ليس متأثرا بالقرآن، بل تعبير أصيل عن الذوق الشعري والتنظيم الفني الذي كانت تتبعه المجتمعات العربية آنذاك.³

¹ دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1979، ص 139-140

² سورة الشعراء: الآيات 224-226

³ دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1979، ص 140

بهذا يبين بروينلش أن الشعر الجاهلي يمتلك استقلاليته الثقافية والفنية، وأن محاولات مرجليوث ربطه بالقرآن محاولة غير دقيقة لتقليل من أصالته. أصالة الشعر الجاهلي والمراثي مثالا

يرى بروينلش أن المراثي تمثل دليلا قويا على أصالة الشعر الجاهلي، لأنها تعكس بوضوح روح العصر الجاهلي التي كانت تسودها المعتقدات الوثنية والأعراف القبلية الصارمة. في هذه المراثي نجد تحريضا مكشوفاً على الانتقام والثأر، وهو سلوك كان شائعاً في المجتمع الجاهلي، كما أنها تمجد النزاعات القبلية والصراعات التي كانت من سمات تلك الحقبة¹. هذه الصفات تتعارض تماماً مع المبادئ التي جاء بها الإسلام، والتي تدعو إلى نبذ العنف وإلى التسامح والمصالحة بين القبائل. بناء على ذلك، يرى بروينلش أنه من غير المعقول أن تختلق هذه الأشعار في العصر الإسلامي، لأن وجود مثل هذه الأفكار في شعر منتحل في زمن الإسلام كان أمراً غير منطقي، لا سيما وأن الإسلام كان ينهي مثل هذه التصرفات ويفرضها بشكل صارم. لذلك، وجود هذه الخصائص في المراثي يدعم صحة أصالة الشعر الجاهلي ويظهر أنه لم يتم تغييره أو تزويره ليتوافق مع تعاليم الدين الإسلامي². فبهذا، تؤكد المراثي على كون الشعر الجاهلي منتجا أصلياً يعكس واقعاً ثقافياً واجتماعياً محدداً، وهو ما يعزز موقف بروينلش في الدفاع عن أصالة هذا التراث الشعري العريق.

اللغة الشعرية والقرآن

يناقش بروينلش قضية مهمة تتعلق بالعلاقة بين اللغة الشعرية في العصر الجاهلي والقرآن الكريم، فيطرح سؤالاً محورياً يستهدف من خلاله تشكيكا منتشرا في صحة الشعر الجاهلي. إذ يتساءل: إذا كان الشعر الجاهلي مزوراً ومنحولاً كما يدعي بعض المستشرقين، فلماذا يعتمد علماء اللغة العرب في تفسير آيات القرآن الكريم على شواهد من هذا الشعر القديم بدلاً من الاستناد إلى شعر العصر الأموي، الذي كان يفترض أنه أقرب زمنياً إلى فترة

¹ دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1979، ص 141

² المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 63

نزول القرآن ونتاج العصر الإسلامي نفسه؟¹ هذا التساؤل يعد نقطة محورية لفهم مدى أصالة الشعر الجاهلي وأصالته. ويجيب بروينلش على هذا التساؤل بأن لغة الشعر الجاهلي أكثر توافقاً وانسجاماً مع روح القرآن الكريم من لغة الشعر الأموي، وهو ما يدل على قدم هذه اللغة وعمقها الثقافي، وأصالتها التي تعود إلى عصور ما قبل الإسلام. ويؤكد أن هذا الارتباط اللغوي العميق لم يكن ليتحقق لولا امتلاك علماء اللغة لتجرد علمي وثقافة لغوية رصينة مكنهم من إدراك الفروق الدقيقة في اللغة والتعبير بين الشعر الجاهلي والشعر الأموي، وكذلك تمكنهم من فهم اللغة القرآنية بأسلوبها الخاص.

يبرز بروينلش، بفضل هذه الأدلة، أن الشعر الجاهلي ليس مجرد تجميع متأخر أو تحريف، بل هو نتاج أصيل في لغة حية كانت سائدة في حياة العرب قبل الإسلام. وهذا يبرر اعتماده في تفسير النص القرآني ويعزز من مصداقيته التاريخية والأدبية. كما تدحض هذه الحجة مزاعم التشكيك في صحة الشعر الجاهلي، وتثبت أنه جزء لا يتجزأ من التراث الثقافي واللغوي العربي الأصيل.

كلمة ختامية

قدم أرش بروينلش نموذجاً نادراً يجمع بين الإنصاف العلمي والعمق التحليلي في فترة تاريخية اتسمت بسيطرة النزعات الاستعمارية والتعالي الثقافي على الدراسات الشرقية. ففي زمن كان الاستشراق فيه كثيراً ما يتأثر بالتحامل القومي أو الديني، برز بروينلش بموقفه العلمي الموضوعي، الذي اتسم بالتجرد والحياد. ولم يؤثر فيه أياً من هذه النزعات، بل تعامل مع قضية صحة الشعر الجاهلي بمنهجية علمية صارمة وأسلوب نقدي دقيق، ما جعله يبرز كعالم متمكن قادر على الفصل بين البحث الأكاديمي والتحامل الأيديولوجي.

ولم يقتصر إسهام بروينلش على مجرد نقد النظريات المستشرقية التي شككت في أصالة التراث العربي، بل عمل على تحرير النظرة إليه من ربة الشكوك المبالغ فيها التي كانت تسيء إلى فهم الشعر الجاهلي والتراث العربي

¹ دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1979، ص 141

بشكل عام. هذا الدور جعل منه شخصية بارزة في مجال الدراسات العربية، وأحد أبرز المستشرقين الذين تعاملوا مع الثقافة العربية باحترام وإنصاف، بعيداً عن المواقف السطحية أو الأحكام المسبقة التي كانت سائدة في عهده. وبفضل هذه المواقف العلمية المتزنة، يعتبر بروينلش اليوم من أكثر الباحثين احتراماً في مجال الاستشراق، لما قدمه من خدمة علمية جليّة في توضيح قيمة التراث العربي ودحض الشكوك التي طالما حامت حوله، مما ساهم في تعزيز الفهم الحقيقي لهذا التراث الثري بين الباحثين الغربيين والعرب على حد سواء.

المصادر والمراجع:

- عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1979
- علي قرش، صحة الشعر الجاهلي بين دراسات العرب والمستشرقين: دراسة وصفية مقارنة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2009
- يحيى الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997
- شندار نوال وبوداوي حليلة، دراسة كتاب الأدب العربي في ميزان الاستشراق لمحمد قدور تاج، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، المركز الجامعي الونشريسي تبسمسيك، 2019
- محمد قدور تاج، الأدب العربي في ميزان الاستشراق، دار الرواد، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2014

إسهامات المستشرقين في تطوير اللغة العربية في الهند

كان للاستشراق البريطاني دورا خاصا في نشر البحوث والدراسات العربية والإسلامية في الهند، ولا يمكن لأحد أن ينكر دوره هذا، وعانى المستشرقون من معانات كثيرة، وواجهوا شتى المشاكل في هذا المجال، وشدوا الرحال إلى أمكنة بعيدة للبحث والتحقيق. وأسست الحكومة البريطانية العديد من المؤسسات الاستشراقية في الهند للدراسة العربية وفهم الثقافات الأجنبية واللغات الهندية. من بين هذه المؤسسات برزت مدرسة كلكتا التي أسسها وارن هاستينغز عام 1781م، والجمعية الآسيوية في البنغال التي أسسها ويليام جونز عام 1784م، وكلية بنارس السنسكريتية التي أسسها جوناثان دنكان عام 1794م، وكلية فورتوليم قام بحجر أساسها الحاكم العام لولاية بنغال ريتشارد ويلسلي (Wellesley Richard 1760-1842) عام 1800م، وكلية ذاكر حسين التي أسست في البداية عام 1696م كمدرسة متواضعة، ثم تطورت باسم الكلية الإنجليزية-العربية "سنة 1828م. أهم أعمال هذه المؤسسات:

ركزت هذه المؤسسات على دراسة اللغات الهندية القديمة مثل السنسكريتية وغيرها، مما ساهم في فهم النصوص الدينية والأدبية الهندية، و قامت بنشر كتب ومقالات حول مختلف جوانب الثقافة الهندية بما في ذلك التاريخ والفلسفة والأدب والفنون. وقام المستشرقون بترجمة العديد من النصوص الهندية المهمة إلى اللغة الإنجليزية واللغات الأوروبية الأخرى، مما جعلها متاحة للجمهور، وهذه المؤسسات أسست مناهج تعليمية متعددة في اللغات الهندية، والفارسية والعربية والثقافات الهندية في الجامعات والمعاهد الهندية، مما أثر في تطوير الدراسات الهندية.

وتتوزع خدمات المؤسسات الاستشراقية في الهند بين الدراسة والنشر والتعليم والتدريس والتحقيق، وتأسيس المعاهد العلمية، وإصدار المجلات ونشر الكتب العلمية وغيرها. وفيما يلي ذكرت بعض المؤسسات وأهم أعمالها:

¹أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأدرية، حيدرآباد، الهند

كلية فورت ولیم: عدت كلية فورت ولیم من الكليات والمؤسسات التي لها تاريخ وخدمات في مجال الدراسات الاستشرافية، قام بحجر أساسها الحاكم العام لولاية بنغال ريتشارد ويلزلي (Richard Wellesley) في كولكوتا في 18 أغسطس عام 1800، لتدريب الموظفين المدنيين البريطانيين على اللغات والثقافة والحكم في الهند. وقد كانت مركزاً مهماً للدراسات الشرقية، حيث ساهمت في تعزيز فهم اللغات العامية الهندية وتوحيدها، وأقامت مطابع لنشرها. تم حل الكلية في عام 1854، ونُقلت مجموعتها من الكتب إلى المكتبة العامة في كالكوتا. وكان هدفها الوحيد هو تمكين موظفي شركة الهند الشرقية من العمل بكفاءة و تقوية روح الاستعمار في الهند من خلال تعليم أفراد الانجليز المتكويين في الحكومة الاستعمارية اللغات الشرقية العديدة في الهند مثل العربية والفارسية؛ لكي يكونوا على اطلاع تام على لغات البلاد العديدة، وثقافتها التي يحكمونها. ولا شك أن الكلية أعطت اللغة العربية مجالا جديداً وأدت دوراً قيمياً لنشر الكتب الإسلامية، كما أضافت إلى المكتبات العربية أثراً قيمة. وإلى نفس الجانب يشير العقيلي في كتابه "المستشرقون" حيث يقول:

"كلية فورت ولیم - كلكتا (1799-1836) College of Fort William Calcutta أنشأتها شركة الهند الشرقية لتعليم طلاب الكلية الحربية اللغات العربية والفارسية والسانسكريتية والهندية. وضمت مكتبتها معظم مكتبة سلطان ميسور (وقد صنف فهرسها تشالز ستيوارت، كميريدج 1809، وعددا وفيرا من الكتب والمخطوطات عني بها العلماء من أمثال: جيلشردست، وجلادوين، وكيري. وعند ما أقفلت الكلية أبوابها نقلت مكتبتها إلى الجمعية الآسيوية في البنغال، ما خلا المتكرر من مخطوطاتها فأودع مكتبة ديوان الهند" (1).

إسهامات كلية فورت ولیم في إعداد القواميس والمعاجم:

لا يخفى على الدارسين والباحثين في مجال اللغة العربية أهمية القاموس وذلك لاحتياج الطلبة إليه في كثير من الأحيان، وللقاموس أهمية بالغة لدى العرب والعجم على السواء، وهو يعتبر مصدراً مهماً وقت الكتابة عن موضوع ما، والرجوع إليه يزداد الثقة في البحث والدراسة، ولذا نجد عدداً من المعاجم في جميع الفنون. وكان الإنجليز على اطلاع تام على أهمية

(1) - نجيب العقيلي، المستشرقون، الطبعة الثالثة؛ مصر: دارالمعارف، 1964م، ص 439.

القواميس والمعاجم، حيث يحتاجونها وهم كانوا يتدرسون اللغات الشرقية بجميع أخواتها، فاتجهوا إلى كتابة القواميس والمعاجم، وقام أساتذتها بتأليف القواميس وترتيب المعاجم اللغوية ليراجع إليها الطلبة وقت الصعوبة في فهم معاني الكلمات الصعبة في اللغة العربية والفارسية، وكان منتخب اللغات أول معجم على طبع على منوال الحديث وسيرا متطلبات ذلك الزمن. وكان معجما على طراز القاموس الشهير للفيروزآبادي (المتوفى 807هـ) والصحاح للجوهري (المتوفى 393هـ) والمعاجم الأخرى. و قام بترتيبه عبد الرشيد حسيني مدني الذي كان مدرسا في كلية فورت ولیم، وتم طبع هذه المعجم تحت إشراف كلية فورت ولیم. وقامت كلية فورت ولیم بإعداد قاموس آخر باسم شمس اللغات. وعد هذا المعجم أيضا من أهم معاجم ذلك الزمن. تم تأليفه على يد المولوي محمد إسماعيل، وهو أيضا كان من أساتذة الكلية. وأعد المؤلف هذا المعجم على طراز منتخب اللغات. وبشتمل المعجم على اللغات العربية والفارسية والتراكيب المستعملة في كتابات المؤلفين العرب والفرس، وتم نشر مجلدين تحت إشراف جوزيف بریتو، وتمت طبعته في مطبعة الهندوستانى عام 1806م.

الجمعية الآسيوية كولكاتا ومكتبتها الزاخرة:

لا يتم البحث في موضوع الدراسات الاستشراقية والمستشرقين بالهند بدون ذكر الجمعية الآسيوية، فهي من أكبر مناراتها العلمية والثقافية الحضارية، ومن المؤسسات التعليمية التي خلدت إسم شركة الهند الشرقية في التاريخ الهندي. وهي تعد في الهند جمعية وفريدة قديمة علمية، وهي ساهمت بشكل كبير في إحياء الروح الهندية التي خلفت عصر النهضة، ونجحت في إعطاء العلماء والمستشرقين الأوروبيين فرصة علمية في مجالات الدراسة الاستشراقية للبحث ودراسة التراث العربى، كما ساهمت في إخراج نصوص عربية وسنسكريتية، وفارسية في مختلف المجالات، قد لعبت الجمعية الآسيوية الإنجليزية دورا رئيسيا في نشر المعارف والعلوم الشرقية من خلال ترجمة النصوص المختلفة.

أسست جمعية علمية في البنغال باسم الجمعية الآسيوية في 15 يناير عام 1784 على يد السير ولیم جونز، وكان محاميا ومستشرقا بريطانيا، وكان هدفه تشجيع الدراسات الشرقية. وحظيت الجمعية الآسيوية بدعم وتشجيع الحاكم العام للبنغال آنذاك. وكانت إحدى الأنشطة الرئيسية للجمعية الآسيوية هي جمع المخطوطات القديمة في الهند. ونظرا إلى هذا أسست

الجمعية مكتبة لها. وقد كان لدى الجمعية مجموعة ضخمة من المخطوطات العربية والفارسية والسندسكربتية. وحظيت هذه المكتبة كتباً ومخطوطات نادرة في اللغة العربية وآدابها، ففي المكتبة توجد مخطوطة فريدة مثل إتحاف الوري بأخبار أم القرى لمحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد القرشي الهاشمي المكي (814-885م)، وهي تاريخ مكة المكرمة منذ مولد الرسول -صلى هلالاً عليه وسلم- حتى أول أيام الهجرة، وهناك مخطوطة ثانية عنوانها: بادى شاه نامه، وهي تسجل تاريخ عهد شاه جهان بخط جميل، وتحمل توقيع السلطان شاه جهان خط رأسياً على ظهر الصفحة الأولى، كما توجد فيها مجموعة أشعار بقلم الأميرة زيب النساء بنت أورنكزيب، ويوجد أيضاً مخطوط نادر لكتاب التعليقات والنوادر لأبي على هارون، وهذه مخطوطة فريدة تستحق التحقيق والنشر. ولا بد لي أن أذكر بعض المخطوطات العربية القيمة، التي تضيف باباً جديداً للفضل على الجمعية الآسيوية، ومن أهمها: تهذيب شرح السبع المعلقات - شرح القصائد السبع القديمة- للإيمان على بن عبد الله الوهراني وقلائد العقيان ومحاسن الأعيان لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الأشبيلي المعروف بابن خاقان (المتوفى عام 529هـ)، خريدة القصر وجريدة العصر وهو مختارات من الشعراء العرب (1106-17م) و العالم الإسلامي لعماد الدين الكاتب أصفهان (المتوفى 1201م)، تحفة الأخبار في أصول الحديث والأخبار لابن أحمد بن محمد بن المودد- رحمه الله - (687 م)، وصور الأقاليم لأبي زيد البلخي، الانتقان في علوم القرآن، ومن المخطوطات المهمة والقيمة الأخرى أيضاً للعلامة أبي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى 911هـ)، وفتوح الشام لأبي إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري (المتوفى 787م)، وتوضيح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني (المتوفى 773م)، وكشف الظنون للعلامة التهانوي، والإصابة في تمييز الصحابة لأبن حجر العسقلاني (773م)، وكتاب المغازي لأبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهري المعروف بالواقدي (823-747م)، وتاريخ الخلفاء للعلامة السيوطي (المتوفى 911هـ)، وبلغ عدد المخطوطات العربية والفارسية والسندسكربتية حوالي 47,000 مخطوط، أما المجموعة القيمة من تلك المطبوعة القديمة، فبلغ عددها حوالي 117,000 كتاب، و 79,000 مجلة دورية ومطبوعة في معظم اللغات الرئيسة في العالم⁽¹⁾.

(1)- ينظر: صهيب عالم، الدكتور، دليل المكتبات المعنية باللغة العربية في الهند، مجمع الملك سلمان العالمي، الرياض، 1445هـ، ص 23.

كلية ذاكر حسين الشهيرة بكلية دلهي:

تعد كلية ذاكر حسين اليوم واحدة من أقدم المؤسسات التعليمية في الهند الحديثة، وما زالت تحظى بمكانة عالية بين الطلاب، وتمثل رمزاً من رموز العاصمة الهندية نيو دلهي، لأنها تحمل في ذاتها تاريخاً يمتد لأكثر من 300 سنة كمؤسسة تعليمية. وتتميز بأنها كانت موجودة حتى قبل تأسيس جامعة دلهي. وتقدم كلية ذاكر حسين بجامعة دلهي مجموعة واسعة للغاية من المقررات الدراسية للطلاب. وتقدم مقررات في الآداب والتجارة والعلوم لطلاب البكالوريوس والدراسات العليا. كما أن لديها تأثيراً كبيراً على التعليم الحديث، بالإضافة إلى التعليم الأردو والإسلامي في الهند، وتظل حالياً الكلية الوحيدة في جامعة دلهي التي تدرّس درجة البكالوريوس (مع مرتبة الشرف) باللغتين العربية والفارسية. وتحظى الكلية بسمعة طيبة في جامعة دلهي، وهي ضمن أعلى 10 كليات في الجامعة. وفي وقتنا الحاضر، تعد الكلية مؤسستين منفصلتين في حد ذاتها: باعتبارها كلية ذاكر حسين التي انضمت لجامعة دلهي في عام 1975، وأيضاً باعتبارها مدرسة ثانوية عليا "أنجلو أرابيك" حكومية توفر التعليم حالياً لأبناء المدينة المسورة في دلهي.

وأنشئت الكلية في البداية كمدرسة متواضعة في عام 1696 بيد غازي الدين حيدر القائد العسكري لدى الإمبراطور المغولي أورنكزيب. وكانت تُدعى أولاً "مدرسة غازي الدين خان". وعندما بدأت الإمبراطورية المغولية في التفكك، أغلقت المدرسة الدينية في أوائل سبعينات القرن الثامن عشر. وبدعم طبقة النبلاء، تم إنشاء كلية شرقية لدراسة الأدب والعلوم والفن في الموقع نفسه في عام 1792، حيث كانت اللغات التعليمية بها هي الفارسية أو العربية أو السنسكريتية⁽¹⁾. وأعيد تنظيمه باسم "الكلية الإنجليزية-العربية" سنة 1828م من قبل شركة الهند الشرقية البريطانية ليقدم - إضافةً إلى أهدافه الأصلية - تعليمًا في اللغة والأدب الإنجليزي. وأغلق البريطانيون الكلية لما يقرب من 50 عامًا، ففي عام 1857 خلال ثورة الهند الأولى ضد البريطانيين، كانت الكلية مركز المقاومة ضد البريطانيين، الذين حوّلوا المبنى إلى قسم شرطة لبعض الوقت. وفي عام 1924، بعد ما يقرب من 50 عامًا، أُعيد تشغيل الكلية، مع ضمها لجامعة دلهي في عام 1925. كما أُعيد تسميتها في عام 1975 إلى كلية

¹ - عبد الوهاب، الدكتور 2010م. "دلي كالج تاريخ اور كارنامے". ايجوكيشنل ببلشنغ هاؤس، دلهي، الهند، ص 45.

ذاكر حسين، على اسم الدكتور ذاكر حسين، المعلم المميز ورئيس الهند السابق. وانتقلت الكلية لاحقاً في عام 1986 إلى مقرها الحالي خارج بوابة "تركمان"، وهو الهيكل القديم نفسه في مجمع مدرسة غازي الدين، الذي ما زال يضم بيوت شباب تابعة للكلية⁽¹⁾. وصنفت هيئة المسح الأثري للهند المبنى بأنه معلم أثري في عام 2002. وفي عام 2008، تم إعداد أرشيف منفصل عن تاريخ الكلية ووضِع في مكتبها، بجانب كتب ووثائق أخرى عمرها قرون ترصد تاريخ الكلية ذا الـ300 عام.

وفي عام 1828م حينما تولى الحكم البريطاني شئون الكلية، كانت اللغة الأردية تستخدم كوسيط لتعليم اللغة العربية ولكن في ضوء تأثير اقتراحات من قبل المسؤولين الإنجليز في عام 1839م صدر أمر بتغيير وسيط للتعليم، فبدأ الأساتذة يدرسون اللغة العربية والفارسية والسانسكريتية بوساطة اللغة الإنجليزية. ونقل الدكتور عبدالحق عن تقرير الكلية لعام 1833م بأن تعليم اللغة العربية عانى تدهوراً متزايداً في كلية دلهي لعدم ارتباطها بالوظائف وأسباب كسب القوت، وبأنها كانت فقدت مكانتها في المجتمع وطفق الطلبة يركزون على العلوم التي كانت لها علاقة مباشرة بالقوت كـاللغة الإنجليزية. ولأجل إصلاح نتائج قسم اللغة العربية اقترحت اللجنة المتخصصة إزالة كتب النحو والصرف والمنطق والفقه والحديث وغيرها من المقرر الدراسي للغة العربية لتحل محلها كتب عربية في الموضوعات المفيدة في الحياة اليومية ووفق الاقتراح، وطُلب من الأساتذة أن يلقوا المحاضرات الحرة في موضوع النحو والصرف والمنطق والفقه والحديث وغيرها⁽²⁾.

ولا يمكن لنا أن ننسى هنا دور المعاهد الشرقية للبحوث والمؤسسات المتخصصة في الدراسات الهندية التي أسسها المستشرقون الإنجليز في أنحاء الهند. وقد كان العلماء الغربيون في القرنين التاسع عشر والعشرين مسؤولين بالدرجة الأولى عن هذا الإحياء، مع أن كثيراً من العلماء الآخرين قد أسهموا فيه إسهاماً كبيراً أيضاً. وكان عمل هذه المعاهد يتمثل أساساً في جمع المخطوطات النادرة باللغات الشرقية مثل السانسكريتية والعربية والفارسية والمليبارية والكندية والتاميلية والتلغوية وما إلى ذلك. وتتعلق كل هذه اللغات بالدين

¹ - عبد الوهاب، الدكتور 2010م. "دلي كالج تاريخ اور كارنامے". ايجوكيشنل ببلشنغ هاؤس، دلهي، الهند. ص 47.

⁽²⁾ - نفس المرجع، ص: 55

والفلسفة والأدب والنحو والفنون والعلوم، ثم تحقيقها ونشرها مع أو من دون
ترجمات وحواش توضيحية. وحيثما يتعذر نشر هذه المؤلفات، تُحفظ
المخطوطات والمواد المتصلة بها باستخدام وسائل علمية حديثة وتقنيات
متطورة.

ومن بين الجامعات التي أقيمت في الهند في العهد البريطاني الهندي
تحت رعاية المستشرقين وجهودهم ^(١) جامعة كلكتا (١٨٥٧) Univ. of
Calcutta تم فيها تعيين أستاذ وسبعة مدرسين للغتين العربية والفارسية.
وأستاذ وثمانية مدرسين للتاريخ والثقافة الإسلامية. وأستاذ وأحد عشر مدرساً
للغات الهندية الحديثة. وأستاذ وستة مدرسين للغة السنسكريتية. وأستاذ
وتسعة عشر مدرساً للغة السنسكريتية. ومنها جامعة بمباى Univ. of Bombay
(1869) أنشأها الآباء اليسوعيون، وتدرس فيها اللغة العربية. ومنها جامعة الله
آباد Univ. of Allahabad (1887)، وعُين فيها أستاذ وخمسة أساتذة مساعدين
للغتين العربية والفارسية. وأستاذ مساعد للصينية. وأستاذ وستة عشر أستاذاً
مساعداً للغة الهندية. وأستاذ وأحد عشر أستاذاً مساعداً للغة السنسكريتية.
وأستاذ وخمسة أساتذة مساعدين للغة الأوردية. ومنها جامعة بنارس الهندية
(١٩١٥). تعنى باللغتين الهندوكية والسنسكريتية. ومنها جامعة ميسور (١٩١٦)
Univ. of Mysore، وعُين فيها: أستاذ مساعد للغة الهندية، وأستاذ وأستاذان
مساعدان للحضارة الهندية القديمة، وأستاذان وأربعة أساتذة مساعدين للغة
الكندية، وأستاذ للسنسكريتية وأستاذ مساعد للغتين التاميلية والتلغوية،
وأستاذ للفارسية، وأستاذ مساعد الأوردية والفارسية، وقسم للغتين العربية
والهندية. ومنها جامعة باتنا Patna Univ. (١٩١٧) وفيها أقسام للغات العربية،
والفارسية، والأوردية، والهندية، والميثيلية، والسنسكريتية. وفي حيدر آباد
الدكن: أسست الكلية الجامعية للأدب والتجارة وعُين فيها أستاذ وباحث للغة
العربية، وباحثان للغة الفارسية، وأستاذ وباحثان للغة الأوردية (خلا اللغات
الهندية والسنسكريتية والمراثية، والتلغوية وغيرها) وتضم مكتبتها ٦٦٠٤
مخطوطات، و ١٢٤٤ مخطوطاً مسجلاً على سعف النخل، في مجموعة سلاسل
جنغ. ومنها جامعة عليجرة الإسلامية (١٩٢٠) Aligarh Muslim Univ وتعنى
بالدراسات العربية والإسلامية والفارسية، والأوردية، والسنسكريتية، والهندية

(١) - المستشرقون، المرجع السابق، ص 439 وما بعدها.

، ومذاهب السنة والشيعية وغيرها. وتحتوى مكتبة مولانا آزاد على مجموعة كبيرة نفيسة من المخطوطات العربية والأوردية والفارسية. ومنها جامعة لكهنؤ (1921) Univ. of Lucknow وعُين فيها أستاذ ومحاضران للغة العربية، وأستاذ وثلاثة باحثين وتسعة محاضرين للغة الهندية، وأستاذ وباحثان وثلاثة محاضرين للغتين الفارسية والأوردية، وخمسة محاضرين للغتين السنسكريتية. وفي القسم الشرقي: ثلاثة باحثين للغتين العربية والفارسية، وعالم دين للسنسكريتية. ومنها فيسفا بهاراتى BharatVisva (1921) أنشأها را بندرانات طاغور في غربى البنغال، فيها باحث للغة العربية والدراسات الفارسية والإسلامية، وأستاذ وباحث وستة محاضرين للبنغالية والحديث من لهجات الهند، ماخلا الهندية، وأستاذ ومحاضران للغتين الصينية واليابانية، وأستاذ وأربعة محاضرين للغة الهندية، وأستاذ وسبعة محاضرين للغة السنسكريتية، وباحث ومحاضران للدراسات الهندية التبتية. وتضم مكتبتها 75000 مخطوط باللغات البنغالية والفارسية والأوردية والسنسكريتية. ومنها جامعة دلهى Univ. of Delhi (1922) وعُين فيها باحث ومحاضر للغة العربية، وأستاذ للغة البنغالية، وأستاذ للدراسات البوذية، ومحاضرون للغة البنجابية، وثلاثة باحثين ومحاضرون للغتين الفارسية والأوردية، وأستاذان وباحثان وهيئة تدريس للسنسكريتية والهندية، ومحاضرون للغة السنندية. ومنها جامعة ناغبور Nagpur Univ (1923)، وعُين فيها أستاذ مساعد وباحث للغتين العربية والفارسية، وأستاذ وعشرة محاضرين للغة الهندية، وسبعة أساتذة وخمسة أساتذة مساعدين وباحث وأربعة عشر محاضراً للغة الماراتية، وأستاذ مساعد وباحث وأحد عشر محاضراً للغات السنسكريتية، والبالية والبراكرتية، وأستاذ مساعد وباحث وستة محاضرين للغة الأردية. ومنها جامعة أندهرأ Andhra Univ (1926) وعُين فيها أستاذ ومحاضر وعالم دينى للغة السنسكريتية. وأستاذ ومحاضران وعالم دين، وثلاثة مساعدين للغة التاميلية. ومنها جامعة آجرا Agra Univ (1927) وفي بعض كلياتها دراسات شرقية. ومنها جامعة أنا مالى Annamalai Univ (1928) وعُين فيها أستاذ للغة السنسكريتية، وأستاذ وستة محاضرين وثلاثة باحثين للغة التاميلية (آداب) وأستاذ وباحث وثمانية محاضرين للغة التاميلية (دراسات شرقية) وأستاذ وسبعة محاضرين وباحثان لفقه اللغة التاميلية، ومحاضر للغتين الأردية والهندية. ومنها جامعة كيرالا Univ.of Kerala (1937)، وعرفت حتى عام 1957 باسم جامعة

(ترافانكور)، فيها: باحث للتاريخ والثقافة الإسلامية، وأستاذ للغة التاميلية. وأسست كليات عديدة تابعة لها، منها كلية سلام السلام للغة العربية، وكلية مدينة العلوم للغة العربية وكلمة روضة العلوم للغة العربية. ومنها جامعة البنجاب Univ. of the Panjab - لاهور (١٨٨٢)، وتدرس فيها اللغات العربية والفارسية والأوردية، ودراسات إسلامية. وجامعة داکا Univ. of Dacca (١٩٢١) وكانت فيها دراسات عربية وإسلامية، واللغتان البنغالية والسندسكربتية، والتاريخ والثقافة الإسلاميان، واللغتان الفارسية والأوردية. وتحتوي مكتبتها على عشرين ألف مخطوط باللغات السندسكربتية والبنغالية والعربية والأوردية والبونثية. وبفضل الكراسي الشرقية في الهند أصبح عدد علمائها المعنيين بالدراسات العربية والإسلامية منذ عام 1940م وفيما تقتضي الإحاطة به فصلا مستقلا.

المصادر والمراجع :

- (1) - نجيب العقيلي، المستشرقون، الطبعة الثالثة؛ مصر: دارالمعارف، 1964م.
- (2) - صهيب عالم، الدكتور، دليل المكتبات المعنية باللغة العربية في الهند، مجمع الملك سلمان العالمي، الرياض، 1445هـ.
- (3) عبد الوهاب، الدكتور 2010م. "دلي كالج تاريخ اور كارنامہ". ايجوكيشنل بيلشنغ هاؤس، دلهي، الهند.

محمد فؤاد سزكين المستشرق التركي والألماني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله النبي الكريم،
وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد!

كان محمد فؤاد سزكين من المستشرقين البارزين بخدماته في مجال
الثقافة والدراسات الإسلامية وتقديم الموسوعات العلمية القيمة، الكتاب
العرب أخذوا المعلومات عن حياة محمد فؤاد سزكين وأعماله من كتاب "مكتشف
الكنز المفقود" للكاتب التركي الدكتور عرفان يلmez.

وُلد هذا المستشرق الكبير في 24 (أربعة وعشرين) أكتوبر عام 1924م
، ومهبط رأسه مدينة بدليس في جنوب شرق تركيا، هي الآن مشهورة باسم
بتليس

هو نشأ في أسرة علمية وكان والده قاضيًا، تابع دراسته الابتدائية في
مديرية دوغو بايزيد (DoguBayazid) ودراسته الإعدادية والثانوية في مدينة
أرضروم ثم التحق بجامعة أسطنبول وأراد دراسة تخصص الهندسة، ولكنه
سمع محاضرة الأستاذ المستشرق الألماني هلمت ريتير (HellmutRither) الذي
كان يعمل في تلك الجامعة منذ عام 1926م (ألف وتسعمائة وستة وعشرين
الميلادي) وكان موضوع محاضرة "دور العلماء المسلمين في الحضارة" تأثر محمد
فؤاد سزكين بتلك المحاضرة ورغب إلى دراسة التاريخ العربي الإسلامي
والاستشراق، فإنه التحق بكلية الآداب في معهد الدراسات الشرقية، قسم
العلوم الإسلامية والاستشراق بالجامعة المذكورة أعلاه.

واستمر دراسته من عام 1943م (ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين
للميلادي) إلى 1947م (ألف وتسعمائة وسبعة وعشرين عامًا الميلادي) ودرس
اللغة العربية حتى في الفصل الدراسي السابع كان يتحدث بها مع الأساتذة ثم
عمل معيدًا في الجامعة وعمل في إدارة المكتبة في سنة 1949م (ألف وتسعمائة
وتسع وأربعين للميلادي) وحصل على درجة الدكتوراه حول عنوان "مجاز
القرآن" لأبي عبيدة معمر المثنى تحت إشراف هلموت ريتير في عام 1951م (ألف

¹كلية ولاميري للأنات، سوماجي غوره، حيدرآباد (الهند)

وتسعمائة وواحد وخمسين للميلادي)، لما نشر الكتاب في عام 1954م (ألف وتسعمائة وأربعة وخمسين للميلادي) أشاد أمين الخولي في مقالة بمنهج سزكين في التحقيق، ثم أراد سزكين أن يكتب ملحقاً لكتاب "تاريخ الأدب العربي" للمستشرق الألماني كارل بروكلمان مع أستاذه ريتز في عام 1944م (ألف وتسعمائة وأربعة وأربعين للميلادي) وسزكين يكتب:

"كنت في بادئ الأمر اعتمد تأليف ملحق لكتاب "تاريخ الأدب العربي" للمستشرق الألماني كارل بروكلمان بالاستناد إلى المخطوطات المحفوظة في مكتبات أستنبول⁽¹⁾.

ثم عين سزكين كأستاذ في جامعة أستنبول، وخلال كتابة رسالة الدكتوراه وجد نقولات البخاري في كتاب التفسير في "جامعه الصحيح" عن معمر بن المثنى فقصده في تأليف كتاب للحصول على الترقية إلى رتبة أستاذ مشارك بكتاب عنوانه "دراسات في مصادر البخاري" في عام 1954م (ألف وتسعمائة وأربعة وخمسين للميلادي) وخلال هذه المدة تعلم لغات وحصل القدرة عليها.

ثم سافر إلى ألمانيا وقضى فيها حتى عام 1960م (ألف وتسعمائة وستين للميلادي) وبعد عودته إلى تركيا حصل إنقلاب عسكري، ثم طرد 147 (مائة وسبعة وأربعين أكاديمياً) كان سزكين منهم أيضاً، فإنه سافر إلى ألمانيا وعمل أستاذاً في جامعات مختلفة في مدينة فرانكفورت، وفي النهاية عمل كبير وفيسور لتاريخ العلوم في المعهد في جامعة فرانكفورت حتى عام 1980م (ألف وتسعمائة وتسعين للميلادي).

إنه تزوج ألمانية مسلمة تسمى بأورصولا (Ursola) وكانت قد تخرجت من قسم الشرقيات، وهي كانت تراجع ماكان يكتبه باللغة الألمانية كما قال هو بنفسه، وطبع المجلد الأول من كتاب "تاريخ التراث العربي" باللغة الألمانية.

ومن أهم إنجازات سزكين في حياته تأسيس معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية في سنة 1982م (ألف وتسعمائة واثنين وثمانين للميلادي) في جامعة غوته فرانكفورت، أنفق في تأسيسه أموال الجوائز التي حصل عليها وشارك

⁽¹⁾ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، مقدمة الجزء الأول، ص: 7، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية، 1991م.

أربعة عشر بلدًا عربيًا فضلاً عن المنظمات بالتبرع، كراسمال وساعدت الكويت وحدها بتأسيس المبنى المناسب قرب الجامعة، وأنشأ متحفاو ذلك المتحف وضع أكثر من 800 (ثمانى مائة) الأشياء من الأجهزة العلمية التاريخية والأدوات والخرائط صنعها على أساس المخطوطات القديمة والتي ابتكرها المسلمون في العصر الذهبي للإسلام وألحقه بالمعهد، ومثل هذا أنشأ متحفًا سنة 2008م (ألفين وثمانى للميلادى) في إستنبول، والمعهد نشر ما يزيد عن ألف إصدار علمى في مجالات علمية عديدة مثل علوم اللغة والأدب والفلسفة والرياضيات والفلك والصناعات والطب والفيزياء والكيمياء والزراعة حتى في علم الإحصاء الجوية، غالبًا باللغة الألمانية، وأصدر في المعهد مجلة سنوية أعتبرها العلماء العمل الموسوعي الثالث، بعنوان "مجلة تاريخ العلوم العربية الإسلامية".

إنه ألف كتابًا حول عالم الكيمياء جابر بن حيان (المتوفى 815م) للدكتوراه الثانية، ونال به درجة الأستاذية في عام 1965م (ألف وتسعمائة خمسة وستين للميلادى) في معهد تاريخ العلوم ومنح على أثرها لقب "بروفيسور تاريخ العلوم".

وفي حياته حصل على جوائز وأوسمة دولية عديدة من مؤسسات ومجامع باللغة العربية من البلدان العربية.

مؤلفات:

لايمكن الحصر لمؤلفات سزكين وأبحاثه في هذه الورقة لأن عدد الأبحاث والمؤلفات ألف ومائتين تقريبًا وفقًا للدكتور عرفان يلمز في كتابه "مكتشف الكنز المفقود" اذكر بعض أهم مؤلفاته ما هي كالموسوعات وهي:

1. تاريخ التراث العربي
2. كتاب "مجازى القرآن" حققه في رسالة الدكتوراه
3. كتاب "دراسات في مصادر البخارى" مطبوع باللغة التركية
4. بحث بعنوان "بداية التصنيف في علم الحديث... وجامع معمر بن راشد"
5. كتاب "العلم والتكنولوجيا في الإسلام" في خمسة مجلدات بالألمانية والتركية والفرنسية

6. بيلو جرافيا بعنوان "بيلوجرافيا الدراسات العربية والإسلامية في المنطقة الناطقة بالألمانية" نشرت في المرحلة الأولى في اثنين وعشرين مجلدًا فيها فهارس من البداية حتى سنة 1986م (ألف وتسعمائة وست وثمانين للميلادي) وفي المرحلة الثانية شملت الأعمال بين 1986م (ألف وتسعمائة وست وثمانين للميلادي) وحتى 1994م (ألف وتسعمائة وأربع وتسعين عامًا للميلادي) وهي في ثمانية مجلدات، وهي على منهج "تاريخ التراث العربي" بدأت بالدراسات الإسلامية والتراث العلمي والثقافي بأنواعه.

7. كتاب اكتشاف المسلمين للقارة الأمريكية قبل كريستوفر كولمبس

8. كتاب "عرض موجز لمتحف إسطنبول لتاريخ العلوم والتكنولوجيا"⁽¹⁾.
أحدث موجزًا عن كتاب سزكين "تاريخ التراث العربي" إنه بدأ عمله في استدراك كتاب "تاريخ الأدب العربي" لبروكلمان، خلال هذا العمل غير رأيه، أنقل كلماته في هذا الصدد، وهو كتب في المقدمة الثانية لكتابه "تاريخ التراث العربي"، ويقول:

"ثم تغيرت نيتي بمرور الزمن فأصبح هدفي أن يكون مؤلفي تجديدًا لكتاب بروكلمان، وهكذا أنجزت المجلد الأول فعلاً كتجديد لعمل بروكلمان، وإن اتبعت فيه إلى حد ما نفس منهجه، ثم ما لبث أن قررت أثناء طبعه أن أحاول الانتقال من منهجه الذي هو بالدرجة الأولى منهج بيلو غرافي، وأواصل بالمجلدات التالية كتابة تاريخ للعلوم الإسلامية المكتوبة باللغة العربية في إطار ما يسمح به تطور الدراسات والأبحاث المتخصصة في هذا المجال ودراسي الخاصة للمخطوطات والمطبوعات، مع الاحتفاظ بعنوان الأول"⁽²⁾.

ألف سزكين ثمانية عشر مجلدًا من "تاريخ التراث العربي" كان يكتب المجلد الثامن عشر قبل وفاته (توفي في ثلاثين يونيو ألفين وثمانية عشر عامًا للميلادي) ترجم الدكتور محمود فهري حجازي والدكتور فهري أبو الفضل

⁽¹⁾ هذه المعلومات عن شخصية فؤاد سزكين مأخوذة من بحث عن شخصية فؤاد سزكين النقدية، علم الحديث نموذجًا لناظر عبد المهدي حتاملة، نشر في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، ص: 487-499، المجلد: 17، العدد: 2 / ديسمبر 2004م.

⁽²⁾ تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، 1 لجزء الأول، نشرت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1991م.

المجلد الأول والمجلد الثاني ثم جامعة محمد بن سعود الإسلامية اعتنت بترجمته ونشره، بدأ النشر من قبل الجامعة المذكورة أعلاه من سنة 1982م (ألف وتسعمائة واثنين وثمانين الميلادي) حتى 2015م (ألفين وخمسة عشرة للميلادي) وفي النهاية طبع المجلد السادس عشر والسابع عشر، السادس عشر يشمل موضوع البلاغة والنقد والسابع عشر يشمل موضوع الأدب التريوي والأدب الترفيبي.

فحصت المجلد الأول (نشر عام 1967م (ألف وتسعمائة وسبعة وستين للميلادي) المجلد الأول من كتاب "تاريخ التراث العربي") والمجلد الثاني، كل مجلد يشتمل على أجزاء، يحتوي كل جزء من كتاب سركين الفترة الزمنية، من بدء الإسلام إلى 430م (أربعمائة وثلاثين عامًا للميلادي) مع ترجمة كل مؤلف ومساهماته العلمية وأسماء كتبه وذكر وجودها في مكتبات العالم المخطوط منها وأسماء ناشري المطبوع منها مع ذكر ما تعلق بهذه الكتب من شروح ومختصرات وتعقيبات ردود وذيول ونظم إلخ ترتيبًا زمنيًا.

تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، الجزء الأول

يشمل الباب الأول: علوم القرآن

والفصل الأول: القراءات القرآنية

تحدث فيه عن تاريخ جمع القرآن واختلاف القراء

هذا الفصل ينضم أولاً، كتب القراءات في العصر الأموي

وثانيًا: كتب القراءات في العصر العباسي (حوالي 430)

وفي ضوء المراجع قدّم المعلومات عن أصحاب القراءات ومؤلفاتهم

وفي البحث الأول ذكر عن أربع شخصيات وفي البحث الثاني ذكر عن 28 (ثمانين وعشرين) شخصية.

الفصل الثاني: يشمل على تفسير القرآن: وينقسم إلى البحث الأول ما

يحتوي على كتب التفسير في العصر الأموي وتفسير المفسرين ومصنفاتهم

والبحث الثاني يحتوي على كتب التفسير في العصر العباسي وتفسير المفسرين

ومصنفاتهم وفي البحث الأول ذكر عن 15 (خمس عشرة) شخصية، وفي البحث

الثاني ذكر عن 35 (خمس وثلاثين) شخصية.

الباب الثاني عنوانه: علم الحديث.

ينقسم إلى البحث الأول حول كتب الحديث في العصر الأموي وذكر
عن 18 (ثمانية عشرة) شخصية وتصنيفاتهم.
والبحث الثاني: شامل على كتب الحديث في العصر العباسي
والمحدثين، وذكر عن 344 (ثلاثمائة أربع وأربعين) شخصية وتصنيفاتهم.
المجلد الأول: الجزء الثاني في التدوين التاريخي.
هذا الجزء فيه خمسة فصول:
الفصل الأول: مقدمة وذكر فيها عن التدوين التاريخي عند العرب.
الفصل الثاني: حول تدوين تاريخ الجاهلية في العصر الأموي والعصر
العباسي، ذكر عن 19 (تسع عشرة) شخصية وأعمالهم للعصر الأموي و18
(ثمانية عشرة) شخصية وأعمالهم للعصر العباسي (حتى حوالي 430).
الفصل الثالث يتضمن دراسة سيرة الرسول ﷺ هذا الفصل ينقسم
إلى العصر الأموي والعصر العباسي (حوالي 430) وذكر عن 19 (تسع عشرة)
شخصية وأعمالهم وعن 16 (ست عشرة) شخصية وأعمالهم.
الفصل الرابع: وهو حول تدوين التاريخ العام وتاريخ الدولة الإسلامية،
هذا يتضمن عن حركة التأليف في العصر الأموي وعن حركة التأليف في
العصر العباسي (حتى حوالي 430) وذكر عن 6 (ست) شخصيات وأعمالهم
للعصر الأموي وذكر عن 46 (ست وأربعين) شخصية وأعمالهم للعصر
العباسي.
الفصل الخامس: يحتوي على التاريخ المحلي وتاريخ المدن وتحت هذا
العنوان قدم البحث عن حركة التأليف في العصر الأموي وحركة التأليف في
العصر العباسي هذا ينقسم إلى خمسة مباحث:
البحث الأول: يتضمن التاريخ المحلي تاريخ المدن في وسط الجزيرة
العربية وجنوبها و10 (عشر) شخصيات وأعمالهم في هذا المجال.
والبحث الثاني: يشمل التاريخ المحلي وتاريخ المدن في الشام و5
(خمس) شخصيات وأعمالهم في هذا الصدد.
والبحث الثالث: له علاقة بالتاريخ المحلي وتاريخ المدن في العراق ومع
ذكر عن 8 (ثمانية) شخصيات وأعمالهم.

البحث الرابع: يشمل على التاريخ المحلي وتاريخ إيران والشرق وفيه المعلومات عن 11 (أحد عشر) مؤرخاً وأعمالهم.
البحث الخامس: كتب فيه عن التاريخ المحلي وتاريخ المدن في مصر والمغرب، و17 (سبعة عشر) مؤرخاً.
والبحث السادس: ذكر فيه عن التاريخ المحلي وتاريخ المدن في الأندلس وعن بعض العلماء المصريين ومؤرخي الشرق الذين اهتموا بالأندلس وعن ستة مؤرخين.

الفصل السابع حول التاريخ الثقافي، وفيه بحثان:
البحث الأول يتضمن حركة التأليف في العصر الأموي وأربع شخصيات وأعمالهم.
والبحث الثاني يتضمن حركة التأليف في العصر العباسي و22/ اثنين وعشرين مصنفًا ومؤلفًا) وأعمالهم في هذا المجال وتحت تصنيف العلوم ذكر عن 4 (أربع) شخصيات وأعمالهم ثم كتب أن كتبًا في تاريخ الحضارة لم يصل إلينا إلا قطع قليلة منها.
المجلد الأول: الجزء الثالث في الفقه.
هذا الجزء يشمل على مقدمة وفصلين.
في الفصل الأول ذكر عن كتب الفقه في العصر الأموي و11 (إحدى عشرة) شخصية.
في الفصل الثاني ذكر عن كتب الفقه في العصر العباسي (حتى حوالي 430)

والمذاهب الأربعة.

- أ. فقه الحنفية و29 (تسع وعشرين) شخصية
 - ب. وفقه المالكية و34 (أربع وثلاثين) شخصية
 - ج. وفقه الشافعية و22 (اثنين وعشرين) شخصية
 - د. وفقه الحنابلة و18 (ثمانية عشر) شخصية
- ثانيًا: المدارس الفقهية المستقلة و14 (أربع عشرة) شخصية
- ثالثًا: فقه الشيعة
- أ. فقه الإمامية و47 (سبع وأربعين) شخصية

ب. وفقه الزيدية و17 (سبع عشرة) شخصية
ج. وفقه الإسماعيلية و14 (أربع عشرة) شخصية
د. وفقه الكرامية و1 (واحدة) شخصية واحدة
هـ. وفقه النصيرية و4 (أربع) شخصيات
رابعاً: فقه الأباضية و3 (ثلاث) شخصيات
المجلد الأول: الجزء الرابع في علم الكلام، العقائد والتصوف وفهارس
المجلد الأول.

الفصل الأول في كتب العقائد في العصر الأموي و7 (سبع) شخصيات
الفصل الثاني في كتب العقائد في العصر العباسي
أولاً: أهل السنة و22 (اثنين وعشرين) شخصية
ثانياً: المعتزلة و24 (أربع وعشرين) شخصية
الباب الثالث في التصوف
فيه مقدمة
والفصل الأول في كتب التصوف في العصر الأموي و4 (أربع)
شخصيات
والفصل الثاني في كتب التصوف في العصر العباسي و63 (ثلاث
وستين) شخصية
وعلى هذا المنوال في جميع المجلدات وأجزائها جمع المواد بدقة من
المخطوطات والمطبوعات التي وصلت إليها يده.
الإنسان مركب من الخطأ والنسيان، أخطأ سزكين في بعض المواضع،
العلماء أشاروا إلى الأخطاء وناقذوا بعض أفكاره.
استدرك الدكتور أكرم العمري على "تاريخ التراث العربي" ونشر بحثه
في مجلة المورد العراقية في فبراير 1973 م (ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين عامًا
للميلادي) قدم فيه ملاحظاته عن التفسير وعلم الحديث من الجزء الأول
وأخطائه ولكنه أشاد مجهوداته العلمية، هكذا الدكتور حكمت بشير نشر
بحثه بعنوان "استدراكات على تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين في كتب
التفسير" في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وألف الباحث نجم عبد

الرحمن كتابًا باسم "استدراكات على تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين في علم الحديث".

كثير من النقاد والأدباء والعلماء كتبوا الدراسات النقدية والاستدراكات حول أعمال فؤاد سزكين وشخصيته في صور الأبحاث والكتب، المكتبات وأنترنت حافلة بها، كتاب "دراسات في مصادر صحيح البخاري" من أهم مؤلفات سزكين باللغة التركية، ركز سزكين حول دراسات علم الحديث من نواحي متعددة في أبحاثه وكتبه إنه ناقد المستشرقين سبرنجروجولد تشهير والمستشرقين الآخرين الذين لهم تشكيك في الأحاديث النبوية، ولديهم ضعف في ثقة الحديث النبوية، سزكين دافع عنها بالأدلة التاريخية والعلمية ورد على انتقاداتهم، من هذه الناحية أعماله في علم الحديث متميزة ومتفوقة.

ولكن رأيه في الإسناد في صحيح البخاري ضعيف إنه رأى أن الأسانيد في ذلك الكتاب ناقصة في حوالي ربع المادة، بهذا صحيح البخاري ليس مصنفًا جامعًا شاملاً، استخدم مصطلح "التعليق" ما كان سائدًا من القرن الرابع يعني به اختصار الإسناد بحذف بعض شيوخ المصنف وربما وصل الحذف إلى الصحابي.

فالعلماء ناقذوا آرائه في هذا الصدد وألفوا الأبحاث والكتب في استدراك مؤلفات سزكين حول علم الحديث لأن رايه كان خلافًا عن الجمهور. محمد فؤاد سزكين كان بحر العلوم في مجالات العلوم القرآنية، وعلم الحديث والتاريخ، والفقه وعلم الكلام والشعر العربي، والطب، والصيدلة، والبيطرة وعلم الحيوان، والكيمياء، والزراعة، وعلم النبات، وعلم الرياضات، وعلم الفلك، والنجوم، والآثار العلوية، وعلم النحو، والنقد والبلاغة، والجغرافية والخرائط، وكان لديه علم لمجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم.

مساهمة المستشرق هاملتون جب في الأدب العربي مع إشارة خاصة إلى كتابه

"المدخل إلى الأدب العربي (Arabic Literature an Introduction)"

المقدمة

لقد خاض المستشرقون في الدراسات العربية الإسلامية في جوانب عديدة، فدرسوا الإسلام والقرآن الكريم والسيرة النبوية والعرب والحضارة والفكر والفن والأدب والفلسفة والتاريخ والعلوم الأخرى التي عرفها العرب والمسلمون، وكانت بعض هذه العلوم والدراسات متداخلة بعضها مع البعض الآخر وبعضها مستقلاً ببحوث مفردة، فالسيرة النبوية تتداخل مع القرآن الكريم والحديث الشريف والدين الإسلامي والعلوم في معظم الدراسات الاستشراقية.

وكان هاملتون جب أحد المستشرقين المتميزين الذين أنجبهم المدرسة الاستشراقية البريطانية، ويعتبر البعض أن أفكار وتوجهات المستشرق جب جمعت بين عالمين متناقضين في التوجهات والأفكار، عالم الشرق الذي ولد فيه حيث ولد في مصر وعالم الغرب الذي كانت فيه نشأته العلمية وتبلورت أفكاره اتجاه الشرق.

تنوعت كتابات جب حول الإسلام، فشملت الدراسات الدينية المتمثلة بالقرآن والسيرة النبوية في كتابه (المحمديات)، الذي لم يستطع فيه الخروج من الحدود المعوقة التي رسمها الاستشراق في الفكر والعقل، فهو ردد عبارات المستشرقين عموماً (دين محمد، قرآن محمد)، هذا الفكر الضيق الذي لم يستطع الغرب التخلص منه. مولده ونشأته

ولد هاملتون جب في مدينة الإسكندرية في مصر، عام 1895م، وسبب ولادته في مصر، إن والده كان ناظر زراعة في شركة أبي قير لاستصلاح الأراضي، ثم انتقل إلى التعليم في إسكتلندا في المدرسة الثانوية، وفي عام 1912م، دخل

¹الأستاذ المساعد المتقاعد، مركز التعليم عن بعد والتعليم الإلكتروني، مانو

جامعة إدنبرة (The University of Edinburgh) حيث تخصص باللغات السامية (العربية، والعبرية والآرامية)، ثم خدم في الحرب العالمية الأولى في صفوف الجيش البريطاني في جبهات فرنسا وإيطاليا ما بين 1914م إلى 1918م، وبعد انتهاء الحرب عاود نشاطه العلمي في مدرسة اللغات الشرقية في لندن وحصل على شهادة الماجستير من جامعة لندن عام 1922م، وكان قد عين في 1921م مدرسا للغة العربية.

وتميزت الفترة ما بين عام 1926م وعام 1927م بزيارته إلى الشرق، لدراسة الأدب العربي، وقد سبق له أن أمضى إجازتين طويلتين في الشمال الأفريقي.

وفي 1929م عين بلقب "Reader" في تاريخ الأدب العرب والأدب العربي في جامعة لندن، ولما توفي سير توماس أرنولد في 1930 خلفه على كرسي اللغة العربية في جامعة لندن، كما خلف سير توماس كمحرر بريطاني لدائرة المعارف الإسلامية، وفي 1954 كان أحد المشرفين الأوائل على الطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية، ثم اعتزل العلم في 1956، واستمر في كرسيه بجامعة لندن حتى 1937م، ثم صار أستاذا في جامعة أكسفورد، ثم زميلاً في كلية سانت جون بأكسفورد، وبقي في هذا المنصب حتى عام 1955م.

وفي عام 1955م، دعتة جامعة هارفرد (في الولايات المتحدة) ليكون أستاذاً بها في كرسي James Richard Jewett Professor of Arabic وفي 1957 صار مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط في تلك الجامعة.

إنجازاته العلمية

توزع إنتاجه العلمي بين ثلاثة ميادين: الأدب العربي، والتاريخ الإسلامي، والأفكار السياسية الدينية في الإسلام.

وأول إنتاجه كتاب عن "فتوح العرب في آسيا الوسطى" "The Arab Conquests in Central Asia" ويتناول فيه العلاقات بين الجماعات المختلفة التي اشتركت في هذه الفتوح.

وفي عام 1926م، أصدر كتيباً عن الأدب العربي، ألفه للقراء الإنكليز، وقد تم إعادة طبعه سنة 1963م.

وفي عام 1928م نشر سلسلة مقالات عن الأدب العربي المعاصر في مدرسة الدراسات الشرقية، أولها مقالة عن الأدب العربي في القرن التاسع عشر، وتلاها بمقالة عن المنفلوطي والاسلوب الجديد" سنة 1929، ومقالة عن المجددين المصريين، ومقالة عن القصة المصرية وكان ذلك سنة 1933م.

أما دراساته في التاريخ الإسلامي، فهي أوفر حظاً من إنتاجاته الأدبية، فقد ترجم كتاب تاريخ دمشق لابن القلانسي ت 555هـ، سنة 1932م وهذا الكتاب مهم بسبب تناوله تاريخ الحروب الصليبية الأولى.

وفي عام 1933م، نشر مقالا عن الخلفية الإسلامية لنظرية ابن خلدون السياسية. وفي 1937م، نشر في مجلة مستقبل الإسلام مقالا عن نظرية الماوردي في الخلافة.

ألف جب مع الاشتراك بهارولد بوون بعنوان: المجتمع الإسلامي والغرب" والمجتمع الإسلامي في القرن الثامن عشر، وقد صدر الجزء الأول منه سنة 1950م، يتناول فيه المؤلفان النظم الاجتماعية في تركيا والأقطار العربية الخاضعة للحكم العثماني قبل نفوذ التأثير الأوربي في تلك البلاد، ثم يبحثان التأثير الأوربي ابتداء من القرن التاسع عشر . ويفحصان عن الأحوال الراهنة والقوى الفعالة الآن في هذه البلاد، أما نصيب جب في هذا الكتاب المشترك فهو الفصول التقديمية الخاصة بالخلفية التاريخية الإسلامية، ثم الفصول الخاصة بالبلاد العربية بصورة خاصة. وقد ظهر الجزء الثاني من المجلد الأول في 1957م.

والميدان الثالث وهو الدين الإسلامي خصه جب بكتابين: الأول هو "المحمدية" (Mohammedanism) 1949م والثاني: الاتجاهات الحديثة في الإسلام: (Modern Trends in Islam)، استعرض فيه بعض الاتجاهات الإسلامية الحديثة والمعاصرة.

دراسة كتاب "المدخل إلى الأدب العربي"

يُعد كتاب "مدخل إلى الأدب العربي" مرجعاً مهماً في الدراسات الأدبية العربية باللغة الإنجليزية، وقد نُشر لأول مرة عام 1926، ثم صدرت طبعة منقحة في عام 1963. يقدم الكتاب رؤية نقدية شاملة للأدب العربي من خلال منظور غربي، مما جعله موضع اهتمام الدارسين، وكذلك موضع نقد من قبل بعض الباحثين المسلمين الذين رأوا أن فيه العديد من الآراء المشوهة والمبينة على استنتاجات خاطئة عن التراث الأدبي والديني الإسلامي. وهذا الكتاب لا يزيد على 200 صفحة.

قسم جب كتابه إلى خمسة فصول غير المدخل، الذي تناول فيه الكلام عن اللغة العربية، وكذلك الخاتمة التي خصصها للإشارة السريعة إلى

الجديد من وجهة نظره في أدبنا الحديث، وتتابعه الفصول الخمسة على النحو التالي:

1. العصر البطولي وهو عصر ما قبل الإسلام (The Heroic Age from 500-622)
2. عصر التوسع ويقصد به صدر الإسلام وعصر بني أمية (The age of expansion from 622-750)
3. العصر الذهبي وقد تناول في هذا الفصل العصر العباسي الأول ثم العصر الفضي الثاني، (The Golden age from 750-1055)
4. العصر الفضي (The Silver Age from 1055-1258)
5. العصر المماليك (1258-1800) The Age of Mamluks from 1258-1800

نظرًا لاختصار هذا الكتاب وهدفه إلى تزويد الطالب الإنكليزي بأساسيات الأدب العربي، نلاحظ أن المؤلف أوجز في بيان فترات الأدب العربي، حيث خصص 18 صفحة للعصر الجاهلي، و13 صفحة فقط للعصر الإسلامي والأموي. وبالمقابل، حظي العصر العباسي، الذي سماه بـ"العصر الذهبي"، بأكثر نصيب من الكتاب، إذ يشتمل تاريخ هذه الفترة على 70 صفحة، وقد تم تخصيص 23 صفحة لتناول تاريخ العصر العباسي الثاني، بينما خصص للأدب المملوكي 17 صفحة.

إجابيات الكتاب:

يُظهر هاملتن "جب" في قسم العصر البطولي (العصر الجاهلي 500-622م) إعجابه العميق بالأدب العربي، ولا سيما ببداياته المفاجئة والمهيرة، فهو يرى أن أبرز ما يميز الأدب العربي هو عنصر "المفاجأة"، إذ يبرز فن أدبي جديد فجأة دون مقدمات طويلة، بل يظهر كامل النضج منذ بدايته الأولى. ويزداد هذا الإعجاب وضوحًا عند حديثه عن الشعر الجاهلي، حيث يصف كيف أن العرب انتقلوا من مجرد نقوش بسيطة ذات طابع تجاري إلى قصائد مطولة (القصائد) تمتاز بقوة الخيال، ودقة التصوير، وغنى اللغة العربية ومرونتها العروضية، يقول "جب":

The most striking feature in Arabic literature is its un-expectedness... flexible metrical schemes that rhyme throughout the poem.

الترجمة:

إن من أبرز شيء يمتاز به الأدب العربي هو عنصر المفاجأة. فكثيراً ما ينبثق فن جديد فجأة دون مقدمات تبشر بقدومه أو تشير العلامات بظهوره، ويظهر منذ اللحظة الأولى في صورة ناضجة مكتملة، غالباً على مستوى من الإتقان لم يبلغه من تلاه من الكتّاب أو الشعراء في نفس الفن. ويتجلى هذا الجانب أوضح ما يكون في الظهور الأول للعربية كلغة للأدب؛ إذ نرى الجزيرة العربية تبدو في البداية صامتة أديباً، لا يكاد يُسمع فيها سوى بعض النقوش ذات الطابع التجاري أو التعبدية بلغات ولهجات متفرقة. ثم لا تلبث أن تنبثق فجأة جماعات من الشعراء في شمال الجزيرة، يبدعون القصائد المطوّلة التي تجمع بين تنوّع الموضوعات وقوة الأداء وخصوبة الخيال ودقة التصوير، في لغة ثرية متينة البنیان، متحررة تقريباً من آثار اللهجات، ومنسوجة على أوزان شعرية مرنة ومعقدة ذات قافية موحدة تُحكم القصيدة من أولها إلى آخرها. ومن ميزات هذا الكتاب أيضاً أن المؤلف يشرح خلفيات القصيدة وتطور الأفكار في العصور المختلفة فمثلاً يشرح لنا خلفية القصيدة الجاهلية فيقول:

"In the opening lines the poet is supposed to be travelling on a camel with one or two companions. The road leads him to the site of a former encampment of his own or a friendly tribe, the remains of which are still visible. He beseeches his companions to halt for a moment, and sorrowfully recalls how, many years ago, he spent here the happiest days of his life with his beloved. Now life with its constant wanderings has separated them, and over the deserted scene roams the wild antelope".

في السطور الأولى، يُصور الشاعر وهو يسافر على جمل برفقة رفيق له أو رفيقين اثنين، ليصل إلى موقع مخيم قديم يعود له أو لقبيلة صديقه. يطلب من رفاقه التوقف قليلاً، ويتذكر بأسى الأيام الجميلة التي عاشها هنا مع محبوبته قبل أن تفرقهما حياة الترحال، بينما يتجول الظبي البري في هذا المكان المهجور.

ثم يذكر ترجمة أبيات امرئ القيس من معلقته الشهيرة استشهداً على ما تناوله من خلفية القصيدة وذكر ترجمة الأبيات الآتية:

بسقط اللوى بين الدخول فحومل		قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
لَمَّا نَسَجْتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ		فَتُوضِحَ فَاَلْمِقْرَاةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا
وَقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلٍ		تَرَى بَعَرَ الْأَزَامِ فِي عَرَصَاتِهَا
يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ		وَقُوفاً بِهَا صَحِي عَلَى مَطِيئِهِمْ
فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ؟		وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ

أورد جب ترجمة هذه الأبيات:

Stay Let us weep, while memories tries to trace
The long-lost fair ones sand-grit dwelling-place;
Still some faint traces of that spot remain
My comrades reined their coursers by my side
And yield not, yield not to despair' they cried
Tears were my sole reply; yet what avail
Tears shed on sands, or sighs upon the gale?

ومن أمثلة إيراد ترجمات الأبيات الجاهلية ما أورد جب من ترجمة

قصيدة لبيد وهو يقول:

كجمانة البحري سَلَّ نظامُها		وتُضيءُ في وجهِ الظلام مُنِيرَةً
بكرتْ تزلُّ عن الترى أزلامها		حتى إذا انحسر الظلامُ وأسفرت
سبعاً تَوَامًا كاملاً أيامها		عليهتْ تردُّدُ في نهاء صعائِدِ

أورد جب ترجمة الأبيات على النحو التالي:

She, the white cow, shone there through the dark night luminous,
like a pearl of deep-seas, freed from the string of it,
Thus till morn, till day-dawn folded back night's canopy;
then she fled bewildered, sliding the feet of her...
Voices now she hears near, human tones, they startle her,
though to her eye naught is: Man! he, the bane of her!
Seeketh a safe issue, the forenoon through listening, now in

front, behind now, fearing her enemy.
And they failed, the archers. Loosed they then to deal with her fine-
trained hounds, the lop-eared, slender the sides of them.
These outran her lightly. Turned she swift her horns on
them, like twin spears of Sámhar, sharp-set the points of them.

ولم يكتف "جب" بإيراد ترجمة إنكليزية للأبيات التي أوردها في كتابه بل قام بتحليل الحركات الأدبية والظواهر الموجودة في عصر من العصور من وجهة نظريهما يوافق بالنقاد العرب وربما يختلف عن وجهات أنظارهم، ومن أمثلته ما قاله استناداً على قول ابن قتيبة في مسألة "الغزل والنسيب"، وكيف أنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من القصيدة الجاهلية:

The nasib itself has a function only in relation to the qaṣīda; as the philologist Ibn Qutaiba tells us, it is introduced only 'to incline the hearts of the poet's hearers towards him and to call out their rapt attention', and should thus have come into existence only with the new organization of the ode.

"النسيب في القصيدة العربية له وظيفة تكميلية ترتبط بالقصيدة ذاتها؛ إذ يرى ابن قتيبة أن دوره يكمن في استمالة قلوب المستمعين وجذب انتباههم. ويُفترض أن النسيب ظهر كجزء من البنية الجديدة للقصيدة."

لقد أوضح "جب" أن القصيدة العربية لم تبق مجرد تعبير تلقائي عن مشاعر الشاعر الفردية أو عن مواقفه القبلية، بل تحولت سريعاً إلى فن احترافي محكوم بقوانين ومعايير ثابتة، فالشعراء لم يعودوا ينشدون ارتجالاً في مواقف عابرة، بل خصصوا نتائجهم للمواسم والأسواق والمجالس أمام الملوك والزعماء. ومع هذا التحول أصبح الشعر مهنة لها جمهور وزبائن، وصارت مكانة الشاعر تقاس بقدرته على مراعاة أذواق قبيلته أو حاكمه، والوفاء بمتطلبات الفخر الجماعي أو تمجيد الراعي. وبهذا أخذت بنية القصيدة تتجه نحو النمطية والتقليد، إذ لم يعد بوسع الشاعر أن يبتكر موضوعات جديدة أو يخرج عن القوالب المألوفة دون أن يفقد صلته بجمهوره..وقد لخص جب هذا التحول بقوله:

This had a considerable effect in standardizing the structure of the "qaṣīda. To gain approval the poet had not only to play up to the tribal

sense of pride or to his patron's self-importance; he was obliged even more to keep within the range of themes which his audience understood, trying to touch their feelings and captivate them by an allusive and pictorial evocation of subjects with which they were "familiar and on which they were ready to back their judgement

"وقد كان لهذا أثر بالغ في تثبيت بنية القصيدة وجعلها على نسق واحد؛ فالشاعر لكي يحظى بالقبول لم يكن يكتفي بإرضاء شعور القبيلة بالفخر أو مجاملة راعيه وتعظيم مكانته، بل كان عليه بدرجة أكبر أن يظل ملتزماً بمجال الموضوعات التي يفهمها جمهوره. وكان يسعى إلى إثارة مشاعرهم وجذب انتباههم عبر تصوير إيحائي ووصفي لموضوعات يعرفونها حق المعرفة، ويستطيعون من خلالها أن يُظهروا تذوقهم ويحكموا على براعته" المؤاخذات على آراء جب:

وقد أصدر جب طائفة من الأحكام النقدية على عدد من تيارات الأدب العربي وإبداعاته وأعلامه، مثلما أساء أيضاً في عدد كبير منها، كما أن له تعليقات انطباعية دافئة على بعض النصوص والأدباء تشد القارئ وتحببه في الكتاب رغم كل ما فيه عيوب.

ومن هذه العيوب قلة عدد النصوص التي استشهد بها على ما قال، فبقي كلامه عن الأدب العربي في كثير من الأحيان نظرياً مجرداً لا يستند إلى شيء في الواقع ينير الطريق للقارئ ويهديه، مثال ذلك أنه طوال العصرين الإسلامي والأموي لم يستشهد بأي شعر على الإطلاق اللهم إلا أبياتاً قليلة لعمر بن أبي ربيعة ليست مع ذلك من أحسن شعره، كما كان يصدر أحياناً أحكاماً عامة يقلل فيها من شأن عصر بأكمله، متجاهلاً ما ضمّه ذلك العصر من أعلام أدبية وفكرية بارزة، والأمر يزداد تعقيداً عندما يعود بعد ذلك ليمجد عدداً من شخصيات هذا العصر ذاته وإبداعاتهم، متناسياً الحكم السلبي الذي سبق أن أصدره.

ومن الانتقادات التي وُجهت إلى جب وصفه للأدب العربي بأنه "أدب حضارة" وليس "أدب شعب"، مشيراً إلى أن هذا الأدب لم يكن للعرب وحدهم، بل للأمم متعددة دخلت الإسلام وتخلت عن لغاتها الأصلية، لتتبني اللغة العربية وتبدع بها، لكن هذا الرأي يغفل تماماً عن فترة ما قبل الإسلام في تاريخ الأدب العربي، ولم يكن حينئذ إسلام ولا أقوام غير عربية تستخدم اللغة العربية أو

تلتزم بتقاليد أديها؛ وبالتالي، يبدو أن حكم جب هنا كان متسرعاً وغير دقيق، إذ تعتبر تلك الفترة الأساس الذي انطلق منه الأدب العربي وتواصل تأثيره عبر القرون، وسيظل كذلك ما دام هناك من يكتب ويدع بالعربية.

ومن سلبيات هذا الكتاب أن موقف جب من القرآن وترتيبه من النقاط التي أثارت الجدل أيضاً، فهو كدأبه اعتمد على أسلوب المراوغة ولا يقول كل الحقيقة حين لا يذكر في موضوع جمع القرآن -وهو موضوع كبير متشعب- سوى أنه لم يتم جمعه في كتاب إلا بعد وفاة الرسول ﷺ، صحيح أن هذا هو ما حدث، لكنه ليس كل ما حدث، بل هناك حقائق وتفصيلات أخرى شديدة الأهمية ينبغي أن يعرفها القراء، ومن ثم فالتركيز عند الكلام عن تدوين القرآن على ما ذكره "جب" وتجاهل كل ما عداه وكأنه كل ما حدث إنما يمثل تشويهاً للحقيقة، إذ المعروف أن المسلمين كانوا يحفظون القرآن أولاً بأول بمجرد نزوله من السماء من ظهر قلوبهم، وكذلك كانوا يحفظون القرآن عن طريق الكتابة على المواد التي كانت متاحة في تلك الأيام من عظام ولخاف وأحجار وأوراق، وإن لم يجمع بين دفتين إلا بعد وفاته ﷺ، فإغفال "جب" لهذه الجوانب يُعد نوعاً من التعطيم على مسألة تدوين القرآن، الأمر الذي قد يوجي للقارئ غير المطلع أن جمع القرآن لم يتم إلا بعد وفاة النبي ﷺ.

خاتمة:

يُعتبر كتاب "مدخل إلى الأدب العربي" لهاملتون جب مرجعاً مهماً ومفيداً لدراسة الأدب العربي من منظور استشراقي، إذ ساهم بشكل كبير في تعريف القارئ الغربي بالأدب العربي وثقافته. ومع ذلك، يواجه الكتاب بعض الانتقادات حول دقة بعض آرائه، خاصة فيما يتعلق بالشعر الجاهلي، وترتيب القرآن الكريم، ودور النبي محمد ﷺ. وبالرغم من ذلك، يبقى الكتاب مصدراً مهماً لفهم الأدب العربي، إلا أن التفسيرات الغربية التي قدمها جب قد تتطلب دراسة نقدية أعمق تراعي خصوصية التراث العربي والإسلامي.

الاستشراق: تعريفه، نشأته، تطوره، وأهدافه

تعريف الاستشراق:

الإستشراق لغة :

الاستشراق في اللغة العربية على وزن استفعال يوجد فيه معنى طلب الفعل فالاستشراق إذن هو طلب الشرق والشرق كما ورد في لسان العرب: شرقت الشمس، تشرق شرقاً، طلعت، اسم الموضوع المشرق، وكان القياس المشرق، ولكنه أمر من هذا القبيل، وفي حديث ابن عباس نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس⁽¹⁾.

جاء في تاج العروس: "الشرق حين تشرق الشمس، وقيل الشرق: الضوء الذي يدخل في شق باب وشرقت الشمس شرقاً وشروقاً، أضاءت وانبسطت على الأرض"⁽²⁾
الاستشراق اصطلاحاً:

يعرّف حمدي زقزوق الاستشراق بأنه " الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام"⁽³⁾ نظراً للأهمية الكبيرة التي احتلها الاستشراق مكانة مرموقة في الأوساط العلمية والأدبية، توسع مفهومه وأصبح علماً مستقلاً، عرّف أحمد الإسكندري المستشرق بأنه "كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية، وتقصى آدابها طلباً لتعرف شأن أمة أو أمة شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها وديانيتها أو علومها وآدابها، أو غير ذلك من مقومات الأمم، والأصل في كلمة (استشرق) أنه صار شرقياً، كما يقال (استعرب) إذا صار عربياً"⁽⁴⁾

* محاضر ضيف، قسم اللغة العربية بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية

⁽¹⁾ لسان العرب، ابن منظور، بيروت: دارالصادر، 1410 هـ، 3: 173

⁽²⁾ تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق على بشيري، بيروت: دارالصادر، 1994 م. 13: 237.

⁽³⁾ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الطبعة الثانية: القاهرة: دار المنار، 1998 م، 24.

⁽⁴⁾ أحمد الإسكندري، أحمد أمين، المفصل في تاريخ الأدب العربي، القاهرة: المطبعة الأميرية، 1936 م، 2: 408.

المستشرق هو الذى يبحث فى علوم الشرقيين وآدابهم ولغاتهم وتراثهم وكل مايتعلق بهم، كلمة الاستشراق استعملت لأول مرة سنة 1630م حيث أطلقت على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أاليونانية، يقول أحمد الشرباصى "المستشرقون قوم من أوربا نسبوا أنفسهم إلى العلم والبحث وشغلوهما فى أغلب الأحيان بالبحث فى التاريخ والدين والاجتماع، ولكل منهم لغته الأصلية التى رضع لبنائها من أمه وأبيه ومجتمعه وبيئته، فصارت له "اللغة الأم" كما يعبرون فهو يغار عليها ويتأثر بها، ويستجيب لموحياتها، ولكنه مع ذلك تعلم اللغة العربية بجوار لغته الأصلية ليدرس حضارة الشرق وعلومه وآدابه"⁽¹⁾

وكذلك يتناول إسحق موسى الحسينى تعريف الاستشراق "أن لفظة "استشراق" ومشتقاتها مولدة استعملها المحدثون من ترجمة كلمة Orientalism ثم استعملوا من الاسم فعلا، فقالوا استشراق: وليس فى اللغات الأجنبية، فعل مرادف للفعل العربى، والمدققون يؤثرون استعمال "علماء المشرقيات" بدلا من مستشرقين ويؤثرون استعمال عربانى لدارسى العربية مقابلة للفظ Arabist ولكن لفظة استشراق ولفظة مستشرق قد شاعتا شيوعا كبيرا، ولا بأس من استعمالهما فى بحثنا هذا"⁽²⁾

وبلخص الباحث والمتخصص فى ميدان الاستشراق (أحمد سمائلو فيتش) أن خصائص الاستشراق تكمن فى النقاط التالية:

- 1- ظهرت بذوره الأولى قبل الاسلام فى كنف اليونان القدامى.
- 2- نشأ فى أحضان الحضارة الاسلامية بالأندلس فى القرن الثامن الميلادى.
- 3- ترعرع وتطور فى ظل الكنيسة وعاش فى حمايتها فى كل زمان حتى الآن .
- 4- لعب دورا كبيرا فى تأسيس النظرية الاستعمارية وأنشأ حركات مشوهة لخدمته.
- 5- ظهر عنه العديد من الدراسات والبحوث والاكتشافات والمواقف.
- 6- اهتم بكل ما فيه من المجالات المتعلقة بلغة الشرق وآدابه وعاداته وتقاليده.
- 7- أسس المدارس والأكاديميات وأنشأ الجمعيات والمجلات وعقد المؤتمرات.
- 8- بحث عن المخطوطات العربية فى مكتبات أوروبا وحقق عددا كبيرا منها ونقلها إلى المكتبات الغربية.

(1) أحمد الشرباصى، التصوف عند المستشرقين، القاهرة: مطبعة نور الأمل 1966م، 6.

(2) أحمد سمائلو فيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى النهاصر، القاهرة: دار الفكر العربى 1998م، 30، نقلا عن: الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه، إسحق موسى الحسينى،

9- قام بوضع الفهارس للكتب العربية المتواجدة في المكتبات الغربية ونظمها.
من العوامل التي ساعدت في أداء مهمته، امتاز أصحابه بمعرفتهم
لأكثر من لغة ودسعة ثقافتهم وتنوع مهاراتهم.⁽¹⁾
نشأة الاستشراق:

اختلف العلماء والباحثون في تحديد البدايات التاريخية للدراسات
الاستشراقية، يقول السباعي " لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني
بالدراسات الشرقية، ولا في أى وقت كان ذلك، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان
قصدا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن
والكتب العربية إلى لغاتهم، وتعلموا على علماء المسلمين في مختلف العلوم،
وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات".⁽²⁾

ويرى بعض أن بداية الاستشراق يعود إلى الراهب الفرنسي "جربرت
دى اورباك" الذي وفد إلى الأندلس في عصر الخليفة الحكم المستنصر (350-
366هـ/ 961-976م) وتلمذ على أيدي العلماء المسلمين الرياضيات والفلكيات
والكيمياء، حتى أصبح أوسع علماء عصره اطلاعا، وحينما عاد إلى وطنه يخیل
عامة فرنسا إذ ذاك أنه ساحر وبعد من أوائل المهتمين بالثقافة العربية،
والمضمون التجريبي للعلم، وقد تمكن فيما بعد بفضل مواهبه العقلية منصب
البابوية في روما باسم سلفستر الثاني (999-1003م) وكان له الدور البارز في
نشر العلوم العربية في أوروبا.⁽³⁾

ودشير الدكتور عبد المنعم الخفاجي إلى بداية الاستشراق "إنه بدأ
بقرار من مجمع فيينا الكنسي الذي دعا إلى إنشاء كراسي لدراسة اللغة العربية
والعبرية والسريانية في عدد من المدن الأوروبية، مثل باريس وأكسفورد وغيرها
في سنة 1245م....."⁽⁴⁾

ويقول جورجى زيدان عن بداية الاستشراق "بداية الاستشراق إلى
القرن العاشر الميلادي إذ أراد الإفرنج الاطلاع على ما في اللغة العربية من العلوم

(1) أحمد سميلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي الناصر، القاهرة: دار
الفكر الغربى 1998م، 40

(2) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دمشق: دار
الوراق، 1979م، 18.

(3) خليل ابراهيم السامرائى وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، بنغازي، دارالمدار
الاسلامى، 2004، 47.

(4) عبد المنعم الخفاجي، الأدب العربي الحديث ومدارسه، بيروت: دار الجيل 1992م، 322.

الطبيعية والفلسفية والطبية ونقلوا كثيرا منها إلى اللاتينية، ومن أوائل المترجمين أو الناقليين هو البابا سلفستر الثاني الذي عاش في القرن العاشر الميلادي، وتلاه هرمان المتوفى عام 1054م وجاء بعده قسطنطين الأفرقي وغيرهم⁽¹⁾

ومن المستشرقين فرودي بارت يؤكد أن بداية الدراسات الاستشرافية ترجع إلى القرن الثاني عشر، إذ تم فيه ترجمة القرآن إلى اللاتينية لأول مرة 1143م بتوجيه الأب فيزابل، وفي هذا القرن أيضا تم تأليف أول قاموس لاتيني عربي الاستشراق⁽²⁾ وإذا كانت الآراء والأقوال حول نشأة الاستشراق وتطوره لم تكن متفقة على نحو ما تناولنا يمكننا أن نقول أن الاستشراق قد ظهر في القرن العاشر الميلادي حيث كان النشاط العلمي للمسلمين في الأندلس مصدرا لظهور الاستشراق. مراحل الاستشراق:

بعد سرد الأقوال المختلفة عن نشأة الاستشراق وتطوره نحن نقسمه في عدة مراحل:
المرحلة الأولى:

يمكننا أن نقول لهذه المرحلة مرحلة التلمذة والاستفادة من الغرب إلى المشرق، واستمرت هذه المرحلة حتى الحروب الصليبية، ومن أبرز سماتها وخصائصها
الرحلات العلمية إلى الأندلس الإسلامية:
وهذه الرحلات العلمية تشتمل على نوعين: شخصية ورسمية
أولا: الرحلات الشخصية:

البعثات الأوروبية الشخصية التي وصلت إلى مراكز الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، لأن العرب المسلمين فقد حملوا في الأندلس مشعل العلم والحضارة، وجميع مراكز التعليم في أوروبا قد اعتمدت على قرطبة واشبيلية وطليطلة وغرناطة ... حيث كان الطلاب يفدون إليها ويقضون السنوات الطوال في الدراسة والتتبع، والاطلاع على مؤلفات العرب فيها، وكان في مقدمة هؤلاء الراهب الفرنسي (جبريت دي اورياك) الذي وصل إلى الأندلس في عصر الخليفة

(1) جورج زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مصر: مطبعة الهلال، 1914م: 4: 157.

(2) انظر: رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، (ترجمة: مصطفى ماهر) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 2011م، 14.

الحكم المستنصر (350-366 هـ / 961 - 976 م)، وتلمذ على أيدي العلماء المسلمين الرياضيات والفلك والكيمياء، وحينما عاد إلى وطنه بعد تثقف الثقافة العربية يتخيل الشعب الغرسي أنه ساحر.⁽¹⁾ فقد يعد من أوائل المهتمين بالثقافة العربية، وقد جلس بفضل مواهبه العقلية ان عرش البابوية في روما تحت اسم سيلفستر الثاني (390 - 394 هـ / 999 - 1003 م) وكان له المساهمة الجبارة في نشر العلوم العربية في أوروبا⁽²⁾

كما وجدت نسخة لاتينية من زمن ابقراط كانت تستخدم في التدريس في مدينة شارتر بفرنسا عام 382 هـ / 991 م فيظهر منه أن الثقافة العربية قد وصلت إلى فرنسا في زمن ميكر، لان هذه النسخة كانت عن أصل عربي، فترجمت من العربية إلى اللاتينية، لان الغرب اللاتيني كان في ظلمات الجهل في هذا العصر لأعمال اليونان القدماء⁽³⁾

ثانيا: الرحلات الرسمية:

وفدت إلى الأندلس بعثات رسمية من قبل حكومات بعض الدول الأوروبية، وأخذت هذه البعثات تفد إل لأندلس متتالية وتزايد سنة بعد أخرى ، حتى بلغت سنة 312 هـ / 924 م في عهد الخليفة الناصر حوالي سبعمائة طالب وطالبة⁽⁴⁾ وكانت إحدى هذه البعثات من ألمانيا، ففي سنة 313 هـ / 925 م أرسل ملك ألمانيا اوتو الكبير ،الراهب (جون) إلى قرطبة مبعوثاً إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر ومكث فيها ثلاث سنوات، تثقف بالعلوم والثقافة العربية، وحمل معه المخطوطات العلمية العربية⁽⁵⁾ وتوجهت بعثة من فرنسا برئاسة الأميرة (إليزابيث ابنة خال الملك لويس السادس ملك فرنسا، وبعث فيليب ملك بافاريا إلى الخليفة هشام المؤيد (366 - 399 هـ / 976-1009 م) برسالة يطلب منه ان يأذن له بإرسال بعثة من بلاده إلى الأندلس للاطلاع على مظاهر التقدم الحضاري فيها والاستفادة منها ، فوافق الخليفة هشام ، وجاءت بعثة

(1) جلال مظهر، حضارة الإسلام واثرها في الترقى العالمي القاهرة: مكتبة الخانجي، 1974م،

497..

(2) عبد الرحمن الحجي، الحضارة الاسلامية في الاندلس، (بيروت، دار الرشاد، 1969م، 49 -

50،

(3) جلال مظهر، حضارة الإسلام، 501، 502..

(4) خليل السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، 477..

(5) محمود الحاج قاسم، انتقال الطب العربي الى الغرب، دمشق، دار النفائس، 1999، 2.

هذه الملك برئاسة وزيره المدعو (ويلمين) الذي يسميه العرب وليم الأمين⁽¹⁾ وقد تشتمل هذه البعثة على (215) طالباً وطالبة وانتشروا في جميع معاهد الأندلس لينهلوا من مواردها الثقافية ، وتذكر الروايات بان ثمانية أشخاص من هذه البعثة دخلوا الإسلام ومكثوا في الأندلس ولم يعودوا إلى بلادهم ، ومن ضمن هؤلاء الثمانية ثلاث فتيات تزوجن بمشاهير من رجال الأندلس في ذلك الوقت ، وأنجن عدداً من العلماء كان منهم عباس بن مرداس الفلكي⁽²⁾ وتهج الحكام الآخرون من أوروبا على هذا النهج ، فقد أرسل ملك ويلز بعثة برئاسة ابنة اخيه كانت تضم ثمانية عشرة فتاة من بنات الأشراف والأعيان ، وقد وصلت هذه البعثة إلى مدينة اشبيلية برفقة النبيل (سفيلك) رئيس موظفي القصر في ويلز الذي حمل رسالة من ملكه إلى الخليفة هشام المعتد بالله (422 هـ/ 1030 م). وقد كتب عن هدف هذه البعثة في رسالته: "فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة فأردنا ولأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من أربعة أركان"⁽³⁾ وقد استقبل خليفة الأندلس البعثة أحسن استقبال ، ورد على رسالة ملك ويلز، وقد اهتمت باعتناء هذه البعثة الدولة العربية التي قررت على إنفاق هذه البعثة من بيت مال المسلمين⁽⁴⁾

ب: العلاقات الدبلوماسية:

إن الدول الأوروبية سعت إلى توطيد العلاقات مع الدول العربية الإسلامية في الأندلس لاسيما في عصر الدول الأموية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي اجتمعت في شخصيته مواهب جعلته حاكماً ناجحاً ، وسياسياً مرناً، وقائداً شجاعاً، وهو خلق نظاماً قوياً ومتيناً داخل الأندلس، وسياسته أعجبت الشخصيات المعاصرة له والذين سعوا إلى صداقته وإقامة علاقات ودية معه⁽⁵⁾ والدولة البيزنطية كانت في مقدمة الدول التي سعت

(1). السامرائي، دراسات في تاريخ الفكر العربي، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، 1986م

386

(2) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، 477-478.

(3) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، 478.

(4) السامرائي، دراسات في تاريخ الفكر العربي، 386-387.

(5) إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانيا، بيروت: 1978م، 307...

إلى توثيق العلاقات مع الأندلس ، وقد عاصر الخليفة الناصر الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع له اهتمام بالغ بالعلوم والآداب وكتب الأقدمين، وقد وصلت سفارتين من الدول البيزنطية إلى الأندلس كانت الأولى سنة 336 هـ/ 947 م، وسفارة ثانية سنة 338 هـ/ 949 م للإمبراطورية البيزنطية⁽¹⁾ استقبلت بمثل حفاوة ما استقبلت السفارة الأولى⁽²⁾.

ومن نتائج هذه السفارات دخول المؤلفات المهمة إلى الأندلس ككتاب الحشائش في الطب والصيدلة لديسقوريدس، وكتاب هروشيئش في التاريخ الذي يحوي أخبار الروم في العصور القديمة، وقد استعانت الخلافة الأندلسية بالدول البيزنطية من أجل ترجمة هذين الكتابين⁽³⁾ وسعت الدولة الرومانية إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، فقد وصلت سفارة من قبل الإمبراطور الألماني أوتو الكبير إلى الأندلس سنة 342 هـ/ 953 م، وكانت برئاسة الراهب جان دي جوزز، وهو أحد علماء عصره في البحث والمناظرة⁽⁴⁾.

ج: حركة الترجمة:

بدأت حركة الترجمة في منتصف القرن الخامس الهجري/ منتصف القرن الحادي عشر الميلادي ، وقد مر هذا الدور بمرحلتين الأولى تمت فيها ترجمة العلوم العربية المنقولة عن العلوم اليونانية ، والمرحلة الثانية ترجمة العلوم العربية الإسلامية، كانت أوروبا لا تمتلك من العلم اليوناني إلا القليل تمثل بمختصرات هزيلة، لذا بقيت الدراسة في أوروبا محصورة في فئة قليلة من الرهبان ، ولم تتقدم ولم تزدهر إلا بعد تثقفها من العلوم العربية ولاسيما من علوم اليونان التي ترجمها العرب المسلمون في عصر ازدهار حضارتهم⁽⁵⁾. قامت حركة الترجمة في مدينة طليطلة عام 478 هـ/ 1085 م فقد امتازت هذه المدينة بكثرة مكتباتها ، والتي احتضنت آلاف من المجلدات التي وصلت إليها من المشرق ، وقد تم القيام بتخطيط برنامج شامل للترجمة عن

⁽¹⁾ المقري، نفح الطيب، تحقيق: احسان عباس بيروت: 1968 م 1: 364.

⁽²⁾ ابن عذاري، البيان المغرب، تحقيق: ج.س. كولان وليفي بروفنسال بيروت: دار الثقافة، 1980 م، 2: 215..

⁽³⁾ أحمد بدر، تاريخ الأندلس، (عصر الخلافة) دمشق: 1974 م، 139.

⁽⁴⁾ عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس، القاهرة: 1960 م، 2: 457.

⁽⁵⁾ عبد الرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، بيروت: 1979 م، 7..

طريق تأسيس معهد لترجمة الأعمال العربية إلى اللاتينية ، ويرأسه كبير الشامسة المشهور ب(دومينيكيوس غونديسينوس) وفي المصادر العربية ب(دومنغو غنصالفة) والذي يعد من أشهر رجال الترجمة في العصور الوسطى من العربية إلى اللاتينية عن طريق الأسبانية العامية، فقد كانت الطريقة في الترجمة أن يقوم يهودي مستعرب أبراهام بن غزرا بترجمة النص العربي شفويًا إلى اللغة الأسبانية العامية ثم يترجم غنصالفة إلى اللاتينية، ومن بين ما ترجمه غنصالفة من مؤلفات الفارابي، وابن سينا، والغزالي⁽¹⁾.

المرحلة الثانية:

كانت الحروب الصليبية سببا في تحول الغرب إلى دراسة الحياة الإسلامية، حيث أن المسلمين يمتازون بخصائص تستحق الدراسة والبحث والتقدير، ومهما يكن من أمر هذه الحروب وعلاقتها بأوروبا وأنها قد لعبت دورا كبيرا في انتشار الاستشراق على أوسع النطاق، يقول على حسني الخربوطلي "أدى قيام الحروب الصليبية إلى ازدياد روح التعصب الديني، وانعكست هذه الروح على الاستشراق فقد بدأ الجاحدون للإسلام من الأوروبيين يتعلمون اللغة العربية، لا حبا فيها ولكن ليتخذوها وسيلة إلى فهم القرآن، وسلاحا في مناقشته وقد أدركوا حينئذ أن المناقشة عن علم، أجدى وأقوى من المناقشة بغير سلاح ولا عدة"⁽²⁾.

أحسن الغرب خلال حروبه الصليبية مع الشرق أنه يتفوق عليه فكريا وحضاريا واقتصاديا، وأراد أن يتقدم ويتحرر ويتفوق على الشرق فأنشأ المدارس والمعاهد والمراكز على نهج الشرق، وبدأ الغرب يهتم باللغة العربية اهتماما بارزا حتى اهتم فريدريك الثاني ملك صقلية في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، والفونس ملك قشتالة في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، وكان هذا تقدما جديدا في الاستشراق حيث أن الكتب العربية قد تم ترجمتها إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية الأخرى، وتدرس فلسفة العرب في الجامعات والمدارس الغربية، ويعد هذا الاتجاه مرحلة جديدة في الدراسات الغربية وهي مرحلة ظهور الاستشراق بالمعنى الحديث حيث أن أوروبا قد تقدمت تقدما بارزا في ميدان العلم والحضارة، وأخذت تنشر الثقافة العربية في الأقطار

(1) جلال مطهر، حضارة الاسلام، 523.

(2) علي حسني الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م، 34-35.

الأوروبية، وقرار مؤتمر فيينا حول دراسة اللغة العربية وآدابها في الجامعات والمدارس الأوروبية قد لعب دورا بارزا في تطور الاستشراق واتجاهاته.
المرحلة الثالثة:

ازدهر الاستشراق في القرن السادس عشر حيث بدأت الطباعة العربية بنشاط فتحركت الدوائر العلمية وأخذت تصدر كتباً كثيرة من المؤلفات الطبية والفلسفية لابن سينا، وكتباً في النحو والجغرافيا والرياضيات وغيرهما من العلوم العربية وآدابها، وانتشرت المدارس والجامعات لتدريس اللغة العربية في أوروبا، ولتلك المدارس والكراسي العربية في الجامعات دور كبير في تطور الاستشراق. يقول أحمد سمائلو فتش " مما أدى إلى انطلاق حركة الاستشراق وازدياد أهميته للعالمين معا وقد تميزت هذه الفترة عن سابقتها بأنها كانت تتناول جمع القواميس وكتب النحو العربية ونشر المخطوطات العربية وطبعها قبل أن تطبع في الشرق كما تناولت البحث والتنقيب في تاريخ العرب وأدبهم وما إلى هنالك من الأعمال المماثلة وبدأت هذه الحركة تأخذ صورة عملية ملموسة في القرن السابع عشر"⁽¹⁾.

توسع أوروبا بعد إنشاء كراسي للعربية في الجامعات الأوروبية في الشرق الأقصى ولا سيما بالهند، وأقبل الطلاب في إنجلترا وفرنسا والهند على النصوص السنسكريتية ومصادرها فاضطر مديرو الجامعات إلى إنشاء الأقسام للعلوم الشرقية، واتسع أثر ذلك إلى ألمانيا وإلى عواصم العالم فاتصل الشرق الأدنى بأوروبا في الثقافة والسياسة والاقتصاد اتصالاً وثيقاً لم يعرف من قبل ويظهر منه أن اللغة العربية أصل لكل ثقافة إسلامية في أي لغة من اللغات، وتوجهت الدول الأوروبية إلى الشرق الأقصى وبدأت تحصر حول العالم العربي وأخذ التنافس بينهما حيث أرادت كل منها أن تسبق الأخرى في استعمار شعوب آسيا وإفريقيا، ولم تستطع السيطرة عليه فأخذت تبعث الوفود إلى العالم العربي لكي تتعرف على أوضاع الشعب العربي فنجح كثير من الرحالة في أهدافهم وأغراضهم، يقول محمود المسرة "إذا كان البرتغاليون قد استطاعوا أن يسيطروا على شواطئ شبه جزيرة العرب الجنوبية فإنهم فشلوا في النفوذ إلى الداخل وارتدت سفنهم مدحورة أمام عدن وجدة، وكانت غايتهم من السيطرة على الداخل أن يؤمنوا الطريق إلى الهند كما كانوا يحملون بالأسلحة على جثمان البي الكريم في المدينة ليطلبوا تسليمهم كنيسة القيامة فدية له، ولما لم

⁽¹⁾ أحمد سمائلو فتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر 79.

تستطع البرتغال النفوذ إلى الداخل أخذوا يرسلون رجالهم ليعودوا لهم بالمعلومات الصحيحة عن هذه البلاد"⁽¹⁾.
دوافع الاستشراق وأهدافه:

لقد كان للحركة الاستشراقية دوافع شتى، وأهداف عديدة، وخاصة ما يتعلق منها بالدراسات الإسلامية. لا بد من فهم دوافعه وأسباب ظهوره وتشكله في أعماق الشرق العربي الإسلامي، وتنوعت هذه الدوافع بحسب رغبات المستشرقين وميولهم، فمنها الدينية والعلمية، والاقتصادية والاستعمارية، والأخرى.

الدوافع والأهداف الدينية:

إن الدوافع الدينية أدت دوراً أساسياً في نشأة الاستشراق وتوجهاته وقد أكد كثير من الباحثين والمهتمين بدراسة الاستشراق على أن هذا الباعث الديني يأتي في طليعتها، والذي نشأ على أثر شعور المسيحيين بخطر انتشار الإسلام بشكل واسع، وهذا الشعور قد ازداد بعد فشل الحملات العسكرية الصليبية ضد الإسلام، يقول مصطفى السباعي "لا تحتاج إلى استنتاج وجهه في البحث لتعرف إلى الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني، فقد بدأ بالرهبان، واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر، وهؤلاء كان يهتمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام- وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين- دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكوا دماء، يحتمهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقى"⁽²⁾.

الدوافع والأهداف الاستعمارية:

فقد اتجه الغرب إلى الاستشراق لخدمة الهدف الإستعماري للعالم الإسلامي، فالمستشرقون ينقلون المعلومات عن العالم الإسلامي مثل جغرافيته ومكامن قوته ونقاط ضعفه وعن شعوبه، وأديانه، ولغاته.. وإلى غيره، يقول مصطفى السباعي "لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية، لم ييأس الغربيون من

⁽¹⁾ محمود المسرة، غربيون في بلادنا، بيروت: المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، 1969م، 11.

⁽²⁾ مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، 18.

العودة إلى احتلال بلاد العرب فبلاد الإسلام، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى مواطن الضعف فيغتلبوها⁽¹⁾.

يقول محمد السيد الجليند "قد مهد السبيل للاستعمار لكي يحتل بلاد المسلمين بأيسر السبل وأقصرها معا، فلم يكد ينتهي القرن التاسع عشر الميلادي إلا وقد احتل الغرب معظم البلاد الإسلامية والعربية بصفة خاصة، فوضعت فرنسا يدها على سوريا ولبنان ومعظم دول شمال إفريقيا الإسلامية، ووضعت إنجلترا يدها على مصر والسودان والعراق والأردن وفلسطين، وكثير من إمارات الخليج العربي واليمن، وبدأ الاستعمار يتعامل بأسلوب جديد مع شوب هذه المناطق، حيث عمل على إضعاف المقاومة في نفوس المسلمين ليجعل منهم شعوبا قابلة للاستعمار فكرا وثقافة وحضارة وعقيدة."⁽²⁾

الدوافع والأهداف الاقتصادية:

يعد هذا الدافع من الدوافع الرئيسية في العلاقات بين الشرق والغرب، والشرق له أهمية كبيرة في الاقتصاد بالنسبة للاقتصاد الأوروبي، وبهذا السبب حاول الغرب السيطرة على العالم العربي والإسلامي، فاعتنى الغرب بدراسة علوم العالم الإسلامي للوصول إلى أصول قوة الشرق والسيطرة عليها، "التي حرصت كثيرا من الغربيين على الدراسات الاستشراقية، رغبة بغزو البلاد الإسلامية غزوا والقصاديا، يهدفون منه إلى الاستيلاء على الثروات الأرضية، واستغلال الموارد الطبيعية، والحصول عليها بأبخس الأثمان، وإماتة الصناعات المحلية، لتكون بلد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الآلية الغربية" وضمن هذا الدافع وجهت المؤسسات الاقتصادية الغربية من يهتمون بالدراسات الاستشراقية ليكونوا وسطاءهم ورسلمهم ومستشاريهم والمترجمين في مهماتهم ومطالبهم الاقتصادية⁽³⁾.

الأهداف السياسية:

الاتصال برجال الفكر والسياسة والصحافة، وإقامة علاقة مودة وصداقة معهم

(1) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعلمهم ، 21-22.

(2) محمد السيد الجليند، الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، القاهرة: دار قباء، 1999م، 20-21.

(3) عبد الرحمن حسن حنيفة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، 130.

استخدامهم في بث الاتجاهات السياسية الفكرية في الدول الاستعمارية
الاتصال بالعملاء والأجراء الذين تثقفوا في معاهد الغرب، واستخدامهم في
خدمة الغرب

إحداث الفتن والثورات والتقلبات السياسية في العالم الإسلامي
الدوافع والأهداف العلمية:

كانت أوروبا تعيش في العصور الوسطى حياة مظلمة بائسة تحت ظل
كنيسة مستبدة، فكان أبرز حدث في تلك الفترة هو اتصال أوروبا بالحضارة
الإسلامية في الأندلس، والتي انهل من مناهلها العلمية، وكانت هذه الصلة هي
أساس النهضة الأوروبية المادية الحديثة، فالقليل من المستشرقين أقبلوا علي
الاستشراق بدافع حب الاطلاع علي حضارة الأمم الإسلامية ودينها وثقافتها
ولغاتها، وقد أنصفوا في كتاباتهم وذكروا فضل العرب عل أوروبا، وكرسوا
أقلامهم بتقل الحقيقة فجاءت مؤلفاتهم حقا ذات كتبع علمي، يقول مصطفى
السباعي إن هذه الفئة المدفوعة بدافع العلم ولو كانت فئة قليلة إلا أنها
اتخذت المنهج العلمي السليم في أبحاثها وكانت بعيدة عن التحريف،⁽¹⁾

والكثير من المستشرقين الذين أثبتوا الزيف والافتراء وانصبوا أحقادهم
على الإسلام، وهم الذين بذلوا جهودهم في الدراسات الاستشراقية بالمال
والوقت، لم يكونوا في الحقيقة نابعين عن حب خالص للعلم، ولم تكن لهم
رغبة في المحافظة على التراث الإسلامي إن الهدف لدراسة الاستشراق الفهم
نفسية الشعوب الإسلامية والعربية من جوانب القوة والضعف حتي يستطيعوا
أن يخططوا-على أساليب علمية- لسيطرة على الشعوب العربية والإسلامية،
يقول "نحن لا نبالغ فيما نذهب إليه، فمعظم ما اصطفاه المستشرقون من
التراث الإسلامي والعربي، إنما يعكس الاضطراب الفكري والسياسي بين
المسلمين، لقد اهتم الاستشراق في مجالات النثر والتحقيق بالجوانب السلبية في
تراثنا أكثر من اهتمامه بالإيجابية، بالإضافة إلى أن منهج التحقيق لم يكن
علميا خالصا، فهناك أخطاء وتحريف النصوص، وتعليقات تعكس مدى
التعصب عند المستشرقين، وتفضح حقيقة النوايا والدوافع من وراء هذه
الأعمال"⁽²⁾

(1) انظر: مصطفى السباعي، المستشرقون ما لهم وما عليهم، 31-33

(2) إسماعيل عبد الفتاح مصطفى، الاستشراق بين النشأة والأهداف، 46.

المستشرقون وخدمة التراث العربي

تُعدُّ الدراساتُ الاستشراقيةُ من أبرزِ المصادر التي اعتمد عليها كثيرٌ من الغربيين في التعرفِ إلى الثقافة الإسلامية، بل تجاوز تأثيرها المجالَ الثقافي ليبلغ ميدانَ السياساتِ الموجَّهة نحو أمم الشرق. ومن ثَمَّ، بات من الضروري أن يُعنى الباحثون المسلمون بدراسة هذا المجال وتمحيصه وتصحيح مساره. ومن أبرز العيوب التي قد يقع فيها الباحثُ الإفراطُ في المدح أو المبالغة في الذم، وهو ما يفسّر النظرةَ السلبيةَ المفرطة لدى بعضهم تجاه كل ما يصدر عن المستشرقين من دراسات. ولا ريب أن كثيراً من تلك الدراسات يفتقر إلى الموضوعية والإنصاف، ويحمل في طياته شيئاً من التحامل على الثقافة الإسلامية، غير أن ذلك لا يبرّر التعميم في الحكم، إذ إن من بين المستشرقين من تحلّى بالجدية والحياد في أبحاثه. وقد رغبتُ في هذه المقالة أن أبرز جانباً من إسهامات المستشرقين في خدمة التراث العربي.

المبحث الأول: الاستشراق في خدمة التراث العربي

يمكن أن يتم إبراز جهود المستشرقين في خدمة العربية عبر نقاط:

- 1- التدريس الجامعي وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
- 2- جمع المخطوطات منذ حملة نابليون سنة 1798م ومروراً ببعثات ملك بروسيا (فريدريش) سنة 1842م وسنة 1852م إلى البعثات الشخصية. ومن أهم الإنجازات المذهلة ما قام به ألوارد من وضع فهرس في عشرة مجلدات لمكتبة برلين للمخطوطات العربية وعددها 10000 مخطوط.
- 3- التحقيق والنشر، فقد نشر المستشرقون مئات المخطوطات العربية في بداية عصر الطباعة مثل سيرة ابن هشام والإتقان للسيوطي وكتاب سيبويه والاشتقاق ومعجم الأدباء والكامل للمبرد والجمهرة وغيرها.
- 4- الترجمة، فقد ترجموا العديد من الكتب العربية كتاريخ الطبري وكثير من الدواوين والإحياء للغزالي وترجموا معاني القرآن إلى جميع اللغات الأوروبية

¹ أستاذ ضيف لقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولانا آزاد الوطنية العربية

الحية.

5- التأليف¹، فقد بلغ ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف قرن (منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين) ستين ألف كتاب². ومن أعظم ما أضافه المستشرقون للثقافة العربية والإسلامية هذه المشاريع المشكورة:

تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان 1956م.

دائرة المعارف الإسلامية: ظهرت الطبعة الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية وقد صدرت في الفترة 1913-1938م، غير أن الطبعة الجديدة قد ظهرت بالإنجليزية والفرنسية فقط من عام 1945م وحتى عام 1977م. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف والذي يشمل الكتب الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل وقد وضع في سبعة مجلدات نشرت ابتداء من عام 1936م إلى سنة 1961م. إضافة إلى قواميس الترجمة من وإلى اللغة العربية وشملت جميع اللغات الحية.

المبحث الثاني: بعض الميزات الإيجابية في أعمال المستشرقين³

لاشك أن للاستشراق ميزات عدة نقف عندها وتذكر لتشكر، وحتى نستفيد من حسناتهم التي تميزوا بها. فمن ما تميزوا به:

1- أشار الشيخ مصطفى عبدالرازق إلى الإعجاب بصبرهم ونشاطهم وسعة اطلاعهم.

2- ترابطهم وتعاونهم عن طريق المؤتمرات والمراسلات والدوريات.

3- الحرص على الاطلاع على لغات قديمة ولو كانت بائدة، إضافة إلى اللغات الحديثة.

4- الاستقصاء في البحث عن الأجزاء الدقيقة للموضوع المبحوث، ولو كان في ذلك صرف العمر كله.

¹ أضاف الدكتور النملة في كتاب الاستشراق ملحق يحوي عرضاً بيولوجرافياً لما كتب عن المستشرقين وما أضافوه في خدمة اللغة والتراث يبدأ من صفحة 319.

² الاستشراق لإدوارد سعيد / 216.

³ الموسوعة العربية العالمية 1/ 679.

5- أن من المعلوم عنهم الفرح بالتنبيه على الخطأ إذا وقع منهم في كتاب أو بحث، فلا تأخذهم العزة بالإثم¹.

المبحث الثالث: بعض المستشرقين الذين تركوا بصمات واضحة في خدمة التراث العربي²

يبلغ عدد المستشرقين المئات وقد يدخلون في الألوف، إلا أن معرفة بعض من لهم أثر في خدمة التراث العربي تعطي انطبعا عن الباقيين. فمن أعلام المستشرقين الذين تركوا بصمات واضحة في خدمة التراث العربي وخصوصا العلوم العربية:

1- ديفيد صموئيل مرجليوث 1885-1940م

وهو إنجليزي ، متعصب ، من مدرسته طه حسين وأحمد أمين ، وله كتاب التطورات المبكرة في الإسلام صدر 1913م، وله محمد ومطلع الإسلام صدر 1905م وله الجامعة الإسلامية صدر 1912م .

بدأ حياته العلمية بدراسة اليونانية واللاتينية ثم اهتم بدراسة اللغات السامية فتعلم العربية ومن أشهر مؤلفاته ماكتبه في السيرة النبوية وكتابه عن الإسلام وكتابه عن العلاقات بين العرب واليهود. ولكن هذه الكتابات اتسمت بالتعصب والتحيز والبعد الشديد عن الموضوعية كما وصفها عبد الرحمن بدوي. ولكن يحسب له اهتمامه بالتراث العربي كنشره لكتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي، ورسائل أبي العلاء المعري وغير ذلك من الأبحاث.

2- آرثر جون آربري (1905-1969).

ولد في 12 مايو 1905 في مدينة بورتسموث بجنوب بريطانيا، التحق بجامعة كامبريدج لدراسة اللغات الكلاسيكية اللاتينية واليونانية. وشجعه أحد أساتذته (منس) على دراسة العربية والفارسية. ارتحل إلى مصر لمواصلة دراسته للغة العربية. عاد إلى مصر ليعمل في كلية الآداب رئيساً لقسم الدراسات القديمة (اليونانية واللاتينية) وزار فلسطين وسوريا ولبنان.

¹ الإسلام والاستشراق /19.

² من البحث الجليل للدكتور مازن مطبقاني والمعنون بالاستشراق وهو موجود على موقعه شبكة الانترنت.

اهتم بالأدب العربي فترجم مسرحية مجنون ليلى لأحمد شوقي كما حقق كتاب (التعرف إلى أهل التصوف). واصل اهتمامه بالتصوف وذلك بنشره كتاب (المواقف والمخاطبات) للنفري وترجمه إلى الإنجليزية.

عمل آربري مع وزارة الحرب البريطانية في أثناء الحرب العالمية الثانية مهتماً بشؤون الإعلام والرقابة البريدية. وأصدر كتابه (المستشرقون البريطانيون)(1943) تولى منصب أستاذ كرسي اللغة العربية في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، ثم انتقل لجامعة كمبردج ليحتل منصب أستاذ كرسي اللغة العربية في هذه الجامعة.

ولعل من أبرز جهود آربري ترجمته لمعاني القرآن الكريم حيث أصدر أولاً مختارات من بعض آيات القرآن الكريم مع مقدمة طويلة ثم أكمل الترجمة وأصدرها عام 1955.

3-جورج ولهم فرايتاج (1788-1861)

بدأ دراسة اللغة العربية في ألمانيا ثم التحق بمدرسة الدراسات الشرقية الحية في باريس على يدي المستشرق الفرنسي المشهور سيلفستر دي ساسي. عين أستاذاً للغات الشرقية بجامعة بون ومن أهم إنتاجه القاموس العربي اللاتيني في أربعة أجزاء. كما اهتم بالشعر العربي وبخاصة المعلقات وحقق ونشر بعض الشعر الإسلامي. شارك في نشر كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي.

4-غوستاف فلوجل (1802-1870)

تعلم اللغة العربية في جامعة ليزيغ وفي جامعة فيينا ثم التحق بمدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس على يدي دي ساسي. ومن أهم أعمال فلوجل وضع (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) كما اهتم بالتراث الإسلامي في مجال الفلسفة والنحو العربي.

5-ثيودور نولدكه (1836-1930)

ولد في هامبرج في 2 مارس 1836 ودرس فيها اللغة العربية ودرس في جامعة ليزيغ وفيينا وليدن وبرلين . عين أستاذاً للغات الإسلامية والتاريخ الإسلامي في جامعة توبنجن، وعمل أيضاً في جامعة ستراسبورج. اهتم بالشعر الجاهلي بقواعد اللغة العربية وأصدر كتاباً بعنوان (مختارات من الشعر

العربي) من أهم مؤلفاته كتابه (تاريخ القرآن) نشره عام 1860 وهو رسالته للدكتوراه وفيه تناول ترتيب سور القرآن الكريم وحاول أن يجعل لها ترتيباً ابتدعه. ذكر عبد الرحمن بدوي أن نولدكه يعد شيخ المستشرقين الألمان.

6-كارل بروكلمان (1868-1956)

ولد في 17 سبتمبر 1868 في مدينة روستوك ، بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية ، ودرس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) ودرس على يدي المستشرق نولدكه. اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي وله في هذا المجال كتاب مشهور (تاريخ الشعوب الإسلامية) ولكنه مليء بالمغالطات والافتراءات على الإسلام. ومن أشهر مؤلفاته كتاب (تاريخ الأدب العربي) الذي ترجم في ستة مجلدات وفيه رصد لما كتب في اللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات ووصفها ومكان وجودها.

7-هيلموت ريتز (1892-1971)

ولد في 27 فبراير 1892، درس على المستشرق الألماني هينريتش بيكر ، عمل في الجيش الألماني ، عاش في اسطنبول بتركيا في الفترة من 1927-1949 مما أتاح له الفرصة للاطلاع على ما في مكتبات تركيا من كنوز المخطوطات الإسلامية . وله تحقيقات مهمة من أبرزها ما يأتي:

1. مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري.
2. الوافي بالوفيات .
3. فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختي.
4. أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني.
5. أسس المكتبة الإسلامية بألمانيا عام 1918م للعناية بحفظ ونشر المخطوطات الإسلامية.

وقد حققت أكثر الكتب التي أخرجها المستشرقون تحقيقات جديدة، وتميزت التحقيقات الجديدة بالإفادة من عمل المستشرقين وزيادة التحقيق فيما أشكل، والمؤمن يستفيد كم كل الجهود، مع عين نقادة وعقل بصير، نبراسه:" ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ."

قائمة المراجع والمصادر:

- الاستشراق: المعرفة-السلطة-الإنشاء، تأليف: إدوارد سعيد-ترجمة: كمال أبو ديب-مؤسسة الأبحاث العربية-بيروت-الطبعة الرابعة 1995م.
- الاستشراق في الأدبيات العربية-د. علي النملة- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية-الطبعة الأولى- 1414هـ
- الموسوعة العربية العالمية-مؤسسة أعمال الموسوعة- الطبعة الأولى 1416هـ.
- الاستشراق- بحث- د. مازن مطبقاني- منشور في موقع مركز المدينة للاستشراق.
- الإسلام والاستشراق-محمود حمدي زقزوق- مكتبة وهبة- القاهرة- الطبعة الأولى 1404هـ

الأستاذ سيلفستر دوساسي وإسهاماته في الأدب العربي

المدخل:

ينتهي أنطوان إسحاق "سيلفستر دو ساسي (Isaac Antoine) (1758-1838) إلى الجيل الأول من المستشرقين الفرنسيين الذين أسهموا في وضع الأسس الأولى لمدرسة الاستشراق الفرنسية، ورسم ملامحها الرئيسية. وتبرز أهمية تجربته في ارتباطها الوثيق بالسياق التاريخي والحضاري لفرنسا في تلك المرحلة؛ سواء من حيث التحولات السياسية والفكرية التي شهدتها البلاد، وانعكست على سياساتها الخارجية تجاه الشرق والعالم العربي، أو من حيث تطور النظام التعليمي الفرنسي.

يعد سلفستردو ساسي من أبرز المستشرقين الأوروبيين الذين ساهموا مساهمة فعالة في دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية في الغرب. وقد تميزت أعماله بالعلمية والدقة. لقبه الشيخ البدوي بـ "شيخ المستشرقين الفرنسيين". عمل في معهد اللغات والحضارات الشرقية في باريس، ويُعدّ أستاذ الأساتذة في اللغات الشرقية، خاصة اللغة العربية، وترك إرثاً أكاديمياً عظيماً. كان له تأثير بالغ في مسار الاستشراق الفرنسي والأوروبي.

يمتد الاهتمام بالدراسات العربية والإسلامية في فرنسا إلى عصور سابقة للثورة الفرنسية، مما يدل على رسوخ تقاليد الاستشراق في الفكر الفرنسي منذ زمن بعيد. غير أنّ هذه الدراسات شهدت ازدهاراً ملحوظاً في فترة تاريخية كانت من أكثر المراحل تقلباً وتوتراً في تاريخ فرنسا. فقد عاصر "سيلفستر دو ساسي" هذه التحولات الكبرى، حيث شهد الثورة الفرنسية، ثم قيام الإمبراطورية الفرنسية الأولى بقيادة نابليون بونابرت (1804-1814)، تلتها عودة الملكية مع "لويس الثامن عشر" و"شارل العاشر" حتى عام 1830، ثم مرحلة "ملكية يوليو" بقيادة "لويس فيليب" التي استمرت من 1830 حتى

¹ أستاذ اللغة العربية بمركز التعليم عن بعد، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، حيدر آباد - الهند

مولده وحياته:

سلفستر دو ساسي هو مستشرق فرنسي وُلد عام 1172 هـ (1758 م) وتُوفي عام 1253 هـ (1838 م). وكان منتصباً إلى الطبقة البورجوازية الباريسية. توفي والده وهو لا يزال طفلاً، فتولت والدته تربيته ورعايته، وكانت امرأة محبة للعلم، أثرت في توجيهه نحو دراسة الآداب القديمة. نشأ "دو ساسي" في بيئة مسيحية متدينة وموالية للسلطة السياسية، وهو ما ساهم في تشكيل ملامح شخصيته العلمية والفكرية منذ وقت مبكر.

كان جدّه ووالده، وكذلك جدّه من جهة الأم، يعملون جميعاً كتاب عدل، مما يدل على انتماء العائلة إلى طبقة مهنية مستقرة. وكان "دو ساسي" الابن الأوسط بين أربعة أبناء، توفي أصغرهم في سن مبكرة. نشأ يتيماً بعد وفاة والده، لكن والدته الميسورة الحال عوّضت غياب الأب، إذ لم تدخر جهداً في تربية أبنائها وتوفير تعليم جيد لهم. وقد عانى "دو ساسي" في طفولته من أمراض متكررة، ما دفع والدته إلى جلب أفضل المعلمين لتدريسه في المنزل، فركز هؤلاء على تعليمه اللغات الكلاسيكية والمواد الأساسية وفق مناهج المدارس الفرنسية، وهو ما ساهم في تنمية موهبته المبكرة في تعلم اللغات وتعزيز قدرته على التعلم الذاتي.

تأثر "سلفستر دو ساسي" بعدد من الشخصيات التي كان لها دور بارز في توجيه مسيرته العلمية. فقد عُرف منذ صغره بشغفه بتعلم اللغات، وخاصة العبرية والعربية.

التقى دو ساسي الراهب الفرنسي "دوم بترو (Bertherau Dom) (المتوفى 1794 م) في تلك الفترة، - وهو أحد علماء اللغات الشرقية في دير "سان مور" - وكان لهذا اللقاء أثر كبير في تعزيز ميوله اللغوية. فقد قدّم "بترو" له مجموعة من الوثائق المخطوطة المتعلقة بالحروب الصليبية، وأوصى الحكومة الفرنسية باقتنائها، ثم ألح على "دو ساسي" أن يتعلم اللغة العربية ليتمكن من فهم محتواها. وبعد إلحاح متكرر، استجاب "دو ساسي" لذلك، واستطاع خلال فترة قصيرة أن يتقن قواعد العربية ويفك رموز كثير من تلك الوثائق والمخطوطات العربية الموجودة في مكتبة الدير. وقد كانت هذه التجربة

⁽¹⁾ تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة عالم المعرفة، الطبعة: 1990 م، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ص: 186

نقطة انطلاق مهمة في مسيرته كمستشرق ناشئ⁽¹⁾.

لم يقتصر تأثير الراهب "برترو" على تشجيع "سيلفستر دو ساسي" على تعلم العربية، بل امتد ليحفزه أيضاً على دراسة العربية، التي أتقنها من خلال تواصله مع أحد المترجمين العاملين في بلاط الملك. وقد فتحت له إجادته للعربية آفاقاً واسعة لفهم الشرق، إذ لم يقتصر اهتمامه على النصوص الدينية، بل شمل كذلك مؤلفات الأدباء والكتاب المشرقيين.

اتجه "دو ساسي" إلى تعلم الفارسية والتركية بعد إتقانه في اللغة العربية، ليصبح ملماً بمجموعة من اللغات الشرقية التي مكنته من الاطلاع على جزء مهم من ثقافة وآداب الشرق. بدأ دراسته المنظمة للعربية بحضور دروس المستشرق "دنيس دومينيك كاردون"⁽²⁾ (Denis Dominique Cardonne) (المتوفى 1783م) في "الكوليج دو فرانس"، لكنه اعتمد بشكل كبير على التعلم الذاتي.

عندما كان دو ساسي شاباً يدرس اللغة العربية في الكوليج دو فرانس، لم يكن لدى أستاذه كاردون آنذاك أي طلاب تقريباً، كما كانت المؤلفات المتعلقة باللغة العربية وآدابها قليلة جداً وتعد على الأصابع. لكن بعد مرور خمسين عاماً تغير الوضع تماماً، إذ أصبح كرسي الآداب العربية والدراسات الفارسية في الكوليج دو فرانس محط اهتمام كبير من الدارسين الذين يتزاحمون على هذا التخصص المميز. وهذا الفضل يرجع إلى الأستاذ سيلفستر دو ساسي الذي قام بنشر روح الحماسة والاهتمام بالدراسات العربية، وربما يعود أيضاً إلى طبيعة اللغة العربية نفسها. فقد أشار المستشرق الفرنسي ويليام مارسيه إلى أن:

"لم توجد أية لغة من اللغات التي حظيت بالثراء الذي حظيت به العربية، ولم تُعرف لغة أخلص لها أبنائها مثلما أخلص العرب للغتهم، فالرصيد الضخم من المؤلفات البلاغية، وكتب المختارات، ودواوين الشعر، والمعاجم، وكتب النحو، والأمثال، والحكم التي راكمتها الأجيال عبر القرون، دليل على ذلك.. وقد نجح دو ساسي في أن يفتح طرقاً ومسالك في مجال اللغة العربية والدراسات

⁽¹⁾ سيفستر دو ساسي، بسمة عروس، الطبعة الأولى: 2021م، المركز الثقافي للكتاب الدار البيضاء، المغرب، ص: 12-15

⁽²⁾ كان مترجماً خاصاً بالملك الفرنسي وسكرتيراً لشؤون الشرق، وكان رئيس كرسي اللغتين التركية والفارسية من 1750م حتى وفاته.

مهاراته في اللغة العربية والدراسات الشرقية:

اتجه "سيلفستر دو ساسي" إلى دراسة اللغة العربية مدفوعاً بشغفه المبكر بتعلم اللغات، وخاصة اللغات القديمة. بدأ بإتقان قواعد النحو العربي، ثم انكب على قراءة عدد كبير من النصوص العربية، حتى حفظ الكثير منها عن ظهر قلب. وبعد ذلك انتقل إلى مرحلة الكتابة والتحرير باللغة العربية الفصحى، كما كان قد تدرب في بداياته على الكتابة باللاتينية واليونانية. وقد برع في ذلك بشكل لافت، ما عكس موهبته الاستثنائية وقدرته على إتقان اللغات وصياغتها بأسلوب رصين.⁽²⁾

ظهر في كتابات "سيلفستر دو ساسي" باللغة العربية أسلوب رصين ومتقن يعكس إلمامه العميق بلغة الضاد وخصائصها الدقيقة وتعاييرها الخاصة، مما يدل على أنه تمكن من التعمق في العربية واستيعاب روحها وأسرارها. ويعود ذلك إلى اجتهاده المستمر، ومثابرته، وموهبته الفطرية التي طورها من خلال التدريب المستمر وإدمان قراءة النصوص العربية. ويؤكد "ويليام مارسيه" أن منهج "دو ساسي" في تعلم العربية كان منهجاً تقليدياً، اعتمد فيه على قدرته الفائقة على الحفظ وموهبته الخاصة في تعلم اللغات، إضافة إلى تدريبه الدائم على النصوص العربية، واتخاذ النماذج الأدبية شواهد يطبق عليها ما تعلمه من قواعد النحو. وقد أكسبه هذا المنهج قدرة استثنائية على الكتابة والتحرير بالعربية في فترة زمنية قصيرة⁽³⁾.

أصبح "سيلفستر دو ساسي" متخصصاً في النصوص العبرية ولغات الشرق الأوسط في سن الحادية والعشرين، وفي السابعة والعشرين، تم اختياره عضواً غير دائم في الأكاديمية المخصصة للأدب والحضارات الشرقية، ثم أصبح عضواً دائماً فيها عندما بلغ الرابعة والثلاثين من عمره.

أشرف "سيلفستر دو ساسي" في الأكاديمية على مشروع موسوعي يهدف إلى جمع مؤلفات المؤرخين الفرنسيين، تضمن مشروعاً جزئياً عن مؤرخي الحروب الصليبية، وقد أقر هذا المشروع في 25 سبتمبر 1807. إلا أن ضعف

⁽¹⁾ سيلفستر دو ساسي، ص: 29-30

⁽²⁾ تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، د- محمود المقداد، عالم المعرفة، ص: 191

⁽³⁾ الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، درويش أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص: 39

الإمكانات المادية حينها حال دون إتمامه، ليعود لاحقاً لإحيائه خلال فترة الثورة. شغل منصب السكرتير الدائم للأكاديمية لأكثر من خمس دورات متتالية، وتمكّن خلال هذه الفترة من إنجاز العديد من المشاريع المرتبطة بتاريخ الشرق العربي وحضارته.

وفي 31 أكتوبر 1794م طلب منه الانضمام إلى لجنة علمية معنية بحفظ وإبداع الأعمال الأدبية. وبعد ذلك عُرف كأستاذ للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية، ثم أصبح في عام 1803 عضواً في قسم تاريخ اللغات القديمة، وفي عام 1806 تولى رئاسة كرسي الدراسات الفارسية في الأكاديمية، وهو المنصب الذي كان يعتز به كثيراً. كما شغل بين عامي 1815 و1822 عضوية اللجنة العامة للتعليم، حيث تركّز عمله فيها على المهام الإدارية.

والجدير بالذكر أن هذه الأكاديمية التي تأسست عام 1750م تحت اسم "الأكاديمية الملكية للنقوش والآداب"، كانت تضم أربعين عضواً، من بينهم اثنا عشر عضواً حراً غير مقيم. وقد التحق "سيلفستر دو ساسي" بهذه الأكاديمية كعضو حر وهو في السابعة والعشرين من عمره، وهو إنجاز كبير لا يُمنح إلا للشخصيات المتميزة⁽¹⁾.

اتسم عمل الأكاديمية بطابع موسوعي يشمل مختلف المعارف، خصوصاً بعد القرار الصادر عام 1786 الذي وسّع نطاق اهتماماتها، مما تطلب من أعضائها الإلمام بتاريخ اللغات القديمة، وعلم النقوش، وعلم المسكوكات، إلى جانب التاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم. وقد تأسست داخل الأكاديمية لجنة خاصة مهمتها التعريف بالمخطوطات الموجودة في المكتبة الملكية وبعض المكتبات الخاصة. كان "دو ساسي" شغوفاً بهذا العمل ويؤديه بتفانٍ كبير، غير أن النظام الإداري كان يعرقل جهوده أحياناً، خاصة في فترة بداياته حين كان عضواً غير مقيم⁽²⁾.

تأسس المعهد الوطني للعلوم والفنون في أكتوبر 1795م، وتم تعيين "سيلفستر دو ساسي" عضواً دائماً في الطبقة الثالثة، وهي القسم المعني بتاريخ العصور القديمة وآدابها. ويعكس هذا التعيين حرصه الدائم على الانخراط في المؤسسات واللجان العلمية التي تمكنه من توظيف معارفه وقدراته، حيث كان

⁽¹⁾ الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، درويش أحمد، ص: 41

⁽²⁾ الاستشراق، إدوارد سعيد، ترجمة: محمد عناني، الطبعة: 2024م، مؤسسة هندواي، ص: 173-174

يقبل على هذه المهام بحماس واجتهاد كبيرين، رغم كثرة الأعباء والمسؤوليات الملقاة على عاتقه، خاصة في مجال تدريس اللغة العربية وغيرها من اللغات الشرقية.

فلما جاء قرار الحكومة الفرنسية في 1795 بإنشاء مدرسة خاصة لتدريس اللغات الشرقية الحية، فعُين الأستاذ دو ساسي مدرساً للغة العربية، ومن ثم أصبح مديراً لها في عام 1824م.

بعد سقوط الإمبراطورية وعودة حكم أسرة البوربون (Bourbon)، قبل "سيلفستر دو ساسي" لقب "بارون"، وتلقى العديد من الألقاب والتكريمات الرفيعة، إلى جانب تقلده مناصب إدارية مهمة. ومع ذلك، لم يُثنه ذلك عن مواصلة شغفه بالبحث والعمل على المخطوطات الشرقية.

بين عامي 1792م و1796م تفرغ لنشر المحاضرات التي كان قد ألقاها في الأكاديمية بين 1787 و1791، وذلك تحت إشراف المطبعة الرسمية الوطنية. كما قام في عام 1793 بطباعة كتابه "مذكرات حول التاريخ القديم لبلاد فارس ومسكوكات الملوك الساسانيين، متبوعاً بتاريخ هذه السلالة". وفي هذه الفترة، كان قد استقال من عمله وابتعد عن الحياة الباريسية، حيث اشترى قطعة أرض ومنزلاً في منطقة "أوجن (Ognes)" شمال فرنسا، وأقام هناك أربع سنوات متفرغاً تماماً للبحث والتأليف. في غضون هذه الفترة عمل على إعداد كتاب في "النحو العربي"، الذي أصبح مرجعاً قيماً تُرجم إلى عدة لغات، من بينها الإنجليزية والألمانية والدنماركية.

نجح "سيلفستر دو ساسي" في جمع عدد كبير من المخطوطات العربية والإسلامية في باريس، وكان له دور بارز في تنظيمها ودراستها. كما أصبح أول رئيس للجمعية الآسيوية الفرنسية، وهي جمعية استشرافية تأسست في باريس سنة 1822م، وكان هدفها الرئيس تعزيز الدراسات الشرقية واللغات الشرقية⁽¹⁾. اعتمد "دو ساسي" في أبحاثه على المختارات من النصوص الأدبية والدينية، وقضى سنوات طويلة يسعى لجعل باريس مركزاً رئيساً للدراسات العربية. وقد كان المستشرقون الأوروبيون، وخاصة الألمان، يزورونه لطلب مشورته أو للتلمذ على يده. ويشير بعض الباحثين إلى أن الاستشراق في عهده قد "اصطبغ بالصبغة الفرنسية"، وذلك بفضل إسهاماته البارزة وتأثيره الكبير

⁽¹⁾ مدرسة الاستشراق الفرنسية وجهودها في دراسة وحفظ المخطوط العربي، (<https://search.mandumah.com/Record/1222591>)

في هذا المجال⁽¹⁾. حتى يقول ويليام مارسلي (المتوفي):
"نتساءل كيف كان يمكن أن تكون الدراسات العربية في فرنسا، بل
وأوروبا كلها لو لم يكن سيلفستر دو ساسي موجوداً؟ إن ما قدمه هذا العالم
باللغة العربية وأدائها يفوق ما قدمه الكثير من المختصين..."⁽²⁾
وقال عنه المستشرق الفرنسي "كليمان هوار (Clement Huart)" (المتوفي
1926):

"ولما دنت شمس القرن الثامن من الأفول ظهر في فرنسا عالم تفوق
على من سبقه ألا وهو سيلفستر دو ساسي الطائر الشهرة الذي فتحت تعاليمه
ومصنفاته لا في فرنسا فحسب بل في أوروبا جمعاء باباً جديداً لدرس اللغة
العربية درساً علمياً... وأنعشت فيها روح التنقيب عن العاديات الشرقية التي
رفعتها إلى الأوج الذي نشاهده فيها اليوم"⁽³⁾.
وذكر إدوارد سعيد في كتاباته عن الاستشراق:
"أن منجز هذا المستشرق استطاع أن يحقق التوافق بين أسلوب العالم
وأسلوب المختص في تاريخ اللاهوت المقدس، وأنه هو وحده القادر على
تحقيق المصالحة بين آمال لا يبتز وجود بوسويه"⁽⁴⁾
يقول أحمد درويش الذي درس أعمال دو ساسي من وجهة نظر
الدراسات المقارنة:

"ولا شك أن ظهور شخصية سيلفستر دو ساسي في فرنسا يعد بداية حقيقية
لظهور الدراسات العلمية المنظمة في مجال الاستشراق حول الأدب العربي
والنزعة الموضوعية الحديثة في الاستشراق مدينة لساسي بشخصيته التي
أحبت العربية، وتعمقت درساها وبمدرسته التي انتهت إليها عشرات الرواد في
مجال الاستشراق من مختلف البلاد الأوروبية"⁽⁵⁾.
اهتم "سيلفستر دو ساسي" بدراسة الحضارة العربية الإسلامية التي
نشأت في وادي النيل، وذلك في إطار بحثه في تاريخ الشعوب الإسلامية. ويبدو أن

¹ سيلفستر دو ساسي، بسمّة عروس، ص: 26-27

² نفس المصدر، ص: 48

³ نفس المصدر، ص: 114

⁴ سيلفستر دو ساسي، ص: 115

⁵ الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، درويش أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
1997م، ص: 39

بعض الظروف السياسية ساهمت في توجيه اهتمامه نحو مصر بشكل خاص، حيث تضمنت رسالته حول قوانين الملكية والنزاعات المتعلقة بحقوق الأراضي في مصر معلومات قيّمة استفاد منها مرافقي الجنرال "بونابارت" خلال حملته على البلاد.

لم يقتصر اهتمام سيلفستر دو ساسي على الدراسات العربية وتاريخ العرب فقط، بل امتد أيضًا إلى الاهتمام بالجغرافيا، وخاصة المؤلفات الجغرافية العربية في العصور الوسطى. فقد أبدى عناية خاصة بكتب جغرافيين بارزين مثل: "المسالك والممالك" لابن حوقل، و"وصف بلاد العرب" لأبي الفداء، و"رحلة ابن بطوطة"، وما إلى ذلك. وتميّز دو ساسي عن غيره من الجغرافيين في عصره بأنه قرأ هذه المصادر في لغتها الأصلية – اللغة العربية – مما مكّنه من فهم أعمق ودقيق للمحتوى. كما ظهر اهتمامه بالجغرافيا أيضًا في مقالاته عن بلاد فارس، وفي أبحاثه حول أصول شعب البلوشستان. وتدل هذه الجهود على تنوع اهتماماته وسعة معرفته بمجالات متعددة من التراث العربي والإسلامي⁽¹⁾.

تزوج دو ساسيفي عام 1786، ورزق بابنه صمويل استازاد، الذي وُلد في 17 أكتوبر 1801 في باريس، والذي سيتحول فيما بعد إلى صحفي بارز وله تأثير كبير في مجاله. توفي صمويل في 14 فبراير 1879 في باريس⁽²⁾.

المساهمة في تأسيس الجمعية الآسيوية الفرنسية

ساهم سيلفستر دو ساسي في تأسيس الجمعية الآسيوية الفرنسية (*Société Asiatique*) في عام 1822م، التي أصبحت من أبرز المؤسسات العلمية المهيمنة بدراسة الثقافات الشرقية. كما شارك في إصدار "المجلة الآسيوية" (*Journal Asiatique*)، وهي مجلة علمية دورية كانت تصدر عن الجمعية، تهدف إلى نشر الأبحاث المتخصصة في شؤون الشرق، ولا سيما الدراسات العربية والإسلامية⁽³⁾.

وقد لعبت هذه المجلة دورًا مهمًا في التعريف بالتراث العربي والإسلامي في الأوساط العلمية الأوروبية، وأسهمت في توسيع دائرة الاهتمام بالاستشراق، حيث جمعت حولها عددًا من العلماء والباحثين من مختلف دول أوروبا. ومن

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص: 38

⁽²⁾ نفس المصدر، ص: 56

⁽³⁾ <https://www.albayan.ae/our-homes/2010-08-28-1.277956>

خلال هذه المبادرة أسهم دو ساسي في ترسيخ أسس البحث الأكاديمي في الدراسات الشرقية، وجعل الجمعية والمجلة منبرين علميين بارزين في هذا الميدان.

اللقاء مع رفاة الطهطاوي

تم اللقاء بين المستشرق سيلفستر دو ساسي والعلامة رفاة الطهطاوي في فرنسا، حين كان الطهطاوي إماماً وواعظاً للبعثة العلمية المصرية الأولى إلى فرنسا عام 1826م. وقد لاحظ "دو ساسي" موهبة الطهطاوي الكبيرة في تعلم اللغات ومهارات الترجمة، فوجهه إلى هذا المجال الثقافي والمعرفي⁽¹⁾.

وفي عام 1830م كان امتحان الطهطاوي النهائي عبارة عن تقديم مجموعة من الترجمات إلى العربية، شملت موضوعات متنوعة في التاريخ والسياسة والحقوق والأخلاق وعلم المعادن والطب والهندسة. كما تضمن الامتحان مخطوطته الشهيرة لاحقاً "تخليص الإبريز في تلخيص باريس"، التي وصف فيها ملامح الحياة في باريس. وعندما قرأ "دو ساسي" هذا الكتاب، أثنى عليه كثيراً، لأنه قدّم صورة إيجابية عن فرنسا وثقافتها في نظر القراء العرب. كان المستشرق سيلفستر دو ساسي شديد الإعجاب بالشيخ رفاة الطهطاوي، إذ وجد فيه شخصية متميزة وموهوبة في تعلم اللغات وفهم العلوم. وقد أتاح له الطهطاوي فرصة للتعرف على الثقافة العربية والإسلامية وحضارتها. وقد عبّر دو ساسي عن ذلك قائلاً:

"منذ أن التقيت برفاة الطهطاوي القادم من مصر، توسمت فيه موهبة خاصة في تعلم اللغات والعلوم وقد أفادنا بمعرفته عن الثقافة العربية"⁽²⁾.

حينما نمعن النظر في الرسائل المتبادلة بين سلفستير دي ساسي ورفاة الطهطاوي نرى أن الشيخ الطهطاوي أيضاً كان شديد التأثر بشخصية دو ساسي، وهو يقول في كتابه الشهير تخليص الإبريز معبراً عن انطباعه عنه:

"ومما يدلّك على ذلك أنّي اجتمعت في باريس بفاضل من فضلاء الفرنساوية شهير في بلاد الأفرنج بمعرفة اللغات الشرقية خصوصاً اللغة العربية والفارسية يسعى البارون سيلفستير دي ساسي وهو من أكابر باريس وأحد أعضاء جملة جمعيات من علماء فرنسا وغيرها، وقد انتشرت تراجمه في

⁽¹⁾ سلفستر دو ساسي، بسمّة عروس، ص: 59-60

⁽²⁾ <https://www.iicss.iq/?id=14&sid=149>

لقد تلمذ على يد الأستاذ سيلفستر دو ساسي جماعة كبيرة من المستشرقين الذين استفادوا من منهجه الدقيق في البحث والتحقيق، ونالوا الخطوة والقبول في الأوساط الأكاديمية الأوروبية، وقد مكّنه تخصصهم العميق في اللغة العربية والدراسات الشرقية من نيل مناصب مرموقة وتحقيق شهرة علمية واسعة. ومن أبرز هؤلاء:

- جوزيف رينو (Joseph Reinaud) (المتوفى 1867م) الذي تولّى رئاسة كرسي اللغة العربية بعد أستاذه دو ساسي، وواصل جهوده في خدمة التراث العربي والإسلامي. وكان محافظاً لمعهد المخطوطات الشرقية، وله دراسات عن رحلات العرب والآثار الإسلامية.
- إدوارد رويس (Edward Reuss) (المتوفى 1891م) الذي كان له إسهامٌ متميّز في الدراسات الشرقية، وبرز في مجالات متعددة من البحث التاريخي واللغوي.
- غيوم بوتيه (Guillaume Pauthier) (المتوفى 1973م) كان متخصصاً باللغة العربية، ثم انتقل إلى دراسة اللغة الصينية. له دراسات عن الهند والصين، وترجمات مختلفة.
- شارموي (Charmoy) ودومانج (Demange) وقد أسسا معاً كرسيًا لتدريس اللغة العربية في مدينة سان بطرسبورغ، ما يعكس انتشار تأثير دو ساسي خارج فرنسا.
- نويل دي فارجي (Noël De Vergers) (المتوفى 1867م) الذي كتب مؤلفاً مهماً حول الجزيرة العربية وساهم في تقديم معلومات دقيقة عن جغرافيتها وتاريخها. كما أنه نشر كتاباً بعنوان "حياة محمد" وهو مستخرج من تاريخ أبي الفداء "كتاب المختصر في أخبار البشر"، وقدم فيه تحقيقاً لهذا الجزء مع ترجمة بالفرنسية⁽²⁾.
- إمانويل سيديلو (Emmanuel Sedillot) (المتوفى 1832م) الذي عُرف بكتاباتهِ عن علماء الفلك العرب، وقد ساهم في إبراز دور العرب في تطور العلوم الفلكية. ومن أهم أعماله أنه ترجم كتاب "جامع المبادئ والغايات"

⁽¹⁾ الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص: 41

⁽²⁾ <https://www.iicss.iq/?id=14&sid=149>

للفكي المغربي أبي الحسن المراكشي (المتوفى 1262م).

- أنطوان ليونارد دو شيزي (Antoine Léonard de Chézy) (المتوفى 1832م) هو مستشرق فرنسي، وكان متخصصاً في اللغة السنسكريتية، اشتهر بنقل أشهر النصوص الأدبية السنسكريتية إلى الفرنسية.
- غارسان دي تاسي (Garcin de Tassy) (1878م) أول متخصص في فرنسا في الدراسات الهندية أو الهندوستانية، وعرف كذلك بترجماته من التركية والعربية والفارسية⁽¹⁾.

علاوة على ذلك كَوّن سيلفستر دو ساسي نخبة واسعة من التلاميذ الذين تركوا بصمات واضحة في ميدان الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية. لقد ساهم هؤلاء التلاميذ في نشر منهج أستاذهم، وأسهموا في ترسيخ أسس علمية دقيقة في الاستشراق الأوروبي، فكانوا الامتداد الحقيقي لإرث دو ساسي العلمي والثقافي.

إسهامات سلفستردو ساسي في اللغة العربية وآدابها

كان المستشرق سلفستردو ساسي متضلعا باللغة العربية، وهو أول من نادى بتعليمها بل ووجوب تعلمها وتعليمها بالنسبة للمستشرقين. وبالإضافة إلى أن الأستاذ سلفستردو ساسي عمل على نشر المخطوطات الشرقية في المكتبة الوطنية بباريس، وساهم بدور بارز في تحقيقها ودراستها، وكتب العديد من البحوث المعمّقة حول العرب وآدابهم، مسلطاً الضوء على التراث العربي والثقافة الإسلامية. وقد قام بتحقيق عدد كبير من المخطوطات المهمة، مما أسهم في تقديم النصوص العربية للباحثين الغربيين، وعزز من فهم الحضارة الإسلامية وتاريخها الأدبي في الأوساط العلمية الأوروبية.

عمل الأستاذ دو ساسي أيضاً مع الحكومة الفرنسية في مهام تتعلق بالشؤون الشرقية، حيث لعب دوراً مهماً في ترجمة البيانات والمعلومات التي أُصدرت خلال احتلال الجزائر، بالإضافة إلى دوره في ترجمة الوثائق المتعلقة باحتلال مصر من قبل حملة نابليون عام 1798م. هذه الترجمات لم تُسهم فقط في إغناء المكتبة الفرنسية بالمعلومات حول المجتمعات الشرقية، بل ساعدت أيضاً في تشكيل فهم الأوروبيين للعالم الإسلامي والثقافات الشرقية بشكل عام.

⁽¹⁾ تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص: 198

عُرف سلفستردو ساسي بنجاحه في جمع المخطوطات العربية الإسلامية في باريس، حيث لعب دوراً محورياً في تعزيز الدراسات العربية في أوروبا. مما مكنه من توسيع نطاق التعليم العربي وتعزيز الاهتمام باللغة والثقافة العربية⁽¹⁾.

بعد فترة قرر المستشرق دو ساسي الاستقالة من جميع المناصب، وكان سبب استقالته هو شعوره المتزايد بأن الوضع الدستوري في فرنسا كان يتجه نحو تغييرات ثورية، مما أثر عليه بشكل عميق. اختار سلفستردو ساسي الانسحاب من الحياة العامة والتركيز على دراساته العلمية الخاصة.

خلال هذه الفترة تمكن سيلفستردو ساسي من إنجاز عمله المهم الذي يحمل عنوان "أبحاث في الآثار القديمة لفارس"، والذي طُبِع في عام 1793م. يعكس هذا الكتاب اهتمامه العميق بالثقافات القديمة وتاريخهما، ويُعتبر أحد ثمار مجهوداته العلمية التي قام بها خلال فترة عزله عن الحياة العامة. كان المستشرق سيلفستردو ساسي أستاذاً بارزاً ومدرساً ماهراً للغة العربية، فواصل التدريس طول الحياة، وحمله هذا التدريس على تكريس كل جهده، لتعمق اللغة العربية وأدائها والإسلام وعقائده ومذاهبه وتاريخه. مؤلفاته:

كتب سيلفستردو ساسي العديد من المؤلفات والإنجازات العلمية التي كانت بمثابة حجر الأساس للدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، وكانت مرجعاً أساسياً للباحثين والمستشرقين، ومن أبرز مؤلفاته:

○ "كتاب النحو العربي": (Grammaire arabe a l'usage des élèves) هو كتاب ضخمة من جزأين، ألف لتلاميذ معهد اللغات الشرقية، وهو كتاب تعليمي يقدم قواعد التركيب والاشتقاق والتصريف للمبتدئين، وهو يعد من أبرز الأعمال التي قُدمت لشرح قواعد اللغة العربية للناطقين بالفرنسية. هذا الكتاب كان هدفه تعليم الأوروبيين اللغة العربية، وقد اعتمد على كتب النحو العربية القديمة مثل "الكتاب" لسيبويه و"ألفية ابن مالك".

○ "الأنيس المفيد للطالب المستفيد": قد صدر هذا الكتاب أول مرة في سنة 1806م، متضمناً رسالة إهداء الكتاب للإمبراطور نابليون بونابرت، خلت

⁽¹⁾ سيلفستر دو ساسي، ص: 34-35

منها الطبعة الثانية في 1826م. يتضمن مختارات من الأدب العربي موجّهة للطلاب الفرنسيين. لقد ضمن دو ساسي في هذا الكتاب فصولاً من كتاب "عجائب المخلوقات" للقزويني، ومقامتين للحريري، ومن القصائد الشعرية ضمن لامية العرب للشنفرى، وقصيدة للنابغة الذبياني، وقصيدة للمتنبي، والقصيدة الطنطرنانية لمعين الدين أبي نصر الطنطارني (ت485هـ)، ومختارات من شعر ابن الفارض، ومقتطفات من كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقرئزي، ومقتطفات أخرى من كتابه "المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار"، وفصولاً من كتاب "تاريخ الدول" للفخر الرازي وما إلى ذلك.... وقام بالشروح اللازمة والتعليقات الضرورية معرباً عن صعوبة التعامل مع بعض النصوص. ويعتبر هذا الكتاب من الكتب التي ساعدت في تعريف الأدب العربي لغير الناطقين بالعربية.⁽¹⁾

○ مختارات من النصوص العربية (Chrestomathie arabe): يضم هذا الكتاب نماذج متنوعة من النصوص النثرية والشعرية لكبار الأدباء والشعراء العرب، إضافة إلى مقتطفات من الرسائل والنصوص السياسية التي تعكس ملامح من التاريخ السياسي الحديث للشرق. وقد أعدّه في الأصل لتلاميذ معهد اللغات الشرقية، غير أن فائدته تجاوزت هذا الإطار، فلاقي رواجاً واسعاً وتقديراً كبيراً بين المستشرقين في فرنسا وخارجها. وقد تم نشره في 1806م، ثم أعاد طبعها طبعة ثانية في سنة 1827م مع تصحيحات عديدة. وطبع على نفقته الخاصة.⁽²⁾

○ التحفة السنية في علم العربية: لقد تناول فيه الكاتب العروض والميزان الشعري عند العرب. وقد كان عمله في بحور الشعر العربي بمثابة اكتشاف جديد وخطوة رائدة، إذ لم يسبق للمستشرقين قبله أن أولوا اهتماماً كبيراً بدراسة العروض وأوزان الشعر العربي. وقد فتحت هذه المحاولة أمامهم آفاقاً جديدة لفهم الشعر العربي وبنيتة الفنية. وأطلق على هذا الكتاب عنواناً على نهج علماء العربية في صياغة العناوين، فسماه: "التحفة السنية في علم العربية".

○ مبادئ في النحو العام: وهو من مؤلفاته الأولى التي تعود إلى مرحلة شبابه، وقد لاقى هذا الكتاب اهتماماً كبيراً وأعيدت طباعته عدة مرات نظراً

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص: 96

⁽²⁾ الاستشراق، إدوارد سعيد، ص: 177

لقيمته التعليمية والمنهجية. قد تناول فيه الكاتب قواعد تجويد القرآن، وأصول رسمه، والجوانب الصوتية فيه، وكان يرى أن تدريس النحو العربي ينبغي أن يعتمد على التبسيط والوضوح، مع تجنب التعقيد في المسائل النظرية المعقدة التي قد تربك المتعلمين.

○ "المختارات النحوية": يعد هذا الكتاب من بين المؤلفات التعليمية التي أنجزها دو ساسي، الذي نُشر سنة 1829م، وركّز فيه على تبسيط مفاهيم النحو العربي كما وردت عند النحاة الأوائل، وذلك بهدف تسهيلها على المبتدئين والمستشرقين الجدد الذين بدأوا دراسة اللغة العربية.

○ "شرح وتعليقات ألفية ابن مالك": قام دو ساسي بشرح وتعليقات على كتاب ألفية ابن مالك-أحد أهم كتب النحو في التراث العربي-، وقد نُشر هذا الكتاب عام 1833م بالتعاون مع الجمعية الآسيوية البريطانية، مما يدل على حرصه على نشر التراث النحوي العربي بأسلوب يناسب الدارسين في أوروبا.

قدّم المستشرق دو ساسي إسهامات كبيرة في خدمة الدراسات العربية، وذلك خلال فترة زمنية قصيرة نسبياً. فعلى مدار نحو نصف قرن، استطاع أن يُكمل ويُصحح ويُقيّم الكثير مما كُتب عن تاريخ العرب وحضارتهم وآدابهم. وقد ظهرت هذه الجهود بشكل واضح من خلال ما نشره في "المجلة الآسيوية"، وكذلك في مجلة "العلماء الموسوعية" (Le Magasin Encyclopédique)، حيث ساهم في تعزيز المعرفة العلمية الدقيقة عن الثقافة العربية في الأوساط الأكاديمية الأوروبية.

جهوده في الترجمة:

لم يقتصر دو ساسي على تعليم اللغة فقط، بل اهتم بترجمة الأدب العربي الكلاسيكي إلى اللغة الفرنسية. فقد قام بترجمة "كليلة ودمنة"، و"مقامات الحريري"، وأصدرها بمقدمة باللغة العربية المسجوعة، حققها وطبعها لأول مرة دو ساسي، على حسابه الخاص في المطبعة الإمبراطورية 1812م، وزوّدها بشرح بالعربية. ولا تزال هذه النشرة هي النشرة النقدية الوحيدة لهذا الكتاب⁽¹⁾.

كما قام بترجمة "ألفية ابن مالك" لابن مالك النحوي، وكتاب "الإفادة

⁽¹⁾ الاستشراق، إدوارد سعيد، ص: 176

والاعتبار بما في مصر من الآثار" لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي (المتوفى 1231م)، إلى اللغة الفرنسية مع تعليقات علمية قيمة، وكذا قام بترجمة كتاب "حياة الحيوان الكبرى" وهو أشهر مؤلفات لكمال الدين الدميري (المتوفى 1405م) إلى اللغة الفرنسية.

لقد فتح سيلفستر دو ساسي مجالات بحث جديدة في الدراسات الشرقية لم يكن أحد قد خاضها قبله، وقد أجمع الباحثون والمستشرقون على تقدير جهوده الكبيرة في خدمة هذا الميدان. ومن أبرز أعماله التي نالت إعجابهم ترجمته إلى اللغة الفرنسية لكتابين مهمين في التراث الإسلامي: كتاب عن "المسكوكات الإسلامية"، الذي يُعد مرجعاً مهماً في تاريخ النقود. وكتاب في الموازين والمكاييل والأطوال المعيارية القانونية في الإسلام، وهو كتاب "شذور العقود في ذكر النقود" للمؤرخ الشهير المقرئ (المتوفى 1442م)⁽¹⁾.

وقد ساعدت هذه الترجمات في توسيع المعرفة الغربية بالجوانب الاقتصادية والقانونية في الحضارة الإسلامية، وأظهرت دقة دو ساسي واهتمامه بالتفاصيل العلمية، مما جعل إسهاماته مرجعاً أساساً في الدراسات الاستشراقية.

واصل دو ساسي دراساته، وقام بنشر أول دراسة حول "مقدمة ابن خلدون" في عام 1806م، ونبه إلى أهمية العلم الجديد الذي ابتكره ابن خلدون، وترجم منها فصلاً، ونشرها لأول مرة. وهو من بين المستشرقين القلائل الذين ترجموا شعر أبي بصير، الأعشى بن قيس، وأوفاه حقه في الجمع والشرح.

المراجع والمصادر:

تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، د- محمود المقداد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، الطبعة: 1990م.

⁽²⁾ سيلفستر دو ساسي، بسمة عروس، المركز الثقافي للكتاب الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى: 2021م.

⁽³⁾ مدرسة الاستشراق الفرنسية وجهودها في دراسة وحفظ المخطوطات العربية، (https://search.mandumah.com/Record/1222591)

⁽⁴⁾ الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، درويش أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م.

⁽⁵⁾ الاستشراق، إدوارد سعيد، ترجمة: محمد عناني، مؤسسة هنداوي، الطبعة: 2024م.

⁽⁶⁾ https://www.albayan.ae/our-homes/2010-08-28-1.277956

⁽⁷⁾ https://www.iicss.iq/?id=14&sid=149

⁽¹⁾ سيلفستر دو ساسي: ص: 37

كتاب "تفهم استشرق" للأستاذ السيد عليم أشرف الجائسي: دراسة وصفية

المدخل: ظهر الاستشراق والمستشرقون في الهند بشكل واسع بعد أن دخل الاستعمار البريطاني فيها في أواخر القرن الثامن عشر بغرض توسيع النفوذ البريطاني، حيث شعرت السلطة الاستعمارية بالحاجة إلى فهم التراث الثقافي واللغوي للشعوب الخاضعة لها، وفي مقدمتهم المسلمون. وقد تأسست أولى المؤسسات الاستشرافية في الهند على يد السير ويليام جونز الذي أنشأ الجمعية الآسيوية في كولكاتا عام 1784م، فاتحةً بذلك عهداً جديداً من الدراسات اللغوية والثقافية التي شملت اللغة العربية والعلوم الإسلامية إلى جانب السنسكريتية والفارسية. ومع مرور الوقت، تطورت حركة الاستشراق في الهند إلى شكل مؤسسي منظم، حيث تأسست كليات ومراكز لتعليم اللغات الشرقية في المدن الكبرى مثل مدراس وبومباي وكولكاتا، وبدأ المستشرقون بإصدار طبعات محققة من المخطوطات العربية والإسلامية، ونشرت بحوث حول القرآن والحديث والفقه والسيرة. إلا أن هذه الدراسات لم تكن دائماً نزيهة، بل شابهها الكثير من التحيزات الاستعمارية، لا سيما في تصوير الإسلام والحضارة الإسلامية.

تركز هذه المقالة على دراسة كتاب "تفهم استشرق" للأستاذ البروفيسور السيد عليم أشرف الجائسي، وتقدم صورة واضحة لهذا الكتاب من منظور علمي وأكاديمي مع ذكر ميزات الكتاب والمنهج العلمي اتبعه المؤلف في هذا الكتاب.

دراسة في كتاب "تفهم استشرق" للأستاذ البروفيسور السيد عليم أشرف الجائسي:

إن كتاب "تفهم استشرق" للأستاذ البروفيسور السيد عليم أشرف الجائسي باللغة الأردية يحتوي على 270 صفحة من الحجم المتوسط، نشرته

¹ جامعة مولانا آزاد الأردية الوطنية، حيدرآباد

دار العلوم جائس، ببلدة جائس الواقعة بمديرية أميتي بولاية أترابرايش بالهند عام 2017م وأصدرتها للمرة الثانية عام 2018م. يتكوّن هذا الكتاب من مقدمة وثلاثة فصول. تحتوي المقدمة على غرض تأليف الكتاب وداعيته وتعريف الكتاب ومحتويات فصوله.

الفصل الأول: "الاستشراق: التعريف والتعارف".

يُعالج المؤلف في هذا الفصل مفهوم الاستشراق من حيث التعريف والتأصيل، حيث يتتبع جذوره التاريخية وتطوراتها عبر المراحل المختلفة، مع استعراض أبرز الإسهامات التي قدّمها المستشرقون في هذا المجال. كما يناقش دوافع الاستشراق وأهدافه، ويعرض وسائله ومدارسه المتنوعة، متوقفًا عند آثاره المتباينة، الإيجابية منها والسلبية، على الفكر والثقافة الإسلامية. وفي سياق تعريفه لمصطلح الاستشراق، ينقل المؤلف تعريف الاستشراق عرف به العلماء المستشرقون من ميكسم رودينسن (Maxime Rodenson) وأرتھر آريبري (Arther Arberry)، والعلماء العرب من عبد الوهاب حمودة، ويذكر قول المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد أيضًا، الذي يرى أن الاستشراق هو "الأسلوب الغربي في الهيمنة على الشرق والسيطرة عليه".¹ ويعرض في هذا المجال ستة تعريفات أخرى شائعة، محللاً ما يكتنفها من إشكالات، لينتهي في ضوء ذلك إلى تقديم تعريف جامع للاستشراق، ثم يقدم تعريف الجامع للاستشراق ونصّه كما يلي:

التعريف الجامع للاستشراق:

"الاستشراق هو دراسة الغربيين للشرق السوداء، بمختلف موضوعاتها وأغراضها، سواء كانت ذات طابع علمي أو ديني أو سياسي أو غير ذلك".²

وفي هذا الفصل، يتناول المؤلف نشأة الاستشراق وتطوّره عبر العصور، محللاً أهدافه وفرضياته، ومبيناً مدارس ووسائله المختلفة. ويشير إلى

¹ - الجائسي، أ.د. السيد عليم أشرف، تفهيم استشراق، ص 20، دار العلوم جائس، أميتي، أترابرايش، الطبعة الثانية عام 2018م، ص 20.

² - المصدر السابق ص 22

بداية الاستشراق وآراء العلماء عنها ومنها أن بعض العلماء ذهبوا إلى أنها بدأ قبل الميلاد.¹ ويذهب المؤلف إلى أنه بدأ في القرن العاشر الميلادي من خلال استفادة الغرب من علوم علماء الشرق، ثم تطوّر تدريجيًا بين القرنين الحادي عشر والسابع عشر، عبر البعثات العلمية والدبلوماسية وحركة الترجمة، حتى أصبح تيارًا فكريًا منظمًا. وقد سعى بعض الباحثين الغربيين، وخصوصاً التراث الشرقي، إلى السيطرة على هذا الحقل وتوجيهه لخدمة مصالح متعددة.

أوضح المؤلف أن الاستشراق لقد تجاوز أهدافه المعرفية الأولى، ليتحول إلى وسيلة لتحقيق أغراض دينية وسياسية واقتصادية ونفسية وثقافية، ما أدى إلى ظهور مدارس استشراقية متباينة. ومن أبرزها: البريطانية، والأمريكية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والروسية، والصينية، والدوقية. وقد أسهمت هذه المدارس بدرجات متفاوتة في حفظ بعض معالم التراث العربي، رغم أنها لم تكن بمعزل عن الأهداف المضمرة. ويُستشهد في هذا السياق بما أكد عليه صلاح الدين المنجد حيث إنه قال إن مستشرق واحد من ألمانيا قام بأعمال ضخمة لم يقدر على إنجازها أية أكاديمية أخرى.²

ويُجري المؤلف تحليلًا نقديًا لهذه المدارس، كاشفًا عن انحرفاتها وخياناتها العلمية، والآثار السلبية التي أفرزتها، مع التأكيد على أن أغلب المستشرقين تحكمهم دوافع منحازة، باستثناء قلة مثل "سانتشر" الألماني، الذي بدأ أكثر اعتدالًا نسبيًا، كما يشير المؤلف إلى إسهامات بعض المستشرقين في خدمة المعرفة. ويناقش المؤلف امتداد الاستشراق باسم نظرية صدامات الحضارات التي قدمها صموئيل هنتنغتون المتوفى عام 2008م وأصدرها كتابا عام 1996م بعنوان "صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي" (The clash of civilization and the remaking of new world order)، ويؤكد على أن هذه النظرية والفكرة هي امتداد معاصر للمنهج الاستشراقي، ويُخص المؤلف جوهر هذه النظرية على النحو التالي:

إنّ الصراعات في المستقبل لن تكون صراعات فكرية أو أيديولوجية أو اقتصادية، بل إنها ستقوم على أسس حضارية. ومع زوال الشيوعية، بدأ

¹ - المصدر السابق، ص 23

² - المصدر السابق، ص 55

الصدام المباشر بين الإسلام والغرب، إذ غدا الإسلام يُمثل التهديد الأبرز، مما يستدعي الحفاظ على الهيمنة الغربية وتبرير الفجوات العسكرية والتكنولوجية من خلال مصطلح 'الخطر الإسلامي'.¹ ولا شك أنّ هذه النظرية قد أسهمت في إذكاء التوترات، وتعميق الانقسامات بين أتباع الديانات والحضارات المختلفة. ورغم أن هنتنغتون لا يُعد مستشرقاً بالمعنى الدقيق، إلا أن تركيزه على الإسلام، واعتماده على خلفية فكرية أرسنها الدراسات الاستشراقية، يجعل من مشروعه امتداداً معاصراً لهذا الاتجاه.

الفصل الثاني: الاستشراق والعلوم الإسلامية والعربية

يتناول المؤلف في هذا الفصل جهود المستشرقين في بعض ميادين العلوم الإسلامية والعربية، من خلال رؤية نقدية تسعى إلى كشف مكامن الخلل والانحراف في تلك الجهود، مع تحليل أسبابها واستعراض نتائجها. وعلى الرغم من أن المستشرقين طرّقوا أبواب معظم العلوم الإسلامية، فقد اقتصر المؤلف في هذا الكتاب على تناول خمسة ميادين رئيسية: علوم القرآن، والحديث، والفقه، والسيرة النبوية، واللغة والأدب.

أما علوم القرآن، فقد أظهر المستشرقون عناية خاصة بالمخطوطات والنصوص القديمة، حيث قاموا بتحقيقها، وفهرستها، وترجمتها إلى عدد من اللغات الأوروبية. وقد أشار المؤلف إلى أشهر هذه الترجمات، مستعرضاً جملة من الأخطاء والتحريفات التي احتوتها، مع تقديم أمثلة تطبيقية توضح تلك الانحرافات. كما ناقش أبرز القضايا التي تناولها المستشرقون في هذا الحقل، مثل: جمع القرآن وتدوينه، وكتاب الوحي، ومصحف عثمان، والرسم العثماني، والرموز والأوقاف، والإعراب والحركات، والعقيدة، والبلاغة، والقصص، والخطاب القرآني. وأكد المؤلف على ضرورة الإفادة من هذه الدراسات بعد غربلتها ونقدها، ودعا إلى مراجعتها في ضوء ما كتبه النقاد العرب الذين تصدوا لتفنيد الشبهات الواردة فيها.

وأما في علم الحديث، فقد تركزت مساهمات المستشرقين على أعمال الفهرسة وإعداد الببليوغرافيات. وقدّم المؤلف عرضاً لأبرز الأسماء في هذا المجال، مع التنبيه إلى الأخطاء المنهجية والتجاوزات التي شابَت أعمالهم. وأوضح

¹ - المصدر السابق، ص 33

أن هذه الدراسات أسهمت في إثارة الشكوك¹ حول الحديث الشريف، مما أثار سلباً على نظرة بعض المسلمين إلى السنة النبوية. وأشار إلى أن المستشرقين لا يعدّون القرآن والحديث مصدرين أصيلين للفقهاء الإسلاميين، بل يعتمدون على ردّ أصوله إلى مصادر خارجية كالتملّود اليهودي والقانون الروماني²، وهو ما يضعهم في مواجهة مباشرة مع المنهجية الإسلامية ومصادرها الأصلية.

وقد ضمّن المؤلف في هذا الفصل جملة من الردود العلمية على أبرز اعتراضات المستشرقين، مع الإشارة إلى أهم الكتب التي تولّت تفنيدها، مستعرضاً الأدلة التي تؤكد أن التشكيك في الحديث النبوي، بل وفي مجمل السنة، هو نتاج مباشر للمسلك الاستشراقي، الذي سخّر أدوات البحث العلمي لخدمة أهداف أيديولوجية لا تخلو من تحامل، وبعبارة عن روح الموضوعية والإنصاف.

وفي هذا الفصل، تناول المؤلف تناولاً نقدياً تطوّر الكتابات الغربية حول السيرة النبوية، مبيّناً أن ما كُتب منها خلال العصور الوسطى اتسم بغياب المنهج العلمي، وانعدام الاستناد إلى المصادر العربية الأصيلة، الأمر الذي انعكس في مضمونها المُوجّه أساساً لتشويه صورة النبي ﷺ والإساءة إلى سيرته الشريفة. أما في العصر الحديث، فقد لاحظ المؤلف أن معظم الكُتّاب الغربيين – إن لم يكن جميعهم – قد تبنوا منهجاً يقوم على المبالغة في إثارة الشبهات، والاعتماد على روايات واهية، فضلاً عن صياغة النتائج مُسبقاً، ثم السعي لاحقاً إلى إثباتها بأدلة منتقاة أو مختلقة.

وفي هذا السياق، أورد المؤلف شهادة إميل درتهوم في كتابه "حياة محمد"، حيث قال: "إن فادر لامينس، مع كونه من أكثر الشخصيات كفاءة، دمر كتبه القيمة والبحثية بسبب كراهيته للإسلام ولنبي الإسلام³".

ويُشير المؤلف إلى أن كتابات المستشرقين في السيرة لم تكن بمعزل عن تأثير الثقافات الإقليمية والبيئة الفكرية التي نشأ فيها أصحابها، وهو ما عبر عنه

¹ - المصدر السابق، ص 102

² - المصدر السابق، ص 106

³ - المصدر السابق، ص 118

المستشرق اتيان دينيه (Dinet Et) المتوفى 1929 مبقوله: "نجد محمدًا العربي يتحدث بلهجة ألمانية إذا كان المؤلف ألمانيًا، ولهجة إيطالية إذا كان الكاتب إيطاليًا".¹

وقدّم المؤلف تحليلًا نقديًا لأهم ما دوّنه المستشرقون في موضوع السيرة النبوية، مبرزًا أوجه القصور والانحراف في رؤاهم ومناهجهم. وامتد اهتمامه إلى جهود المستشرقين في مجال التصوف الإسلامي، حيث قام عدد منهم بتحقيق ونشر كتب صوفية مشهورة، وانخرطوا في دراسات معمقة حول هذا الحقل. وقد عرّف المؤلف بأبرز المدارس الاستشرافية التي اشتغلت بالتصوف، وعلى رأسها المدارس الفرنسية، والبريطانية، والألمانية، مشيرًا إلى التميز الذي أبداه الفرنسيون في دراسة شخصية منصور الحلاج. غير أن أغلب المستشرقين – كما لاحظ – ينزعون إلى اعتبار التصوف الإسلامي ظاهرة مقتبسة من أصول غير إسلامية²، كالديانات الشرقية والفلسفة الإغريقية.

وكما أن المؤلف أستاذ جامعي بقسم اللغة العربية فإنه اهتم باللغة العربية وآدابها اهتمامًا خاصًا، وركز على اهتمام المستشرقين باللغة العربية وآدابها، انطلاقًا من إيمانهم بأن فهم أي أمة لا يكتمل دون فهم لغتها وتاريخها.³ وقد تجاوز اهتمامهم الجانب اللغوي التواصل، لينخرطوا في التحقيق العلمي، والبحث الأكاديمي، واستكشاف مصادر أدبية أصيلة ونادرة. ونظرًا لتخصص المؤلف في اللغة والأدب العربي، فقد أولى هذا الجانب عناية خاصة، مقدمًا دراسة نقدية تفصيلية لجهود المستشرقين في اللغة، والأدب، والتاريخ العربي. وفي إطار تقييمه الشامل لإنتاج المستشرقين، استشهد المؤلف بقول إدوارد سعيد، الذي أشار إلى أن المستشرقين ألفوا ما يقرب من ستين ألف كتاب بين عامي 1800 و1950، بالإضافة إلى آلاف المقالات والدراسات والصور.⁴ وأردف المؤلف من واقع متابعاته أن المؤلفات التي صدرت بعد هذا

¹ - المصدر السابق، ص 119

² - المصدر السابق، ص 134

³ - المصدر السابق، ص 151

⁴ - المصدر السابق، ص 141

التاريخ قد تضاعف عددها. وقد خلص إلى أن هذا الكم الكبير من الكتابات ركّز - في عمومها - على الجوانب السلبية في حياة المسلمين، مع تضخيم ما اعتُبر نقاط ضعف وظلالاً في التاريخ والحضارة الإسلامية، مستندين في ذلك إلى روايات ضعيفة أو مشكوك فيها، وتجاهل شبه كامل للأدلة المعتبرة والصحيحة. في معرض نقده لأعمال المستشرقين، أورد المؤلف قولاً مأثوراً يُنسب إلى ناصر الدين أتيان دينت مفاده: "إن دراسة تاريخ أنبياء الشرق من خلال المنطق الغربي لا تؤدي إلى نتائج صحيحة"¹. وانطلاقاً من هذا التنبيه المنهجي، أوضح المؤلف أن كثيراً من الدراسات الاستشراقية مشوبة بجملعة من الانحرافات والادعاءات البعيدة عن الحقيقة، ومن أبرزها: الزعم بأن النبي محمد ﷺ هو مؤلف القرآن الكريم، والقول بأن الأحاديث النبوية وضعت لدواعٍ سياسية أو شخصية، والافتراض بأن الفقه الإسلامي مستمد من القانون الروماني أو متأثر بالتقاليد التلمودية، وغيرها من الأطروحات التي تغفل طبيعة المصادر الإسلامية وأصالتها.

وقد خصص المؤلف فهرساً خاصاً في كتابه لعرض هذه الإشكالات ومناقشتها، وفي الوقت نفسه، لم يتجاهل المؤلف الجوانب الإيجابية في أعمال المستشرقين، بل أشار إليهما من باب الإنصاف العلمي، وذكر خصائص أعمالهم وإيجابياتها التي تتمحور حول محاور رئيسة تشمل العلوم الإسلامية العديدة من القرآن والحديث، الفقه، السيرة والسير، التصوف، التاريخ، الأدب، والثقافة، ومن أبرزها:

- حفظ وصيانة عدد هائل من المخطوطات العلمية والأدبية في مختلف المجالات، مع الاهتمام بفهرستها وتصويرها ونشرها.
- نشر وترويج مصادر التراث العلمي الإسلامي، مما ساهم في بثّ روح البحث والتحقيق، وتأهيل أجيال من الباحثين والدارسين المهتمين بالثقافة الشرقية.
- إنشاء مكتبات علمية متخصصة، جمعت بين أروقتها كنوزاً من المخطوطات والنفائس، وأُتيح من خلالها للباحثين حول العالم الاطلاع والاستفادة.

¹ - المصدر السابق، ص 168

• إعداد فهرس علمية دقيقة للمخطوطات، ونشرها على نطاق واسع، مما سهّل على الباحثين الوصول إلى تلك المواد النادرة والتعرف عليها. وبذلك، قدّم المؤلف طرحاً متوازناً يجمع بين النقد المنهجي لمزاعم المستشرقين وانحرافاتهم الفكرية، وبين الإشادة المنصفة بجهودهم في خدمة التراث الإسلامي وصيانتها، مشدداً على ضرورة التفاعل النقدي الواعي مع ما قدموه، بعيداً عن التهوين أو التهويل.

الفصل الثالث: مقالات مختارة في موضوع الاستشراق

اختتم المؤلف كتابه هذا بجزء ثالث يضم مجموعة من مقالاته العلمية التي سبق نشرها في مجلتي "تهذيب الأخلاق" الصادرة من علي جره، و"معارف" الصادرة من أعظم جره، والتي تُعدّ امتداداً طبيعياً للفصول السابقة، إذ تسهم في تعميق الفهم لحركة الاستشراق من زوايا متعددة، وتفتح آفاقاً جديدة للنقاش والتحليل. وتكتسب هذه المقالات أهميتها من تنوع موضوعاتها، وتكاملها مع المنهج العام الذي سار عليه المؤلف في تناول الظاهرة الاستشراقية.

وفيما يلي عرض للمقالات الواردة في هذا الفصل:

التبشير: التعريف والمفهوم، مجلة تهذيب الأخلاق، مايو 1996م.
كشفت المقالة عن الإطار المفاهيمي لحركة التبشير، من حيث جذورها الفكرية والدينية، وعلاقتها التاريخية والوظيفية بالاستشراق. التراث العلمي الإسلامي وانتقاله إلى أوروبا، مجلة تهذيب الأخلاق، نوفمبر 1998م.

ناقشت المقالة كيفية انتقال العلوم الإسلامية إلى الغرب، ودور الترجمة والاحتكاك الحضاري في إحداث النهضة الأوروبية، مبيّنة التأثير العميق للتراث الإسلامي في الفكر الغربي.

جهود المستشرقين: حقيقة أم خداع؟ مجلة تهذيب الأخلاق، مارس 1999م.
تناولت المقالة تقويمًا نقدياً لجهود المستشرقين بين الادعاء والحقيقة، كاشفةً عن الأهداف غير المعلنة الكامنة خلف بعض تلك الجهود. بعض المواقف الاستشراقية من اللغة العربية والشعر الجاهلي، جزء من مقدمة المؤلف على كتاب شرح المعلقات السبع لمولانا عبد العزيز الحنفي

(كراتشي) ركزت المقالة على قراءة نقدية لأراء المستشرقين حول نشأة اللغة العربية وقيمة الشعر الجاهلي، مبيّنة التحيزات المنهجية التي رافقت تلك الآراء. قصة الغرائق والآيات الشيطانية، مجلة /المعارف، يونيو 1998 م. وهي ترجمة موسعة لمقالة الدكتور شوقي أبو خليل، أضاف إليها المؤلف تعليقات وتوضيحات نقدية على أبرز القضايا التي أثارها المستشرقون، وبيّن أصولها ومصادرها وأثرها في الخطاب الاستشراقي المعاصر. وهذه المقالات التي تمثل نماذج تطبيقية وتحليلية، يُختتم الكتاب برؤية شاملة تُكمل الإطار النظري الذي بُنيت عليه الفصول السابقة، وتُعزّز قدرة القارئ على تفكيك الخطاب الاستشراقي وفهم دوافعه وأبعاده المعرفية والثقافية.

خصائص الكتاب:

يتّسم هذا الكتاب بعدد من الخصائص المنهجية والعلمية التي تجعله متميزًا في مجاله، ومن أبرزها كما يلي:
الاهتمام العلمي بالتوثيق:

جاءت الحواشي في نهاية كل فصل بشكل دقيق، مع إيراد قائمة وافية بالمصادر والمراجع في خاتمة الكتاب، وهو مما يندرج ضمن الأصول المنهجية المعتمدة في البحوث العلمية الحديثة.

تيسير الفهم لغير المتخصصين:

حرص المؤلف على ذكر معاني عناوين الكتب العربية وترجمتها إلى اللغة الأدبية بجانب أسمائها الأصلية، لتقريب مضامينها إلى القارئ غير المتخصص، ويُعدّ ذلك من الابتكارات المنهجية المحمودة التي قام بها المؤلف بل يمكن القول إنه من اختراع المؤلف إلى حد بعيد.

شرح المصطلحات وتوضيح السياق:

قدّم المؤلف شروحًا وتعليقات توضيحية عند الحاجة حول الأعلام، والمصطلحات، والأماكن، والحركات الفكرية والتاريخية، بما يُيسّر فهم السياق العام للنصوص والمناقشات.

الإشارة إلى الكنوز التراثية:

أشار المؤلف إلى آلاف المخطوطات والنفائس العلمية والأدبية في التراثين الشرقي والعربي، مع تحديد أماكن وجودها في مكتبات عالمية مرموقة، مما أضفى على الكتاب قيمة توثيقية معتبرة.

التركيز على الاستشراق في الأدب العربي:

تضمّن الكتاب عرضًا لمجموعة من المستشرقين المتخصصين في الأدب العربي، مع توثيق مساهماتهم وتحليلها ضمن القسم المعني بالأدب في الكتاب. العناية بمصادر الحديث والسنة: لم تغب عن فهارس الكتاب الإشارة إلى كتب الحديث النبوي ومصادر التراث الإسلامي، مما يُبرز شمول التناول ودقته المنهجية. اعتماد المنهج العلمي والنقدي: اتبع المؤلف أسلوبًا منطقيًا، مدعومًا بالشواهد والأدلة، مبتعدًا عن الانفعال والعاطفية، فجمع بين النقد المنهجي والطرح المتزن المنصف. الإحاطة بالدراسات السابقة: في كل عنوان من عناوين الكتاب، قدّم المؤلف عرضًا موجزًا للدراسات السابقة ذات الصلة، مما يدل على وعيه بالسياق البحثي وحرصه على البناء عليه أو تجاوزه. تصنيف الاستشراق حسب المدارس والعلوم: عرض المؤلف جهود المستشرقين بحسب الانتماء المدرسي (فرنسي، ألماني، بريطاني، إلخ)، مع تصنيف أعمالهم بحسب الحقول العلمية المختلفة، مما أضفى على الكتاب بعدًا تحليليًا وتنظيميًا واضحًا. الخاتمة:

وعلى ضوء هذه الخصائص، يمكن القول إن هذا الكتاب لا يكتفي بتقديم مادة معرفية تعريفية، بل يقدّم قراءة نقدية واعية، تُنصف جهود المستشرقين من جهة، وتُفند أخطاءهم ومزاعمهم من جهة أخرى. فهو لا يقدّمهم في صورة سلبية مطلقة، بل يعتمد مقارنة علمية تقوم على الاعتدال والإنصاف، مما يجعله مرجعًا مهمًا لفهم حركة الاستشراق وأبعادها المتعددة.

جهود غوتليب وليم لايتنر في الدراسات العربية وإنشاء

مؤسساتها

إن للمستشرقين دورا مذكورا في ترويج اللغة العربية ودراساتها، ومساهمة جلية في الحفاظ على كيانها في شبه القارة الهندية من خلال تحقيق المخطوطات، ونشر المصادر العربية الأصيلة، وإحياء أمهات الكتب العربية وأسسوا لتحقيق أهدافهم مؤسسات أكاديمية وكليات متخصصة مثل: الكليات الشرقية، وكليات فورت وليم إلى جانب الجمعيات العلمية والخيرية مثل: الجمعية الآسيوية في كولكاتا، التي أنشئت سنة ١٧٨٤م وأصبحت لاحقا مركزا بارزا للدراسات العربية والإسلامية، وقد جاءت هذه الجهود بهدف تحفيز الطلاب على تعلم اللغة العربية وتعزيز فهمهم للثقافة العربية وتزويدهم بالمعرفة حول حضارتها وتاريخها وآدابها بغض النظر عن المقاصد السياسية الكامنة التي خططت لها الحكومة البريطانية، والمتمثلة في النفاذ إلى الوسط الإسلامي، وبسط الهيمنة عليه، فضلا عن إثارة عوامل الشك في المصادر الإسلامية والتشويش على معطياتها.

ويعد وليم لايتنر من أبرز المستشرقين البريطانيين الذين ساهموا بشكل فعال في تطوير اللغة العربية والدراسات العربية والإسلامية مستفيدا من خبراته الواسعة وإطلاعه العميق على المصادر العربية، وقد تمثلت جهوده في تأسيس الكليات العربية وافتتاح المؤسسات الأكاديمية الجديدة واستقطاب نخبة من الأساتذة واللغويين المتخصصين لتدريس اللغة العربية وآدابها، وإعطاءهم فرصا لخدمة لغة الضاد وآدابها.

ترجمته:

ولد لايتنر في مدينة بيست بالمجر، سنة ١٤ أكتوبر ١٨٤٠ م لعائلة يهودية، وعرف لاحقا بـ لايتنر بعد أن تزوجت والدته من رجل يدعى يوهان موريتنر لايتنر²، ومنذ صغره برزت فيه قدرات لغوية غير عادية، ففي الثامنة من عمره؛

¹الأستاذ الضيف بجامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدرآباد، الهند.

²https://en.wikipedia.org/wiki/Gottlieb_Wilhelm_Leitner

ذهب إلى القسطنطينية لدراسة اللغتين، العربية، والتركية، ولم يبلغ العاشرة من عمره إلا كان يتقن معظم اللغات الأوربية بالإضافة إلى العربية والتركية، وتميز بكونه لغويا بارزا حيث امتلك بخاصية معظم اللغات الحديثة التي يبلغ عددها إلى خمسين لغة، وكان يتحدث في بعضها بطلاقة، وفي الخامسة عشرة من عمره عين مترجما فوراً للمفوضية البريطانية في شبه جزيرة "القرم"، ثم التحق بكلية الملك في لندن، وفي الحادية والعشرين تم تعيينه أستاذاً للقانون العربي والإسلامي في نفس الكلية.¹

ويذكر أيضاً أنه خلال جولته في الدول الإسلامية اتخذ اسماً إسلامياً هو عبد الرشيد سياح. والسياح في اللغة العربية يعني المسافرين.

. وفي الستينيات للقرن التاسع عشر توجه لايتنر إلى الهند، حيث عين مديراً للكلية الحكومية في لاهور سنة ١٨٦١م، والحالة التعليمية في بنجاب لم تكن في أحسن حال وقد عبر ذلك لايتنر في كتابه:

History Of Indigenous Education In The Punjab :

He reached Lahore in November 1864, and there found a state of things which he at once set himself to remedy. He describes the Government educational system as having little real hold on the people, who in silence felt themselves to be disregarded, and their ancient civilisation despised. There was, indeed, we are told, a system of so-called English education, consisting chiefly of instruction in mathematics and random or convenient selections of more or less known authors. One of the courses contained portions of Dr. Dixon's 'Life of Bacon,' Prescott's 'Essay on Chinchtrunda,' some of Milton, Campbell's 'Rhetoric,' and Roger's 'Italy,' as a curriculum of English literature for advanced students; whilst in mental philosophy, 'Abercrombie,' in history, a few notices of the history of the Jews, and of Rome or Greece, were deemed sufficient.²

¹G.W. Leitner - An Orientalist Par Excellence, Dr. Imtiaz Ahmad, Punjab University journal, Page: 1

https://pu.edu.pk/images/journal/uoc/PDF-FILES/%2820%29_v83_3-4_08.pdf

²Leitner G.w:History Of Indigenous Education In The Punjab, Languages Department Punjab, 1971, Page:5.

فوصف لايتنر عند وصوله مدينة لاهور سنة ١٨٦٤م ما شاهده من النظام الحكومي هناك بأنه قليل الجدوى، بعيد الأثر في نفوس الناس، إذ شعروا بالإهمال ورأوا حضارتهم موضوعة موضع الازدراء. أما ما كان يسرى يومئذٍ بالتعليم الإنكليزي، فلم يجاوز أن يكون دروساً في الرياضيات، وبتفراً متفرقة من كتب الأدب والتاريخ والفلسفة، كصفحات من سيرة بيكون، ومقتطفات من شعر ملتون، وكتاب كامبل في البلاغة، ورسالة برسكوت، وشيئاً من "إيطاليا" لروجرز؛ ثم بضع صفحات من "أبركرومي" في الفلسفة العقلية، ونبذاً وجيزة من تاريخ اليهود واليونان والرومان، عدوها كافية للطلاب.

فاختار لايتنر موقفاً مغايراً للسياسة التعليمية البريطانية السائدة آنذاك، والتي كانت تفرض اللغة الإنجليزية لغة أساسية في المناهج الدراسية كما جرى في جامعة كلكتا وغيرها من المؤسسات والكليات في شرق الهند، بل تبني رؤية إيجابية تقوم على تدريس اللغات الشرقية في الجامعات، وجعلها وسيطاً أساساً لاكتساب المعارف والعلوم في الجامعات الحكومية، بما يعكس روح الشرق ويحترم آراء الهنود وثقافتهم¹.

وقد نجح في تطبيق هذه الرؤية الإيجابية في بنجاب، إذ حاز قبول العامة ورضا الخاصة، فشرع تأسيس كليات تعليمية متخصصة في تعليم اللغات الشرقية بما فيه العربية والأردية والسانسكريتية، كما خطط لفتح مزيد من الكليات لنشر هذا النمط من التعليم.

وفي عام 1865م، أسس "أنجمن بنجاب"، وهو اختصار لاسمها الكامل أنجمن إشاعت مطالب مفيدة بنجاب، أي "جمعية نشر المطالب المفيدة في بنجاب". وقد افتتحت الجمعية في عامها الأول مدرسة شرقية في لاهور، ثم أنشئت جمعيات مماثلة في مدن أخرى مثل أمرتسر وراولبندي.

كما أعد لايتنر خطة لإنشاء "الجامعة الشرقية" بهدف تطوير التعليم العالي باللغات الشرقية، غير أن الحكومة البريطانية رفضت المشروع بحجة نقص الموارد المالية².

¹ الدكتور، صفية بانو، أنجمن بنجاب، تاريخ وخدمات، ط: كراتشي-باكستان: كفايت أكاديمي، اردو بازار، ١٩٧٨. ص: ٨.

² نفس المصدر، ص: ١٠.

مساهماته:

كان ولیم لایتنر عالما بارزا وباحثا جادا تميز بطموح علمي قلما نجد عند غيره من المستشرقين لا سيما في مجال تطوير اللغة العربية والعلوم الإسلامية ودراساتها في شبه القارة الهندية، وقد ركزت جهوده على إنشاء مؤسسات تعليمية متخصصة في تعزيز اللغة العربية وغيرها من اللغات الشرقية، وترك بسمه واضحة في مسار الدراسات العربية والإسلامية، وفيما يلي أبرز مساهماته:

تأسيس "أنجمن بنجاب":

النظام التعليمي في بنجاب في عهد الحكومة البريطانية كانت مرتبطة بجامعة كلكتا ونظامها، الذي كان يفرض إدخال اللغة الإنجليزية في المناهج الدراسية وهيمنتها على التعليم، مما أدى إلى عزل الطلاب عن ثقافتهم ولغاتهم الأم. وقد أصبح الطلاب عالقين بين عالمين: عالم الثقافة واللغة الإنجليزية، وعالم الثقافة واللغة المحلية. ولمعالجة هذه الفجوة، ونشر العلوم بلغة أهلها أسس الدكتور ليتنر جمعية أنجمن بنجاب الأدبية في 21 يناير سنة 1865م، وكان من أبرز أهدافها:

1. إحياء العلوم الشرقية القديمة.
 2. نشر المعرفة العامة من خلال اللغة المحلية (العامة).
 3. النهوض بالصناعة والتجارة.
 4. مناقشة القضايا الاجتماعية والأدبية والعلمية والسياسية.
 5. ربط العلماء والوجهاء في الإقليم بمسؤولي الحكومة.¹
- ولكن هل نجحت "أنجمن بنجاب" في خططها أم لا، فيجيب عنه الدكتور بروس ج. ف (Bruce J.F.):

It is not recorded that the Anjuman ever seriously pursued the third of its avowed objects, but, under the exhortation of its active secretary, who called public meetings and composed many addresses, the Society established a Free Public Library and Reading Room, compiled a number of treatises and translations in vernacular

¹ A History of the University of Panjab, J.F.Bruce, Lahore, 1033, p: 10

and classical languages, and established an Oriental School at Lahore during the first year of its existence. 4 Similar societies were founded at Amritsar, Gurdaspur and Rawalpindi. Genuine interest was apparently evoked in their objects, with which the Lieutenant-Governor, Sir Donald McLeod, cordially sympathized.¹

لا يبدو أن جمعية "الأنجمن" قد سعت بجدية وراء الهدف الثالث من أهدافها المعلنة، غير أنه، وبفضل الجهود الحثيثة لأمينها النشيط – الذي كان يعقد الاجتماعات العامة ويكتب العديد من الخطب والبيانات – حققت الجمعية عددًا من الإنجازات البارزة. فقد أسست مكتبة عامة مجانية مع قاعة للمطالعة، كما قامت بجمع مؤلفات ورسائل وترجمتها بعدة لغات محلية وكلاسيكية، وأنشأت مدرسة شرقية في لاهور خلال السنة الأولى من تأسيسها. وقد تأسست جمعيات مماثلة في أمريتسر، وغورداسبور، وراولبندي. ويبدو أن هذه الأنشطة قد أثارت اهتمامًا حقيقيًا بين الناس، وهو ما لقي تعاطفًا صادقًا من الحاكم العام السير دونالد ميلاد.

يمكننا أن نستنتج من هذا أن وليم لايتنر بذل جهده كله في نشر العلوم الشرقية، خاصة اللغة العربية والعلوم الإسلامية. ولم تتوقف جهوده عند تأسيس الكلية الشرقية، بل أنشأ أيضًا جمعيات علمية وخيرية كان هدفها تشجيع الناس على التعاون في نشر العلوم والفنون، مع الحفاظ على هويتهم وثقافتهم وكرامتهم. وانتشرت أنشطة هذه الجمعيات في أماكن أخرى غير مدينة لاهور، مما يدل على نجاحه الكبير في تحقيق هدفه وطموحه المستمر في نشر العلوم الشرقية بين أبنائها، حتى لا يفترط الجيل الجديد في الإرث العلمي العظيم الذي تركه أجدادهم.

كما اهتم لايتنر بوسائل التعليم المختلفة، فأسس مكتبات مجانية وقاعات للمطالعة، بالإضافة إلى معاهد علمية ومدارس أهلية، مثل "المدرسة الشرقية". ومن أبرز إنجازاته أيضًا جمع المخطوطات العربية والكتب النادرة. وكان يؤكد دائمًا على أهمية ترجمة النصوص العربية إلى اللغات المحلية والإنجليزية، وشجع العلماء على ترجمة الأعمال الأدبية والدينية العربية لتصل

¹ A History of the University of Panjab, J.F.Bruce, Lahore, 1033, p: 10

إلى الجماهير غير الناطقة بالعربية داخل الهند وخارجها. وقد ساعدت هذه الجهود في الترجمة على تعزيز فهم أعمق للأدب العربي ونشره بشكل أوسع. وأدخل كثيرًا من أمهات الكتب في المناهج الدراسية العربية والتي لم يكن جزء منها بعد أن استشار مع العلماء والأدباء مثل: مولانا فيض الحسن السهارنبوري، ومولوي عبد الكريم.

ومن أبرز الأعمال التي اضطلع بها الدكتور لايتنر، إلى جانب نشاطه في "أنجمن بنجاب"، ما يلي

1. كان لايتنر شديد العناية بجمع المخطوطات والكتب النادرة، وقد أولى عناية فائقة بالمخطوطات العربية، والمصادر الإسلامية، فجمع منها مجموعة كبيرة غدت موردا أساسيا فيما بعد للطلاب والباحثين بما أتاح لهم الفرصة للوصول والنفوذ إلى ذخائر الأدب الكلاسيكي، والمصادر الإسلامية الأصيلة.

2. تشجيع الترجمة والمنح الدراسية: أكد لايتنر على أهمية ترجمة النصوص العربية إلى اللغات المحلية واللغة الإنجليزية. وشجع العلماء على ترجمة الأعمال الأدبية والدينية العربية، وجعلها في متناول الجماهير غير الناطقة بالعربية في الهند وخارجها. لعبت جهوده في الترجمة دورًا في تعزيز فهم أعمق للأدب العربي، عندما أقرت كلية جامعة البنجاب من قِبَل حكومة الهند، كان هدفها الأول هو: "نشر العلوم الأوروبية، قدر المستطاع، بواسطة اللغات العامية في إقليم البنجاب، والعمل على تحسين الأدب العامي وتوسيعه بوجه عام". وقد اقترح لتحقيق هذا الهدف تقديم مكافآت مالية للمترجمين والمحررين والجامعين.

وقد أعدّ الدكتور لايتنر بنفسه أربعة مجلدات في إطار هذا المشروع، هي: "سنة الإسلام" (الجزء الأول والثاني)، وكتاب في قواعد اللغة العربية بعنوان "مقدمات الصرف" باللغتين الأردية والعربية. كما ألّف "لالا بهاري لال" رسالة في علم النفس باللغة البنجابية. وإلى جانب ذلك تُرجمت كتب الكيمياء والرياضيات والعلوم الطبيعية والفلسفة وعلم وظائف الأعضاء إلى اللغة الأردية، التي كانت آنذاك اللغة المشتركة في البنجاب.

3. تعزيز التفاهم بين الثقافات: عزز لايتنر خلال مؤسساته بيئة أعطيت فيها الدراسات العربية والإسلامية أهمية في العالم الأكاديمي، مما ساعد في سد الفجوة الثقافية بين العلماء البريطانيين والطلاب الهنود. وقد شجعت دعوته

للدراستات العربية والشرقية على احترام الأدب العربي والدراسات الإسلامية داخل النظام التعليمي الاستعماري. تأسيس "الجامعة الشرقية":

وبسوء الحظ - أُغلقت المدارس التي كانت تحت رعاية "أنجمن بنجاب" سنة 1867م بسبب عدم حصولها على الدعم الحكومي المقرّر، والذي كان خمسون روبية شهرياً لكل مدرسة، فضلاً عن بعض العقبات البيروقراطية. وقد جرت محاولة جديدة لإنشاء كلية أو مدرسة تُدرّس فيها اللغات الشرقية: العربية، والفارسية، والأردية، والسانسكريتية، والهندية، وقد عُيّن سبعة معلمين لهذا الغرض. غير أنّ هذه المحاولة لم يُكتب لها النجاح، إذ استُخدمت الأموال التي جُمعت لتأسيس "الجامعة الشرقية" في تشغيل تلك المدارس والكليات، وهو ما اعتبرته اللجنة الأوروبية الداعمة استخداماً غير مشروع للأموال. وبناءً على ذلك أُغلقت الكلية في الأول من يونيو سنة 1868م¹.

وفي سنة 1870م ظهرت إلى الوجود جامعة البنجاب، ومعها توأمتها الكلية الشرقية، بفضل الجهود التي بذلها الدكتور لايتنر في سبيل إنشاءهما. وكان الهدف الأكبر من وراء إنشاء هذه الكلية هو وضع الأساس لجامعة شرقية تُدرّس فيها الثقافات الشرقية من خلال لغاتها: العربية والسانسكريتية والهندية، مع إشارة خاصة إلى الديانات التي نمت وتطورت في سياق هذه اللغات الشرقية. ومن هذا المنطلق برزت فكرة إنشاء المكتبات، ونشر المصادر العربية، وتطوير الدراسات الإسلامية².

فكان الدكتور لايتنر هو القوة الدافعة وراء فكرة إنشاء جامعة في البنجاب، وقد عُرفت هذه المؤسسة في بدايتها باسم "المدرسة الشرقية" حتى سنة 1872م، ثم غيّر اسمها إلى "الكلية الشرقية". وقد دُرّست فيها اللغات الرئيسة: العربية والفارسية والسانسكريتية، إلى جانب مواد الرياضيات مثل الحساب والجبر وأصول إقليدس، وكذلك تاريخ الهند والجغرافيا. وبعد سنوات

¹ A Report of *Anjuman-i-Panjab*, 1866, Part III, p.13.

² https://www.researchgate.net/publication/357002689_Oriental_College_Lahore_A_Dream_Project_of_Dr_GW_Leitner

قليلة أُدخلت اللغة الهندية بالحرف الديفناغري، واللغة البنجابية بالحرف الغورمكي ضمن مناهجها الدراسية.

ومما نخلص إليه أن وليم لايتنر قد بذل قصارى جهده في نشر العلوم الشرقية، ومن بينها اللغة العربية والعلوم الإسلامية. ولم تقتصر جهوده على تأسيس الكلية الشرقية، بل أسس كذلك جمعيات علمية وخيرية هدفت إلى حبّ العامة والخواص على التعاون المتبادل في نشر العلوم والفنون مع الحفاظ على هويتهم وثقافتهم وكرامتهم. وقد امتدت دائرة هذه الجمعيات إلى بلاد أخرى غير لاهور التي عمل فيها لايتنر، كذلك أسس مكتبات مجانية، ونشر المصادر العربية والكتب النادرة، وأصلح النظام التعليمي السائد وأدخل كثيرا من الكتب القديمة النافعة في المناهج الدراسية، وهو ما يدل على نجاحه الباهر في إنجاز مهمته، وتحقيق أهدافه وطموحاته المتزايدة لنشر العلوم الشرقية بين أبنائها، حتى لا يتخلى الجيل القادم عما ورثه عن آبائه من إرث علمي عظيم.

إميليو غارسيا غوميز: جسرين الحضارة العربية والإسبانية

إميليو غارسيا غوميز (Emilio García Gómez) يعد واحدًا من أبرز الشخصيات الأكاديمية التي سعت إلى بناء جسر ثقافي بين الحضارتين العربية والإسبانية، وكونه مستشرقًا إسبانيًا مميّزًا كان له دور بالغ الأهمية في تعريف العالم الغربي بالتراث الأدبي والفكري العربي، وبخاصة الأدب الأندلسي، الذي يُعد جزءًا حيويًا من التراث الثقافي العربي في إسبانيا، وأبدع غارسيا غوميز في ربط هاتين الحضارتين من خلال عمله على ترجمة ودراسة النصوص العربية القديمة، مما ساهم في الحفاظ على جزء كبير من التراث العربي الذي كان قد يتلاشى لولا جهوده.

وقد تمكّن غوميز بعد سنوات طويلة من البحث والكتابة من تحقيق إنجازات بارزة في نقل الأدب العربي وتفسيره، حيث ركز على إبراز العمق الثقافي للعرب وتأثيرهم على الحضارة الإسبانية، ومن خلال دراساته، قام بتحليل الشعر والنثر العربي، مقدمًا رؤية جديدة لتلك النصوص القديمة ومبررًا الجماليات الأدبية التي أغنت التاريخ الثقافي لإسبانيا، وساهم في إثراء المكتبات الإسبانية والعالمية بالعديد من الدراسات والترجمات التي أصبحت مراجع لا غنى عنها في مجال الاستشراق.

وإنهم لم يكن مجرد مترجم أو باحث، بل كان جسرًا حضاريًا استطاع أن يعبر بالعالم الغربي إلى فضاءات جديدة من المعرفة والتفاهم المتبادل بين الثقافات، ورغم مرور عقود على وفاته تظل إسهاماته العلمية جسرًا متينًا يربط بين الشرق والغرب، ويعكس الروابط الثقافية العميقة التي تجمع بين الحضارتين العربية والإسبانية.

وفي هذه المقالة سيتم تسليط الضوء على حياة غارسيا غوميز، بما في ذلك خلفيته الأكاديمية ودراساته الأولية، بالإضافة إلى رحلاته الاستكشافية إلى العالم العربي وتأثيرها في صياغة فكره، وسنناقش الأعمال التي ركز فيها على

¹الأستاذ الضيف، في قسم اللغة العربية، بكلية ستي (المدينة) الحكومية، حيدرآباد، الهند

الأدب العربي الأندلسي، خاصة الشعر، وكيف ساهمت ترجماته في فهم الغرب لهذا التراث الثقافي الهام.

سيرة إميليو غارسيا غوميز ومسيرته العلمية

وُلد إميليو غارسيا غوميز شيخ المستعربين الإسبان في 4 يونيو 1905 في مدريد، إسبانيا، حيث نشأ في بيئة ثقافية ثرية أتاحت له اكتشاف اللغات والآداب منذ سن مبكرة، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدريد، وكان شغفه المبكر باللغات وخاصة العربية نتيجة لتأثره بالتراث الأندلسي الذي كان جزءاً من الهوية الثقافية الإسبانية، وبدأ اهتمامه بالأدب العربي يظهر خلال سنوات مراهقته عندما اكتشف عظمة الأدب الأندلسي ودوره في التراث الإسباني¹.

وبدأ رحلته الأكاديمية في جامعة مدريد، حيث درس الفلسفة والآداب وتعمق في دراسة اللغة العربية على يد المستعربين البارزين في إسبانيا، "خوليان ريبيرا" و"ميغيل آسين بالاثيوس"، وهما من أهم المستشرقين الذين كان لهم تأثير كبير في تكوين رؤيته الأكاديمية، وهذا التوجيه الأكاديمي ساعده على تطوير مهاراته اللغوية، واكتشاف الثروة الأدبية والفكرية للتراث العربي².

والتحاقه بالجامعة بين عامي 1923-1924 كان بمثابة نقطة انطلاق مسيرته العلمية في دراسة اللغة العربية، إذ بدأ في دراسة النصوص العربية بشكل مكثف، مما مكّنه من فهم تعقيدات اللغة والتراث العربي، وحصل على درجة الدكتوراه في الأدب المقارن عام 1926 وهو في سن 21 فقط، بأطروحة عنوانها "قصة عربية هي أصل مشاركتك بين ابن طفيل وغراثيان"، وفي هذه الأطروحة أظهر غوميز مهارته في ربط الأدب العربي بالأدب الإسباني، مما يعكس قدرته الفائقة على الربط بين الثقافات³.

رحلاته الاستكشافية إلى العالم العربي: قد لعبت رحلات غوميز إلى العالم العربي دوراً محورياً في تشكيل فكره الاستشراقي، وزار مصر والمغرب في بداية

¹ يوسف: محمد خير رمضان، معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1425هـ، ج 1 ص 109.

² يوسف: محمد خير رمضان، أعلام أجانب: مستشرقون، مؤلفون، مشاهير: وفيات (1397 - 1415هـ)، (1977 - 1995م) دار ابن حزم، بيروت، 1416هـ، ص 21.

³ د. محمد العمارة، إميليو غارثيا غوميز: شيخ الاستعراب الإسباني الحديث وفقيه الدراسات الأندلسية، مجلة الرافد، حكومة الشارقة - دائرة الثقافة، الإمارات، يونيو، 2017م، ص 80.

مسيرته، حيث تعرّف على تفاصيل الحياة اليومية والفكرية في المجتمعات العربية، وكانت مصر وخاصة القاهرة بمثابة نقطة تحول رئيسية له، حيث زار الجامع الأزهر والمكتبة الخديوية، واطلع على المخطوطات النادرة التي كانت تشكل جزءاً هاماً من التراث العربي الإسلامي.

وكان لتأثيره في الدراسات العربية دور مهم عقب البعثة التي قضاها في مصر بتوصية من المستشرق الإسباني "خوليان ريبيراتاراجو" وبتمويل من "دوق ألبا"، وهذه البعثة التي امتدت لعام وبضعة أشهر بين عامي 1927 و1928، كانت المرة الأولى التي يتوجه فيها الاستشرق الإسباني نحو العالم العربي في المشرق. وتوثقت علاقاته أثناء هذه الرحلات بشخصيات ثقافية بارزة، مثل "أحمد زكي باشا"، المعروف بلقب "شيخ العروبة"، و"طه حسين"، أحد أعظم الأدباء في مصر، وكان لهذه الصداقات تأثير كبير في مسيرته الأكاديمية والمهنية، وأثناء إقامته في مصر شاهد غارسيا غوميز الحياة الثقافية النشطة في القاهرة، والتي كانت تعج بالفعاليات الأدبية والعلمية.

وأثمرت صداقته مع أحمد زكي باشا عن منحه مخطوطة نادرة لكتاب "رايات المبرزين وغايات المميزين" للمؤلف ابن سعيد المغربي، وهو كتاب يحتوي على مختارات شعرية أندلسية، وأثرت هذه الهدية بشكل كبير في دراسات غارسيا غوميز المستقبلية.

أما عن علاقته بطه حسين، فقد أثمرت عن ترجمة إميليو غارسيا للكتاب الشهير "الأيام" إلى اللغة الإسبانية، مما جعله أول من يترجم هذا العمل الأدبي الكبير إلى هذه اللغة، وكان لهذه الترجمة دور كبير في نشر الأدب العربي المعاصر في إسبانيا، ورفعت من مكانة غارسيا غوميز كجسر بين الثقافتين العربية والإسبانية¹.

ومن بين المواضيع التي اهتم بها غوميز أثناء رحلاته كانت الأدب العربي والتصوف الإسلامي، لأنه زار العديد من المدن العربية مثل دمشق وبغداد، ودرس المخطوطات واطلع على الأعمال الأدبية والفلسفية العربية، وهذه

¹ د- مها بنسعيد، إميليو غارسيا كوميث رائد الاستشرق في إسبانيا، مجلة الأفكار، وزارة الثقافة، الأردن، ع347، كانون الأول، 2017م، ص40.

التجارب جعلت منه واحدًا من أهم المستشرقين الذين استطاعوا أن يفهموا الروح العربية الإسلامية ويقدموا هذا الفهم للعالم الغربي.

وبعد عودته إلى إسبانيا عُيّن غارسيا غوميز أستاذًا في جامعة مدريد، حيث لعب دورًا كبيرًا في تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية لأجيال من الطلاب الإسبان، وبفضل تعليمه وإشرافه الأكاديمي، تخرج العديد من الباحثين الذين أصبحوا فيما بعد روادًا في الدراسات العربية والإسلامية في إسبانيا، وبصفته مستشرقًا بارعًا استطاع أن يغرس في طلابه حب اللغة العربية والاهتمام بالتراث الإسلامي، وهو ما انعكس في نشاطاتهم الأكاديمية لاحقًا.

كما أسس غوميز عددًا من البرامج الأكاديمية التي تهتم بدراسة التراث الإسلامي، وعمل على تعزيز الروابط بين الجامعات الإسبانية والمؤسسات الأكاديمية في العالم العربي، وساهم في تحسين فهم الطلاب الإسبان للثقافة الإسلامية ولغة القرآن، مما جعل الدراسات العربية والإسلامية جزءًا أساسيًا من المناهج الأكاديمية في إسبانيا.

وشهدت حياته في عام 1958 تحولًا كبيرًا من العمل الأكاديمي في الجامعة إلى السلك الدبلوماسي والسياسي، حيث قرر ترك منصبه كأستاذ في جامعة مدريد ليتولى مهام جديدة كسفير لإسبانيا في بعض دول الشرق الأوسط مثل: بغداد، بيروت، أنقرة وهذه المرحلة التي استمرت من عام 1958 حتى 1969 كانت طويلة وغنية بالتجارب الفريدة والمتنوعة، واكتسب خبرة واسعة في التعامل مع العالم العربي والإسلامي بشكل عملي، بالإضافة إلى الاستفادة من معرفته الأكاديمية السابقة في دراسة الثقافات العربية¹.

الجوائز والتكريمات: حظي غوميز بتقدير كبير من بلاده وبلاد العرب ومن مؤسساتها العلمية الرفيعة، فقد تم منحه عضوية في العديد من الأكاديميات المرموقة، حيث أصبح عضوًا في "الأكاديمية الملكية للتاريخ" في عام 1943، وبعد ذلك تولى رئاستها، كما تم اختياره عضوًا في "الأكاديمية الملكية الإسبانية" في عام 1945، وكان عضوًا مراسلًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصر، وعضوًا مشاركًا في أكاديمية الملك فؤاد الأول بالقاهرة، وعضوًا مراسلًا في المجمع العلمي

¹ المرجع السابق: مجلة الرافد، ص 81.

بدمشق، سوريا، حيث تم تعيينه في 28 ديسمبر 1948، وعضوًا في المجمع اللغوي العراقي ببغداد، العراق، وهذا اعتراف كبير بمكانته العلمية والثقافية. وفي سنواته الأخيرة كرّمته الحكومة الإسبانية بمنحه "جائزة الدولة التقديرية في مجال الدراسات التاريخية" في عام 1989، وهي واحدة من أعلى الجوائز الأكاديمية في إسبانيا، ثم حصل على "جائزة أمير أستورياس" في عام 1992، والتي تعتبر واحدة من أكبر الجوائز التي تُمنح في إسبانيا. بالإضافة إلى ذلك، تلقى غارسيا غوميز عددًا كبيرًا من الأوسمة والتكريمات من إسبانيا ومن دول أخرى عديدة، وكان آخر تكريم له من قبل "ملك إسبانيا" الذي منحه لقب "كونت دي أليخاريس"، وهو لقب كان قد أهمل لسنوات طويلة حتى تم اكتشافه وإحيائه بواسطة غوميز¹.

إسهامات غارسيا غوميز في دراسة الأدب العربي الأندلسي

يُعد إميليو غارسيا غوميز من أبرز المستشرقين الإسبان الذين لعبوا دورًا محوريًا في نقل التراث العربي الأندلسي إلى الحضارة الإسبانية من خلال عشقه العميق للأندلس وثقافتها، وركز على ترجمة أمهات الكتب العربية إلى اللغة الإسبانية، مما أسهم في تقديم هذا التراث الغني لجيل من الباحثين الإسبان والمهتمين بالثقافة الأندلسية.

وألف العديد من الكتب حول الأدب والتاريخ العربيين، كما قدم ترجمات للنصوص العربية التي كان لها تأثير كبير على الأدب الإسباني، وتميزت ترجماته خاصة لأبيات الشعر العربي الأندلسي بتأثيرها العميق في الشعر الإسباني المعاصر.

وظهرت مختاراته من الشعر العربي في فترة ازدهار الشعر الإسباني العالمي، حينما كان الأدب الإسباني يشهد عصرًا ذهبيًا بوجود كبار الشعراء مثل: ميغيل دي أونامونو، وأنطونيو ماتشادو، والجيل الذي تلاهم من شعراء بارزين مثل فيديريكو غارسيا لوركا، وخورخي غيبن، وفيثينتي ألكساندر، ورفائيل ألبرتي.

فنشر غوميز كتابه الشهير "خمسة شعراء مسلمين: سير ودراسات" (Cinco poetas musulmanes: Biografías y Estudios) عام 1944، ضمن سلسلة

¹ الجبوري، كامل سلمان، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، ط1، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ج1 ص 404.

"أوسترال" التي تصدرها دار إسبانيا كالب للنشر في مدريد، وهذه السلسلة معروفة بجمعها لأهميات الكتب القديمة والحديثة في طبقات شعبية أنيقة وبأسعار مناسبة، وقد صدرت طبعة ثانية من الكتاب عام 1959.

ويقدم الكتاب دراسات وسير حياة خمسة من أبرز الشعراء المسلمين بترتيب المؤلف: المتنبي، الأمير مروان الطليق، أبو إسحاق الإلبيري، ابن قزمان، وابن زمرك، تعتبر هذه الدراسات من الأعمال المهمة في مجال الأدب العربي، حيث أقدم دراسة في الكتاب هي عن ابن قزمان، والتي نُشرت لأول مرة عام 1933م، وأما أحدث دراسة فهي عن أبي إسحاق الإلبيري، والتي نُشرت في عام 1944.

وقد جمع غوميز في كتابه خمس دراسات حول خمسة شعراء عرب كانوا قد تفرقوا بين العديد من المنشورات، وبعض هذه الدراسات لم تكن قد نُشرت للجماهير من قبل، فالدراسة الأولى تناولت المتنبي الذي يُعتبر من أبرز الشخصيات المشرقية في الأدب العربي وأطلق عليه بحق لقب "شاعر العرب الأكبر".

وأهمية المتنبي لا تنبع فقط من موهبته الشعرية الفذة، بل أيضًا من تأثيره العميق والمستمر على الأجيال الشعرية التي جاءت بعده، ولم يكن هناك شاعر آخر في العصور الإسلامية السابقة أثر بهذا العمق والوضوح في الشعراء العرب كما فعل المتنبي، وما يزال شعره حاضرًا في أحاسيس الشعوب العربية حتى اليوم.

وقد دفعه إلى تحرير هذه الدراسة شعور مزدوج: أولاً، الرغبة في سد الفجوة في الأدب الإسباني حيث كان المتنبي موضوعًا لم يُدرس بشكل كافٍ أو على نحو متكامل في الأدب الإسباني مقارنة بلغات أوروبية أخرى، وثانيًا رغبته في تعميق دراسته للشعر الأندلسي، الذي تأثر بفن المتنبي بوضوح لا يُمكن إنكاره، فالمتنبي كان يستحق هذه الدراسة، إذ لم يكن هناك شاعر آخر في الأدب العالمي يمكن أن تكون حياته حافلة بالتوترات والانعكاسات الإنسانية مثل حياة شاعر الكوفة الخالد.

وركز في دراساته الأربع الأخرى على شعراء أندلسيين، حيث أظهر اهتمامًا خاصًا بتميز طابعهم الشخصي وحياتهم وأذواقهم الأدبية أكثر من مكانتهم

الشعرية التقليدية في إطار الشعر الأندلسي الكلاسيكي، وقد اختار نماذج من هذا الفن الرفيع، معتمداً على مصادر معروفة وشائعة.

وأبدى اهتماماً خاصاً باكتشاف الأبعاد الفكرية لهؤلاء الشعراء، وقدم لهم دراسات جمالية وفكرية متميزة، ورغم أن هذه الدراسات كانت جانبية ومختلفة عن النهج الكلاسيكي المتعارف عليه، إلا أنها تميزت بأهمية أدبية وتاريخية بالغة في تقديم فهم أعمق للحياة الفكرية في الأندلس.

وقد وعد بجمع هذه الدراسات في كتاب مستقل في مناسبة أخرى، لكنه ركز في هذا الكتاب على تقديم تراجم جانبية لأربعة شعراء تجاوز كل منهم بطريقة أو بأخرى الحدود التقليدية لما هو متعارف عليه في الشعر الأندلسي، ما جعلهم شخصيات ذات أهمية كبيرة لفهم الحياة الأدبية والفكرية في الأندلس.

والدراسة الخامسة التي قدمها غوميز كانت عن الشاعر الأندلسي ابن الزقاق، وقام المؤلف بترجمة مجموعة من مقطوعات شعر ابن الزقاق إلى اللغة الإسبانية، وتم إصدارها عن المعهد الإسباني العربي في مدريد عام 1960م.

واختار في هذه الدراسة مقطوعات شعرية معينة واستخدمها كأمثلة وشواهد على دراسته حول الشاعر، مما يعكس اهتمامه العميق بتحليل الشعر العربي الأندلسي وفهمه، ويهدف إبقاء التسلسل الزمني للشعراء الذين تناولهم غوميز في كتابه "خمسة شعراء مسلمين"، تم وضع دراسة ابن الزقاق في الموقع الزمني المناسب، بين دراسة أبي إسحاق الإلبيري وابن قزمان، وهذا الترتيب يُظهر التزام غوميز بالمنهج التاريخي في دراساته، ويمنح القارئ العربي الفرصة للاطلاع على كل ما كتبه غوميز حول شعراء الأندلس في سياق متكامل.

والدراسة السادسة والأخيرة التي قدمها غوميز كانت عبارة عن مقال كتبه باللغة الفرنسية حول الشاعرين ابن هانئ الأندلسي والمتنبي، ونُشر هذا المقال ضمن مجموعة من الدراسات التي صدرت تكريماً للمستشرق الفرنسي ويليام مارسيس تحت عنوان "ميلانج ويليام مارسيس"، وصدر عن معهد الدراسات الإسلامية في جامعة باريس عام 1950م.

وهذه المجموعات قد نقلها إلى العربية وجمعها الطاهر أحمد مكي في كتاب سماها بـ "مع شعراء الأندلس والمتنبي: سير ودراسات" وقال: "هذه مجموعة من الدراسات المستشرق إسباني كبير، وقف حياته المديدة المثمرة على دراسة

التراث العربي في الأندلس في مختلف جوانبه تاريخاً وأدباً وحضارة، وهو تراث لقومه نصيب وفير منه، إبداعاً وإثراء وتأثراً، وأما المستشرق فهو الأستاذ الدكتور إميليو غرسيه غوميز، عضو مجعبي اللغة والتاريخ في مديرد وأستاذ اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة مديرد والسفير السابق لوطنه في كل من العراق ولبنان وتركيا¹.

ونشر غارسيا غوميز كتابه "أشعار أندلسية" عام 1930، الذي ترجم فيه إلى الإسبانية مختارات من الشعر الأندلسي، مستنداً إلى نصوص من كتاب "رايات المبرزين" لابن سعيد المغربي، وتلا ذلك نشر مجموعة أخرى من الترجمات الشعرية بعنوان "قصائد من الأندلس"، وكان لهذه الترجمات تأثير كبير في الوسط الشعري الإسباني، حيث استقبلها الشعراء بحماسة شديدة، كما أشار غارسيا غوميز في مقدمة الطبعة الثانية من الكتاب، حيث يقول: "إنّ الأوساط الشعرية قد استقبلته بحماسة بالغة على نحو كان مفاجئاً له هو نفسه، ويعلل ذلك بأنّ شعراء جيل الثلاثينيات الإسباني كان همهم الأكبر ابتكار صور شعرية تبهر النظر بغرابتها، فكان اطلاعهم على ما يقدمه الشعر العربي الأندلسي، من أمثال تلك الصور مثيراً لأخيلتهم ومنها لما يمكن أن يستفيدوه من مبتكرات ذلك الشعر في ميدان التشبيهات والاستعارات².

وهذه المجموعات عربها حسين مؤنس وقال عن غرسيه غوميز "وهذه صفحات من الشعر الأندلسي، كتبها عالم اجتمع له خصائص أربع تجعله أجدر الناس بفهم هذا الشعر والقول فيه: أولاهها: علم واسع باللغة العربية وتمكن نادر من أصولها وخصائصها وتاريخها؛ وثانيتهما: إحساس شعري صادق و إدراك فني دقيق، فهو شاعر يقول الشعر في لغته الإسبانية وناقد قادر على الحكم على الشعر والنثر؛ وثالثتهما: منهج على دقيق اكتمل له بطول الدرس والبحث؛ ورابعتهما أفق رحيب وثقافة إنسانية واسعة، ومن ثم فلا غرابة أن

¹ إميليو غارسيا غوميز، مع شعراء الأندلس والمتنبي: سير ودراسات، ترجمة وتقديم: الطاهر أحمد مكي، ط6، دارالفكر العربي، القاهرة، 2004م، ص 3.

² إميليو غارسيا غوميز، داماسو ألونسو، وماريا خيسوس سبيغيا، ترجمة وتقديم: محمود علي مكي، ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999م، ص 16.

يكون هذا البحث - على صغر حجمه - من أحسن ما كتب عن ناحية من نواحي الأدب العربي في اللغة العربية أو غيرها من اللغات¹.

وله أعمال أخرى قيمة منها: "عروض الموشحات الأندلسية والعروض الإسبانية" تناول فيه دراسة فنية مقارنة بين عروض الموشحات الأندلسية والشعر الإسباني، و"أشعار عربية على جدران ونافورات قصر الحمراء" وهو دراسة حول النقوش الشعرية العربية التي تزين جدران قصر الحمراء في غرناطة، و"ابن زمرك شاعر الحمراء" دراسة خاصة عن الشاعر الأندلسي ابن زمرك، الذي كان من أبرز شعراء البلاط النصري في غرناطة و"ابن قزمان" حيث اهتم بتراث هذا الشاعر المتميز في الأندلس، وخاصة "حوليات الحكم الثاني"، وترجمة "يوميات نائب في الأرياف" لتوفيق الحكيم.

المصادر والمراجع

- 1- إميليو غارسيا غوميز، مع شعراء الأندلس والمنتني: سير ودراسات، ترجمة وتقديم: الطاهر أحمد مكي، ط6، دارالفكر العربي، القاهرة، 2004م.
- 2- إميليو غارسيا غوميز، داماسو ألونسو، وماريا خيسوس بيغيا، ترجمة وتقديم: محمود علي مكي، ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999م.
- 3- إميليو غارسيا غوميز، الشعر الأندلسي: بحث في تطوره وخصائصه، ترجمة وتقديم: حسين مؤنس، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1952م.
- 4- الجبوري، كامل سلمان، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، ط1، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م.
- 5- د. محمد العمارتي، إميليو غارثيا غوميز: شيخ الاستعراب الإسباني الحديث وفقيه الدراسات الأندلسية، مجلة الرافد، حكومة الشارقة - دائرة الثقافة، الإمارات، يونيو، 2017م.
- 6- د- مها بنسعيد، إميليو غارسيا كوميث رائد الاستشراف في إسبانيا، مجلة الأفكار، وزارة الثقافة، الأردن، ع347، كانون الأول، 2017م.
- 7- يوسف: محمد خير رمضان، معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1425هـ.
- 8- يوسف: محمد خير رمضان، أعلام أجانب: مستشرقون، مؤلفون، مشاهير: وفيات (1397 - 1415هـ)، (1977 - 1995م) دار ابن حزم، بيروت، 1416هـ.

¹ إميليو غارسيا غوميز، الشعر الأندلسي: بحث في تطوره وخصائصه، ترجمة وتقديم: حسين مؤنس، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1952م، مقدمة المترجم.

المستشرقون وخدماتهم في تحقيق المخطوطات العربية؛

المشتشرقون الألمان أنموذجا

المدخل: إن موضوع تحقيق المخطوطات العربية وغيرها لا يزال اشكالا يحتاج إلى مدارسات وحوارات علمية واعية باستمرار. نظرا إلى أهمية قصوى لهذا الموضوع تبقى جهود الباحثين والأكاديميين المهتمين بالمخطوطات في حاجة إلى تقييم وتدعيم تارة وإلى تطوير وتحديث تارة أخرى. ولو اهتم العرب بنشر تراثهم القديم وتحقيقه في الربع القرن الماضي ولكن المشتشرقين أول من سبقوا إلى نشر تراثنا العربي، وهم أول من نهنا إلى كتبنا ونوادير مخطوطاتنا، وأنهم وضعوا بين أيدينا نصوصا لولاهم لم نعرفها مثلا نشرفرديناند فستنفلد (Ferdinand Wüstenfeld) معجم البلدان للياقوت عام 1922م، وفي سنة 1819م نشر فريتاغ "المنتخب من تاريخ حلب لابن العديم. ففي هذا البحث نقوم بدراسة مساهماتهم القيمة تجاه احتفاظ التراث العربي. الكلمات المفتاحية: المشتشرق، الألمان، المخطوطات العربية، التحقيق والبحوث، النصوص المنفردة.

المشتشرقون وخدماتهم في جمع المخطوطات العربية وتحقيقها ونشرها: إن المشتشرقين اهتموا بجمع المخطوطات العربية منذ زمن طويل من جميع أنحاء العالم وخاصة من بلاد الشرق الإسلامي. والسبب الرئيسي للجهود البارزة تجاه هذا العمل هو القيم التي تحمل هذه المخطوطات من تراث ثري في شتى مجالات الحياة من العلوم والفنون والآداب. وإن توفير هذه المخطوطات قد جلبت فئة علمية من أوروبا إلى الدراسات العربية. ومنذ حملة نابليون عام 1798م شهدت أوروبا اهتمامًا متزايدًا بالمخطوطات العربية القادمة من الشرق، وقد مثلت هذه المخطوطات مصدرا هاما لدعم الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات والمراكز البحثية الغربية. وكان من أبرز مظاهر هذا الاهتمام إرسال الرحالة والمشتشرقين لجمع هذه المخطوطات واقتنائها، إما بشرائها أو عن

¹ أستاذ ضيف بقسم دراسات العرب، إيفلو

طريق الهبات أو وسائل أخرى مشروعة وغير مشروعة، كما حصل مع إرسال ملك بروسيا مبعوثاً إلى الشرق في عام 1842م لجمع المخطوطات.

وقد خضعت هذه المخطوطات بعد وصولها إلى أوروبا لعمليات تنظيم وفهرسة دقيقة، حيث عُيّن المستشرقون بتصنيفها بحسب الموضوع وتوثيق بياناتها من حيث اسم المؤلف، وتاريخ النسخ، والناسخ، ومكان كتابة المخطوطة، مع إضافة ملخص لمحتواها العلمي. ومن أبرز الجهود في هذا المجال ما قام به المستشرق الألماني ألوارت (Ahlwardt)، الذي أعدّ فهرساً ضخماً للمخطوطات العربية في مكتبة برلين في عشرة مجلدات. وقد صدر هذا الفهرس في أواخر القرن التاسع عشر، ويُعد حتى اليوم مرجعاً أساسياً للباحثين في التراث العربي. كما يتضمن على فهرس لنحو عشرة آلاف مخطوط.

كما تحتوي مكتبات أوروبا على أعداد ضخمة من المخطوطات الإسلامية غير المفهرسة بشكل كامل، لاسيما في مجالات التفسير والحديث والعلوم الطبيعية والطب، ما يجعل هذه الكنوز عرضة للإهمال أو سوء التصنيف. ومن النماذج النادرة، ما أشار إليه أحد الباحثين حول وجود نسخة فريدة من القرآن الكريم تعود للقرن السادس عشر وقال عنه الشيخ أمسن الخولي:

"لقد قدمت السيدة كراتشكوفسكي بحثاً عن نوادر مخطوطات القرآن في القرن السادس عشر ميلادي وإني أشك في أن الكثيرين من أئمة المسلمين يعرفون شيئاً عن هذه المخطوطات وأظن هذه مسألة لا يمكن التساهل في تقديرها"¹.

ويؤكد بعض الباحثين الآخرين المتخصصين في التراث الإسلامي على أن الاستهانة بهذه المخطوطات تُعد تقصيراً علمياً لا يمكن التغاضي عنه، نظراً لما تحتويه من ثروات فكرية ومعرفية تسهم في إعادة بناء صورة أكثر دقة عن تاريخ الفكر العربي والإسلامي. ومن هنا، تبرز الحاجة إلى جهود بحثية متكاملة لفهرسة وتحقيق هذا التراث الضخم، مع ضرورة التعاون بين المؤسسات الأكاديمية في الشرق والغرب للحفاظ عليه وصونه من الضياع.

¹ : محمود حمدي زقزوق، اللاشتشراق والخلفية الفكرية للصراع الفكري، دار المعارف، القاهرة، ط: 1997، ص: 65

ولم يقتصر جهد المستشرقين الأوروبيين على جمع المخطوطات وفهرستها، بل تجاوز ذلك إلى تحقيقها ونشرها، مما ساهم في إحياء عدد كبير من كتب التراث العربي. وقد ساعدتهم المؤلفات العربية، بفهارسها الدقيقة وتنوع موضوعاتها، على التعرف على جوانب متعددة من الحضارة الإسلامية. وكانت هذه الكتب تمثل مرجعاً أساسياً للمستشرقين مثل كتب الجغرافيا، والتاريخ، والأنساب، والفقه، واللغة، والطب، وغيرها. ومن أبرز هذه الأعمال على سبيل المثال لا الحصر السيرة لابن هشام، والاتقان للسيوطي، والمغازي للواقدي، والكشاف للزمخشري وتاريخ الطبري، وكتاب سيبويه، وتجارب الأمم لابن مسكويه، وحي بن يقظان لابن طفيل، والممل والنحل للشهرستاني وغيرها من الكتب النادرة¹، مما يدل على ثراء المكتبة العربية وتعدد روافدها المعرفية. وتعكس جهود المستشرقين في هذا المجال مدى الأثر العلمي والحضاري للموروث العربي في تكوين المعرفة الأوروبية الحديثة.

دور المدرسة الاستشراقية الألمانية:

لقد أسهمت المدرسة الاستشراقية الألمانية بشكل ملموس في دراسة التراث العربي وتحقيق المخطوطات. وقد تميز الاستشراق الألماني عن غيره من المدارس الاستشراقية الغربية بتعدد مشارب باحثيه وتنوع تخصصاتهم، إذ لم يتبعوا خطأ واحداً أو أيديولوجية موحدة، بل اتجه بعضهم نحو البحث الموضوعي المدفوع بدوافع علمية، فيما تأثر آخرون بمرجعيات دينية أو فلسفية. و"انكب الباحثون الألمان على دراسة التراث العربي والإسلامي في مختلف مجالاته، كاللغة، والفقه، والتاريخ، والأدب، والفلسفة، وسعوا إلى تحقيق المخطوطات بدقة وعناية عبر نسخها وتحقيقها ونشرها وفقاً لمعايير علمية صارمة. وقد أسهموا في إحياء مئات المخطوطات من خزائن التراث، بعد أن كانت مجهولة أو غير متاحة للباحثين. كما عملت جهودهم على كشف الجوانب الفكرية والحضارية للثقافة العربية والإسلامية، مما أدى إلى بروز منظور استشراقي جديد في فهم هذا التراث، بعيداً عن التحيزات الأيديولوجية التي اتسمت بها بعض المدارس الأخرى"².

¹: المرجع السابق، ص: 85

²: صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى 1978، ص: 8

كما حرص بعض المستشرقين الألمان على احترام النصوص الأصلية، وتوثيق مصادرها، ومقارنتها بنسخ متعددة للوصول إلى النسخة الأقرب إلى الأصل. وقد تمخض عن ذلك "ظهور تحقيقات علمية دقيقة شملت مؤلفات في علوم القرآن، والحديث، والطب، والأنساب، والتاريخ، والمنطق، واللغة، وغيرها. ومما يميز هذا الاتجاه الاستشراقي اهتمامه بتدريب جيل من المحققين الأوروبيين على قواعد تحقيق النصوص ونقدها وفق مناهج علمية"¹.

إن المدرسة الألمانية لم تكتفِ بدراسة سطحية للتراث العربي، بل تعمقت في البنية الفكرية والمعرفية التي أنشأها العرب والمسلمون، وسعت إلى تقديم قراءات تحليلية نقدية أثرت مجالات الدراسات الإسلامية والشرقية. وقد شكّل هذا التوجه رافداً أساسياً في إعادة الاعتبار للتراث العربي بوصفه عنصراً فاعلاً في تكوين الحضارة الإنسانية العالمية، وأسهم في بلورة تصور جديد لدى الغرب عن قيمة هذا التراث وعمقه التاريخي والفكري.

نماذج من المستشرقين في المدرسة الألمانية:

تتميّز الاستشراق الألماني بنشاط ملحوظ في مجال تحقيق المخطوطات العربية، حيث تجلّى هذا النشاط في مؤسسات ومكتبات علمية رائدة، ومن أبرزها مكتبة "برلين" التي احتوت على ما يزيد عن عشرة آلاف مخطوطة عربية، خضعت للترتيب والفهرسة الدقيقة، واستُخدمت في عمليات الفحص والمقارنة والاستنساخ. ويُعد المستشرق "ألوارت" (Ahlwardt)، أحد الرواد الذين ساهموا في هذا المجال من خلال ما أنجزه من أعمال علمية أثّرت في واقع الدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا².

ولم يقتصر عمل المستشرقين الألمان على مجرد جمع المخطوطات وفهرستها، بل تعداه إلى دراسة الوسائل التقنية المستخدمة في الحفظ، وأشكال الترميم، والتحقيق النقدي، حيث تجاوز بعضهم مرحلة الوصف المادي للنصوص إلى نقدها العلمي وتحليل مضامينها. واهتم المستشرقون كذلك بتحقيق نصوص الأدب العربي الكلاسيكي، كأعمال الجاحظ، والمتنبي، وألفية ابن مالك، والسراج، والنحو، وكتب العروض والبلاغة. كما برزت جهودهم في

1: محمود حمدي زقزوق، الاشتراق والخلفية الفكرية للصراع الفكري، دار المعارف، القاهرة، ط: 1997، ص: 65

2: علي بن إبراهيم النملة، المستشرقون والتنصير، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، ص: 96

ترجمة نصوص مختارة من الأدب العربي إلى اللغات الأوروبية، وتحريرها في دوريات متخصصة.

وتنوعت اهتمامات المستشرقين الألمان منذ القرن التاسع عشر، فتناولوا قضايا تتعلق بالإسلام من نواحٍ دينية وثقافية، وانكبوا على ترجمة مؤلفات ذات طابع ديني وفقهي، وإن هذا هو الأمر الذي أثار لاحقاً في تشكيل نظرة الاستشراق الألماني للإسلام. وقد ارتبط كثير منهم بالمؤسسات التعليمية والبحثية في ألمانيا، وساهموا في بناء منظومة معرفية متكاملة حول التراث العربي والإسلامي.

ولم تخلُ جهودهم من محاولات التفسير وفق الرؤية الاستشراقية الغربية، التي غالباً ما اتسمت بالتحليل الخارجي لمفاهيم الإسلام، وهو ما انعكس في بعض دراساتهم السياسية والفكرية. كما يكتب محمود حمدي " قاموا بترجمة مئات من الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأوروبية كافة، واعدت أيضاً مجالات التأليف عندهم، فبلغ عدد ما ألفوه في الشرق في قرن ونصف أي منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتاباً، ولهم مؤلفات مليئة بالطعن في الإسلام، وهذا ما تصدى له العلماء والمحققون"¹، إلا أن بعض المستشرقين الألمان قدّموا أعمالاً علمية جادة تقوم على التحقيق العلمي للنصوص، بعيداً عن الأهداف الأيديولوجية.

أما المدرسة الاستشراقية الألمانية، فقد انفردت بنظرتها اللغوية واللسانية من خلال مؤلفات مثل كتاب "العقيقي" الذي حصر أسماء أكثر من 240 مستشرقاً²، بالإضافة إلى الكتب التعليمية المبكرة مثل كتاب "كريستمان" الذي وضع منهجاً لتعليم كتابة الحروف العربية منذ عام 1585م. كما تمثلت جهود أخرى في أعمال تهدف إلى مراجعة التراث الإسلامي وتحقيق المخطوطات بطرق علمية، بالتوازي مع جهود مماثلة في بلدان أوروبية أخرى.

ويعمل بعض الباحثين العرب على جمع أعمال المستشرقين اللغوية ويتناولونها بالتعليق والشرح والتحليل، مثل "يوسف أبو العدوس" في كتابه "الاستعارة في دراسات المستشرقين"، وكتب مقالات كثيرة في هذا المجال كالمقال

1: محمود حمدي زقزوق، الاشتراق والخلفية الفكرية للصراع الفكري، دار المعارف، القاهرة، ط: 1997، ص: 75

2: المرجع نفسه، ص: 79

الذي كتبه "ملك ميمون" بعنوان "المستشرقون ودراسة العروض العربي"، حيث اعتبر أن من "المستشرقين الذين تناولوا العروض العربي بالدراسة والتحليل" فايل "Weil" الألماني إذ نجد له مقالا في دائرة المعارف الإسلامية العامة عن العروض، والأخرى للحديث عن النبر، كما نجد لـ"فايل" كتابا خاصا عن العروض العربي كطبع عام 1958م بالألمانية¹.

أبرز الشخصيات الألمانية وجهودها في تحقيق المخطوطات العربية:

ظهر عدد كبير من الشخصيات الألمانية التي لها مساهمات بارزة في تحقيق المخطوطات العربية مثلا برجشتراسر، فيشير أوجيست، كارل بروكلمان وبوهان فك وغيرهم في التالي نرى مساهمات بعض منهم:

غوتيلف برجشتراسر

يُعدّ المستشرق الألماني غوتيلف برجشتراسر (GolthelfBergstrasser) أحد أبرز الباحثين الغربيين الذين كرسوا جهودهم لدراسة اللغة العربية وقراءات القرآن الكريم. وُلد في 5 أبريل 1886م وتوفي في 16 أغسطس 1933م، وقد اهتم بدراسة اللهجات العربية والقراءات القرآنية، إلى جانب اهتمامه بالفلسفة الإنسلامية واللغات السامية. تلقى تعليمه في جامعتي ميونيخ وليبنغ، حيث تخصص في اللغات الكلاسيكية والفلسفة. وفي سنة 1912م حصل على الدكتوراه برسالة عنوانها "حنين بن اسحاق ومدرسته".

وانتقل إلى "إستنبول سنة 1914م، ثم إلى سوريا ومصر وفلسطين في إطار بعثة استكشافية أوفدتها وزارة الخارجية الألمانية². وقد عُيّن أستاذًا للغة العربية في جامعة برلين عام 1919م. كما دُعي في الأعوام 1929م-1932م لإلقاء محاضرات في كلية الآداب بالجامعة المصرية، وكان من ثمار هذه المرحلة إصداره لمحاضراته في كتابه المعروف "تطور النحو العربي"، إلى جانب اهتمامه بتحقيق النصوص القرآنية، حيث سجل في القاهرة العديد من الأسطوانات الصوتية لقراءات قرآنية متنوعة، بهدف التوثيق والبحث.

1: يوسف أبو العديس، الاستعارة في دراسات المستشرقين فلفهارت هانبريش نموذجاً، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط 1، 1998، ص: 9-

2: إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مرسمة الأبحاث العربية، بيروت، ط 4، 1995، ص: 85

وقد عُرف برجشتراسر باطلاعه الواسع على المخطوطات القرآنية، كما كان يكره "هتلر" ودعوته إلى النازية، وكان برجشتراسر مغرماً بتسلق الجبال، ففي إحدى المرات حيث كان يتسلق الجبال، ومعه طالب من طلابته، إذ تعلق الطالب بقدمه فهوى من ارتفاع شاهق إلى قاع الوادي حيث التقى حتفه في جبال الألب بنواحي "برشجادن" جنوبي ألمانيا¹.
آثاره:

أما آثاره فقد تنوعت في نشاط علمي واسع ما بين اللغات السامية، وتاريخ العلوم عند العرب، وتاريخ القرآن. فكتب معجم قراء القرآن وقراءاتهم، واللهجات العربية العامية في سوريا وفلسطين، وله الدراسات حول كتاب "اللامات لأحمد بن فارس، وقراءة الحسن البصري، وقراءة القرآن في القاهرة، والقراءات الشاذة في كتاب "المحتسب" لابن جني، وفي مجال النشر قام بنشر أمهات الكتب العربية فنشر لابن خالويه: "القراءات الشاذة في القرآن" و"طبقات القراء لابن الجذري، و"تهذيب اللغة للأزهري، ومن مباحثه: "قواعد العربية لأحمد فارس الشدياق، في ميدان القراءات القرآنية وغيرها².
وله دراسات في الفقه الإسلامي، وكان يدعو عدم المبالغة في دعوى القانون المقارن والبحث عن المؤثرات في الفقه الإسلامي، ومن أعماله اللغوية البارزة والتي تناول بعض اللغويين، "الأطلس اللغوي الذي عمله في بلاد سوري وفلسطين³.
بروكلمان كارل

ولد بروكلمان في مدينة "روستوك" وعاش بروكلمان ما بين 18 سبتمبر 1868م و6 مايو 1956م، كان أبوه تاجراً وكانت أمه سيدة موهوبة روحياً، ومنها ورث ميوله العلمية كما نقل كارل في ترجمته الذاتية، وهي التي فتحت لابنها آفاق الألماني ولكن من سوء الأحوال المالية عاشت الأسرى في ضيق شديد. ولما إنه كان في المدرسة الثانية في "روستوك" بدأ يظهر ميوله إلى الدراسات الشرقية كما يقول بروكلمان، "وفي الصفوف العليا تجلت الميول التي ستسيطر على

1: ومضبان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص: 158

2: نجيب العقيقي، المستشرقون، ج2، ص، 350،

3: ومضبان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص: 158

حياتي بكل وضوح، وكانت هناك جمعية للقراءة تجتمع مرتين في الأسبوع لقراءة أبرز مجلات الجغرافية، وكان هذا الوقت وقت الاكتشافات الجغرافية العظيمة في آسيا وإفريقيا، وعلى الطريق ارتبط خيالي بالشرق، وكنت أهتم في المقام الأول بما يرد فيها من أخبار عن اللغات، ولهذا فإني وأنا لا أزال تلميذا في المدرسة الثانية وضعت مشروعا لكتاب نحو لهجة "البانتو" التي كان يتكلم بها في المستعمرة البرتغالية "أنجولا"، وكان أشد أمني إلحاحا على أن أعيش فيما وراء البحار¹. ثم التحق بجامعة "اشتراسبورج" عام 1890م، وعمل مساعداً فيها وفي نفس الوقت واصل دراسته العربية. فانتقل إلى "بروسلو" وحصل على الدكتوراه في يناير 1893م برسالة عنوانها "عبد الرحمان أبو الفرج بن الجوزي"، كما شارك في نشر نصوص عربية محققة، مثل "رسالة ابن أبي الربيع"، ونسخ من "عيون الأخبار" و"الطبقات لابن سعد". كما أصدر معجماً سريانياً في فبراير 1895م، وإن مشروعه الأشهر هو "تاريخ الأدب العربي" امتد طبعه من 1898م إلى 1900م، الذي يعد مرجعاً شاملاً للباحثين في الأدب العربي. كما إنه يتقن إحدى عشر لغة شرقية².

كما أسهم بروكلمان كذلك في كتابة دراسات حول الفقه، والتاريخ الإسلامي، والمعاجم. ويعد عمله مرجعاً لا غنى عنه للمشتغلين بالدراسات الإسلامية والعربية الكلاسيكية.

المراجع والمصادر

1. محمود حمدي زقزوق، الاشتقاق والخلفية الفكرية للصراع الفكري، دار المعارف، القاهرة، ط: 1997
2. صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى 1978م
3. على بن إبراهيم النملة، المستشرقون والتنصير، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى 1996م
4. يوسف أبو العديس، الاستعارة في دراسات المستشرقين فلفهارت هانريش نموذجاً، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط، 1، 1998
5. ادوارد سعيد، الاشتقاق، ترجمة كمال أبو ديب، مرسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط4، 1995
6. ومضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الثالثة 1997م
7. نجيب العقيلي، المستشرقون، دار المعارف، مصر، 1980م
8. عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت

1: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ص: 406

2: نجيب العقيلي/ المستشرقون، ج2، ص: 416

كارل بروكلمان ومساهمته في تاريخ الأدب العربي

المقدمة: يُعد كارل بروكلمان من أهم المستشرقين الألمان الذين ساهموا في دراسة التراث العربي والإسلامي وتاريخه. ترك بروكلمان بصمة كبيرة في هذا المجال من خلال كتابه الشهير تاريخ الأدب العربي. بدأ اهتمامه باللغة العربية منذ المرحلة الثانوية، وتابع دراسته في الجامعة، حيث تعلّم اللغات الشرقية بالإضافة إلى اليونانية واللاتينية. هذا التعلم المتعمق ساعده على بناء خلفية قوية جعلته قادرًا على تأليف موسوعة تعتبر من أهم المراجع في الدراسات الأدبية العربية.

في موسوعته، قام بروكلمان بتصنيف شامل للعلوم العربية، فقد جمع فيه تراجم العديد من الأدباء والمفكرين العرب منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث، مع تحليل شامل لأعمالهم ودورهم الثقافي. يتكون الكتاب من ستة مجلدات تغطي تاريخ الأدب العربي من جوانب متعددة، كما وصف المخطوطات العربية وأماكن وجودها بشكل دقيق، مما جعل كتابه مصدرًا أساسيًا للباحثين والأكاديميين. وتكمن أهمية عمله أيضًا في توثيقه أماكن وجود المخطوطات ووصفها بدقة، مما ساهم في تعزيز البحث العلمي. ومع ذلك، لم تخلُ أعمال بروكلمان من الانتقادات، حيث وجّه إليه بعض النقاد المسلمين اتهامات بالتحيز والتحريف في تناولهم للتاريخ الإسلامي. اعتبر هؤلاء النقاد أن منهجه في بعض الأحيان لم يُنصف التراث الإسلامي، بل وأدخل رؤى استشراقية قد تبتعد عن الحقيقة. ورغم هذه الانتقادات، لا يزال بروكلمان يُعتبر من الشخصيات المؤثرة التي ساهمت في تدوين وفهم التراث العربي الإسلامي، ما جعله مرجعًا أساسيًا في المكتبة الاستشرافية الألمانية.

لقد كانت مؤلفات بروكلمان وكما وصفها الأستاذ عقيقي "بأنها مرجع للمصنفين والباحثين في التاريخ والأدب العربي، إذ قل منهم من لم يستند إليه أو يتوكأ عليه في مصنفاته".²

¹ باحث الدكتوراه، ايفلو

² العقيقي، نجيب: المستشرقون، ط/٣، مصر: دار المعارف، ١٩٦٤م ج/٢، ص: ٤٢٤

ونظرا لكثرة مؤلفاته التي تزيد على خمسمائة وسأذكر أبرزها:

- ١- تاريخ الأدب العربي
- ٢- تاريخ الشعوب الإسلامية
- ٣- طبقات ابن سعد دراسة وتحقيق ونقد.
- ٤- فهرست المخطوطات العربية والفارسية والتركية
- والسريانية المحفوظة في هامبورغ.
- ٥ - النحو العربي.
- ٦- عيون الأخبار لابن قتيبة: تحقيق.
- ٧- تلقيح فهوم عيون أهل الأثر في التاريخ والسير والأخبار لابن الجوزي: تحقيق
- ٨ - الوفا في فضائل المصطفى لابن الجوزي. تحقيق.
- ٩ - ديوان لبيد بن ربيعة : تحقيق وترجمة
- ١٠ - تاريخ الآداب المسيحية

جهوده في تاريخ الإسلام وتاريخ الأدب العربي:

حقق بروكلمان أثناء اشتغاله بالبحث العلمي نتائج كثيرة، قل أن يحققها دارس، فقد أفلح في تعلم عشرين لغة شرقية منها العربية والفارسية والتركية ولا نكاد نعلم من بين المستشرقين من استطاع أن يحصل تلك المعرفة باللغات الشرقية. وانعكس هذا على قائمة مؤلفاته التي امتدت لتشمل خمسمائة وخمسين مؤلفا متعددة اللغات. وهذا الإنتاج العلمي الغزير والمتنوع يمكن تصنيفه ضمن إطارين؛ الأول فقه اللغة ومن مؤلفاته في ذلك: (مفردات التركية الوسيطة حسب ديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري)، و(الأساس في نحو اللغات السامية المقارن) وهو من أشهر كتاباته وفيه فسر المادة اللغوية السامية باستخدام مناهج التاريخ اللغوي بعد ترتيبها ترتيبا واضحا، و(العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب). والثاني التاريخ للإسلام وحضارته، وفي هذا المجال يبرز كتابيه تاريخ الأدب العربي، وتاريخ الشعوب الإسلامية، وهما أشهر مصنفاته وأكثرها أهمية ولا يزالان حتى يومنا هذا مقصد الدارسين للتاريخ الإسلامي والآداب العربية.

تاريخ الأدب العربي:

وبعد أن ذاع صيت بروكلمان في أوروبا، دعاه المؤرخ المشهور إدورد سخاو (Edward Sachau) للاشتراك في إعداد نشرة نقدية محققة لطبقات ابن سعد والسفر إلى لندن استانبول للاطلاع على مخطوطات هذا الكتاب فسافر بروكلمان في أغسطس ١٨٩٥م إلى لندن، وفي سبتمبر سافر إلى استانبول، حيث أمضى سنتين. ولم يكتف بأداء المهمة الموكولة إليه الخاصة بطبقات ابن سعد بل انتهر الفرصة فنسخ نسخة من عيون الأخبار لابن قتيبة. وفي فبراير ١٨٩٦م عاد إلى برسلاو وكان بروكلمان مكلفا بتحقيق الجزء الثامن من طبقات ابن سعد، وظهر هذا المجلد بتحقيقه في برلين ١٩٠٤م، وقد طبع بعناية أكاديمية برلين التي تولت الإنفاق على الكتاب بكل أجزائه.¹

أما الكتاب عيون الأخبار، فلم يتمكن من طباعته لأنه كان لا يمتلك المال الكافي لذلك، فعرضه على أحد الناشرين الذي وافق على طباعته، ولكنه اشترط عليه أن يؤلف له كتابا آخر أكثر شهرة، لأن النص العربي لعيون الأخبار لا يهم إلا القليل من المتخصصين في المكتبات العامة. فوافق بروكلمان على ذلك مكرها، وكانت هذه الحادثة هي التي حفزتهدفعتته إلى تأليف كتابه المشهور تاريخ الأدب العربي (Geschichte der Arabischen Litteratur) بالاختصار.² GAL

ظهر هذا الكتاب الضخم للمرة الأولى في مجلدين بين عامي ١٨٩٨ و ١٩٠٢م ثم استكمل بذيّل من ثلاثة ملاحقات في السنوات ما بين ١٩٣٧ و ١٩٤٢م. والكتاب في مجموعة ليس تاريخا للأدب العربي بالمعنى الضيق للكلمة، بل هو سجل للمصنفات العربية كلها سواء المخطوط منها والمطبوع، مضافا إليها معلومات عن حياة مؤلفيها. كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي: "فكلمة أدب في عنوان الكتاب تعني : مجموع ما كُتب باللغة العربية في كل فروع العلم

¹ العقيلي، نجيب: المستشرقون، ط/٣، مصر: دار المعارف، ١٩٦٤م ج/٢، ص: ٣٧٩
² بدوي، عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، ط/٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م، ص: ١٠٠

لأن ما طبع منه قليل جداً بالنسبة إلى ما يزال مخطوطاً، كما أن القليل من هذا المطبوع هو الذي نشر نشرًا علمياً نقدياً محققاً¹. وهذا الكتاب في وضعه النهائي مؤلف من خمسة مجلدات، مجلدين رئيسيين وثلاث ملاحق:

المجلد الأول: وهذا المجلد منقسم إلى جزئين: الجزء الأول من المجلد الأول: تشتمل المرحلة على أدب الأمة العربية من أوليته إلى سقوط الأمويين سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م. وتنقسم هذه المرحلة إلى ثلاثة أقسام: (١) الأدب العربي إلى ظهور الإسلام

محمد ﷺ وعصره

عصر الدولة الأموية

والجزء الثاني من المجلد الأول: وقد اختار لهذا الجزء تسمية "الأدب العربي الإسلامي"، وقسمه إلى عصرين هما:

الأول، العصر الكلاسيكي بين ٧٥٠ م ونحو ١٠٠٠ م

والثاني، مرحلة ما بعد العصر الكلاسيكي من ١٠٠٠ م إلى سقوط بغداد عام ١٢٥٨ م.

وضمن هذين العصرين لجأ بروكلمان إلى تقسيمات فرعية حيث تناول التقسيم الموضوعي حسب جنس الأدب فبدأ بفن الأدب بالمعنى الدقيق من شعر ونثر في ثم انتقل إلى علم التاريخ ومن بعده العلوم الدينية من حديث وفقه وتفسير وتصوف ومن بعده انتقل إلى العلوم الطبيعية من فلك وطب وانتهى أخيراً بالموسوعات، وضمن كل حقل تم تبني التقسيم حسب الأقاليم².

وأما المجلد الثاني: فسمى بـ "عصر اضمحلال الأدب الإسلامي". وجاء في ثلاثة أقسام: الأول من العصر المغولي حتى فتح مصر على يد السلطان العثماني سليم الأول عام ١٥١٧ م والثاني منذ ١٥١٧ م حتى حملة نابليون على

¹ بدوي، عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، ط/٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣ م، ص: ١٠١

² د. ناصر عبد الرزاق الملا جاسم: المستشرق كارل بروكلمان وتاريخه للأدب العربي، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة) المجلد (٥) العدد (١٧) حزيران ٢٠١٣ م - شعبان ١٤٣٤ هـ

مصر ١٧٩٨م والثالث منذ ذلك التاريخ حتى الوقت الحاضر (ويقصد به مع بداية القرن العشرين).

وبدلاً من أن يقسم بروكلمان هذا الكتاب على ما سار عليه في كتابه الأول والثاني من اتباع التقسيم الموضوعي، فإنه اختار تبني التقسيم الجغرافي لكل عصر ومن بعده لجأ إلى التقسيم حسب الموضوعات.^١ ولعل في ذلك دلالة على تنوع الأدب حسب الأقاليم وتبلور القسّمات المميزة لكل منطقة مقارنة بغيرها. وأما ثلاثة ملاحق، فالأول: وهو للجزء الأول والثاني من المجلد الأول، الملحق الثاني: وهذا ملحق للمجلد الثاني، ويضم كذلك فهرساً للأعلام الذين لم يتحدد زمانهم ولا مكانهم. الملحق الثالث: وعنوانه بالألماني Dritter Supplementband، وأنه ليس اختصاراً لبقية الأجزاء، وهذا الملحق مخصص للأدب العربي الحديث إلى فترة الحرب العامة الثانية، وفيها تصحيحات وتعليقات على المجلدين الأولين والملاحق، والأصل والملاحق يشير كلاهما إلى الآخر ولا بد من الرجوع إليهما معاً في أغلب الحالات. الكتاب مرتب على مدخل لكل مصنف، وفيه يبدأ بذكر إسم المصنف وتاريخ ولادته ووفاته بالهجري والميلادي مع نبذة عن المصنف والفنون التي تخصص فيها. وقد بدأ بترجمة الكتاب باللغة العربية عبد الحليم النجار ولكنه توفي قبل أن يتم عمله، وأكملهُ رمضان عبد التواب. وطُبع في ستة أجزاء بتكليف من جامعة الدول العربية، ونشرته دار المعارف في مصر. وقال عبد الحليم النجار في كلمة المترجم: "كان تعريب كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان أملاً يراود كل قارئ بالعربية حينما يبحث في علوم العرب وآدابهم؛ أو يحاول سبر جهود العلم العربي ومتابعة خطواته في تأسيس ثقافة العالم الجديد وتنمية حضارته؛ أو يريد حصر ما تشّتت واحصاء ما تفرّق من تراث الفكر العربي في مكتبات العالم وخزائن الكتب؛ ليتخذ من ذلك آيات بينات للفخر والاعتزاز أو عُدة ومدداً للبعث والإحياء؛ أو يتطلع أخيراً إلى معرفة ما ترجم إلى لغات العالم من ذلك

^١ د. ناصر عبد الرزاق الملا جاسم: المستشرق كارل بروكلمان وتاريخه للأدب العربي، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة) المجلد (٥) العدد (١٧) حزيران ٢٠١٣م - شعبان ١٤٣٤هـ

التراث الخالد، وما أثير حوله من بحوث، وصُيِّف من دراسات قدمت خطأ العلم والأدب، ودفعتهما إلى الأمام في الشرق والغرب".¹

آراء النقاد والباحثين: أما النقاد والباحثون قد عبروا عن آرائهم ووجهات نظرهم حول هذا الكتاب، فقال المستشرق كلود كاهن (Claude Cahen) فقد كتب (بروكلمان) عرضاً مطولاً للكتاب أطلق عليه تسمية (ملاحظات بشأن كتاب تاريخ الأدب العربي في المستقبل)، بدأ فيه بالقول "ليس بإمكان أحد من علماء الإسلاميات أن يتجاهل الخدمات العظيمة التي قدمها لنا بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي، والجهد الجبار الذي بذل في انجاز هذا العمل من قبل رجل واحد، لكن بالمقابل لا أحد يمكن أن يتجاهل الاخفاقات والنواقص والمخاطر المشتملة في هذا الكتاب".²

أما بالنسبة للباحثين العرب فعلى الرغم من اعتراضهم على عدد من طروحات بروكلمان بشأن القرآن الكريم والأدب العربي في مرحلة النبوة والعصر الأموي، فإن مؤلفه، كما يقول محمود الدغيم " أدرك أهمية التراث العربي الإسلامي ومخطوطاته، فقد ذكر في هذا الكتاب ما يقارب عشرين ألف مخطوطة مع تحديد أماكن وجودها وارقامها".³

بينما يصفه الأستاذ محمود الأرناؤوط "بأنه (أى كارل بروكلمان)، علامة، مؤرخ، محقق، متقن من أعيان الدارسين الكبار للعربية وتراثها الغني بأوربة في العصر الحديث"⁴. وأخيراً لابد من الاستشهاد برأى عبد الرحمن بدوي، فهو ناقد صارم ضمن كتابه موسوعة المستشرقين الكثير من الأحكام النقدية القاسية تجاه المستشرقين والتي تبع الكثير منها من صلة شخصية وثيقة ربطته

¹ كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ط/٥، مصر: دار المعارف (قاله قبل بداية رقم الصفحة ضمن كلمة المترجم)

² Claude Cahen, "Notes pour Future Brokelmann s Geschichte " Arabica, (Oct., 1963), pp. 301-309

³ د. ناصر عبد الرزاق الملا جاسم: المستشرق كارل بروكلمان وتاريخه للأدب العربي، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة) المجلد (٥) العدد (١٧) حزيران ٢٠١٣م - شعبان ١٤٣٤هـ

⁴ محمود الأرناؤوط، الدكتور كارل بروكلمان، الأسبوع الأدبي، العدد ٧٠١ تاريخ ٢٥/٣/٢٠٠٢

بعالم الاستشراق، إذ يقول بشأن كتاب تاريخ الأدب العربي "من ذا الذى يمكن أن يستغنى عن تاريخ الأدب العربي بأجزائه الخمسة، تصنيف كارل بروكلمان؟! أنه لا يزال حتى الآن المرجع الأساسى والوحيد فى كل ما يتعلق بالمخطوطات وأماكن وجودها". ويمضى مستدركا رداً على من انتقد بروكلمان " كان من الطبيعى أن يقع فى مثل هذا العمل الجبار أخطاء فى أرقام المخطوطات، وفى التواريخ، فضلاً عن الأخطاء الناجمة عن المصادر التى استعان بها وخصوصاً فهارس المخطوطات. ونحن نعلم بالممارسة أنه لا بد من وقوع أخطاء وربما عديدة فيها، وخصوصاً فى تحقيق هوية المؤلفين، لأن الكثير من المخطوطات لا يحمل أسماء مؤلفيها. ولهذا فإن الجهال والمتطفلين والعاجزين هم وحدهم الذين يتباهون بإبراز غلطة هنا وهناك فى عمل بروكلمان العظيم هذا.

نظرة عامة عن كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية: كان اهتمام بروكلمان ينصب على دراسة التراث العربى الإسلامى منذ بداية حياته العلمية، فما بين الفترة ١٨٩٥م - ١٩١٤م بدأ بالجمع والتعليق عن كل ما يتعلق بتاريخ الإسلام، ونشرها ضمن كتابه "تاريخ العالم". ولكنه قدم فيه عرضاً موجزاً ومختصراً عن تاريخ الأمة الإسلامية.

وبعد أن تجمعت لديه أفكار وإضافات جديدة عاد مرة أخرى وذلك بعد خمس وعشرين عاماً، وتوسع كثيراً فى ذكر تفاصيل كثيرة عن تاريخ الإسلام منذ العصور القديمة حتى سنة ١٩٣٩م. وقد أصدر ذلك كله فى مجلد كبير سماه "تاريخ الشعوب الإسلامية". تغطى الفترة الزمنية التى يتناولها الكتاب تاريخ العرب قبل الإسلام مروراً بالبعثة النبوية، ثم صدر الإسلام والدولة الأموية والعباسية وغيرها من الدول وصولاً إلى الدولة العثمانية التى نالت اهتماماً خاصاً. فكتب عنها ما يزيد عن مائة وخمسين صفحة، شملت تفاصيل كثيرة عن تاريخ الحضارة العثمانية، وانتهى بذكر الإسلام والمسلمين فى العصر الحديث. ثم قام بتذييل الكتاب فى نهايته بأن وضع فيه أكثر من أربعمئة تاريخ ميلادى.

ولم تمض مدة طويلة حتى نال الكتاب شهرة واسعة فى المجتمع الشرقى والغربى على حد سواء، وطبع فى مجلد كبير عدة مرات بترجمة نبيه أمين

فارس، ومنيرعلبيكي في بيروت، وطُبِعَ معه فهرسان تُعرّفان بالمخطوطات العربية في خزانة مكتبة برسلاو وهامبورغ¹

وقال شوقي أبو خليل: لقد حكم بروكلمان على تاريخنا وتراثنا من خلال كتابه هذا بالهامشي والضعيف، منطلقاً من التشكيك والرفض العشوائي، ومعتدداً على الروايات الواهية والشاذة التي أسقطها المؤرخون العرب وعدوها من الموضوعات التي لا تصلح لأي قيمة علمية؛ فقدم تاريخنا موسعاً الجزئية، ومتغاضياً عن الكلية مع تفسيرات عجبية ومواقف غريبة.² وأيضا يقول: فضلاً عن ابتعاده عن مصادر التاريخ الإسلامي الرئيسية كالطبري وابن الأثير والبخاري وابن سعد وغيرها، واعتماده على كتب المستشرقين المعاصرين له والسابقين لعصره، لا عذر له بذلك مطلقاً لأنه يتقن اللغة العربية قراءة وكتابة.³

المصادر والمراجع:

- ١- بدوي، عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، ط/٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م
- ٢- العقيلي، نجيب: المستشرقون، ط/٣، مصر: دار المعارف، ١٩٦٤م، ج/١
- ٣- فوزي، فاروق عمر: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ط/١، عمان: المكتبة الأهلية، ١٩٩٨م
- ٤- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ط/٥، مصر: دار المعارف
- ٥- محمود الأرناؤوط، الدكتور كارل بروكلمان، الأسبوع الأدبي، العدد ٧٠١ تاريخ ٢٥/٣/٢٠٠٢
- ٦- الخطيب محمد عجاج: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م
- ٧- الخطيب محمد عجاج: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م
- ٨- ناجي، عبد الجبار، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨١م
- ٩- شوقي أبو خليل: كارل بروكلمان في الميزان، ط/١، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧م
١٠. د. ناصر عبد الرزاق الملا جاسم، المستشرق كارل بروكلمان وتاريخه للأدب العربي، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، (مجلة علمية محكمة، ج/٥، العدد ١٧ حزيران ٢٠١٣م، شعبان ١٤٣٤هـ)

¹ الخطيب محمد عجاج: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م، ص: ٢٧٩

² شوقي أبو خليل: كارل بروكلمان في الميزان، ط/١، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧م، ص: ١١

³ نفس المصدر، ص: ١٦٩

كلية فورت ولیم وإسهاماتها في العربية

خلفية هذه الكلية هي أنها أسست في عام 1798 م ، عندما أصبح لورد ولزلي الحاكم العام للهند، توصل ولزلي وبعد مراجعة الإدارة هنا إلى استنتاج مفاده أنّ الموظفين الجدد من إنجلترا كانوا يأتون إلى هنا للعمل في مختلف أقسام شركة الهند الشرقية. ولا يمكنهم أن يصبحوا عمالاً جيداً دون تدريب منهجي ومنتظم. وبحسب لورد ولزلي فإنّ تدريب هؤلاء الموظفين كان له جانبان أحدهما أن يزداد القدرة الفكرية لهؤلاء الموظفين الشباب والآخر أن يعرفوا بمزاج الهنود ولغتهم وعاداتهم في مختلف مجالات حياتهم. ولذلك عندما أصبح لورد ولزلي الحاكم العام، رأى أنّه من الضروري للبريطانيين أن يحكموا هنا، أن يكون موظفو الشركة متعلمين ومدربين على فهم اللغات المحليّة والبيئة الهندية. ولهذا السبب اقتنع لورد ولزلي بإنشاء كلية. وقد أيده العديد من مسؤولي الشركة. وهكذا كان جون جلكرايست الذي كان له قدرة على اللغات الهندية. رضيت تعليم موظفي الشركة يومياً. وأصدر لورد ولزلي أمراً بعدم تعيين أيّ موظف حكومي إنجليزي في المستقبل في مناصب مهمّة في البنغال وأوريسا وبنارس ما لم ينجح اختبار القوانين واللوائح واللغة العامية. وبعد هذا القرار وتمّ إنشاء مدرسة باسم Seminary Oriental في يناير 1799م تحت رئاسة جون جلكرايست والتي ثبتت فيما بعد أنّها مقدمة لكلية فورت ولیم .

وأعلن اللورد ولزلي عن إنشاء كلية فورت ولیم في كولكاتا 10 يوليو 1800م بموافقة السلطات العليا للشركة. وقد بدأ التدريس والتعلّم رسمياً في الكلية في 23 نوفمبر 1800م، أي بعد حوالي 6 أشهر من إعلان تأسيس الكلية. وتمّ وضع القواعد واللوائح الخاصة بالكلية. وبعد ذلك أعلن أنّ الحاكم العامّ يكون رئيس الكلية وبسبب لائحة كلية فورت ولیم أقيم أقسام اللغات الأردية والهندية والعربية والفارسية والسانسكريتية والماراتية في الكلية. وما عدا ذلك انتظم تعليم الفقه الإسلامي والأخلاق والقانون البريطاني والاقتصاد والجغرافيا والرياضيات ولغات أوروبا الحديثة والأدب الإنجليزي والتاريخ الحديث والقديم وتاريخ دكن الهند القديم. وانتظم تعليم الفيزياء والكيمياء

وعلم التنجيم وغيرها أيضا. وركزت في الكلية خاصة على دراسة اللغات الشرقية.¹

لم تكن كلية فورت وليم مؤسسة تعليمية مجردا بل كانت هذه الكلية أيضا مركزا رئيسيا للكتابة والتأليف في ذلك الوقت. وكان مدرسو هذه الكلية يكتبون الكتب ما عدا تدريس الطلاب أيضا ، وهذا هو السبب قد ألّفت عدد كبير من الكتب في علم المعجم والتاريخ والأخلاق والدين والقصص والأدب في هذه الكلية. وكان يمنح الجوائز للكتب المعتمدة لتشجيع المؤلفين. وقد ألّفت 23 كتاباً في الأربع السنوات الأولى من قيام الكلية.

ولا شك فيه كان الإنجليز أسسوا هذه الكلية في ظل نفع سياسي. ليتمكن البريطانيون على الهند بقوة بتعلم اللغة هنا والتعرف على العادات والتقاليد الهندية، ولكن الحقيقة أيضا هي أن كلية فورت وليم هي أول مؤسسة أدبية وتعليمية في شمال الهند قد أصبحت منها خدمة عظيمة للغات الشرقية وآدابها تحت هدف واضح ونظام منهجي.

أما في كلية فورت وليم في كلكتا فقد ركز الاهتمام حول اللغات الشائعة في الهند وهي: العربية والفارسية والسانسكريتية والأردية والهندية والبنغالية وغير ذلك. وكان أول مدير لكلية فورت وليم هو جون جلكريست John Gilchrist (1759 - 1841) الذي تولى إدارة الكلية من 1800م إلى 1804م، وهو طبيب اسكتلندي التحق بخدمة شركة الهند الشرقية منذ 1783م فأدرك أهمية اللغات الهندية بالنسبة إلى تكوين موظفي الشركة واهتم خصوصاً بالهندوستانية باعتبارها لغة التخاطب عند الطبقات الحاكمة في إمبراطورية المغول في الهند، وكانت بمثابة " اللغة الشائعة" (Lingua franca) المفهومة في سائر أنحاء الهند كلها. وفي هذا السبيل كلف بعض العلماء الهنود بترجمة الكتب المشهورة من الأدب العربي والفارسي إلى اللغة الهندوستانية، وهذا أعطى دفعة قوية لنشأة النثر باللغة الأردية والعربية وغيرها.²

*: الباحث في قسم اللغة العربية، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية ، حيدرآباد

¹: رام بابو سكسينة : تاريخ أدب أردو ، مترجم مرزا محمد عسكري ، ناشر منشي نول كشور ، لکناؤ ، ١٩٢٩م ، ص ٤٢٦

²: الدكتور عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت لبنان ، ص ٤٧٥

وتولّى بعض المستشرقين الأوروبيين تدريس هذه اللغات في كلية فورت
وليم: فقام وليم كاري William Caray، وهو مبشر في سيرمفور بتدريس
السنسكريتية والبنغالية والمراثية Marathi وتولّى جون بيلي John
Baillie بتدريس العربية والفارسية والشريعة الإسلامية. وهو كان يدرّس العربية
من متون نحوية متداولة ولهذا السبب نشر الكتب النحوية التالية المائة عامل:
للشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني
النحوي شرح المائة عامل: لنور الدين عبد الرحمان بن أحمد بن محمد
الجامي والمصباح للمطرزي: لناصر الدين بن عبد السيد بن علي المطرزي
وهداية النحو: ألفه الشيخ سراج الدين عثمان الأودهي الدهلوي
والكافية: لابن الحاجب

وقد جمعها كلّها في كتاب واحد ونشرها وذكرها بالعنوان هكذا: هذه
مجموعة الكتب المتداولة لدرس النحو. وقد تعمّدت تصحيحها وصونها عن
الغلط والسهو...

وكما هو واضح من هذا العنوان: فإنّ هذه الكتب الخمسة تطبع لأول مرة وأنّها
حققت بحسب مخطوطات موجودة في الهند . وأنّها تؤلف الجزء الأول من
التعليم الكلاسيكي في كلّ المعاهد في آسيا.¹
ومن أساتذة كلية فورت وليم أيضاً هو ماتيهو لومسدن أستاذاً مساعداً
في الكلية ثم صار أستاذاً في 1808م للغة العربية واللغة الفارسية. وله كتاب في
النحو العربي على أساس المتون النحوية العربية المتداولة وعنوانه:

A Grammar of the Arabic language, according to the principles taught
and maintained in the Schools of Arabia. Vol. one Calcutta, 1813
Matthew Lumsdem

ولم يطبع غير الجزء الأول. وقد قام بترجمته إلى الفارسية عبد الرحيم
بن عبد الكريم، تحت إشراف المؤلف لومسدن، وظهرت الترجمة في
سنة 1828م بعنوان (غاية البيان في علم اللسان)²

¹: المصدر نفسه: ص ٤٧٥

²: المصدر نفسه: ص ٤٧٦

وإلى جانب هؤلاء الأساتذة الإنجليز قامت جماعة من المدرسين الهنود في الكلية بتأليف معاجم لغوية وكتب في النحو، ومختارات، وترجمات، وتحقيق نصوص. وقام مولوي محمد راشد (أو رشيد) بترجمة كتاب (الهداية شرح بداية المبتدي) للإمام برهان الدين علي المرغيناني وهو من الكتب المشهورة في الفقه الحنفي إلى اللغة الفارسية (في أربعة أجزاء، كلكتا 1807. 1808). والنص العربي لم يطبع لأول مرة إلا في 1234 هـ 1818 م في كولكاتا ونشر مولوي الله راود ومولوي جان علي من قسم اللغة العربية والفارسية في كلية فورت وليما لمقامات التحريرية لمحمد الحريري البصري 446-516 هـ في كلكتا 1809 م - 1812 م في مجلدين بحسب ثماني مخطوطات عربية. ووضع جان علي معجماً عربياً فارسياً لمقامات الحريري، وكذلك طبع ديوان المتنبي طبعة كاملة في كلكتا في سنة 1814 م وكذلك طبع مولوي جان علي كتاباً (مختصر المعاني) للتفتازاني لأول مرة تحت إشراف لومسدن وهو من الكتب المشهورة في علم المعاني.¹

ومن الذين عملوا في كلية فورت وليم هو أحمد بن محمد الشرواني اليماني المتوفي 1840 م وقد جمع ونشر كتاباً في الأدب في اللغة العربية بعنوان "نفحة اليمن" وطبعه في 1811 م. وفي السنة التالية، 1812 م ظهرت نشرته لكتاب عجائب المقدور في أخبار تيمورلابن عريشاه. وفي سنة 1813 م أصدر كتاباً في إنشاء الرسائل بالعربية تحت عنوان "العجب العُجاب" كما أصدر في نفس السنة كتاباً آخر في القراءة بعنوان "حديقة الأفراح" ولكن من أهم أعماله هو القاموس المحيط للفيروز آبادي، وهي أول طبعة لهذا المعجم العظيم، وقد صدر في كولكاتا في سنة 1817 م.²

وبدا (رسائل إخوان الصفا) بإعادة النظر في النص العربي لهذا الكتاب وقام بتصحيحه وتحريه وبدأ ظهورها في سنة 1812 م في كولكاتا، لكنه لم يتمها وكذلك شرع في طبع «ألف ليلة وليلة»، لكنه لم يصدر منها غير مجلدين (يشملان الليالي من الأولى حتى الليلة المائتين) قصيدة كعب بن زهير وهي شهيرة

¹: المصدر نفسه: ص ٤٧٦

²: المصدر نفسه: ص ٤٧٦ - ٤٧٧

باسم قصيدة البردة لكعب بن زهير وقام الشرواني بطبعها بمطبعة إيديتز كولكاتا عام 1818م وأضاف إليها تعليقات لكي يسهل القاري الفهم الصحيح وقد جاء بعده ميجر ترنر ماكن Major Turner Macon فنشر «ألف ليلة وليلة» نشرة كاملة من أولها إلى آخرها، في أربعة مجلدات في كولكاتا 1839م. 1842م، تحت العنوان الإنجليزي التالي:

The Alf Laila, or book of the thousand nights and one night, Commonly known as the Arabian Nights Entertainments. Published Complete in the original Arabic by the late Major Turner Macon, ed.

by W. H. Mac-Naghten, I-IV, Calcutta, 1839 – 1842

قد توفي قبل إتمام طبعها فتولى الإشراف على الطبع ماك ناجتين W.H. Mac-Naghten.

و من الأساتذة الهنود في كلية فورت ولیم هو عبد الرحمن بن عبد الكريم (المتوفى 1851). ونشر المعلقات في كلكتا في سنة 1823م مع شرح مستمد كله من شرح الزوزني.¹

ولكنّ ازدهار كلية فورت ولیم الذي استمرّ قرابة العشرين عاماً، وبدأ في الذهول. والسبب الرئيسي في هذا الذهول هو أنها بدأت من عشرينات القرن التاسع عشر أخذت شركة الهند الشرقية وتعدّل نظرتها إلى الهند فبعد أن كانت تنظر إليها نظرة الرومانيك الذين كانوا يرون في الهند أمة كانت ذات حضارة عريقة عظيمة تستحق أن تدرس لذاتها، أخذت شيئاً فشيئاً منذ 1820م وما يتلوها تتحول إلى النظرة الاستعمارية الخالصة التي تريغ إلى تحويل الهند إلى مستعمرة بريطانية تستغلها بريطانيا لاستثمارها تجارياً وأمبريالياً. فقام الصراع بين من ينظرون إلى التعليم نظرة استشراقية أي تهدف إلى دراسة حضارات الهند المختلفة ولغاتها وآدابها، وبين من يريدون أن يرتبوا التعليم في الهند لخدمة الاستعمار البريطاني وذلك ببسط نفوذ اللغة الإنجليزية وآدابها وحدها. وانتهى الصراع بينهما في 1835م حينما حوّل لورد ماكولي Lord Macaulay التعليم في المدارس الهندية إلى نظام إنجليزي خالص. فلم يعد بعد هذا محلّ لوجود كلية فورت ولیم هذه، فأغلقت أبوابها في 1854م، وكان ذلك

¹: المصدر نفسه : ص ٤٧٧

إذناً بسيطاً بريطانيا حكمها الشامل الطاغى المدمر على شبه القارة الهندية كلها في 1857م¹

كلية فورت ولیم والقواميس والمعاجم:

لا يخفى على المتكويين في مجال اللغة العربية أهمية القاموس وذلك لاحتياج الطلبة إليه في كثير من الأحيان. وللقاموس أهمية بالغة لدى العرب والعجم على السواء وهي تعتبر مصدراً موثقاً وقت الكتابة عن موضوع ما والرجوع إليها يزيد الثقة في البحث والدراسة ولذا نجد عدداً كثيراً من القواميس والمعاجم في جميع الفنون. وعند الذكر عن الخدمات التي قامت بها الكلية المذكورة لابد للباحث أن يسلط قدراً من الضوء على خدماتها في مجال التأليف والمعاجم والقواميس. كان الإنجليز علماء مهمة تام على القواميس والمعاجم حيث يحتاجونها وهم كانوا يتدرسون اللغات الشرقية بجميع أحوالها فاتجهوا إليها وكان منتخب اللغات أول معجم طبع على المنوال الحديث وسيراً على متطلبات ذلك الزمن.

منتخب اللغات :

إنّ للغة والقاموس أهمية كبيرة لدى علماء اللغة ولا يُغض النظر عنها قط. ولذا لما ألفت الكلية على عاتقها مسئولية تعليم الشباب الإنجليز اللغة العربية احتاجت إلى أن يقوم أساتذتها بتأليف القواميس وترتيب المعاجم اللغوية لإرجاع إليها الطلبة وقت الصعوبة في فهم المفاهيم ومعاني بعض الألفاظ وكان منتخب اللغات معجماً في اللغة العربية مع المعنى الفارسي على طراز القاموس الشهير للفيروزآبادي، والصحاح للجوهري المتوفى 393هـ والمعاجم الأخرى وقام بترتيبه أحد أساتذتها عبد الرشيد وقبل الصدور أعاد النظر فيه المولوي الله داد وقد تمّ نشره بمطبعة الفارسية في كلية فورت ولیم بكونكاتا الهند عام 1808م²

¹: المصدر نفسه : ص ٤٧٧ . واي حميد : اردو نثر كي داستان ، ناشر مطبوعات الشيخ غلام علي ، لاهور باكستان ، ج ١ ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١

²: المدني عبد الرشيد الحسيني : منتخب اللغات ، ناشر منشى نول كشور ، لكوناؤ ، ١٨٧٧م

شمس اللغات :

يُعدّ هذا المعجم من أهمّ معاجم ذلك الزمن ويتم تأليفه على يد أساتذة الكلية وكان في اللغة العربية والفارسية ويشتمل على الألفاظ التركيبية المستعملة في أعمال المؤلفين العرب والفرس وتمّ نشره في مجلدين تحت إشراف جوزيف بریتو وتمت طبعته في مطبعة الهندوستانى كولكاتا عام 1608م¹.

صراح :

هذا من المعاجم القيمة في تلك الزمن تترجم الألفاظ العربية إلى الفارسية وقام بترتيبه أبو الفضل محمد بن عمر بن خالد المعروف بجمال كان مأخوذاً في الأصل من المعجم الشهير المسّى بـ "الصحاح" للجوهري (الصحاح هو أقدم ما صنّف في العربية من معاجم الألفاظ مرتب على الأبواب والفصول ألفه الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (393 هـ / 1003م) فقد جعل الجوهري حروف الهجاء أبواباً وجعل لكلّ حرف من هذه الأبواب فصلاً بعدد حروف الهجاء وبقع هذا التقسيم على ما هو واقع في آخر الكلام. وقام بإعادة النظر فيه كلّ من المولوي درويش علي وجان علي ومير غلام حسين وعبد الرحيم بن عبد الكريم وحسن علي وذلك تحت إشراف الحاكم العام ووفقاً للمعاجم الحديثة آنذاك مثل شمس العلوم لتشوان بن سعيد الحميري. وديوان الأدب للفارابي والمعاجم الأخرى الشيرة وتمّ طبعها في مجلدين عام 1815م بمطبعة مولوي شكر الله في كولكاتا الهند.²

الشرواني والمقارنة بين النصوص والنسخ القلمية للقاموس المحيط:

القاموس المحيط هو قاموس عربي شهير وواسع الانتشار ومهم للغاية ومن أشهر اللغات وأوسعها مادة بل من أشهر معاجم اللغة العربية على الإطلاق. وقد بلغ شهرته إلى حد أن كثيراً من الناس جهلوا يستعملون كلمة قاموس مرادفة لكلمة معجم واسمه الكامل حسب صاحب كشف الظنون

¹: مولوي محمد اسماعيل : شمس اللغات ، ناشر منشي فضل الدين ، ممبئي ١٨٤٩م
²: الدكتور عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت لبنان ، ص ٤٧٧ ومحمد أشرف علي : صراح ، ناشر مطبع ثمر هند لكناؤ ١٨٧٢م

"القاموس المحيط القابوس الوسيط الجامع لمآذهب من كلام العرب شماميط" وقد جاء في بعض النسخ " القاموس والقابوس الوسيط فيما ذهب من لغة العرب من شماميط" (لحاجي خليفة مصطفي بن عبد الله. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. الطبعة الأولى بيروت لبنان دار أحياء التراث العربي 1941م) وجاء أيضا " القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة " ألفه الإمام الشيخ مجدد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزيادي ويقول الفيروزيادي في مقدمته: "وألّفت هذا الكتاب محذوف الشواهد مطروح الزوائد معرباً عن القصص والشوارد وجعلت بتوفيق الله زفرا من زفر ولخصت كل ثلاثين سفرأ في سفر وضمنته خلاصة ما في "العباب" و"المحكم"، فأضفت إليه زيادات من الله سبحانه وتعالى بها وأنعم ورزقنيها عند غوصي عليها من بطون الكتب الفاخرة الدأماء الغمطم (وأسميته القاموس المحيط) لأنه البحر الأعظم"¹ وتوجّه إليه العلماء وعكفوا على شرحه وتعليقه ووضع الحواشي عليه وذلك بالنظر إلى ما يميّز به القاموس من مزايا علمية وخصائص لغوية وبلاغية لاسيّما خطبة القاموس فإنها على قمة الفصاحة والبلاغة .

وقام الشيخ أحمد بن محمد الأنصاري الميمني الشرواني العربي بالمقارنة بين النص والنسخ القلمية وتصحيحه بمعاونة مع الشيخ أُوحد الدين بن علي ابن احمد العثماني البلكرامي وطبع القاموس لعدة مرات ومنها: عام 1232هـ حيث طبع في أربعة مجلدات وعام 1270هـ حيث طبع في مجلد واحد كما طبع في مجلدين في مطبعة إيديتر بكوكتا عام 1817م ويعدّ هذا العمل من أهم الأعمال للشرواني في مجال التحقيق والنشر.²

كلية فورت وليم في فنون السير والقصة القصيرة:

لم تكنف كلية فورت وليم بخدماتها الجليلة العربية في مجال إعداد المعاجم والقواميس فقط بل اتخذت خطوة رائعة نحو السير وفن القصيدة القصيرة. ومن أهم مثال لذلك هو كتاب "حديقة الأفراح " يتكوّن من حياة

¹: الفيروزيادي مجدالدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، الطبعة الثالثة ، القاهرة مصر ص ١-٣

²: الدكتور عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت لبنان ، ص ٤٧٧

الشعراء العرب مع ذكر اللطائف ونوادر النكات والطرائف من أعمالهم في النثر والنظم وتم نشر هذا الكتاب في مجلدين عام 1813م ولم يذكر اسم المطبعة.¹ عجائب المقدور في أخبار تيمورلابنغر بشاه 1812م :

هو كتاب نفيس في الأدب الإسلامي ورصين العبارة يحكي تألم المسلمين وأحوالهم ويحاول بعث الحماس فهم للخروج على طغاتهم ألفت الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي الانصاري 1389 - 1450هـ قام الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشرواني اليماني المتوفى عام 1837م باستفحاصها عن أربعنسخ مخطوطة وقام بتحقيقها وتصحيحها ثم طبع بمطبعة إيديتر كولكاتا عام 1818م.²

رسائل إخوان الصفا

قام الشيخ احمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشرواني اليماني المتوفى عام 1837 بإعادة النظر في النص العربي لهذا الكتاب وقام بتصحيحه وتحريره ومن ثم طبعه في مطبعة هندوستاني كولكاتا عام 1812م وقد ازدادت أهمية ذلك الكتاب وتم إدخاله في المناهج الدراسية.

المقامات الحريية لمحمد الحري البصري 446-516 هـ

من مّا لا يعرف كتاب مقامات الحري لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحري وهو يحتل مكانة مرموقة لدى المتأدين ونقاد الأدب في العالم كله وهو كتاب مهم في فن الكتابة العربية وبطلها الوحيد في جميع الكتاب هو أبو زيد السروجي ويرويّه الحارث بن الهمام لغته متينة مسبوكة لذا يميل إليه الطلبة لكن من الحقيقة أنّه لا يخلو من التصنّع ولم يكن العلماء في الهند بمعزلين عن شرحه. ودراسته وجمعه واختصاره فلهم جهود جبارة ومحاولات مشكورة كان ولا يزال يدرس في المدارس في الهند وبالنظر إلى الأهمية المتزايدة لكتاب مقامة الحري ولكونه مشتملاً على القصص باللغة العربية قام اثنان من أساتذة الكلية وهما: المولوي الله راود. وجان علي بإعادة النظر فيه وتصحيحه في النسخة المخطوطة العربية وكان المجلد الأول من هذا الكتاب

¹: الدكتور عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت لبنان ، ص ٤٧٧

²: المصدر نفسه ، ص ٤٧٧

يشتمل على ثلاثين مقامة وطبع 1809 م حينما اشتمل المجلد الثاني على عشرين مقامة وتم نشره عام 1812م بمطبعة الشركة بكونكاا وبعء زمن قام جان علي بإضافة ملحقات مشتملة على معجم عربي وفارسي يفسر المفردات الصعبة.¹

قطبي:

هو كتاب باللغة العربية في علم المنطق صنفه الإمام محمد بن محمد التحتاني الرازي أبو عبد الله قطب الدين : (م1295-1365) (ويُعرف أيضاً بالقطب التحتاني) وتمت إعادة النظر فيه تحت إشراف اللورد لمسءن 1777 – 1835م وطبع بمطبعة الشركة في كونكاا عام 1815م.²

العجب والعجائب:

هو كتاب في تمرين كتابة الرسائل باللغة العربية ألفه الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشرواني اليماني المتوفى 1837م في صورة موضوعات عديدة تحت إشراف الحاكم العام وذلك بالنظر إلى الأمر الذي أصدرته الكلية في صءء تعليم الطلبة وتدريسهم فن الرسالة تمت طبعته في مجلد واحد بمطبعة هندوستاني كونكاا عام 1813م.³

ديوان المتنبي لأبي الطيب المتنبي 303هـ – 354هـ

أن الكتاب ديوان لأبي الطيب المتنبي يُعد من أهم الكتب الأدبية في مجال الشعر وتدرس في جميع المدارس والجامعات بالهند قامت الكلية بتصحيحها وقام بهذا العمل هو الأستاذ الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشرواني اليماني وتمت طبعته في مطبعته العربية في مجلد واحد وذلك في عام 1814م بكونكاا.⁴

نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن للشرواني المتوفى 1252هـ

¹: الدكتور عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت لبنان ، ص ٤٧٧

²: المصدر نفسه: ص ٤٧٧ وقطب الدين أبي عبد الله محمد بن محمد التحتاني الرازي : القطبي ، الطبعة الثانية ، مكتبة البشري للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٢م

³: الدكتور عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت لبنان ، ص ٤٧٧

⁴: المصدر نفسه : ص ٤٧٧

هذا كتاب أدبي جمعه الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشرواني اليماني المتوفى عام 1837م بذل مجهوداته الجبارة في انتخابه وجمعه وترتيبه ويشتمل هذا الكتاب على ما تتلذذ به الأسماع وتميل إليه الطباع من الحكايات الأنيقة والأشعار الرائعة. تَمَّت طبعها في مجلد واحد وتحت إشراف كلية فورت وليم عام 1811م في مطبعة هندوستانى بكونكاتا¹

قصيدة كعب بن زهير المتوفى 645م

وهي شهيرة باسم قصيدة البردة لكعب بن زهير المتوفى 645م وقام الشرواني بطبعها بمطبعة إيديتر كونكاتا عام 1818م وأضاف إليها تعليقات لكي يسهل القاري الفهم الصحيح.

المصادر والراجع :

١: الدكتور عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت لبنان لم يذكر سنة الطباعة .

٢ : شاكر مصطفى : موسوعة دول العالم الإسلامى ورجالها ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى أكتوبر ١٩٩٣م

٣ : عادل حسن غنيم وعبد الرحيم عبد الرحمان : تاريخ الهند الحديث ، دار الكتاب الجامعي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٤م

٤ : الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، الطبعة ، تحقيق مكنب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة دمشق لم يذكر سنة الطباعة

٥ : والشرواني ، أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري : نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن ، الناشر مطبعة التقدم العلمية ، مصر ، الطبعة الأولى ١٣٢٤هـ

¹: الدكتور عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت لبنان ، ص ٤٧٧ ، والشرواني ، أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري : نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن ، الناشر مطبعة التقدم العلمية ، مصر ، الطبعة الأولى ١٣٢٤هـ

- ٦ : قطب الدين أبي عبد الله محمد بن محمد التحتاني الرازي : القطبي ، الطبعة الثانية ، مكتبة البشرى للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٢ م
- ٧ : المدني عبد الرشيد الحسيني : منتخب اللغات ، ناشر منشي نول كشور ، لکناؤ ، ١٨٧٧ م
- ٨ : مولوي محمد اسماعيل : شمس اللغات ، ناشر منشي فضل الدين ، ممبئي ١٨٤٩ م
- ٩ : محمد أشرف علي : صراح ، ناشر مطبع ثمر هند لکناؤ ١٨٧٢ م
- ١٠ : رام بابو سکسينة : تاريخ أدب اردو ، مترجم مرزا محمد عسکري ، ناشر منشي نول كشور ، لکناؤ ، ١٩٢٩ م
- ١١ : واي حميد : اردو نثر کي داستان ، ناشر مطبوعات الشيخ غلام علي ، لاهور پاکستانلم يذکر سنة الطباعة
- ١٢ : د/ سميع الله : فورت وليم کالج ، أنجمن ترقی اردو ، : طبع أول ، ١٩٨٩ م

خدمات المستشرقين في تحقيق المخطوطات والترجمة

خدمات المستشرقين في اللغة العربية لاتجحد ولا تنكر، ولها أهمية كبيرة في تاريخ العلوم العربية من الأدب و التاريخ و التفسير. فلأهمية موضوع الاستشراق في الأدب العربي، اردت أن اكتب عليه؛ لأنه يجدر بالاهتمام والدراسة، وقد رتبتهذا البحث على تمهيدٍ وأربعة مباحث، تناولت في التمهيد لفظة (الاستشراق) في المعنى اللغوي والاصطلاحي في كتب اللغة والأدب. أما بالنسبة إلى المباحث الأخرى فأولها منهجية الاستشراق، ثانياً الترجمة والتحقيق لدى المستشرقين، وثالثها تأثر الأدباء العرب بمنهج المستشرقين.

الإستشراق لغة :

الاستشراق كلمة مركبة من الشرق وإضافة إلى الحروف الزائدة (الهمزة والسين والتاء) التي تعني في اللغة العربية طلب الشيء ، فالاستشراق إذن هو طلب الشرق.

والشرق كما ورد في لسان العرب: شرقت الشمس، تشرق شرقاً طلعت، اسم الموضوع المشرق ، وكان القياس المشرق ، ولكنه أمر من هذا القبيل ، وفي حديث ابن عباس نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس.

جاء في تاج العروس: "الشرق حين تشرق الشمس، وقيل الشرق: الضوء الذي يدخل في شق باب وشرقت الشمس شرقاً وشروقاً، أضاءت وانبسطت على الأرض"².

الاستشراق اصطلاحاً:

نظراً للأهمية البالغة التي احتلها الاستشراق في الأوساط الأدبية توسع مفهومه وأصبح علماً مستقلاً، له قواعده وأسسـه وكيانه ومدارسه ومناهجه، بل تخطى حدوده ليشمل علوماً أخرى كعلم الآثار والتاريخ واللغة والأصوات وغيرها. فالاستشراق "اصطلاح واسع يشمل طوائف متعددة تعمل في ميادين

¹ الباحث للدكتورة لجامعة مولانا آزاد الوطنية الاردية.

² تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق على بشيري، ص 237/13، دارالصادر بيروت، ط

الدراسات الشرقية المختلفة، فهم يدرسون العلوم والفنون والديانات والتاريخ وكل ما يخص الشعوب الشرقية مثل الهند وفارس والصين واليابان والعالم العربي وغيرهم من أمم الشرق"¹

ولذلك تعذر علينا الوصول إلى تعريف شامل متفق عليه من قبل علماء الشرق والغرب معاً. ولكن بإمكاننا الوصول إلى مفهوم يحدد مغزى الاستشراق والمستشرقين والشرق، وذلك بالاطلاع على بعض المعاجم الحديثة وإيراد أقوال أهم علماء العرب والغرب في الموضوع. لم يتفق الباحثون على تحديد بداية تاريخية معينة، ولعلها مرد ذلك إلى أن الدراسات الاستشراقية كانت تسبق ظهور مصطلح الاستشراق بزمان طويل يظل إلى قرابة ألف عام لمقد ورد في معجم متن اللغة: "استشراق: طلب علوم الشرق ولغاتهم" والمستشرق هو الذي يبحث في علوم الشرق وآدابهم ولغاتهم وتراثهم وكل ما يتعلق بهم. يبدو أن الكلمة استعملت لأول مرة سنة 1630م حيث أطلقت على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية، كما وصف (أنتوني وود) و (صمويل كلارك) بأنه "استشراق نابه" وقصد بذلك أنه على معرفة بلغات الشرق، وجاء في قاموس أكسفورد "أن المستشرق هو من تبحر في لغات الاستشراق وآدابها".

فالاستشراق بتعبير موجز: هو دراسة يقوم بها الغربيون وخاصة كل ما يتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته.² منهجية الاستشراق في التعامل مع اللغة العربية:

الصلة بين اللغة والاستشراق صلة وثيقة حتى بالغ أحدهم في هذا التقدير فذهب إلى أن "الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة" والمستشرقون ينطلقون في دراسة اللغة العربية وآدابها من المناهج التي تدرس بها لغاتهم. فمن الناحية المنهجية الاستشراق يطبق على الإسلام ولغته

¹ المستشرقون ومشكلات الحضارة، سيد محمد صبرة عفاف، ص 11، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع القاهرة، ط 1997م.

² المستشرقون والسنة، سعد المرصفي، ص 9، مكتبة المنار الكويت، ط الأولى.

وعلى المؤلفات العربية التي يشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي يطبقه على تاريخ الفكر في بلاده، وعلى مصادره.¹

إن الدراسات اللغوية عند العرب لها قيمة كبيرة، فهي حلقة مهمة في سلسلة العلوم الإسلامية "وقد عدها فايس Weiss على درجة من الأهمية لمن أراد أن يقوم الحضارة الإسلامية، بل ذهب هذا المستشرق إلى أبعد من ذلك فنوه بأهميتها التي تتجاوز دورها الكبير في تاريخ الدرس اللغوي بعامه، إلى مكانتها في دراسة تاريخ الفكر الانساني على الإطلاق.

هناك دوافع عديدة لإقبال المستشرقين على تعلم اللغة العربية، منها:

- الدوافع الحضارية.

- الدوافع الاقتصادية.

- الدوافع اللاهوتية.

- الدوافع التنصيرية.

تحقيق المخطوطات لدى المستشرقين

توجهت المدارس الاستشراقية نحو نشر المخطوطات العربية وتحقيقها وترجمة البعض منها أو التقديم للبعض الآخر، ولكن المآخذ البارز على أعمال المستشرقين خلال هذه الفترة هو أن الاتجاه نحو التحقيق أو نشر المخطوطات كان غير منسق أو غير منظم إذ نجد معظم المستشرقين ينشرون مخطوطات تتعلق بالشعر والنحو والتاريخ والجغرافية دون التقيد بفترة تاريخية معينة أو بموضوع من المواضيع ، عدا ما قام به بعض القليل منهم، فالمستشرق الهولندي دي يونغ P.de Jong قد نشر "الأنساب" لأبي فضل المقدسي، و "الأنساب المتفقه" لابن القيرواني، و "كتاب الخراج" ليحيى بن آدم القرشي والمستشرق الآخر دوزي R.R Dozy حقق "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" للمراكشي، ونشر "البيان المغرب" لابن عذاري، و "نزهة المشتاق" للادريسي. وممن يستحق الذكر من الاستشراق الفرنسي (دي ساسي) الذي نشر العديد من المخطوطات الموجودة في مكتبة باريس الوطنية، وكتب عن تاريخ قدماء العرب وأصل آديهم، وحقق عددا من الكتب عن اليمن، وأشعار المعري،

¹ - موقف مرجليوث من الشعر العربي ، بحث في مناهج المستشرقين ، محمد مصطفى هداره، ص 396/1.

ومقامات الهمداني ومقامات الحريري. والمستشرق كاترمير Quatremere الذي ترجم مصنفات الميداني، و"تاريخ مغول الفرس" لرشيد الدين، و"منتخبات أمثال الميداني"، وكتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقريزي، و تقويم البلدان لأبي الفداء، وكتب عن الأنباط والعباسيين والفاطميين¹.

ومن المستشرقين الألمان (سيمون ثويل) ترجم "أطواق الذهب" للزمخشري، وألف ليلة وليلة، وسيرة النبي (ﷺ) لابن هشام، ونشر كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين" للأنباري، وترجم معلقة الشنفريلكن المستشرق (ثايل) اشتهر بكتابه "تاريخ الخلفاء" بخمسة أجزاء، مبتدأ بتاريخ الخلفاء الراشدين وحتى نهاية الدولة الأموية.

وكذلك المستشرق فستينفيلد Wustenfeld الذي قدم خدمات جليلة بتحقيقاته الكثيرة، فقد حقق ونشر كتاب "طبقات الحفاظ" للذهبي، وكتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان، و "تقويم البلدان" لأبي الفداء، وكتاب "اللباب" لابن الأثير، و"تهذيب الأسماء" للنووي، و "البيان والإعراب عما في أرض مصر من الإعراب" للمقريزي، و"المشترك" لياقوت الحموي، و"المعارف" لابن قتيبة، و"الاشتقاق" لابن دريد، وعددا من تاريخ مكة. ولعبت فرنسا دورا هاما في الدراسات الاستشراقية من تأسيس مدارس " ريمرس وشارتر" لتدريس اللغة العربية إلى إنشاء كرسي للدراسات الإسلامية في جامعة السوربون التي ألحق بها معهد الدراسات الإسلامية.

لقد زودت المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية عام 1795م المترجمين والمتخصصين الذين لجأوا إليهم نابليون إبان حملته على مصر والتي لعبت دورا هاما في تطوير الدراسات الاستشراقية عامة والعربية خاصة، وكذلك المعهد المصري الذي أسسه نابليون بالقاهرة وتزويده بمطبعة قامت بطبع ونشر الكتب والمخطوطات ذات العلاقة بالدراسات الشرقية، بالإضافة إلى الدور الذي لعبته جامعة السوربون وما زالت تلعبه.

¹ -الاستشراق والمستشرقون، مالهيم وما عليهم -- د. مصطفى السباعي، طبع المكتب الإسلامي - بيروت عام 1405هـ - 1985م.

ومن المعاهد الأخرى المتخصصة في الدراسات العربية المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، والذي أنشأه (ماسبيرو) عام 1880م، ومدرسة الأدب العالمية في الجزائر، ومعهد الدراسات المغربية العليا في الرباط، والمعهد الفرنسي في دمشق ، وغيرها من المعاهد التي لاتزال تهتم بهذه الدراسات وان تقلص بعضها بعد زوال الاستعمار.

لقد اهتم الفرنسيون باللغة العربية وفقهها ونحوها وأدائها وأنتجوا مؤلفات تتناول هذه المجالات ، فالمستشرق (بوستيل) ألف كتاب "قواعد اللغة العربية" وكذلك المستشرق (إيريلو) كتب "الملكية الشرقى" وهى دائرة المعارف تبحث في علوم الشرقيين وتاريخهم وأديانهم. جمع المخطوطات وطبعها:

أسفر النشاط العلمى الكبير للعقل العربى في تدوين الكثير من المؤلفات، ودوائر المعارف والمعاجم، وسائر كتب اللغة العربية بجميع فنونها، والعلوم الدينية والتاريخية وغيرها مما يعد مفخرة رائعة ومتميزة اختصت بها الذاكرة العربية في عصور الجاهلية وصدر الإسلام وبنى أمية وما تلاها. وقد حرص القدماء على الاحتفاظ بنسخة أو أكثر من هذا التراث الضخم، وذلك عن طريق نسخ الكتب، والتي تخصص فيها كتاب مشهورون مما جعل الكتاب الواحد المخطوط له أكثر من نسخة، ربما تختلف الواحدة عن الأخرى، وانتشرت هذه المخطوطات في بلدان العالم العربى والإسلامى، كما وصلت إلى أبعد من ذلك شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، حتى لا تكاد توجد دولة عربية أو غير عربية إلا وكان لديها رصيد ضخم من المخطوطات في شتى جوانب العلم والثقافة والحضارة، وكان الغربيون بعد بداية عصر النهضة أكثر الأُمم حرصا على جمع المخطوطات من كل مكان وجدت فيه، وبذلوا لهذا الغرض جهودا جبارة، واقترن ذلك بجهود المستشرقين في التعرف على التراث العربى بصرف النظر عن طبيعة هذه الدوافع، والأهداف المتمخضة عن ذلك، كما توهج هذا النشاط بعد حملة نابليون على مصر والشام.¹

¹-الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى -- د. محمود حمدى زقزوق -- طبع كتاب الأمة في قطر عام 1404هـ - 1983م.

وكان الحرص على جمع المخطوطات العربية وحفظها في المكتبات الأوروبية همًّا مشتركاً للكثير من الأوروبيين بمستويات مختلفة أفراداً وهيئات ودولاً، وكان إتمام ذلك بطرق متعددة، سواء أكان بالشراء أم بغيره؛ استغلالاً للكثيرين الذين لم يقدرُوا قيمة هذه المخطوطات ولا نجذم بأن جميع المخطوطات قد حُوِّلت إلى أوروبا، وإنما كان التراث بالضخامة في القدر والقيمة، بحيث يمكن أن يشبع كثير من الدول على هذه المخطوطات العربية، وعليه فقد توزعت بين دول الشرق كاليهند وباكستان ودول في أفريقيا كالنيجر ونيجيريا، كما نقلت كثير من المخطوطات إلى مكتبات الدولة العثمانية وباقي الدول الأوروبية.

وقد كتب الدكتور محمود زقزوق عن عناية المستشرقين بجمع المخطوطات فذكر أن بعض الحكام في أوروبا كانوا يفرضون على كل سفينة تجارية تتعامل مع الشرق أن تحضر معها بعض المخطوطات، وذكر أن بعض الجهات في أوروبا أيضاً كانت ترسل مبعوثيها لشراء المخطوطات من الشرق.¹ وإذا كان التراث العربي قد توزع على مكتبات العديد من الدول وخاصة الأوروبية فإن قدراً آخر قد أُلْف أو أُحرق عن عمد أو عن غير عمد؛ تعبيرا عن سوء عناية القدماء بهذا التراث الإسلامي والعربي، الذي لا يقدر بمال، ولكن للأمانة العلمية نقول من خلال مطالعتنا لكثير من المؤلفات إن الأوروبيين على العموم، وخاصة المستشرقين قد بذلوا جهداً متميزاً في جمع المخطوطات أولاً ثم في حفظها وفهرستها وتحقيقها وطبعها بعد ذلك، ثم إتاحتها للقراء أينما وجدوا، وقد أعيد الكثير من هذا التراث إلى ذويه بعد تحقيقه وطبعه، وذلك للاستفادة به مع إمكانية إعادة التحقيق والطبع، والفضل بكل تأكيد في إخراج هذا التراث لمن حافظوا عليه وأخرجوه مطبوعاً للقراء. وتعد مكتبة برلين من أكثر المكتبات الأوروبية في اقتنائها لألاف المخطوطات التي اعتنى بها المستشرقون عناية فائقة، وقدموا عنها عدداً كبيراً من البحوث والدراسات المتميزة، كما أن المستشرق (الوارد) قد قام بوضع فهرست للمخطوطات العربية في هذه المكتبة، وطُبع في عشرة مجلدات، وبلغ

المستشرقون ومشكلات الحضارة، سيد محمد صبرة عفاف، ص 11، دارالفكر للطبع والنشر والتوزيع القاهرة، ط 1997م¹

فيه الغاية فنا ودقة وشمولاً. ولا شك في أن المخطوطات العربية في الدول الأوروبية بخاصة قد استفاد بها الأدباء العرب، سواء أ جاءت إليهم في أوطانهم أم ذهبوا إليها؛ لتعلم منها والاستفادة بها.

خدمات المستشرقين في الترجمة العربية:

أما الترجمة من الأدب الغربي إلى الأدب العربي فقد شارك فيها مجموعة من مثقفي الشام، إضافة إلى جهود بعض المستشرقين، هؤلاء الذين أسهموا في التنبيه إلى قيمة التراث العربي والعودة إلى بعثه وأحيائه. وكان إنشاء دور الكتب والمكتبات العامة عاملاً مهماً أيضاً في حتمية القراءة والتأليف، وإن لم يكن بالصورة المقننة في بداية النهضة، كما أن جمع المخطوطات وتحقيقها وفهرستها وطبعها كان من العوامل المساعدة على تحقيق النهضة الأدبية بمستويات تختلف بين حقبة وأخرى، وارتبط ذلك بظهور الطباعة، والتي ارتفعت في وجودها بمصر بحملة نابليون، وأعقب ذلك ظهور الصحافة، وإن كانت البداية لا علاقة لها بالأدب، إذ بدأ الطبع بالجريدة الرسمية، وهي الوقائع إلى غير ذلك من الأسباب الداعمة للنهضة الحديثة.¹

اعتنى الأوروبيون بالتراث العربي عناية كبيرة، وانتقوا منه كثيراً من كتب النقد والإبداع فترجموها إلى العديد من اللغات الأوروبية، إذ من خلال هذه المترجمات استطاعوا أن يتعرفوا على أسرار التراث العربي والإسلامي، حيث تسهم الترجمة من لغة إلى أخرى في تفهم الجوانب التي تستحق الدراسة الحديثة من هذا التراث، ولذا أفادت هذه الترجمات للآداب والفنون أفادت القارئ والمثقف الأوربي، وكان عباس العقاد -- رحمه الله -- قد أعد كتاباً عن أثر العرب في الحضارة الأوروبية، كما أن هذه المترجمات قد أسهمت في إمداد المستشرقين بما يجب عليهم أن يبحثوا عنه، وذلك لمزيد من التعرف عن قرب بخصوص الإبداع والتميز في التراث العربي، وقد ترجمت كتب كثيرة في هذا الشأن عبر القرون السابقة، ونذكر منها تاريخ الطبري ومروج الذهب للمسعودي، وتاريخ الممالك للمقريزي ودواوين العديد من الشعراء، ومئات الكتب من الأدب والتاريخ والعلوم الإسلامية المتعددة.

¹ - جهود المستشرقين في التراث العربي -- بين التحقيق والترجمة -- محمد عوني عبد الرؤوف -- إعداد وتقديم د. إيمان السعيد -- طبع المجلس الأعلى للثقافة عام 2004م.

وعلى جانب آخر قد تم ترجمة الكثير من المؤلفات الأدبية، حيث نقلت إلى اللغة العربية في مجالات النقد الأدبي والشعر والقصة والرواية والمسرح وغيرها، كما يعود تاريخ الترجمة إلى زمن الإغريق فيما يخص فن الشعر، وفن النثر وسائر الفنون الأدبية المنبثقة منهما، وتم التاثر بذلك من خلال قراءة المثقفين العرب لهذا الإبداع، ونذكر في هذا الصدد أن كتابا في الإبداع العالحي مثل (كليلة ودمنة) ليديا الفيلسوف قد ترجم إلى اللغة العربية، ثم ترجم من العربية إلى الفرنسية وأعيد بالترجمة أيضا من الفرنسية إلى اللغة العربية، وغير ذلك كثير مما نشر في أسبانيا وفرنسا وإيطاليا وغيرها، وانعكست هذه الترجمات على الأديب العربي والكاتب المسلم، فجمع في ذاكرته نماذج عديدة من الإبداع الأوربي واستطاع أن يتمثله في كتاباته العربية، وقطع شوطا كبيرا في مجالات القصة القصيرة والرواية والمسرحية وغيرها، وأصبح الكاتب على اختلاف توجهاته يمتاح من تراثه العربي ومن النماذج الغربية المعاصرة، وانعكس ذلك على الأدب العربي إذ لم تنقطع المترجمات منذ قرون، سواء أكان ذلك عن طريق الاستشراق أم كان نواتج للترجمة بين الآداب المختلفة.

تأثر الأدباء العرب بمنهج الاستشراق

لاشك في أن رودا من الأدباء والفلاسفة والنقاد في العالم العربي والاسلامى كانوا من بين أولئك الذين تعلموا على أيدي المستشرقين، هذا من تقلبات الدهر وعجائب أمره لقد مر على المسيحيين في أوروبا حين من الدهر كانوا يشدون فيه الرحال إلى الأندلس ليتعلموا كتابهم المقدس من علماء المسلمين ، أما الآن فقد انقلب الأمر رأسا على عقب حيث أصبح المسلمون -وا أسفاه- يرجعون إلى أهل الغرب يسألونهم ماهو الاسلام،وماهو تاريخه،وماهى حضارته؟ ليس هذا فقط بل أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم،ويستوردونهم لتدريس التاريخ الاسلامى".

وفي النموذج نذكر الدكتور طه حسين صاحب كتاب "في الأدب الجاهلي" لقد استفاد من جهود هؤلاء المستشرقين وأمثالهم واستخدم مصادرهم ومناهجهم في دراسة الشعر العربي القديم والحضارة الاسلاميةومن الأدباء العرب الذين تأثروا بالمنهج الاستشراق ونريد ذكره هو المؤرخ والروائي جرجي زيدان، هذا الكاتب حين يختار موضوع رواياته لايلجأ إلى الفترات المشرقة

التي تمثل أمجاد التاريخ العربي دائما، ولكنه يختار المواقف الحساسة التي تمثل صراعا بين مذهبيين وسياسيين أو بين كتلتين تتصارعان على النفوذ والسيطرة ، فهو في الوقت الذي يحدثنا عن فتاة غسان لانجده يعترض لفترة ظهور الاسلام في عهد الرسول ﷺ ، وللفترة انتشار الاسلام وفتوحاته في عهد خلفائه ، إنما يعبر لهذه الفترة ليقدم لنا مجموعة من الروايات التي تمثل الصراع السياسي في عهد بني أمية، وآخر في عهد عثمان وهي عذراء قریش ، فغادة كربلاء والحجاج بن يوسف، وهو لا يختار من العصر العباسي الأول إلا شخصية أبي مسلم الخراساني التي تمثل الصراع بين العناصر العربية والفارسية، وشخصية العباسية التي تمثل الصراع بين الرشيد والبرامكة، وشخصيتي الأمين والمأمون وهما يمثلان عودة الصراع بين العرب والفرس من جديد.

لقد كان جرجي زيدان بمعرفته للغات واطلاعه على المناهج الجديدة أشبه شئ بهمزة وصل بين الحركة العلمية العربية وحركة الاستشراق المتدفقة النشاط في أوروبا وأمريكا ، واتصلت العلاقات بينه وبين أعلام المستشرقين، مثل (ثيودر نولد) و(يوليوس فلهاوزن) و(مارجوليوث) و(ادوارد سخاو). وكان معظم هؤلاء يفودون على القاهرة للدراسة أو البحث عن المخطوطات أو لنشر بعض ما أعدوه من مخطوطات عربية، فاتصلوا جرجي زيدان وأخذوا عنه وأخذ عنهم، ووجوده يبحث عن أسلوبهم مع تفوقه عليهم في العلم بالعربية فعظمت قيمته في أعينهم وأقبلوا يقرؤون في الهلال وما ينشر من كتب، وتصدى نفر منهم لترجمة بعض روايات تاريخ الاسلام، فكانت هذه الروايات من أول ما ترجم من اللغة العربية من عيون الأدب العربي الحديث¹.

لا يتساوى المستشرقون في مواقفهم من ديانات الشرق وأدبياته، فالكثير منهم غير منصف في آرائه خاصة في الدراسات الإسلامية، أما الفريق الثاني فهم فئة المنصفين الذين ينشدون الحقيقة، ويتحمسون لها ويدافعون عنها، وتتجلى هذه النصفة في الدراسات اللغوية والأدبية والإنسانية.

¹ - جهود المستشرقين في التراث العربي -- بين التحقيق والترجمة -- محمد عوني عبد الرؤوف -- إعداد وتقديم د. إيمان السعيد -- طبع المجلس الأعلى للثقافة عام 2004م.

وكان المستشرق كارلونلليينو الإيطالي أستاذًا في جامعة القاهرة وأستاذًا لمادة الفلك، وقد حظى بتقدير كثير من المصريين، ومنهم الدكتور/ طه حسين بينما ذكر آخرون أن كتابته في الجانب الإسلامي بها بعض التجاوزات، التي تكاد تعصف بعدالة الرجل، وحماسه للغة العربية، التي شارك بها في عضوية المجمع اللغوي، فضلا عن مؤلفاته المفيدة، أما المستشرق عبد الكريم جرمانوس الذي ولد في بودابست بالمجر، فإن اسمه يدل على اعتناقه للإسلام، وكان هذا المستشرق محل تقدير لدراساته الكثيرة والمتنوعة في سائر المعارف، وخاصة في الأدب واللغة والتاريخ، فضلا عن عضويته في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وبغداد، بعد تعلمه للغة العربية واللغة التركية، فهؤلاء المستشرقون بقدر عنايتهم باللغة، وافادتهم للأدب العربي الحديث فإن كتاباتهم بصورة عامة تُؤخذ في الدراسات الإسلامية بكل يقظة وانتباه، فمنهم من يدس السم في العسل ، أو يوهم بأنه يبحث عن الحقيقة، ولا يعنيه إلا الهزم واللمز للدين الإسلامي.

المصادر و المراجع

- 1 لسان العرب ، ابن منظور ، ص 3/173، دارالصادر بيروت ، ط 1410 هـ.
- 2 تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق على بشيري، ص 13/237، دارالصادر بيروت، ط 1994م.
- 3 المستشرقون ومشكلات الحضارة ، سيد محمد صبرة عفاف، ص 11، دارالفكر للطبع والنشر والتوزيع القاهرة ، ط 1997م.
- 4 مجلة الأدب و العلوم الثقافية ، عبدالقدوس الأنصاري، ص 129، دارالمنهل بدون الطبع.
- 5 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي ، أحمد سمايلو فيتش، ص 22، دارالفكر العربي ، ط 1998م.
- 6 المستشرقون البريطانيون ، آرثر أربري، ترجمة محمد الدسوقي النوبهي، ص 817، مطبعة وليام كوينز، لندن، ط 1946م.
- 7 المستشرقون والدراسات القرآنية، سعد المرصفي، ص 11، المؤسسة الجامعية ببيدراسات والنشر والتوزيع، ط 1982م.
- 9 تقويم الفكر الاستشراقي في ميزان النقد العلمي، محمد الدسوقي ، ص 100، دارالغرب، العدد 7، 2001م..
- 10 المستشرقون والسنة، سعد المرصفي ، ص 9 ، مكتبة المنار الكويت ، ط الأولى.
- 11- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري -- د. محمود حمدي زقزوق -- طبع كتاب الأمة في قطر عام 1404هـ - 1983م.
- 12- الاستشراق والمستشرقون، مالمهم وما علمهم -- د. مصطفى السباعي، طبع المكتب الإسلامي -- بيروت عام 1405هـ - 1985م.

- 13- بحوث في الاستشراق واللغة -- د. إسماعيل أحمد عمارة -- طبع دار وائل للنشر -- عمان -- الأردن عام 2003م (الطبعة الثانية).
- 14- تاريخ الأدب العربي -- كارل بروكلمان -- تعريب د. عبد الحلیم النجار -- الجزء الأول -- طبع دار المعارف بمصر عام 1983م.
- 15- تاريخ التراث العربي -- فؤاد سزكين -- طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -- المجلد الثاني -- (خمسة أجزاء) تعريب محمود فهدى حجازي 1403هـ - 1983م.
- 16- جهود المستشرقين في التراث العربي -- بين التحقيق والترجمة -- محمد عونى عبد الرؤوف -- إعداد وتقديم د. إيمان السعيد -- طبع المجلس الأعلى للثقافة عام 2004م.
- 17- شهباء التغريب في الغزو الفكرى -- أنور الجندى -- طبع المكتب الإسلامى -- بيروت 1403هـ - 1983م.
- 18- شخصيات وقضايا في العلم والتعلم والتربية -- د. السيد محمد الديب -- طبع عام 1435هـ - 2014م.
- 19- صور استشراقية -- د. عبد الحلیم شلبى -- طبع دار الشروق 1406هـ - 1986م.

ORIENTALISTS AND ARABIC LANGUAGE & LITERATURE

Editors:

1. **Prof. Syed Alim Ashraf Jaisi**
HoD, Department of Arabic, MANUU.
2. **Dr. Mohd Shamsuddin,**
Guest Lecturer, Dept. of Arabic, MANUU.
3. **Dr. Asif Laique,**
Guest Lecturer, Dept. of Arabic, MANUU.

Published by:

Department of Arabic
Maulana Azad National Urdu University,
Hyderabad.